دعوة ... وبرنامج

عبد الحميد العلوجي

رئيس تحرير « المورد »

قلنا ، وقد أصبح معروفا ، ان المورد مجلة ذات رسالة ٠٠ شاء لها الحكم الثوري التقدمي في العراق أن تكون معقدَ ارتباطٍ بالتراث ، وجسراً يوثّق حاضر العرب بماضيهم ، ومنبراً يشدّ جديدَ العراق بقديمه ٠٠ وقد حفزت هذه المشيئة الخيّرة وزارةَ الاعلام على رعاية « المورد » ، وتعزيز مكانها الراهن في تاريخ الصحافة العراقية ٠

وبعد أن اجتازت هذه المجلة سنتها الاولى ٠٠ أصبحت قادرة على توفير أسباب الالتحام بين أمجاد الاصول وحضارة الفروع ٠ وهي لذلك ـ كما قلنا في غير هذا الافتتاح ـ سعيدة بتوجيه الدعوة الى ذوي الخبرة والاختصاص من العلماء والادباء والمؤرخين والفنانين للتعاون معها على تنسيق الخطط ورسم المناهج ٠٠ لتستوعب بحق المشاركة البارعة في مضامير المعرفة تحقيقاً للانسجام بين موجبات الفكر وموجبات الحياة(١) ٠

والمورد اذ تفتح نوافذها للكلمة التي تنفع الناس ٠٠ تمقت الوتائر الشكولة والمسارد الرتيبة ، وتلعن الحياد في مواجهة التطور ، وتسترذل الشتيمة ، وتستذنب العدوان ، ولن تجنح الى الأراجيف ٠ وهي بهذا السلوك الحميد ستعصم رسالتها من الاستجمام طويلاً في المهابط والمحطات ، وستحقق أهدافها غير حافلة بنعيبٍ أو نقيق ٠

ومن هنا بهجتها بترحيل الدعوة الى رجال الفكر ، أينما

---

(١) المورد ١ [١٩٧١] ج ١ـ٢ ، ص ٦ ٠

كانوا ، وحيثما يمكثـون ، عراقيين وعـربـاً ومستشرقين ، للاسهام فى تحريرها ، وتأييدها بالمحاولة المنهجية والبحث الرصين والدراسة الموضوعية ٠٠ ضمن برنامج قوامه :

١ ــ الرصيد الثوري فى التراث العربي ٠
٢ ــ التعريف بالمخطوطات العربية ٠
٣ ــ الرسائل التراثية المحقّقة تحقيقاً علمياً ٠
٤ ــ التعريف بخزائن الكتب الحافلة بالآثـار الخطّيـة العربية ٠
٥ ــ الببليوغرافيات الخاصة بالتراث ٠
٦ ــ فهارس المخطوطات العربية ٠
٧ ــ الأبحـاث الشاملة عن الوراقين والنُسّـاخ ، وأنواع الحبر والكاغد والأقلام ٠
٨ ــ الآثار المجموعة التي ضاعت أصولها ٠
٩ ــ النصوص العربية الباقية فى بعض المعالم الحضارية ٠
١٠ ــ نقد المخطوطات العربية المطبوعة ٠
١١ ــ الأبحاث الفنية المتعلقة بتحديد أعمار المخطوطات وترميمهـا ، وأنـواع الخطـوط ، والتجليـد ، والتذهيب ، والتصوير ٠
١٢ ــ الدراسات الاكاديمية المتراميـة على الحضـارة العربية ٠
١٣ ــ المطارحات والمقابسات التراثية ٠
١٤ ــ الترجمات العربية لأرصن النتاج الاستشراقي ٠
١٥ ــ الوثائق التراثية على اختلاف منازعها ٠

وحيـال هـذا البرنامج سترحّب « المـورد » بنفائس الدراسات والابحاث والرسائل المحققة والوثائق التي تفصح عن الجهد الصادق والمثابرة الجادة لدى جهـابذة الفكـر فى العـراق والوطـن العـربي والمعاهـد الاستشراقية والمجامع العلميـة ، وهي بإزاء ذلك لن تضنّ بثـواب ، بل تعاهـد التراثيين على الانطلاق قُدُماً من الحَسَنِ الى الأحسن ، ومن النافع الى الأنفع ، ومن الوثبة الى الطفرة ٠ وأملها راسخ على العون والمؤازرة والتوفيق والسداد ٠

أغربة العرب

بقلم الدكتور
محمد باقر علوان
استاذ الادب العربي في جامعة انديانا
الولايات المتحدة .

مما لاشك فيه ان « اغربة العرب » كاصطلاح ادبي يعني اولئك الشعراء والاعيان الذين ترجع اصولهم الى العرق الزنجي . ومما لاشك فيه ان كلمة « اغربة » (مفردها غراب) اشارة الى لونهم الاسود(١) . وقد اختلف الكتاب العرب في عدد واسماء هؤلاء السودان اختلافا كبيرا ، كما اوضح ذلك ابو عبيدة معمر بن المثنى (١١٠ هـ / ٧٢٨ م ـ ٢٠٩ هـ / ٨٢٤ م) في كتابه الموسوم بالنقائض(٢) وفي هذا المقال نود ان نستقصي جميع الاخبار الواردة في شان اغربة العرب لمعرفة سبب تسميتهم بهذا الاسم وعددهم واسمائهم على شيء من اليقين .

ان اقدم اشارة وصلتنا عن هؤلاء الاغربة هي اشارة ابن الكلبي (ت ١٤٦ هـ / ٨٦٣ م) التي ذكرها ابو الفرج الاصفهاني (٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م ـ ٣٥٦ هـ / ٩٦٧ م) في كتابه الاغاني(٣) ، حيث قال ان اغربة العرب ثلاثة وهم : عنترة بن شداد ، وامه زبيبة ، وخفاف بن عمير الشريدي ، من بني سليم ، وامه ندبة(٤) ، والسليك بن السلكة السعدي ، وامه السلكة واليها ينسب . وقد تبع ابن الكلبي في هذا الامر ابو عمرو الشيباني (١٩٤ هـ / ٧١٣ م ـ ٢٠٦ هـ / ٨٢١ م) ، حسب ما ذكر ابو عثمان سعدان بن المبارك (ت ٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م)(٥) ، وتبعه كذلك ابن قتيبة (٢١٣هـ / ٨٢٨م ـ ٢٧٦هـ

(١) الشعر والشعراء ٢٥١ ، ٢٤١ ، ٢٦٥ .
(٢) النقائض ١ : ٢٧٢ ، وراجع ايضا : شعر خفاف بن ندبة ٨ .
(٣) الاغاني (دار الكتب) ٨ : ٢٤٠ .
(٤) ندبة بفتح النون ويقال بضمها .
(٥) النقائض ١ : ٢٧٢ .

/ ٨٨٩ م)(٦) ، والآلوسي (١٢٧٣ هـ / ١٨٥٧ م ـ ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٤ م)(٧) .

ولكن ابا عبيدة معمر بن المثنى (١١٠ هـ / ٧٢٨ م ـ ٢٠٩ هـ / ٨٢٤ م) ، على الرغم من انه اكد ثلاثية عددهم ، اثبت اسماء تختلف شيئا ما عن الاسماء التي اوردها ابن الكلبي . فقد جعل ابو عبيدة الثلاثة : عنترة ، والسليك ، وعبدالله بن خازم(٨) .

الا ان ابا جعفر محمد بن حبيب البغدادي (ت ٢٤٥ هـ / ٨٦٠ م) احتج على ادخال عبدالله بن خازم في صفوف اغربة العرب قائلا : « عبدالله بن خازم اسلامي لا يعد من اغربة العرب ، ولو عددناه لوجدنا مثله في الاسلام كثيرا »(٩) . ومن هذا نستطيع ان نستنتج ان اغربة العرب ، في نظر ابن حبيب البغدادي ، ينبغي لهم ان يكونوا جاهليين . هذا ، وقد حدد عددهم باربعة ، كلهم من الجاهليين ، وهم : عنترة ، والسليك ، وخفاف ، والمنتشر بن قاسط الباهلي(١٠) . ومن الغريب جدا ان ابن حبيب البغدادي الذي ذكر ستين رجلا من ابناء الحبشيات في كتابه المحبر لم يذكر المنتشر الباهلي

(٦) الشعر والشعراء ٢٥١ ، ٢٤١ ، ٢٦٥ .
(٧) بلوغ الارب ٢ : ١٢٦ .
(٨) النقائض ١ : ٢٧٢ .
(٩) نفس المصدر السابق .
(١٠) هكذا ورد اسمه في النقائض ١ : ٢٧٢ ، ولكننا لا نعرف بين اغربة العرب منتشرا بن قاسط . ومن الاكيد ، كما سنرى ، ان المنتشر هذا هو المنتشر بن وهب بن عجلان بن سلامة الباهلي .

هذا ، ولا منتشرا آخر(١١) . ومن الاكيد ان المخطوط الذي نشر عنه هذا الكتاب ناقص في مادته، ودليلنا على هذا هو البياض الموجود في هذا المكان من الكتاب بالذات(١٢) .

أما راي ابن الاعرابي (١٥٠ هـ / ٧٦٧ م — ٢٣١ هـ / ٨٤٥ م) الوارد في نوادره فقد وصلنا في روايتين : الاولى عن طريق ابن سيده (٣٩٨ هـ/ ١٠٠٧ م — ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م) في المحكم فابن منظور (٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م — ٧١١ هـ / ١٣١١ م) في لسان العرب(١٣) ، والزبيدي (١١٤٥ هـ / ١٨٣٢ م — ١٢٠٥ هـ / ١٧٠٩ م) في تاج العروس(١٤) . والثانية عن طريق السيوطي (٨٤٩ هـ / ١٤٤٥ م — ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) في المزهر(١٥) . وبين الروايتين اختلاف يسير ، لكنه مهم جدا ، فقد وضع ابن سيده في نقله تأبط شرا والشنفرى بين الاسلاميين ، بينما وضعهما السيوطي بين الجاهليين . ونحن نعرف من عشرات الاشارات ان تأبط شرا والشنفرى جاهليان ، ولا يعقل ان يعتبرهما ابن الاعرابي من الاسلاميين ؛ وهذا هو السيوطي الذي نقل عن نوادر ابن الاعرابي راسا يؤكد ورودهما هناك على انهما جاهليان . فاين الخطأ اذن ؟ وكيف حدث ؟

يظهر لنا ان الخطأ قد وقع في نص المحكم لابن سيده . وهذا قد يرجع الى سببين : الاول ، تلاعب الناسخ او النساخ في أصل كلام ابن سيده ، والثاني ، ابن سيده نفسه ، سهوا او عمدا (على الاكثر سهوا) قد نقل ، خاطئا ، كلام ابن الاعرابي .

ايا كان الامر ، فاذا جعلنا تأبط شرا والشنفري بين الجاهليين تكون رواية ابن الاعرابي عن اغربة العرب كما يلي :

١ — الجاهليون : عنترة ، وخفاف ، وابوعمير بن الحباب ، والسليك ، وتابط شرا ، والشنفرى.

٢ — المخضرمون : هشام بن عقبة بن ابي معيط .

٣ — الاسلاميون : عبدالله بن خازم ، وعمير بن ابي عمير بن الحباب ، وهمام بن مطرف التغلبي، والمنتشر بن وهب الباهلي ، ومطر بن اوفى المازني ، وحاجز الازدي .

(١١) المحبر ٣٠٦ — ٣٠٩ .
(١٢) المحبر ٣٠٩ .
(١٣) راجع فيه مادة (غرب) .
(١٤) راجع فيه مادة (غرب) ، وراجع ايضا رغبة الامل ٣ : ٦٦ .
(١٥) المزهر ٢ : ٤٣١ .

ولكن يظهر لنا ان الكتاب الذين كتبوا في هذا الشأن بعد ابن الاعرابي قد استكثروا هذا العدد . فالثعالبي (٣٥٠ هـ / ٩٦١ م — ٤٢٩ هـ / ١٠٣٨ م) لا يذكر الا اربعة منهم ، وهم : عنترة ، وخفاف ، والسليك ، وعبدالله بن خازم(١٦) ، بينما يذكر عبدالقادر البغدادي (١٠٣٠ هـ / ١٦٢٠ م — ١٠٩٣ هـ / ١٦٨٢ م) خمسة اغربة ، وهم : عنترة ، والسليك ، وابو عمير بن الحباب ، وخفاف، وهشام بن عقبة بن ابي معيط(١٧) .

فهذا ما ذكره الاقدمون عن اغربة العرب ؛ ولكنه من الجدير بالذكر ان المبرد (٢١٠ هـ / ٨٢٦ م — ٢٨٦ هـ / ٨٩٩ م) هو الوحيد الذي سمى هذه المجموعة من الشعراء العرب « غربان العرب »(١٨) لا « اغربة العرب » . ومن الواضح ان هذه التسمية الجديدة كانت تجاوزا منه . فالعرب قد فرقوا ، الى حد ما ، بين كلمة «غربان» وكلمة « اغربة » ، فأصبحت « غربان » (جمع غراب) تعني هذا النوع المشهور من الطيور ، واصبحت كلمة « اغربة » (التي هي جمع قلة للغراب) تعني هذه المجموعة من الشعراء الزنوج الذين تكلمنا عليهم ، وبهذا اصبح للكلمة مدلول ادبي خاص ، كما ذكرت القواميس العربية .

ولايسعنا ، ونحن نتحدث عن «اغربةالعرب»، الا ان نستغرب ان الجاحظ (١٦٣ هـ / ٧٨٠ م — ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م) ، الذي اهتم بالزنوج واشعارهم وعدد سبعة وعشرين شخصا منهم في كتابه « فخر السودان على البيضان » ، لا يذكر هذا الاصطلاح الادبي في كتبه .

من كل ما تقدم نستطيع ان نقول ، وبشيء من اليقين ، على ان الاصطلاح « اغربة العرب » كان اصطلاحا ادبيا اطلق على اشهر أبناء الحبشيات من الشعراء والاعيان في البداية ، ثم تطور الى شمله شعراء آخرين من الدرجة الثانية ، وبهذا اخذ التعبير يضم مجموعة لا بأس بها من الشعراء الذين يتصفون باشياء مشتركة من بينها سواد لونهم . وبقي التعبير محصورا في هؤلاء الشعراء دون غيرهم من أبناء الحبشيات . هذا من جهة، ومن جهة اخرى فنحن نستطيع ان نتأكد على ان تسرب اللون الاسود الى هؤلاء الشعراء قد جاء عن طريق

(١٦) ثمار القلوب ١٥٩ — ١٦٠ .
(١٧) خزانة الادب ٢ : ٤٧٣ .
(١٨) الكامل ١ : ٢٤١ ، ٢ : ١١٨ .

دراسة تحليلية للعناصر المعمارية والزخرفية والكتابية

لمحراب المصلى في الجامع النوري بمدينة الموصل

بقلم

نجاة الحاج يونس التوتونجي

ماجستير في الآثار الاسلامية ـ بغداد

محراب(١) المصلى :

يقع هذا المحراب اليوم في مصلى جامع النوري(٢) بمدينة الموصل في منتصف جدار القبلة وهو يواجه الداخل من الباب الوسطي (الباب الرئيسي) ويعرف بمحراب الشافعية لأنه كان مبنيا في الجانب المخصص لمصلى مذهب الشافعية في بيت الصلاة ، وهذا المحراب مؤرخ ويرجع تاريخه لسنة ٥٤٣ هـ وقد حفر عليه اسم صانعه وهذا التاريخ لا يناسب بناء الجامع لانه ابتدأ في بنائه سنة ٥٦٦ هـ / ١١٧٠ م وكمل سنة ٥٦٨هـ / ١١٧٢م .

نلاحظ ان اتجاه القبلة في هذا الجامع منحرف نحو الجنوب الغربي بمقدار ١٠° بينما اتجاه القبلة الحقيقي في مدينة الموصل ٩° غربي الجنوب (شكل ١) .

الشكل الحالي للمحراب :

بني المحراب من عدة قطع من الرخام الازرق وقد وضع الجص كمادة لاصقة بينها ، والمحراب الان مطلي باللونين الذهبي والفضي . ولم يكن قديما مثل ما هو عليه في الوقت الحاضر ، فمن مقارنته بالصورتين (١ ، ٤) ظهر لنا ان بعض الاجزاء اصلية وبعضها مضافة ثم انتزعت منه فيما بعد .

ولدراسة هذا المحراب في هاتين الصورتين (الاولى اخذت قبل ترميمه الاخير ، والإخرى على ما عليه الآن) نلاحظ ان شكل تجويف المخراب عبارة عن شبه مستطيل (شكل ٢) وعمقه الكلي ٥٢ سم (شكل ٣) وشكل واجهاته عبارة عن ثلاثة مستطيلات متتابعة : المستطيل الخارجي ارتفاعه ٢٠ و ٤ م وعرضه ٤٠ و ٢ م ، وارتفاع المستطيل الوسطي ٣ م وعرضه ٦٦ و ١ م ، وارتفاع المستطيل الداخلي ٢ م وعرضه ٨٧ سم . (شكل ٤) .

وقد احتوى المستطيل الخارجي على شريط كتابي عرضه ٣٧ سم يحف بالمحراب من ثلاث جهاته مسجل عليه بالخط الكوفي المعروف آية من القرآن

(١) المحراب : اخذت لفظة محراب على ما اعتقد من شبه الجزيرة العربية وقد جاءت هذه اللفظة خمس مرات في القرآن الكريم ، وفي كثير من ابيات الشعر الجاهلي .
اما اصل المحراب المجوف ، فقد ذكر بعض المستشرقين انه اشتق اما من الكنائس المسيحية او من الهياكل اليهودية او من المذابح القبطية ، وقد اشار الدكتور احمد فكري الى ان حاجة المسلمين له دفعتهم الى ابتكار المحراب المجوف ، وان فائدته انما هي لدخول الامام فيه اثناء اقامة الصلاة ليترك المجال لصف كامل لمصلي الصلاة داخل المصلى عوضا عن صلاتهم في الفناء ، حيث صعوبة الحر والبرد . انظر مقالة الدكتور احمد فكري : بدعة المحاريب في مجلة الكاتب المصرية المجلد الرابع العدد ١٤ ص ٢٠٦ ـ ٢٢٠ وكتابه (مسجد القيروان) ص ٥٤ . واعتقد ان الفائدة الثانية للمحراب هي لتحديد اتجاه القبلة ، والوظيفة الثالثة لتضخيم صوت الامام اثناء تاديته الصلاة لكي يسمعه كافة المصلين .

(٢) امر بانشاء هذا الجامع السلطان نورالدين محمود بن عمادالدين زنكي والسبب في انشائه انه شاهد بنفسه ما يعانيه المصلون من الازدحام والضيق اثناء اقامة الصلاة في الجامع الاموي ، ولم يكن في الموصل جامع غيره فقرر على انشاء هذا الجامع .
انظر كتاب ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج١١ ص ١٤٧ ، وابن الاثير : الباهر في الدولة الاتابكية ص ١٥٤ ، وابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٦٩ ، والعمري : منية الادباء ص ٢٠٤ ، وسليمان الصائغ : تاريخ الموصل ج١ ص ٢١٨ .

الكريم (صورة ١) ويبدا هذا الشريط من الجانب الايمن للمتجه نحو المحراب وهذا نصه : (بسم الله الرحمن الرحيم قد نرى تقلب وجهك في السماء) . وفي القسم العلوي : (فلنولينك قبلة ترضاها فول) وفي الجانب الايسر (وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره)(٣) (شكل ٤) .

واسفل القسم العلوي من الشريط الكتابي شريط كتابي آخر عرضه ٥٤ سم ، عليه الآية التالية (كلما دخل عليها زكريا المحراب)(٤) . اما المستطيل الاوسط ففي داخله عقد زخرفي مدبب مسطح ارتفاعه ٥٧سم وسعة فتحته ٨٨سم وقد حفرت عليه زخارف نباتية بارزة عن سطح المحراب بنسب متفاوتة بين ٣-٦سم والزخارف المحفورة عليه هي فروع نباتية وورقات صغيرة ، ويحيط بالعقد من ثلاث جهاته اطار زخرفي ارتفاعه ٨٨سم وقد حفرت عليه زخارف نباتية تشبه زخارف العقد ولكنها أقل بروزا منها حيث يتراوح البروز بين السنتيمتر الواحد الى الثلاثة سنتيمترات (صورة ٢) ويستقر العقد على عمودين مضلعين ارتفاع كل منهما ١٢٣سم .

اما المستطيل الداخلي : فيتمثل في تجويف المحراب وقد تألف من لوحة مستطيلة واقعة في صدر التجويف ويحيط بهذه اللوحة شريط كتابي عرضه ١٥سم مكتوب بالخط النسخي وقد سجل عليه البسملة والآية ١٨ من سورة التوبة وسنة صنعه واسم صانعه ، وهذا الشريط يحيط بعقد زخرفي مدبب ارتفاعه ٢٣ سم وسعة فتحته ٢٦ سم ويرتكز على اعمدة مستديرة ارتفاعها ١٤٠سم وتيجانها وقواعدها ناقوسية ولكن الاخيرة وضعها معكوس . ويحيط بالعقد اطار حفر عليه وعلى العقد زخارف نباتية تشبه زخارف العقد الخارجي والاطار المحيط به ، ولكن زخارف العقد والاطار الداخلي متفرقة اكثر من الخارجي وتمتد هذه الزخرفة بين العمودين الى أسفل اللوحة .

وعلى جانبي التجويف لوحتان مستطيلتان عرض كل واحدة منهما ٣٤سم وارتفاعها ٢٠سم ويتوسط اللوحتين شريط زخرفي عرضه ١٩ سم حفرت عليه زخارف هندسية تمثل اشكالا نجمية (صورة ٣) .

---

(٣) سورة البقرة الآية ١٤٤ .

(٤) سورة آل عمران الآية ٣٧ .

المحراب قبل ترميمه الاخير :

المحراب في الوقت الحاضر يختلف كثيرا عما كان قبل الصيانة ، فنلاحظ عوضا عن الشريط الكتابي الذي يحيط بالمحراب من ثلاث جهاته ، أنه كان يتألف من عدة لوحات رخامية تختلف كل واحدة بزخارفها عن الاخريات وهذه اللوحات غير منسجمة مع بعضها : ففي الجانب الايمن للمتجه نحو المحراب نلاحظ اللوحة السفلى (المرقمة ١) من (الشكل ٥) و (الصورة ٤) قد سجلت عليها البسملة بالخط الكوفي المورق ويعلوها عدة قطع من الرخام غير متناسقة مع (اللوحة ١) ويعلو هذه اللوحة مباشرة (لوحة ٢) وقد حفرت عليها زخارف نباتية بشكل وريقات صغيرة وفروع نباتية متصلة مع بعضها وفوق هذه اللوحة قطعة رخامية اخرى عليها شريطان من الكتابة يبدأ الشريط الخارجي من اللوحة (رقم ٣) من الاعلى الى الاسفل(٥) والشريط الداخلي (رقم ٤) يتجه بعكس الشريط السابق ، وهذه القطع غير كاملة ومن اجزاء مختلفة ومتفرقة من آيات قرآنية(٦) .

اما القسم العلوي من الاطار فقد تألف من عدة لوحات ، ثلاث منها مزخرفة (رقم ٦ ، ٧ ، ٨) والباقية خالية من الزخرفة ، فاللوحة المرقمة (٦) احتوت على مربع حلي بزخارف نباتية ، اما اللوحة الوسطية المرقمة (٧) فقد حفر عليها اطار مستطيل حفر في داخله زخارف نباتية ، وهذا الاطار يحيط بعمود حلزوني يعلوه تاج ناقوسي وقد حفر عليه ورقة واحدة وفروع نباتية . اما اللوحة (المرقمة ٨) فقد حفر عليها شكل عقد زخرفي مدبب حفر في داخله اشكال مقرنصات ، ويستقر هذا العقد الزخرفي على عمودين زخرفيين والمسافة بينهما ملئت بفروع نباتية ، واما باقي اللوحات فقد زالت زخارفها .

واسفل هذه اللوحة شريط كتابي (المرقم ٦) سجل في الجهة اليمنى منه جزء من آية قرآنية(٧) .

---

(٥) الشريط الخارجي كتب عليه جزء من آيات متفرقة هذا نصها : (الذين يعلمون) .. (الكتاب يعرفون) . ومن سورة الانعام الآية ٢٠ وهذا نصها (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم .. وان فريقا منهم) . ومن سورة البقرة الآية ١٤٦ وهذا نصها : (وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) .

(٦) الآية ١٤٠ من سورة البقرة وهذا نصها (وما الله بغافل عما تعملون) وتكملة الشريط (الذين اتقوا الله ...) .

(٧) على الجهة اليمنى من الشريط بعض الكلمات زائلة اما تكملة الآية القرآنية الكريمة فهي (يعلمون .. وآتيناهم ... يعلمون) .

وينتهي هذا الشريط في الجهة اليسرى من المحراب بشريط اصغر حجما وقد سجل عليه جزء من آية قرآنية ولكنها بشكل معكوس[8] .

اما الجانب الايسر من المحراب فالقسم العلوي احتوى على شريطين من الكتابة بينهما فراغ ، وقد تألف كل شريط من عدة قطع عليها بعض الاجزاء المتفرقة من الآيات القرآنية الكريمة ، فالشريط الخارجي (اللوحة ١٤) تبدا قراءته من الاسفل الى الاعلى[9] اما الشريط الداخلي (اللوحة ١٣) فاتجاه الكتابة من الاعلى الى الاسفل بعكس الشريط السابق[10] (صورة ٤) . واسفل هذين الشريطين لوحة مستطيلة (المرقمة ١٥) تشبه اللوحة الزخرفية (المرقمة ٢) على الجانب الايمن ولكن الاخيرة اكبر حجما من الاولى ، واسفل هذه اللوحة لوحة اخرى مستطيلة الشكل (المرقمة ١٦) سجل عليها بالخط الكوفي المورق ما هذا نصه (ما وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) .

نلاحظ ان هذه اللوحات في الاطار الخارجي قد انتزعت من مكانها واكمل الشريط الكتابي المسجل بالخط الكوفي المورق كما هو واضح في (الصورة ١) اما باقي اجزاء المحراب فلم يحدث به اي تغيير .

الاجزاء الاصلية في المحراب :

ان الاجزاء الاصلية للمحراب التي يرجع زمنها لسنة ٥٤٣ هـ وكما في (الشكل ٦) هي :-

١ - اللوحة المستطيلة الواقعة في صدر تجويف المحراب احيط بها شريط كتابي مسجل بالخط النسخي ، ويبدأ من الجانب الايمن للمتجه نحو المحراب وهذا نصه : (بسم الله الرحمن الرحيم ، انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاة) ويمتد الشريط في القسم العلوي من اللوحة (فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين)[11] ، ويستمر الشريط الكتابي على الجانب الايسر (عملت هذه القبلة في جمدى الاول سنة ثلث واربعين وخمس مابة صنعه د ... د البغدادي) (صورة ٥٥) .

وفي القسم العلوي من اللوحة نلاحظ عقداً زخرفياً مدبباً ، يحيط به اطار حفر عليه فروع نباتية ووريقات صغيرة جداً ويستقر العقد على عمودين زخرفيين ويعلو بدن كل منهما تاج ناقوسي وقاعدة ناقوسية ولكن وضع الاخيرة معكوسة ، انظر الصورة السابقة .

٢ - العقد الخارجي والاطار المحيط به وقد وصفته قبل قليل .

الاجزاء المضافة للمحراب :

١ - تكملة الاطار الكتابي الخارجي المسجل بالخط الكوفي المورق ، وقد انتزعت القطع الرخامية غير المنسجمة من هذا المحراب (انظر صورة ٤) .

٢ - العمودان الخارجيان اللذان ارتكز عليهما العقد الخارجي وشكل كل واحد منهما مضلع له خمسة اوجه عرض كل وجه ١٠ سم وقد حفر على كل وجه وريقات صغيرة وفروع نباتية وهذه الفروع شبه بيضوية .

٣ - اللوحتان المستطيلتان الواقعتان على جانبي التجويف ، وقد حفر على كل منهما اشكال معينة متقاطعة مع اشكال نجمية وفي داخل كل منهما نقط وخطوط وهاتان اللوحتان تختلف بزخارفهما عن باقي اجزاء المحراب القديمة . (صورة ٣) .

ويتضح لنا من هذا العرض ان بعض اللوحات التي كانت تشغل الاطار الخارجي للمحراب قبل ترميمه الاخير كثيرة الشبه بزخارفها مع الاجزاء الاصلية من المحرب - اي اللوحة الواقعة في صدر التجويف والعقد الخارجي والاطار المحيط به - ويحتمل ان اللوحتين الرخاميتين الموجودتين على جانبي المحراب (اللوحتان ٢ ، ١٥ من الشكل ٥) حفرتا في عهد بناء الاجزاء القديمة من المحراب ، واعتقد انهما نقلا من الجامع الاموي كذلك اثناء نقل المحراب .

اما الاشرطة الكتابية (اللوحات ٣ و ٤

(٨) وينتهي هذا الشريط في الجهة اليسرى بشريط اصغرحجما والكتابة غير واضحة ماعدا (المسجد الحر ...) .

(٩) الشريط الخارجي : الكلمات غير متفرقة وغير واضحة (جلل من العلم يكبل ايدهما - اتبعوا فلك الاله مع الفد) .

(١٠) الشريط الداخلي : المعنى غير واضح والكلمات متفرقة وهذا نصه (الن - الظالين - الدين - لسه - تابع - قبلتهم) واعتقد ان هذا الشريط كان من عدة قطع ثم جمعت ولكن بدون اعطاء اي معنى له .

(١١) سورة التوبة : الآية ١٨ .

و ١١ و ١٣ و ١٤ من الشكل ٥) والتي وضعت لتكملة الاطار الخارجي فانها غير منسجمة مع الاجزاء الاخرى من المحراب وهي عبارة عن اجزاء صغيرة حفرت عليها آيات متفرقة من القرآن الكريم وهذه الاشرطة لم تصنع خصيصا لهذا المحراب لان وضعها غريب وتختلف عن الشريط الخارجي المكتوب بالخط الكوفي المورق .

اما اللوحات الثلاث الزخرفية الواقعة في القسم العلوي من الاطارالخارجي (المرقم بـ ٦و٧و٨ من الشكل السابق) فاعتقد انها ترجع الى عهد بناء المحراب لتشابهها في الزخرفة .

واما الشريط الكتابي الخارجي المكتوب بالخط الكوفي المشجر الذي احتوى على جزئين (الرقم ١ و ١٦ من الشكل السابق) جزء كتبت عليه البسملة ، وآخر يقع في الجانب الايسر عليه جزء من آية قرآنية هذا نصها : (.. م وحيث ما كنتم فولوا وجوه ..) ؛ ويلاحظ ان هذا الشريط نقل من مكان آخر ووضع فيه جزءان غير ملتئمين الان ، لان القسم الاسفل من اللوحة اليسرى مقصوص والآية غير كاملة وكلمة (وجوهكم) مشطورة وناقصة وكذلك في الجانب الايمن حرف (الباء) من كلمة (بسم) قد قطعت . اما العمودان الخارجيان الواقعان على جانبي التجويف فتختلف زخارفهما عن الاجزاء القديمة وهما غير منسجمين مع باقي اجزاء المحراب مما يدل على انهما قد جلبا من محل آخر ، والدليل على ذلك ان قاعدتي العمودين مقصوصتان وقد وضع فوق التاجين قطعتان غير مزخرفتين من الرخام لاستكمال طول العمود حتى يصل الى قاعدة عقد المحراب فهذه الاعمدة كانت معدة لرفع عقد آخر لا لرفع هذا العقد .

ونلاحظ ان الزخارف المحفورة على القاعدتين والتاجين تختلف عن بدن العمودين ، فالزخارف كثيرة الشبه مع الاجزاء القديمة من المحراب ؛ مما يرجح انهما من عصر واحد وان العمودين احدث عهدا منهما .

ونشاهد من الشريط الكتابي المحيط بصدر تجويف المحراب ان الفنان اغفل فقرة من الآية وهي (واقام الصلاة وآتى الزكاة) ثم اصلح خطاه فيما بعد مما اضطره الى وضعها فوق عبارة (الاخر ولم يخش) .

اما اسم الصانع فقد بقي حرفان منه وهما د .. د وقد قراهما الاستاذ الديوهجي سنقر(١٢) ومنهم من قراهما سيف(١٣) اما في ملف مديرية الآثار فقد سجل الاسم على انه داود(١٤) ، وانني ارجح الرأي الاخير لان المسافة بين د .. د لا تستوعب اكثر من حرفين .

---

(١٢) و (١٣) الديوهجي : جوامع الموصل ص ٣٢ .
(١٤) ملف مديرية الآثار رقم ٣٥/٣٢ .

الوجدان العربي في شعر الفتوح الأموية

بقلم

عبد الجبار داود البصري

رئيس تحرير مجلة الاقلام ـ بغداد

التعريف بالوجدان العربي في شعر الفتوح الاموية يفترض العلم ب : اولا : المجتمع العربي الاموي الذي انتج الشعر وهو مرتبط باصوله وفي حالة صيرورة .. ثانيا : الفتوح .. طبيعتها وتعدد جبهاتها وشعرها .. ثالثا : الموهبة المعطاء التي تفاعلت مع الفتوح . ومن هنا يجيء انقسام هذه الدراسة الى ثلاث صحف ..

الصحيفة الاولى ـ العروبة

١ ـ عروبة الجاهلية :

لا يصح اعتبار المجتمع العربي قبل الاسلام مجتمعا همجيا تعيش قبائله على النهب والسلب ونربط بين هذا الاعتبار وبين عبادة الاصنام والاوثان ونبرر احدهما بالاخر ، لان مجتمعات اخرى كانت وثنية ولكنها لم تكن بالضرورة متوحشة كالاغريق . وان الاصنام والاوثان لا تعكس بالضرورة عقلية قائمة معاصرة لها فمن المحتمل ان يكون هبل ، ومناة «القدر» ، واللات «ربة الشمس» ، والعزى «نجمة الصباح»(١) ونسرا ، وسواها رواسب عقلية سابقة ويظن انها متبقيات من عصور الديانة الطوطمية حيث كان لكل قبيلة رمز مستمد من الطبيعة تنسب له وتعرف به ، وحتى قريش انما جاء اسمها نسبة للقرش الذي يظن انه كان طوطمها (٢) . وقد ذكر نفر من المؤرخين ان العرب كانوا قوة من القوى العظمى على الارض طوال الالفي سنة التي سبقت الاسلام ، ولم ينشأ وهم الناس في همجية العرب قبل ظهور محمد عن سكوت التاريخ فقط بل نشأ ايضا عن عدم التفريق بين اهل البدو واهل الحضر من العرب ـ والاعراب قبل محمد وبعده اجلاف كاجلاف الامم الاخرى الذين لم يكن لهم تاريخ ولا حضارة (٣) .

ولم يكن المجتمع العربي مجتمعا ممزقا وقبائل متنافرة طيلة القرون التي سبقت الاسلام ولكنه كان مجتمعا عوامل توحده اكثر من عوامل تمزقه .. هنالك شعب واحد هم العرب وينقسمون الى العرب العاربة والعرب المستعربة ، وهنالك لغة واحدة ، رغم الفروق الطفيفة في اللهجات ، وعادات وتقاليد واحدة ، وعقيدة دينية واحدة تنحدر اصنامها من رحم واحد ، ومن حين لاخر يضمهم اطار سياسي واحد من اقصى الجزيرة الى اقصاها فقد قيل ان شمر يرعش من ملوك حمير وطىء ارض العراق وفارس وخراسان وفتح مدائنها وخرب مدينة صغد وراء نهر جيحون ثم بنى مدينة هناك عرفت باسمه هي مدينة سمرقند ، وقيل ان ابا كرب وهو من ملوك حمير ايضا غزا اذربيجان وهزم ملك الفرس وقتل ملك سمرقند وعاثت جيوشه في بلاد الصين وعادت محملة بالغنائم كما حاصرت جيوشه رومة وادت له القسطنطينية الجزية (٤) .

ويبدو ان تمزق هذا المجتمع كان يقع من حين لاخر بسبب الصراع السياسي بين الكتلتين الفارسية والرومانية اللتين تتنافسان على ضمه الى مناطق نفوذهما . فالجزء الملاصق للدولة البيزنطية كان امارة عربية « الغساسنة » مهمتها حراسة حدودها والقيام بدور الحاجز ، والجزء الملاصق للدولة الفارسية كان امارة عربية « المناذرة » مهمتها مهمة اختها .. والجدير بالذكر ان الصهاينة يريدون ان يلعبوا مع عرب فلسطين نفس اللعبة القديمة . وكما يستفيد المستعمرون اليوم من البعثات التبشيرية لاغراض التجسس والتدخل بالشؤون الداخلية كذلك كان صنيع اسلافهم ففي كتب التاريخ ان ملوك الروم كانوا يصلون اسقف نجران ويهبونه الاموال ويتراسلون معه وقد بنوا له الكنائس وبسطوا عليه الكرامات (٥) وقد تعرضت نجران ذات يوم لما تكره ففر احدهم حاملا معه نسخة محروقة من الانجيل الى بيزنطة فكانت مناسبة تنتظرها لتوعز الى امير الحبشة المسيحي وهو من الكتلة البيزنطية للهجوم على اليمن ، ومثل هذه الحادثة حوادث حفظ التاريخ بعضها واضاع بعضها الاخر .

ولم يكن المجتمع العربي مجتمعا اميا بحضره وبدوه بل كان

(١) حضارة الاسلام ـ جوستاف جرونباوم ـ ترجمة عبدالعزيز جاويد ص ٩٥ .

(٢) محاضرات في تاريخ العرب ـ د . صالح احمد العلي ط ٢ ص ١٠٤ .

(٣) حضارة العرب ـ غوستاف لوبون ـ ترجمة عادل زعيتر . ط ٣ ص ٨٨ .

(٤) تاريخ الاسلام ـ د. حسن ابراهيم حسن جـ١ ص٣٠ ط٣ . وسيرة ابن هشام جـ ١ ص ٣٧ .

(٥) فجر الاسلام ـ احمد امين ص١٢٠ .

سكان المدن على حظ لا باس به من الثقافة وقد تسربت اليهم المدنيات المجاورة من خلال ثلاثة مسارب : التجارة وامارات التخوم والديانة اليهودية والنصرانية (٦) . وقد كانت دول معين وسبا وحمير تعرف القراءة والكتابة ، والمناذرة كانوا يشتغلون بتعليم القراءة والكتابة (٧) وكانت مكة مدينة مثقفة بدليل ان الرسول عهد الى اسرى بدر الذين عجزوا عن دفع الفداء ان يعلم كل منهم عشرة من ابناء المسلمين (٨) . ويروى عن ابي عمرو بن العلاء قوله : ما انتهى اليكم مما قالته العرب الا اقله ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير .

ولم يكن المجتمع العربي مجتمع لصوص وقطاع طرق ولكنه كان مجتمعا تجاريا في جانب منه ، واقطاعيا عبوديا في جانب اخر ، وقبليا شبه اقطاعي في جانب ثالث . فهو بحكم موقعه كان يسيطر على طرق المواصلات بين كتلتي الروم والفرس من ناحيتي البر والبحر وهذا الموقع فرض على قسم من العرب ان يكونوا تجارا وان يكونوا حلقة وصل بحيث لا يصح القول انهم كانوا امة منعزلة يحصرها البحر من جانب والصحراء من جانب ويجعلانها منقطعة عن غيرها (٩) . وكانت المعرفة بطرق المواصلات وتملك وسائط النقل البرية « القوافل » كفيلة بان تبوىء صاحبها اعلى درجات السيادة والشرف فقريش لم تفرض سيادتها على العرب الا بسبب رحلتي الصيف والشتاء ، وبنو عبد مناف الاربعة لم يفرضوا هيبتهم على قريش الا بسبب التجارة فلقد كان هاشم يتوجه الى الشام ، وعبد شمس الى الحبشة ، والمطلب الى اليمن ، ونوفل الى فارس (١٠) . وقد جاء في بعض كتب التاريخ « كان الملوك تجارا يبيعون ويشترون ، وكان رؤساء المعابد تجارا يتاجرون باسم معابدهم ويكسبون من الضرائب التي تقدم لمعابدهم كسبا فاحشا ، وكان اصحاب الاملاك ورؤساء العشائر تجارا كذلك يتاجرون بما يقدمه اليهم من هو دونهم في المنزلة من حاصل وغلة (١١) .

وتحدثنا كتب التاريخ ان هذا المجتمع كان يحكم حكما مزدوجا دينيا ودنيويا فكان الحاكم كاهنا يحكم الارض باسم السماء ولهذا كانت دار الحكومة معبدا تقام فيها الاحتفالات والطقوس وتقدس الالهة وتقدم القرابين والاضاحي لها (١٢) . كما امتلكت المعابد ارضين واسعة استغلتها باسم الالهة ودرت عليها ارباحا طائلة وكانت لها مخازن كبيرة تخزن فيها الحاصلات والنذور لم تباع او توزع على الموظفين وكثيرا ما اجرت المعابد اراضيها للاسر الكبيرة من سادة القبائل .

وقد عرفت دول المدن العربية وراثة العهد فكانت المشيخة او الامارة تنتقل الى الابناء ويتولاها الابن الاكبر في الغالب (١٣) . وكانت هذه المشيخة مقيدة بمجلس مدينة بحيث لاينفرد الحاكم بحكمه ولا تشذ عن ذلك حتى مكة فلقد كان قصى الذي تامر عليها بعد تغلبه على خزاعه يستعين على ادارتها بدار الندوة وهو الذي امر ببناء الدور حول الكعبة والمصلى بعد ان كانت خياما وهو الذي استن سنة تسليم اللواء وحين كبر ورق عظمه اورثها ابنه عبدالدار بقوله : اما والله يابني لالحقنك بالقوم وان كانوا قد شرفوا عليك لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون انت تفتحها له ولا يعقد لقريش لواء لحربها الا انت بيدك تعقده ، ولا يشرب احد بمكة الا من سقايتك ولا ياكل احد من اهل الموسم طعاما الا من طعامك ولا تقطع قريش امرا من امورها الا في دارك (١٤) .

ولم تكن مجالس المدن منتخبة ، وليس للشعب راي في عضويتها ولكن العضوية فيها تاتي عفوية بسبب ثراء الفرد او رئاسته العشائرية او انه من اهل العقل والسداد (١٥) .

اما عن الاقطاع في المناطق الصالحة للزراعة فلقد كان للاقطاعيين قصور ضخمة وقلاع مشيدة ولعل ما يعرف بالخورنق وغمدان والحضر وسواها انما هي بعض قلاعهم . وكان اكثر الفلاحين لا يملكون ارضا وانما كانوا يؤجرونها ويكترونها من الحكومة او المعابد ا والاقيال (١٦) وسادات القبائل وقد تسبب اشتطاط اصحاب الاملاك وتعسفهم بالمكترين واستغلالهم في قسمة الحاصل وتوزيعه الى وقوع حوادث مؤسفة (١٧) وكان للسيد حق فرض اية عقوبة يراها على من يرفض العمل ويخلع طاعته. وقد بلغ الامر باحدهم ان جعل حمايته تشمل كل انواع الوحش حتى كان يقول : وحش ارض كذا في جواري فلا يصاد .. واصبح الناس لا يرعون ابلهم مع ابله ولا يوقدون نارا مع ناره ولا يجرؤ احد ان يمر بين بيوته (١٨) .

وكانت الاقطاعيات تمنح باحد الاساليب التالية كأن تعين الحدود بجري فرس ، او برمية سهم من قوس ، او بمقدار ما يسمع منه عواء كلب وقس على ذلك (١٩) .

وكانت نظرة السيد الى الفلاحة نظرة ازدراء وقلة تقدير ولذلك كانت طبقة الفلاحين تضم العناصر المسحوقة في الغالب وهم فقراء الحضر ، والعبيد الرقيق ، والاجراء (٢٠) .

وبالنسبة لسكان البادية القبليين كانت موارد المياه هي سر حياتهم واكسيرها فكانت المياه تجمعهم وتفرقهم ، تقربهم وتقصيهم ولذلك قدسوا الانهار والابار وربما عبدوها ولعل ارتفاع منزلة السقاية بالنسبة لاشراف مكة سببها ما يكنه العرب البداة من تقديس للماء وللقائمين على شؤونه ، وكانوا يصلون للمطر ويقدمون له الهدايا والقرابين ويدعونه « غيثا » . وتعتبر الابار مصدرا من مصادر الثروة لمالكيها يبيعون ماءها للناس وقد تضن بعض القبائل بابارها على غيرها فتجعل لها فتحات تسد بالحجارة لا يمكن للغرباء الوقوف عليها فاذاداهمهم عدو او ارادوا التنقله اخفوا معالمها (٢١) وقد فعلت جرهم ببئر زمزم كذلك حين ظعنوا من مكة الى ان اعاد حفرها عبدالمطلب بن هاشم (٢٢) ولهذه البئر قداسة في الجاهلية والاسلام .

---

(٦) فجر الاسلام ـ ص٢٩ .

(٧) تاريخ الاسلام ـ د. حسن ابراهيم حسن ص٢٥ جـ١ .

(٨) المرجع السابق ـ ص ٦٩ .

(٩) فجر الاسلام ـ ص ١٢ .

(١٠) تاريخ الاسلام ـ حسن ابراهيم حسن ـ جـ١ ص٦٤ .

(١١) تاريخ العرب قبل الاسلام ـ جواد علي ـ جـ٨ ص٦٥ .

(١٢) المرجع السابق ـ جـ٨ ص١٠ .

(١٣) المرجع السابق ـ ص ٢٥ .

(١٤) سيرة ابن هشام ـ تحقيق مصطفى السقا ورفيقيه ص ١٢٩ـ١٣٠ جـ١ .

(١٥) جواد علي ـ جـ ٨ ص ٣٨ .

(١٦) الاقيال : امراء اليمن واقطاعيوه .

(١٧) المرجع السابق ـ ص ٢٢٥ .

(١٨) تاريخ الاسلام ـ حسن ابراهيم حسن ص٥٥ جـ١ .

(١٩) جواد علي ـ ص٢٢٨ .

(٢٠) المرجع السابق ـ ص ٢٨٩ .

(٢١) المرجع السابق ـ ص٢٢٥ .

(٢٢) سيرة ابن هشام ـ ص١١١ جـ

ولكون الماء راس مال البدو كانت جميع مظاهر حياتهم منسوبة اليه حتى حروبهم وايامهم المشهورة .

ولم تكن قبائل البادية متنافرة دائما فكثيرا ما عقـدت بينها احلافا واتحدت ، وكان لكل قبيلة شيخ ترشحه عراقة الاصل وكبر السن ومواهبه الشخصية وكان لكل شيخ مجلس مؤلف من المسنين يتعاون معه (٢٣) .

وقد استطاعت مملكة « كندة » ان تبسط نفوذها على القبائل حينا من الدهر وتوحدهم تحت لوائها .

٢ ـ الاسلام والعروبة :

معجزة الاسلام الكبرى انه استطاع ان يحول الامة العربية بحضرها وبدوها وعلى اختلاف بناها الاقتصادية بشكل لا نظير له في تاريخ المجتمعات البشرية الى طبقة اجتماعية واحدة . وقد اعتمدت عملية الصهر ثلاث وسـائل اساسية هي : العقيدة والجهاد والتنظيم .. واصبحت هذه الوسائل بعد اشـتداد ساعد الدعوة هي الوسائل المعتمدة في انتاج القوت وتوفـير اسباب الحياة ليس للعرب المسلمين فحسب بل لكل الراغبين في الحياة الحرة الكريمة .

وقد بدأت عملية التحول من امة الى طبقة بشكل فردي ذي وجهين .. الوجه الاول : حين خرج العبيد والارقـاء والمستضعفون على تقاليدهم الطبقية وتحدوا اسيادهم كعمار بن ياسر وبلال الحبشي ، والوجه الاخر خروج الاسياد عـلى تقاليد طبقتهم كابي بكر وعمر وعثمان ومصعب . ثم بعد البيعة الاولى والثانية اتخذت عملية التحول شكلا جماعيا حين آمن بالرسول الاوس والخزرج وبعد فتح مكة جاءت وفود القبائـل تباعا لتبايع الرسول وتنضوي تحت لوائه .

وبسبب تحول الامة الى طبقة في ظل الاسلام انفتحـت العروبة على الداخل والخارج .

ويبدو الانفتاح على الداخل في رفض الاسلام لطبقيـة المجتمع الجاهلي وعصبيته القبلية حين ساوى بين السـيد الاقطاعي وبين فلاحيه العبيد ، وبين الصليبة والموالي ، والحر والرقيق ، والعرب وغير العرب .. وقد ورد في القرآن الكريم: ياايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير (١) .

وجاء في خطبة الوداع : انما المؤمنون اخوة ان ربكم واحد وان اباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب ان اكرمكم عند الله اتقاكم ليس لعربي فضل على عجمي الا بالتقوى . وقد اخبـر الرسول اصحابه غير مرة بان العتق وفك الرقاب من اجـل العبادات واقربها قبولا عند الله ، وان العتق كفارة لعدد كبير من الخطايا والحنث في الايمان . وبالنسبة للنظم والاجهزة الاجتماعية الاخرى فقد اقر الاسلام كثيرا منها ولكنـه ملاهـا بمضامين جديدة واجرى عليها بعض التعديلات . فلم يكـن للعرب قوانين معروفة وانما كانوا يرجعون الى رؤسائهـم يستفتونهم فيما ينشب بينهم من خلاف وفي ظل الاسلام خضعوا لقانون سماوي تتمتع نصوصه بثبات دائم لانه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولذلك كانت المدارس الفقهية التي نشأت فيما بعد مدارس للشرح على المتون فقط .

---

(٢٣) الادارة العربية ـ ص ١٠.ق. حسيني ترجمة د. ابراهيم احمد العدوي ص٢٣ .

(١) سـورة الحجرات .

وبقي شكل الحكم دينيا ودنيويا معا فلقد كان الرسول النبي والمشرع والحاكم والقائد والقاضي الاعلى ورئيس الاداة الادارية كلها وكان خلفاؤه الراشدون من بعده يجمعون الصفتين كذلك وقد حل المسجد النبوي محل « المعبد القديم » فكـان مكانا للطقوس الدينية ولتصريف شؤون الحكم معا وكان لكل مدينة او قبيلة مسجدها الخاص وان كبار موظفي الدولة وعمالها في المدن او كبار رجال القبائل هم الذين يقومون بامامة الناس في الصلاة (٢) .

واستبدلت دارة الندوة او مجلس القبيلة بهيئة الشورى وتتكون من كبار الصحابة واعيان المدينة وزعماء البدو الوافدين اليها وكانت تعقد جلساتها في المسجد وهي جلسات مفتوحـة يحق لكل من يحضر الصلاة ان يدلي برايه فيها .. وكان للنبي كتبة يتقاسمون اعمال السلطة ولعلهم كانوا نواة للوزارة التي عرفت فيما بعد فقد تولى علي وعثمان كتابة الوحي ، والزبير بن العوام وجهيم بن الصلت كتابة اموال الصدقات ، وحذيفة بن اليمان تقديرات الدخل من النخيل ، والمغيرة بن شـعبه والحصين بن نمر كتابة المداينات والمعاملات بين الناس،وعبدالله بن الارقم والعلاء بن عقبه مسك سجلات القبائل والمياه ، وزيد بن ثابت مراسلة الملوك والامراء ، ومعيقيب بن ابي فاطمـة تسجيل دخل الدولة وغنائم رسول الله ، وعهد الى حنظلـة بن الربيع بخاتم النبي (٣) .

وبعد وفاة الرسول لم يلجأ المسلمون الى نظام الوراثة برغم ثقة بعض الفرق الاسلامية به وكونه معروفا عند العرب من قبل وانما لجأوا الى نظام الخلافة وانتخاب الخليفة انتخابا ديمقراطيا مشروطا بان يكون قرشيا ، وكان الخوارج اعنف معارضي هذا الشرط فيما بعد .

وقد اتخذ الحكم الراشدي في صدر الاسلام اساليبرادعة للقضاء على النظام العبودي وتحركات الاقطاعيين ومواصلةتحويل الامة الى طبقة مقاتلة عليا حيث اضطلع ابو بكر باعباء حروب الردة وكانت حروبا دوافعها اقتصادية ووراءها كبار الاقطاعيين، ثم جاء عمر بن الخطاب فلم يعترف بنظام الاقطاع الروماني في الشام او العراق واعطى الارض لمن يزرعها كما انه لم يوافق على تحويل المقاتلين في ارض السـواد الى اقطاعيين،وقاسم ولاته نصف اموالهم (٤) بالاضافة الى الضرائب التصاعدية التـي فرضت للتقليل من الفوارق الطبقية ومنها الزكاة ، والصدقة والعشر ، والكفارات ، والنذور ، والاضاحي . وكانت الموارد العامة كالابار والانهار والاحماء والمراعي مؤممة وكان الرسول قد شجع الاثرياء على شراء ابار مملوكة لافراد ووضعها في خدمة المجمـــوع .

وفي الميدان الاخلاقي هذب الاسلام من السلوك الاقطاعي القبلي ، ونظـم الحيـاة الجنسية التي عرفت انواع الزيجات واعتبر الاسلام اخلاق الجاهلية موضوعة وتبين مقالة جعفـر بن ابي طالب للنجاشي مقدار هـذا التحـول الخلقي : ـ « ايها الملك كنا قوما اهل جاهلية نعبد الاصنام وناكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الارحام ونسيء الجوار وياكل القوي منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منـا نعرف نسبه وصدقه وامانته وعفافه فدعانا الى الله لنوحده

---

(٢) الادارة العربية ـ حسيني ص ٦٠ .

(٣) المرجـع السابق ـ ص ٤٧ـ٤٨ .

(٤) اشتراكية الاسلام ـ د. مصطفى السباعي ط٣ ص١٠٣ .

ونعبده ونخلع ما كنا نعبد واباؤنا من دونه من الحجارة والاوثان وامرنا بصدق الحديث واداء الامانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات .. الخ (٥) .

وبفضل دعوة التوحيد حرر الاسلام العقلية العربية من الاوهام والخرافات والعقائد التي كانت ميدان ارتزاق لسادة القبائل والأقطاعيين وكهان المعابد ، وكانت مبررا لتدخل الروم او الفرس بشؤون العرب الخاصة .

وهذه الامة التي تحولت الى طبقة مقاتلة عليا كان امامها امران .. الامر الاول ان تطور مجتمعها عسكريا لا طبقيا كما كان الشأن في حدود المرابع والاحماء والبوادي العربية والامر الثاني ان تبحث عن منافذ جديدة تحقق فيها تفوقها .. ولم تكن ظروف الجزيرة وامكاناتها والمستوى الحضاري يومئذ قبل الفي سنة صالحا لاحتضان مجتمع لا طبقي وهضمه ولم تكن الاصوات المخلصة التي ارتفعت فيما بعد كصوت ابي ذرالغفاري ذات قدرة على تحويل مجرى التاريخ خلافا لشروطه الموضوعية ومن هنا كان الامر الثاني اقرب الى طبيعة العصر وشروط التطور الموضوعية فوجدت « الامة ـ الطبقة » منفذها في التفتح على الخارج ونجد جذور هذا الانفتاح في الكتب التي بعثها الرسول الى الملوك والامراء خارج الجزيرة العربية .. فقد ارسل دحية بن خليفة الكلبي الخزرجي الى هرقل امبراطور الروم ، وعبدالله بن حذافة السهمي الى كسري فارس ، وعمرو بن امية الضمري الى النجاشي وحاطب بن ابي بلتفة اللخمي الى المقوقس عامل هرقل على مصر ، وسليط بن عمرو العامري الى هوذة بن علي الحنفي امير بلاد اليمامة وشجاع بن وهب الاسدي الى الحارث بن ابي شمر الغساني والعلاء بنالحضرمي الى المنذر بن ساوي صاحب البحرين (٦) .

٣ ـ عروبة الامويين :

حين تولى الخلافة عثمان بن عفان كانت الامة العربية قد اخذت مكانها كطبقة مقاتلة عليا في الدولة الاسلامية من شمال افريقيا الى اواسط آسيا وبقيت المرابع والاحماء والبوادي العربية مستودعات لتموين الجيوش بالموارد البشرية، وان تكوين الجيش العربي في خراسان مثلا من (...ر٧) مقاتل من بكر بن وائل ، و (...ر١٠) مقاتل من تميم و (...ر٤) مقاتل من عبد القيس و (...ر١٠) مقاتل من الازد و (...ر٩) مقاتل من البصرة والعالية و (...ر٧) مقاتل من الكوفة ذو دلالة عميقة على حقيقة التحول الكبير (١) .

ويبدو لدارسي التاريخ ان العصر الاموي الذي بدأ باستغلال قميص عثمان كان موزعا بين تيارين .. التيار الاول : تيار يفتت هذه « الامة ـ الطبقة » ويلحق ما يقتطعه منها الى الطبقات المحكومة ، وكانت اول شريحة اقتطعت من « الامة ـ الطبقة » طائفة الشيعة التي تحولت بعد استشهاد الامام من كونها طائفة مقربة الى كونها طائفة مشردة مغضوباعليها ثم تبع ذلك انسلاخ الخوارج وانفرادهم بنظرية سياسية معينة وتعرضهم لحروب عنيفة طاحنة ، ثم دارت الدائرة بعد مقتل ابني الزبير على انصارهما واضيفوا الى قافلة المحكومين وبسبب تصارع ابناء امية على ولاية العهد وتحزب بعض القادة لهذا الامير دون ذاك تفتت « الامة ـ الطبقة » المقاتلة اكثر واكثر حتى كانت الفئة الحاكمة في آخر حكم الامويين جزءا من سلالته .

واما التيار الثاني فهو تيار يحول الطبقة المقاتلة وهي تفتت قطعة قطعة الى طبقة اقطاعية تقيم نفوذها على اساس تملك الارض واستغلال العبيد والفلاحين واسرى الحرب .. وكان موجة من امواج هذا التيار ان الارض التي جلا عنها اهلها في اعقاب الفتوح او كانت تابعة للملوك والمرازبة السابقين والتي عرفت في زمن عمر بن الخطاب « بالصوافي » وضمت الى بيت مال المسلمين ارتاى الخليفة عثمان ان اقطاعها للافراد اوفر لغلتها فعرفت « بالقطائع » (٢) وقد تضخمت ظاهرة التملك والتمليك هذه بحيث بلغ الامر ان الخلفاء الامويين مثل معاوية وعبدالملك والوليد وهشام وولاتهم الاقوياء مثل الحجاج ومسلمة وخالد القسري كانوا اعظم ملاك الاراضي في الدولة وكان هشام بن عبدالملك وواليه خالد القسري يتحكمان في أسعار المواد الغذائية وحركة البيع والشراء بسبب احتكارهما كميات هائلة من الحبوب(٣) .

وتبع تحول المقاتل الى ملاك ارض تحول خلافة الرسول الجمهورية الى ملكية مطلقة قائمة على اساس الوراثة والتعيين واخذ البيعة اكراها ، واضمحل مجلس الشورى وانفصل المسجد عن دار الامارة واصبحت دار الامارة بلاطا .

وبالرغم من أن الضرائب والواردات والرسوم في العهد الاموي احتفظت شكليا بكونها ضرائب حربية مرتبطة بالقتال « الجزية ، الغنائم ، الخراج ، العشر ، الفيء .. » الا انها كانت في الواقع ضرائب فقدت صلتها بالحرب لانها كانت تجبى حتى من الذين اسلموا والمفروض ان تسقط عنهم وكان بقاؤها ادامة وتمويلا للطبقة الحاكمة التي لم تعد راغبة بالحرب مقدار رغبتها بالارض ويتضح هذا بجلاء في تحول المعسكرات ودور الهجرة الاولى الى مجتمعات اقطاعية مستقرة كالبصرة والكوفة والفسطاط والقيروان .

وقد حاول الخليفة عمر بن عبدالعزيز انتزاع ملكية الارض من المغتصبين وبدأ بنفسه فرد ضياعه ومجوهرات زوجه لبيت المال ومزق وثائق ملكيتها ثم استدعى اعضاء الاسرة الحاكمة وحضهم على اعادة الثروات المغتصبة فاجابوه : طالما لم تفصل رؤوسنا عن اجسادنا فلن تعود تلك الضياع والله لن نتهم آباءنا واجدادنا بالكفر وكذلك لن ندفع باطفالنا الى المتربه (٤) . ولقد كان منطق الحقائق والشروط الموضوعية لحركة التاريخ اقوى من عمر بن عبدالعزيز فتآمروا عليه ودسوا له السم وتخلصوا منه .

---

(٥) سيرة بن هشام ـ ص٢٣٦ جـ١ .. وراجع كذلك محاضرات في تاريخ العرب جـ١ بخصوص الحياة الجنسية الجاهلية.

(٦) تاريخ الاسلام ـ جـ١ ص١٦٥ .

(١) تاريخ الاسلام ـ حسن ابراهيم حسن جـ١ ص٣٢٥ .

(٢) الخراج في الدولة الاسلامية ـ محمد ضياءالدين الريس ص ١٤١ .

(٣) الادارة العربية ـ حسيني ـ ص١٢٩ .

(٤) المرجع السابق ـ ص ١٤٠ـ١٤٢ .

وحقيقة الاقطاع في عهد الامويين انه لم يكن صورة طبق الاصل من الاقطاع العبودي في الجاهلية ، ولا من الاقطاع الذي كان سائدا في فارس وبيزنطية قبل الفتوح فلقد قضى المسلمون على كثير من مفاسد الاقطاع الصارخة لانهم تمسكوا بالمساواة النابعة من روح الاسلام ، كما خففت كثير من الاعباء المالية الملقاة على عاتق الاقنان والعبيد وفي مقدمتها « السـخرة » وفتحت امامهم اكثر من باب واحد لكي يشتروا حريتهم ويتجاوزوا واقعهم وحتى نظام الاخصاء على عيوبه كان خطوة للقضاء على العبودية لان الخصيان لا يمكن ان يساهموا في استمرار سلسلة العبيد والارقاء وديمومة نظام الرق عن طريق الانجاب . ولم يعد الفلاحون مرتبطين بالارض يباعون معها اذا بيعت وانما هم مخيرون بالعمل مع المالك الجديد او البحث عن وسيلة رزق اخرى وبذلك يعتبر الاقطاع الاموي رغم مساوئه خطوة تقدمية بالنسبة لعبودية الجاهلية .

وفي عهد بني امية اتسعت رقعة الدولة الاسلامية فبلغت غربا سواحل الاطلسي وبلغت شرقا سور الصين وادركوا شمالا سواحل الخزر ، ومن مآثرهم تعريب الدواوين وسك العملة العربية واستصلاح الارض وتطوير الزراعة وتشجيع العمران وحركة البناء .

وقد تعاقب على الحكم الاموي بعد معاوية «٤١–٦٠هـ» يزيد بن معاوية «٦٠–٦٣» ومعاوية الثاني «٦٣هـ» ومروان بن الحكم «٦٤–٦٥» وعبدالملك بن مروان «٦٥–٨٦» والوليد بن عبدالملك «٨٦–٩٦» وسليمان بن عبدالملك «٩٦–٩٩» وعمر بن عبدالعزيز «٩٩–١٠١» ويزيد بن عبدالملك «١٠١–١٠٥» وهشام بن عبدالملك «١٠٥–١٢٥» والوليد بن يزيد «١٢٥» ويزيد بن الوليد «١٢٦هـ» ثم مروان بن محمد «١٢٧–١٣٢هـ» (٥) .

وفي نهاية الحكم الاموي لم يعد المجتمع العربي امة عربية لغتها واحدة ، ودينها واحد ، وخيالها واحد كما كان في عهد الرسول بل كانت جملة امم وجملة نزعات وجملة لغات متمازجة فقد امتزجت العادات الفارسية والرومانية بالعادات العربية ، وقانون الفرس والقانون الروماني بالاحكام الاسلامية وفلسفة الفرس والروم بحكمة العربي وآدابه ، ونمط السياسة والحكم الفارسي والرومي بنمط السياسة والحكم العربي (٦) يضاف الى كل هذا ان نظام الرق والولاء الذي جعل لكل جندي عربي عددا من العبيد يستخدمهم في حوائجه وعددا من الاماء يستولدهن ان شاء جعل البيت العربي مختلطا دخلته عناصر اخرى فارسية ورومانية وبربرية (٧) .

وفي هذا المجتمع الجديد انعزلت الطبقة الحاكمة وتقوقعت على ذاتها كما تقدم بيانه واعطيت الفرصة للمحكومين عربا وموالي لان يتكتلوا ضدها ويعملوا على اسقاطها فكانت الثورة العباسية .. وهي ثورة اقتصادية عقائدية تستهدف نظام حكم اصبح في اخريات ايامه معزولا عن الشعب قبل ان تكون ثورة موالي تستهدف العروبة كما يصورها بعض المؤرخين وكانت نقطة اندلاعها ارض الفتوحـات .

---

(٥) تاريخ الاسلام ـ حسن ابراهيم حسن ص ٣٠٠ .
(٦) فجر الاسلام ـ ص٩٣–٩٦ ط٩ .
(٧) المرجع السابق .

الصحيفة الثانية ـ الفتوح والشعر

١ ـ الفتـوح :

الحرب كارثة تاتي على الزرع والنسل والعمران ، والفكر الحديث يفرق بين حرب عادلة وحرب غير عادلة عن طريق الربط بينها وبين البنيان الاجتماعي والاقتصادي واقرار التناسب بين اساليبها ومستوى تطور الانتاج . فالحرب العادلة هي التي تتصدى لتحطيم اشد المؤسسات ضررا ورجعية واشد الانظمة المستبدة اغراقا في الجور والوحشية ، والحرب غير العادلة هي التي يثيرها مالكو العبيد من اجل تقوية العبودية واستعباد الامم واطالة عمر الاستعمار (١) .

ومن هذا الربط بين البنيان الاجتماعي والحرب تبدو حتمية الحرب في المجتمع الطبقي الذي يساعد على نشوء الجيوش المحترفة ويضع في قيادتها كبار رجال المال والاحتكارات ، اما الحروب التي تخوضها الاشتراكية فالمفروض انها لحماية مكاسب الانسان والدفاع عن الحضارة والسلم (٢) .

ومن هذا الربط بين البنيان الاجتماعي والحرب يبدو صواب النظرية التي ترى الحرب استمرارا للسياسة بوسائل اخرى ، اي بوسائل العنف (٣) . ولا تنحصر سياسة الدولة في وضع الاهداف فقط وانما تحاول خلق الاوضاع المواتية لتحقيق الاهداف .. ففي وسع السياسة ان تعبىء الى اقصى حد ممكن الموارد المالية والبشرية لتامين عمليات القوات المسلحة (٤) .

ومن الربط بين البنيان الاجتماعي والحرب نكتشف ان الصراعات في البلاد الراسمالية بين الشعب والحكومة وبين الشعب والجيش وبين الحكومة والجيش تاتي على اهم عناصر النصر وهو الروح المعنوية ولذلك تلجا هذه الدول الى اجهزة الاعلام لتاجيج الروح المعنوية بشعارات مزيفة خداعة ، وليس من قبيل الصدفة ان الجيش الذي يستند الى خلفية تتميز بالوحدة الطبقية يبز غيره في استقرار الروح المعنوية ويحافظ على المستوى المطلوب طيلة الحرب (٥) .

وقد خاض العرب عدة حروب في جاهليتهم واسلامهم ولم يشع على السنتهم مصطلح الحرب ـ غالبا ـ الا وهو مقترن بقرينة تدل على سلوك اخلاقي غير مشرف ففي جاهليتهم وصفوا بعض معاركهم بحرب الفجار ، وفي اسلامهم وصفوا بعضها بحروب الردة ، ويقال : يحاربون الله ورسوله اي يعصونه .

اما المعارك التي يفخرون بها فعرفت في جاهليتهم « بايام العرب » ويعنون بالايام « الوقائع » وانما خصوا الايام دون ذكر الليالي لان حروبهم كانت نهارا .. ومنها البسـوس وداحس والغبراء والنفرات ورحرحان واليعمرية والهباءة وشواحط ويوم ذي طلوح .. الخ (٦) .

وعرفت معارك الرسول بالمغازي او الغزوات ، والغـزو

---

(١) راجع كتاب الاشتراكية والحرب ـ لنين ص٥ ، ص١٢ .
(٢) راجع كتاب الاستراتيجية العسكرية السوفياتية ـ سوكولوفسكي ـ ترجمة خيري حماد ص٨٠ .
(٣) الاشتراكية والحرب ـ ص١٣ .
(٤) الاستراتيجية العسكرية السوفياتية ـ ص٥٩ .
(٥) المرجع السابق ـ ص ٨٦،٨٨،٩٠ .
(٦) العقد الفريد ـ الجزء السادس ـ تحقيق محمد سعيد العريان ص ٣–١١ .

هو القصد ومنه المغزى : المعنى المقصود . اما المعارك التي جرت بين العرب والفرس او بينهم والروم فعرفت بالفتوح .. الفتح كلمة تدل على الخصوبة والخير عند العرب . فالفتح النهر او الماء الجاري فيه والفتح اول المطر الوسمي او هو المطر ، والفتح النصر ويستعمل فعل الفتح حين يدور الحديث عن الامال الكبيرة فيقال تفتح لهم ابواب السماء ، وتفتح لهم ابواب الرحمة ، وتفتح لهم ابواب الجنة (٧) .. ويخيل الي ان كلمة الفتح تدل على علاقة تعاطف وتراض بين من وراء الابواب ومن امامها ولعل الفتوح الاسلامية كانت تتضمن هذه العلاقة فسميت كذلك .

وقد فهم المسلمون في ضوء توجيهات القران الكريم بانها جهاد في سبيل الله :

* اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير (٨) .
* قاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين (٩) .
* واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا فان الله غفور رحيم (١٠) .
* الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا (١١) .

وتبدو حقيقة الفتوح الاسلامية حين تربط بالبنيان الاجتماعي والاقتصادي حروبا تقدمية عادلة ، وان عوامل نجاحها كامنة في طبيعة المجتمع العربي الاسلامي نفسه . فمما لاشك فيه ان الفتوح الاسلامية استمرار للسياسة الاسلامية وان تقدميتها وعدالتها نابعة من تقدمية الاسلام وعدالته فهو ثورة تحررية الغت الفوارق الطبقية ووحدت العرب وقضت على الوثنية والشعوبية ، وكانت انباء هذه الثورة تسبق الفتوح الى الدول المحيطة وتخلق امام الجيوش العربية الظروف المواتية للفتح . ومن عدالة الفتوح العربية انها ادت الى تحرير الشعوب المضطهدة في فارس وبيزنطة وحطمت اشرس قلعتين من قلاع الرجعية والاستغلال كانتا تتنافسان من اجل نهب العالم واقتسام العبيد .

ومن عوامل نجاح الفتوح ارتفاع الروح المعنوية عند العربي الذي جعله الاسلام فارسا يحلم بعالم اخر اكثر اشراقا ونبلا في الوقت الذي كان فيه المحارب الفارسي او البيزنطي عديم الثقة بالحرب التي يخوضها وسيىء الظن بقادته .

ومن عوامل نجاح الفتوح ان اقتصاد الدولة العربية كان اقتصادا ناميا بسبب التحسينات التي ادخلت على الزراعة ، وحل مشكلة الارض بشكل يحقق اوفر غلة مما هيا مستوى انتاجيا قادرا على تغذية الجيوش مقابل الازمات المالية الخانقة التي كانت تثقل كاهل العدو وتحد من فعالياته .

(٧) راجع مادة فتح في لسان العرب وأقرب الموارد والمنجد والقاموس المحيط .
(٨) سورة الحج ـ ٣٩ .
(٩) سورة التوبة ـ ٣٦ .
(١٠) البقرة ـ ١٩٠ .
(١١) النساء ـ ٧٦ .

ومن عوامل نجاح الفتوح العربية تفتح القادة على الحركة العلمية واستفادتهم من التطور الحضاري ففي الوقت الذي لم يالف العرب فيه ركوب البحر كان عمر بن الخطاب يعارض رغبة معاوية في منازلة خصومه في البحر ولكن معاوية بعد ان تمكن من تجهيز اسطول بحري استطاع ان يحقق رغبته وان يهاجم قبرص ثم يتجاوزها للهجوم على القسطنطينية .

ويلاحظ ان تدهور الحياة العسكرية العربية وتضاؤل الفتوح كان خطا موازيا لتدهور الاقتصاد العربي وانقسام المجتمع العربي الى طبقات متعادية .. اي ان تفتت « الامة الطبقة » ادى الى تمزق الجيوش وتفتتها واكبر الهزات التي منيت بها انتقام سليمان بن عبدالملك من قادة الفتح وفي مقدمتهم قتيبة بن مسلم الباهلي ومحمد بن القاسم وموسى بن نصير .. وانعكس كذلك تحول الفئة الحاكمة المقاتلة الى طبقة الطاغية على الجيش فلم يعد الحكام والولاة قادة مقاتلين في شخصيات الخلفاء المتاخرين وانما تحولوا الى شعراء غزليين ماجنين امثال الوليد بن يزيد .. والاهداف التحررية الكبيرة التي شغلت قادة الجيوش الزاحفة لم تعد في نهاية الحكم الاموي اهدافا كبيرة وشغلتهم اهداف اصغر منها كتامين البيعة لاخ ضد اخيه وتقديم رؤوس الابطال الفاتحين نياشين لسادة البلاط وبالتالي لم تعد روحية الشاعر الذي حارب في القادسية توازي روح المقاتل في معركة مرج راهط .

٢ ـ الشعر في الجبهة الشرقية :

كانت بداية انفتاح الامة العربية على العالم الخارجي كما ذكرنا الكتب والبعوث التي ارسلها الرسول للدول المجاورة ، وقبيل وفاته ابدى رغبته بتجهيز حملة عسكرية بقيادة اسامة بن زيد لقتال الروم وقد حقق ابو بكر تلك الرغبة ، وكان النصر الذي احرزه اسامة اول نصر يحرزه الاسلام على اعدائه من غير العرب وكانت توصيات الخليفة لجيش اسامة اروع تشريع لاداب القتال يظهر الوجدان العربي بجلاء وصفاء فقد اوصاهم ان لا يخونوا ولا يغدروا ، ولا يغلوا ولا يمثلوا ، ولا يقتلوا طفلا ولا شيخا كبيرا ولا امراة ولا يعقروا نخلا ولا يحرقوه ولا يقطعوا شجرة مثمرة ، ولا يذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا لماكله ولا يتعرضوا لاصحاب الصوامع ولاياكلوا مما لم يذكر عليه اسم الله .

وقد التزم المسلمون بهذه الوصايا وكانت في مقدمة اسلحتهم التي فتحوا بها البلدان .. فقد جاء في كتاب « حضارة العرب » لغوستاف لوبون قوله :

لم يكن سلوك عمرو بن العاص بمصر اقل رفقا .. فقد عرض على المصريين حرية دينية تامة ، وعدلا مطلقا واحتراما للاموال وجزية سنوية لا تزيد على خمسة عشر فرنكا عن كل راس بدلا من ضرائب القياصرة الباهظة فرضي المصريون طائعين شاكرين بهذه الشروط دافعين للجزية سلفا وقد بالغ العرب في الوقوف عند حد هذه الشروط والتقيد بها فاحبهم المصريون الذين ذاقوا الامرين من ظلم عمال القياصرة واقبلوا على اعتناق دين العرب ولغتهم ايما اقبال (١) .

وجاء في « الدعوة الى الاسلام » لسيرتوماس و . ارنولد قوله :

كان الاضطهاد الواقع على الشعب الفارسي علة ذلك الانتصار الذي حالف الفتح العربي وجعله يظهر في صورة تخليص

(١) ص١٣٥ ط٣ ترجمة عادل زعيتر .

الاهلين مما اصبحوا فيه ، وما ان تم للمسلمين ما ارادوا على هذا الوجه حتى تنفس الفرس انفسهم الصعداء ورحبوا بالعرب حبا في الخلاص من ظلم الحكام اولا ورغبة في اعفائهم من الخدمة العسكرية ثانيا ثم آملا في تمتعهم بالحرية الدينية في آخر الامر (٢) .

ثم توالت انتصارات العروبة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب فقد انتصر سعد بن ابي وقاص في معركة القادسية (١٥هـ) وتم بعد ذلك فتح جلولاء (١٦هـ) واصبهان (١٩هـ) ونهاوند (٢١هـ) والاهواز وطبرستان وجرجان (٢٢هـ) وقتل يزدجر في خراسان (٣١ هـ) .

وحينما تاسست الدولة الاموية لم يكن امامها الا انتتوسع في اتوح ما وراء النهر ، وازدهرت هذه الفتوح في خلافة الوليد بن عبدالملك بصورة خاصة حين ولى الحجاج بن يوسف قتيبة بن مسلم الباهلي خراسان (٨٦هـ) وكانت بلخ اول جهة قصدها قتيبة ثم عبر نهر جيحون الى بلاد الصغانيان فطلبوا وده ، وفي سنة (٨٧هـ) غزا بيكند وفتح (٨٨هـ) كرمينيه وسار الى بخارى وفتحها بعد عناء ومشقة وفي (٩٣هـ) فتحت مدن خوارزم صلحا وسمرقند بعد قتال شديد وحاول (٩٦هـ) اقتحام الصين .

ومن جهة اخرى عهد الحجاج الى محمد بن القاسم بغزو الهند فسار اليها سنة (٨٩هـ) حتى بلغ نهر السند .

اما المهلب بن ابي صفرة فقد اشتهر بقتاله للخوارج واستعادة وحدة الارض اضافة الى غزواته في بلاد فارس .

وقد سجل الشعراء الذين رافقوا الفتوح في هذه الجبهة وقائعها وكانت الحصيلة الشعرية في هذه الجبهة اغنى من غيرها .. وتمتاز هذه الحصيلة اولا بظاهرة التسجيل الوثائقي وسرد قصص المعارك والتعبير عن فرحة العربي بالنصر الذي ياخذه عنوة من خصم يضاهيه بالبطولة والشجاعة والقوة دون ان يبخس حقه او يطفف ميزانه كقول الشاعر :

حتى اجتمعنا بسابور الجنود وقد
شبت لنا ولهم نارا لها شرر
تلقى مساعير ابطالا كأنهم
جن نقارعهم ما مثلهم بشر
نسقى ونسقيهم سما على حنق
مستأنفي الليل حتى اسفر السحر
قتلى هنالك لا عقل ولا قود
منا ومنهم دماء سفكها هدر
حتى تنحوا لنا عنها تسوقهم
منا ليوث اذا ما اقدموا جسروا
لم يغن عنهم غداة التل كيدهم
عند الطعان ولا المكر الذي مكروا
باتت كتائبنا تردى مسومة
حول المهلب حتى نور القمر (٣)

وقد صور شعراء الفتوح سلوك الجندي العربي واخلاقيته فهو داعية للنور يفرج الظلماء ، وهو صابر متاس لا يجزع من الهول ، وهو شجاع لا ينبو ولا يجبن وهو ثابت لا يتزحزح وحتى خيولهم ومطاياهم التي يمتطونها لها ما لهم من الثبات والصبر على المكاره والدماء :

---

(٢) ترجمة حسن ابراهيم حسن وعبدالمجيد عابدين ط٢ ص ٢٢٥-٢٢٦ .
(٣) الطبري - ص١٣٤ جـ٥ والشعر لكعب الاشقري .

والترك تعلم اذ لاقى جموعهم
ان قد لقوه شهابا يفرج الظلما
بفتية كأسود الغاب لم يجدوا
غير التأسي وغير الصبر معتصما
ترى شرائح تغشى القوم من علق
ولا ارى نَبْوةً منهم ولا كرما
وتحتهم قُرحٌ يركبن ما ركبوا
من الكريهة حتى يبتلعن دما
في حازة الموت حتى جن ليلهم
كلا الفريقين ما ولى ولا انهزما (٤)

ومدح شعراء الفتوح قادة المعارك وابطالها وكان المديح لا يصب على ذواتهم الشخصية بمقدار ما يتوجه اليهم باعتبارهم يمثلون امة او قبيلة او يمثلون قيمة من القيم العليا التي تستثير الاعجاب :

ترى ذا الغنى والفقر من كل معشر
عصائب شتى ينتوون « المفضلا » (٥)
فمن زائر يرجو فواضل سيبه
وآخر يقضي حاجة قد ترحلا
اذا ما انتوينا غير ارضك لم نجد
بها منتوى خيرا ، ولا متعللا
اذا ما عددنا الاكرمين ذوى النهى
وقد قدموا من صالح كنت اولا
لعمري لقد صال المفضل صولة
اباحت « بشومان » المناهل والكلا (٦)

وقال شاعر آخر يمدح قتيبة بن مسلم الباهلي :

ابلغ ابا حفص قتيبة مدحتي
واقرا عليه تحيتي وسلامي
ياسيف ابلغها فان ثناءها
حسن وانك شاهد لمقامي
يسمو فتتضع الرجال اذا سما
لقتيبة الحامي حمى الاسلام
لأغر منتجب لكل عظيمة
نحر يباح بها العدو ، لهام
يمضي اذا هاب الجبان واحمشت
حرب تسعر نارها بضرام
تروي القناة مع اللواء امامه
تحت اللوامع ، والنحور دوام
والهام تفريه السيوف كأنه
بالقاع حين تراه قيض نعام
وترى الجياد مع الجياد صنوامرا
بفنائه لحوادث الايام
وبهن أنزل « نيزكا » من شاهق
و « الكرز » حيث يروم كل مرام
واخاه « شقرانا » سقيت بكاسه
وسقيت كاسهما « اخا باذام »
ونزلت « صولا » حين صال مجندلا
يركبنه بدوابر وحوام (٧)

---

(٤) المرجع السابق - ص١٦٠ والشعر لكعب الاشقري .
(٥) المفضل : بن محمد احد قادة فتح خراسان .
(٦) المرجع السابق ص ١٩٥ .
(٧) المرجع السابق - ص ٢٤٠ شعر المغيرة بن حبناء .

وبازاء مديح الابطال والتغني بامجادهم كان شاعر الفتوح يرثي شهداء المعركة ويندب قادتهم حين يجودون بالنفس ومن ذلك قول لشاعر يرثي اصدقاءه في احدى معارك قزوين :

خليلي هبا طال ما قد رقدتما
اجدكما لا تقضيان كراكما
الم تعلما اني بقزوين مفرد
ومالي فيها من خليل سواكما
مقيما على قبريكما لست بارحا
طوال الليالي او يجيب صداكما
سابكيكما طول الحياة وما الذي
يرد على ذي لوعة لو بكاكما (٨)

وحين يرثي شاعر الفتوح القادة لا يركز على جانبهم الشخصي بمقدار تركيزه على جانبهم الاعتباري :

لله قبر « هبيرة بن مشمرج »
ماذا تضمن من ندى وجمال (٩)
وبديهة يعيابها ابناؤها
عند احتفال مشاهد الاقوال
كان الربيع اذ السنون تتابعت
والليث عند تكعكع الابطال
فسقت بقرية حيث امسى قبره
غر يرحن بمسبل هطال
بكت الجياد الصافنات لفقده
وبكاه كل مثقف عسال
وبكته شعث لم يجدن مواسيا
في العام ذي السنوات والامحال (١٠)

ولقد تحول رثاء قتيبة بن مسلم الباهلي حين اهدر دمه سليمان بن عبدالملك الى مفاخرة وتحد ومطاولة :

الم يان للاحياء ان يعرفوا لنا
بلى نحن اولى الناس بالمجد والفخر
نقود تميما والموالي ومذحجا
وازد وعبدالقيس والحي من بكر
نقتل من شئنا بعزة ملكنا
ونجبر من شئنا على الخسف والقسر
سليمان كم من عسكر قد حوت لكم
اسنتنا والمقربات بنا تجري
وكم من حصون قد ابحنا منيعة
ومن بلد سهل ، ومن جبل وعر
ومن بلدة لم يغزها الناس قبلنا
غزونا نقود الخيل شهرا الى شهر
مرن على الغزو المرور ووقرت
على النفر حتى ما تهال من النفر
وحتى لو ان النار شبت واكرهت
على النار خاضت في الوغى لهب الجمر

---

٨) فتوح البلدان للبلاذري — ص ٣٦٩ .
٩) هبيرة رئيس الوفد الذين وطأوا تراب الصين واتته المنية في طريقه الى الوليد بن عبدالملك .
١٠) المرجع السابق (الطبري) ص٢٧١ والشعر لسوادة .

تلاعب اطراف الاسنة والقنا
بلباتها والموت في لجج خضر
ولو لم تعجلنا المنايا لجاوزت
بنا ردم ذي القرنين ذا الصخر والقطر
ولكن آجالا قضين ، ومدة
تناهى اليها الطيبون بنو عمرو (١١)

ولقد اهتم شاعر الفتوح الى جانب العنصر الانساني فيها بالعنصر المادي حيث وردت اشارات كثيرة الى الغنائم والجزية والفيء ولكن هذه الاشارات لم تكن تخاطب الروح المادية فقط ولكنها تهدف الى بيان روحانية العربي وانسانيته ففي قسمة الغنائم العادلة دليل على حب العدل والمساواة ، وفي كثرتها ووفرتها رمز للبطولة وسعة الفتح ، وفي هبتها للاتباع والجند اشهار لقيمة الندى والكرم ومن هذا القبيل شعر لتوسعة بن نهار :

الا ذهب الغزو المقرب للغنى
ومات الندى والجود بعد المهلب
اقاما « بمرو الروذ » رهني ضريحة
وقد غيبا عن كل شرق ومغرب
اذا قيل اي الناس اولى بنعمة
على الناس قلناه ولم نتهيب
اباح لنا سهل البلاد وحزنها
بخيل كارسال القطا المتسرب
يعرضها للطعن حتى كانما
يجللها بالارجوان المخضب (١٢)

وحين فتح قتيبة الصغد ذكر « نهارا » بهذه الابيات وقال له : افغزو هذا يانهار ؟ قال : لا .. هذا احسن وانا الذي اقول :

وما كان مذ كنا ولا كان قبلنا
ولا هو فيما بعدنا كابن مسلم
اعم لاهل الترك قتلا بسيفه
واكثر فينا مقسما بعد مقسم (١٣)

وكذلك اهتم شاعر الفتوح بالاماكن الجديدة والمناخات الجديدة ولم يكن اهتمامه مطلقا ولكنه ملون بمشاعر المحارب ومن خلال منظاره العسكري ومن ذلك :

هبت شمال خريق اسقطت ورقا
واصفر بالقاع بعد الخضرة الشيح
فارحل هديت ولا تجعل غنيمتنا
ثلجا يصفقه « بالترمذ » الريح
ان الشتاء عدو ما نقاتله
فاقفل هديت وثوب الدفء مطروح (١٤)

---

(١١) الطبري — ص٢٨٥ والشعر لاصم بن الحجاج .
(١٢) الطبري — ص١٦٢ .
(١٣) الطبري — ص٢٥٢ .
(١٤) فتوح البلدان — البلاذري ص٥٠٨ ج٢ والشعر لمالك بن الريب .

٣ ـ الشعر في الجبهة الغربية :

يكاد يكون اغلب الجبهة الغربية فتح قبل تاسيس الدولة الاموية كذلك (١) ، وكان اول من اجاز الدرب الى الروم القائد العربي عياض بن غنم . وقد تم فتح مصر على يد عمرو بن العاص في (٢٠هـ) وفي (٢١هـ) فتحت برقة تامينا للحدود الغربية لمصر وفي (٢٢هـ) فتحت طرابلس عنوة وقصد نافع الفهري بلاد النوبة. وفي (٢٧هـ) توغل العرب داخل افريقيا ، وفي (٣٤هـ) ركب العرب البحر في معركة ذات الصواري بقيادة عبدالله بن سعد بن ابي سرح . وفي (٥٠هـ) قاتل المسلمون البربر في المغرب بقيادة عقبة بن نافع .. وتكامل فتح شمال افريقيا حتى مدينة طنجة في (٨٨هـ) بقيادة موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد .

وما ان استتب الامر للعرب في المغرب حتى فكروا بعبور البحر نحو اوربا وكانت اول محاولة لوطء ترابها على يد القائد طريف بن مالك في (٩١هـ) وقد شجع نجاح حملته مجدا وغنائم موسى بن نصير ان يندب مولاه طارقا لركوب البحر فركبه (في شعبان ٩٢ هـ) وفي الضفة الاخرى احرق السفن ليكون البحر من ورائهم والعدو من امامهم وليوصد امام من يتخاذل ابواب الفرار .

وقد انتصر طارق وانتصرت العروبة وتطلعوا بعد ذلك الى ما وراء جبال البرانس وتوغلوا الى حوض الرون واقليم برغنديه بقيادة عنبسه بن سحيم الكلبي الذي وافته المنية اثناء عودته من مدينة ليون (١٠٧هـ) .

وبالرغم من سعة الجبهة الغربية وتعدد معاركها فان كتب التاريخ وكتب الادب لم تحتف بما قيل فيها من شعر ولم ترو شيئا يعكس تجارب العربي في هذه الجبهة ولعل الشعر الذي نظم في هذه الفتوح قد ضاع (٢) . ويقول احد الباحثين : لسنا نجد ظلا ولو باهتا يصور انسياح الفاتحين في افريقية وفتحهم لبرقة وطرابلس وما حولهما (٣) . وحتى لو لم تبخل علينا المراجع فان الشعر الذي ستروبه سيكون مشوبا لصدر الاسلام في غالبيته .. وقد حارب في الجبهة الغربية من الشعراء الهذليان ابو ذؤيب وابو العيال وقد لقي ابو ذؤيب مصرعه اثناء عودته من فتح افريقيا في اواخر عهد عثمان بن عفان واخر ما قاله :

ابـا عبيـد رفـع الكتـاب
واقترب الوعيـد والحسـاب
وعنـد رحلي جمـل منجاب
احمر في حاركـه انصباب (٤)

ومما يروى لابي العيال رسالة بعثها الى معاوية من ارض المعركة ويعتقد انها في عهد ولايته لا خلافته منها :

من ابي العيال ابي هذيل فاعرفوا
قولي ولا تتجمجموا ما ارسل
ابلغ معاوية بن صخر آية
يهوي اليك بها البريد المعجل
والمـرء عمرا فاته بصحيفـة
منـي يلوح بهـا الكتاب المنمل
والى ابن سعد ان الخره فقـد
ازرى بنا في قسمـه اذ يعـدل
في القسم يوم القسم ثـم تركتـه
اكرامـه ولقـد ارى ما يفعـل
والى اولى الاحلام حيث لقيتهم
حيث البقيـة والكتـاب المنزل
... الخ . (٥)

ويروي صاحب نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب الابيات التالية لطارق بن زياد اثناء فتح الاندلس نقلا عن كتاب «المسهب» و « ابن اليسع » :

ركبنـا سفينا بالمجـاز مقيـرا
عسـى ان يكون الله منا قد اشترى
نفوسـا وامـوالا واهـلا بجنـة
اذا ما اشتهينا الشيء فيهـا تيسرا
ولسـنا نبالي كيف سالت نفوسنا
اذا نحن ادركنا الذي كان اجـدرا

ويعقب عليها : وهذه الابيات مما يكتب مراعاة لقائلها ومكانته لا لعلو طبقتها (٦) .

٤ ـ الشعر في الجبهة الشمالية :

اذا كان الامويون قد توسعوا شرقا وغربا فانهم لم يتجاوزوا في الجبهة الشمالية ابعد نقطة بلغها الخلفاء الراشدون لانشغالهم بالمعارك الداخلية التي فتتت « الامة ـ الطبقة » واكثر من هذا فقد اضطر عبدالملك بن مروان لدفع اتاوة للروم ليؤمن حدوده . وكانت المعارك في الجبهة الشمالية موسمية لا تقع الا صيفا فعرفت « بالصوائف » (١) .

وقد تم في هذه الجبهة فتح اغلب مدن الشام : دمشق ، حمص ، بعلبك ، حلب ، انطاكية ، بيسان ، بيت المقدس خلال العامين (١٥ـ١٦هـ) وفي (٢٥هـ) بلغ معاوية عمورية ، وفي (٢٨هـ) فتحت قبرص في البحر الابيض المتوسط ، وفي (٤٨هـ) غزا العرب القسطنطينية بقيادة سفيان بن عوف ولم توفق الحملة ، وفي (٥٤هـ) فتحت جزيرة ارواد قرب القسطنطينية ، وفي (٨٧هـ) فتحت سوسنة والمصيصه ، وفي (٩٢هـ) فتحت جزيرة سردانية .

ولم يرو المؤرخون كثيرا من الشعر الذي قيل في هذه الجبهة وما بلغنا منه نزر ضئيل وبعضه قيل قبل حكم الدولة الاموية ومنه ما انشده عبدالعزيز بن زرارة الكلبي احد المقاتلين في حرب القسطنطينية .

قـد عشت في الدهر اطوارا على طرق
شـتى فصادفت منها اللـين والبشـما
كـلا بلـوت فـلا النعماء تبطـرني
ولا تجشـمت مـن لاوائهـا جزعـا

---

(١) راجع ابن الاثير وتاريخ الاسلام لحسن ابراهيم حسن .
(٢) راجع شعر الحرب في ادب العرب ـ زكي المحاسني ص١٣٢ .
(٣) راجع كتاب شعر الفتوح الاسلامية في صدر الاسلام ـ للصميدي ص١٦٧ .
(٤) راجع دراستنا عن ابي ذؤيب في كتابنا شيء من التراث ص ٧١ـ١٠٥ .
(٥) ديوان الهذليين ـ طبعة دار الكتب جـ٢ ص٢٥٢ـ٢٥٥ .
(٦) نفح الطيب ـ الجزء الاول ص٢٤٨ تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد .
(١) راجع تاريخ ابن خلدون .

لا يملا الامر صدري قبل موقعه
ولا اضيق به ذرعا اذا وقعا

ثم حمل على القوم وانغمس فيهم فشجره الروم برماحهم حتى استشهد وقد قال ابوه لما بلغه نعيه :

فان يكن الموت اودى به
واصبح مخ الكلابي زيرا
فكل فتى شارب كاسه
فاما صغيرا واما كبيرا (٢)

ومن شعراء الجبهة الشمالية عبدالله بن سبره الحرشي الذي قطعت يده اثناء نزاله مع قائد من قادة الروم فقال يرثيها :

يمنى يدي غدت مني مفارقة
لم استطع يوم « فلطاس » لها تبعا
وقائل غاب عن شاني وغائبة
هلا اجتنبت عدو الله اذ صرعا
وكيف اتركه يسعى بمنصله
نحوي واعجز عنه بعدما وقعا
ماكان ذلك يوم الروع من خلقي
ولو تقارب مني الموت فاكتنعا
ويل امه فارسا اجلت عشيرته
حامي وقد ضيعوا الاحساب فارتجعا
يمشي الى مستميت مثله ، بطل
حتى اذا امكنا سيفيهما امتصعا
كل ينوء بماضي الحد ، ذي شطب
جلا الصياقل عن دريه الطبعا
حاسيته الموت حتى اشتف آخره
فما استكان لما لاقى ولا جزعا
كان لمته هداب مخملة
احم ، ازرق لم يشمط وقد صلما
فان يكن « ارطبون » الروم قطعها
فقد تركت بها اوصاله قطعا
بنانتين « وجذمورا » اقيم بها
صدر القناة اذا ما آنسوا فزعا (٣)

وقال الشاعر ابن عرس العبدي في حادثة خذلان مني بها العرب امام الاتراك في « سمرقند » وهي تقع في اقصى الشمال الشرقي من الدولة الاموية .

ابن حماة الحرب من معشر   كانوا جمال المنسر الحارد
بادوا باجال توافوا لها   والعاثر المهمل كالبائد
كنا قديما يتقي باسنا   وندرا الصادر بالوارد
حتى منينا بالذي شابنا   من بعد عز ناصر آئد

ثم يخاطب قائده الذي بكى بسببها :

تبكي لها ان كشفت ساقها   جدعا وعقرا لكَ من قائد
تركتنا اجزاء معبوطة   يقسمها الجازر للناهد
اضحت سمرقند واشياعها   احدوثة الغايب والشاهد

ثم يذكر الابطال الصرعى :

فكم ثوى في الشعب من حازم   جلد القوى ذي مرة ماجد
يستنجد الخطب ويغشى الوغى   لاهايب ، غس ، ولا ناكد (٤)

---

(٢) ابن الاثير ـ جـ٣ ص٤٥٩ .
(٣) شعر الحرب عند العرب ـ ص١٣٠ ، والشعر الملحمي لاحمد ابو حاقه ١١٩ـ١٢٠ .
(٤) شعر الحرب عند العرب ـ ص١٢٦ ـ ١٢٧ .

٥ ـ قصيدة الفتوح :

شعر الفتوح الاموية حلقة وسطى لها قبل ولها بعد اما ما قبله : فلقد عرف الشاعر الجاهلي نوعا شبيها به هو الشعر الذي كانوا يتناشدونه اثناء وقائعهم او ارهاصا بها او نتائج لها ، ثم جاء الاسلام فازدهرت القصيدة الحربية اثناء غزوات الرسول وقد جمع لنا ابن هشام في سيرته طائفة لا يستهان بها من شعر الذين ناصروا الدعوة وانضووا تحت لوائها ، ومثلها من شعر الذين وقفوا منها مواقف مناوئه عدائيـة .

واما ما بعد شعر الفتوح الاموية فان الحرب لم تضع اوزارها في عهد العباسيين ولا في عهد دويلات الطوائف وربما كانت اجود انواع القصائد الحربية في تاريخنا الادبي هي تلك التي انشدها ابو تمام في عمورية وغيرها ، ثم سيفيات المتنبي وحماسيات ابي فراس الحمداني ..

ورغم كون القصيدة الحربية رافقت العربي طيلة عصور التاريخ العربي الا ان النقد الادبي لم يستطع ان يبلور ابعادا خاصة لها تميزها عن غيرها كما بلور حدودا مميزة لقصيدة النسيب والمديح والرثا والهجاء (١) .. ونجد ملامح هذا النوع الشعري في باب الافتخار حينا وباب الحماسة حينا آخـر .

فهم يضعون في باب الحماسة ما يقال في حمل النفس على المكروه ، وفي الفتك ، ومكاشفة الاعداء ، والاستعداد للقتال ، والانفة والامتناع من الضيم والخسف ، وركوب الموت خشية العار ، والاخذ بالثار ، وغير ذلك من المعاني التي تدور حول القتـال (٢) .

وهم يقولون عن حد الافتخار انه مديح ولكن الشاعر يخص به نفسه وقومه وكل ما حسن في المدح حسن في الافتخار وكل ما قبح فيه قبح في الافتخار وينكر قدامة ان يمدح الانسان باباته دون ان يكون ممدوحا بنفسه (٣) .

ويعزو احد الباحثين المعاصرين اغفال النقاد للقصيدة الحربية وعدم بلورة مفاهيم مميزة لها انها لم تعد موجودة في الفترة التي دونوا فيها اسس النقد ، وفي هذه الفترة تراجع العنصر العربي عن مكان الصدارة في قيادة الجيوش وحل محلهم منذ انتهاء الدولة الاموية اجناس اخرى كالفرس والترك والديلم والشراكسة ولم يعد الشعراء يخوضون غمرات القتال (٤) .

وشعر الفتوح الاموية لم يدرس دراسة مستقلة ولم ينهض بعبء جمعه محقق ، ومؤرخو الادب يدرسونه ضمن اطار عام شامل هو الشعر الاساسي ويتضمن هذا الشعر الى جانبه قصائد الثورات الداخلية والخصومات الحزبية كقصيد

---

(١) راجع كتاب العمدة في الشعر ونقده لابن رشيق القيرواني .
(٢) راجع فصول حماسة البحتري وعدتها سبعة وعشرون فصلا .
(٣) راجع العمدة ـ تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد جـ٢ ص ١٤٣ـ١٤٥ .
(٤) اسس النقد الادبي عند العرب ـ د. احمد احمد بدوي ص ٢٦٤ .

الخوارج ، وقصيد الشيعة ، وقصيدالزبيرية ، وقصيدالمرجئة وقصيد البلاط الاموي وغيرها (٥) .

والشعر الذي اقترن بالفتوح ليس شعرا صافيا ولكنه اختلط بغيره فهنالك مقاتلون كانوا يتمثلون بقصائد حماسية اثناء قتالهم قالها شعراء جاهليون في ايامهم ، او شعراء اسلاميون ساهموا في غزوات الرسول .. وهنالك شعراء نظموا قصائد تصف الحرب وبلاء الامويين فيها وهم لم يشهدوها كشعراء المديح والهجاء الذين قصدوا البلاط ليمدحوا ويذموا وفي مقدمتهم الفرزدق والاخطل .

وتمتاز قصيدة الفتوح بعد ذلك بكونها صادقة عفوية لا تكلف فيها ولا زخرف ، يعبر شاعرها عن الحقيقة العارية ولا يدرك محتوى الكلمة فيها ادراكا تاما الا من عاش اجواءها.. فنحن مثلا ننفر من تعداد اسماء الرجال فيها كما يلي :

فاضحى الخزاعي الرئيس مجدلا
كان لم يقاتل مرة ويحارب
وراس بني شمخ ، وفارس قومه
شنوءة ، والتيمي هادي الكتائب
وعمرو بن بشر ، والوليد ، وخالد ،
وزيد بن بكر ، والحليس بن غالب
وضارب من همدان كل مشيع
اذا شد لم ينكل ، كريم المكاسب
ومن كل قوم قد اصيب زعيمهم
وذو حسب في ذروة المجد .. ثاقب
ابوا غير ضرب يفلق الهام وقعه
وطعن باطراف الاسنة . صائب (٦)

هذا التكرار الذي ننفر منه في حقيقته ذو دلالة عميقة في وجدان الشاعر وخاصة الشاعر المقاتل الذي تربطه علاقات عديدة بقادته واخوانه في السلاح وربما كان اشهار اسم من هذه الاسماء يقود بشاعرنا الى السجن او يعرضه لنقمة الوالي الجديد من جهة وقد يستدعي حمايته من قبيلة فلان والتداء في مجتمع يعتز بالانساب ويحترمها من جهة اخرى .

وتتميز قصيدة الفتوح بخلوها من هجاء الاعداء وتجنبها هذا الموضوع كما يقول الاستاذ كارلو نللينو « وكانهم يعتبرون الهجاء من خصائص اولاد عدنان وقحطان » وتفسير هذه الظاهرة انهم « لم يعقلوا الهجاء الا اذا رد عليه ومن الواضح ان هذا الرد مستحيل اذا كان العدو من العجم ... » (٧) .

وفي موضوعات قصيدة الفتوح ميزة اخرى لها هي الهروب الى الطبيعة والشكوى والبث لها سببها بعد الشاعر عن احبته وذويه ، ووجوده في وسط اعجمي لا يفهمه ولا يفهمه ..

اما الموضوعات الاخرى التي يشترك فيها شعر الفتوح مع بقية الانواع الشعرية فمنها الحس بالغربة ، والحنين للاحبة ، والشعور بالناي ، ولوعة الفراق ، ووصف المشاهد الغريبة ، والمديح ، والرثاء ، والفخر .

---

(٥) راجع كتاب الشعر السياسي ـ احمد الشايب ، وكتاب ادب السياسة في العهد الاموي للدكتور احمدمحمدالحوفي .
(٦) راجع ابن الاثير ـ جـ٤ ص١٨٦ .
(٧) تاريخ الآداب العربية ـ كارلو نللينو ـ نشرته مريم نللينو ـ دار المعارف بمصر ص١٩٧ .

الصحيفة الثالثة : شعراء الفتوح

حفظ لنا التاريخ العام وتاريخ الادب اسماء عدد من الشعراء الذين ارتبطوا بالفتوح الاموية اما بصفتهم محاربين مقاتلين او بصفتهم رجال صحافة واعلام كانوا يرافقون الجيش فيشيدون بقادته وينشرون انباء انتصاراته ومنهم اعشى همدان ، ومالك بن الريب وكعب الاشقري وعبدالله بن سبرة الحرشي والمغيرة بن حبناء ونهار بن توسعة وعبدالرحمن بن جمانه وثابت قطنه وابن عرس العبدي .. وبعض هؤلاء لم يؤثر عنه سوى قليل من الشعر ولا شيء غير هذا القليل ويبدو لي ان المهم شخصية واوفرهم اخبارا ثلاثة : الاعشى ، وكعب ، ومالك .

١ ـ أعشى همدان :

لم يوفق في حروبه ولم يوفق في ثورته ولكنه كان اكثر توفيقا في علاقاته الوجدانية مع المراة .. فلقد اسر اثناء خروجه لقتال الفرس في « الديلم » ولقد ثار مع ابن الاشعث متحديا الحجاج بن يوسف الثقفي في الكوفة ولكن ثورته لم تؤت اكلها واودت بحياته او كانت سببا من اسباب اعدامه .

اما علاقاته الوجدانية فكانت ميدان ظفره وفوزه ففي خبر من اخباره انه حين اسر في الديلم تعمقت اواصر المودة بينه وبين ابنة آسره ، احبته ومالت اليه وراودته عن نفسه وهو موثق سجين موكل امر مصيره بيد ابيها .. وقد نال منها ما لم ينله غيره ونالت منه الديلمية ما لم تنله من غيره . واذاكان في الرواية اسراف وشطط ، واذا كانت المحاورة التي جرت بينهما ونقلها صاحب الاغاني صادقة او غير صادقة ، موضوعة او غير موضوعة فان دلالتها لا شك في صدقها .. وان مجموع اخباره تدل على انه كان يتمتع بفحولة وقدرة جنسية حتى وهو شيخ مرتعش على فرسه .. وفيما عدا ما كان بينهما داخل الاسر وكونها اطلقت سراحه وهربت معه لا نجد اشارة اخرى لهذه المتعطشة في مجمل اخباره ولا نجد ذكرا لها فيما بلغنا من شعره .

وكان لعبدالرحمن بن عبدالله وهذا هو اسمه امراة من قومه يدعوها « ام الجلال » ويغلب على الظن ان هذا كنية لها وانه وانها لم ينجبا ولدا بهذا الاسم لان علاقاتهما كانت تزداد سوءا كلما طالت مدة عشرتهما وفي شيخوخته مال الى امراة يدعوها « جزلة » وتدعى في بعض الروايات « خولة » .. كانت شابة بيضاء ذات شعر جعد اسود مكتنزة القوام ، فخطبها ولكنها تابت عليه واشترطت عليه شرطا ان يكون لها وحدها وان يقطع ما بينه وبين ام الجلال من وشائج وكانها ارادت ان ترهقه لكي لا يقترن بها ولكن هذا الشرط لقي هوى في نفسه فقبل به وطلق زوجته ثلاثا لكي لا يكون للحوار بينهما بقية ولا يكون لحياتهما الزوجية تلو . ويخيل لي ان « جزلة » حين تزوجته تزوجته كارهة بعد ان نفدت حيلتها واسقط في يدها .. ويضيف رواة اخباره ان ام الجلال دعت الله ان يقع بينه وبين خطيبته ما يبغضها له ، وما يبغضه لها ويذكرون ان الشق الثاني تحقق .. وانه حين دخل بها لم يجد حظوة لديها .. ويبدو ان الامر طبيعي ولا علاقة له بالدعاء وان بذور خصومتهما كامنة في شرط الخطوبة ولكنه لم يدرك كونه رفضا حييا اذكانت سنه وحالته الصحية عند الزواج كما يقول :

عجبت جزلـة مني ان رات
لمتي حفت بشيب كالثغـام
ورات جسمي علاه كبـرة
وصروف الدهر قد ابلت .. عظامي
وصليت الحرب حتى تركت
جسدي نضوا كاسلاء اللحام

ولا شك ان الحرب اتعبته وانهكت قواه الروحيةوالجسدية فلقد حارب في الديلم ومكران وسجستان ونصيبين وغيرها .. وحين ظفر به الحجاج واقتيد اليه ينوء باغلاله حاول ان يتراجع وان يغير مواقع اقدامه ولكن الحجاج فهم محاولته وكانها مراوغة تحتمل وجهين .. الوجه الظاهر الذي يريد ان يخدعه به والوجه الكامن الذي يحرض به اصحابه ويعلن اسفه على ما حل بهم ويبدو لنا من الحوار الذي دار بينه وبين الحجاج .. وكان الحجاج وهو يقرا ملفا خاصا اشبه بملفات المباحث الحديثة يحاججه فلقد ذكره بكثير من شعره الذي قاله مديحا في خصوم الحجاج وهجاء له .. منها انه ارتجز ذات يوم وهو يتقدم موكبا عسكريا خارجا عليه :

امكن ربي من ثقيف همدان
يوما الى الليل يسلي ما كان
ان ثقيفا منهم الكذابان
كذابها الماضي وكذاب ثان

وقال مرة اخرى :

ياابن الاشبح قريع كندة لا ابالي فيك عتبا
انت الرئيس ابن الرئيس وانت اعلى الناس كعبا
نبئت حجاج بن يوسف خر من زلق فتبا

وقال الاعشى فيمن يكرهه الحجاج :

واذا سالت المجد اين محله
فالمجد بين محمد وسعيد
بين الاغر وبين قيس باذخ
بخ بخ لوالده وللمولود

وكان الحجاج وهو يتلو الابيات المذكورة يتميز غيضا ويخشن القول للشاعر حتى اذا بلغ الاخير اقسم ان لا يبخبخ بعدها ابدا وامر حراسه فضربوا عنق الشاعر والجدير بالذكر ان الاعشى سبق له ان غزا كرمان في ركاب الحجاج .

ويلاحظ في شعر الاعشى نوع من التناقض فهو يمدح فلانا لم لا يلبث ان يقول فيه شعرا لا يحبه ولا يرضاه وكانه مدفوع بدافع الطمع .. فلقد اثنى كثيرا على خالد بن عتاب الرياحي ولكنه ما ان قلل عطاءه حتى تنكر له ، وانه ثار مع ابن الاشعث ولكن ابن الاشعث حين صار الى سجستان ورفض ان يزيد عطاء الاعشى قال فيه شعرا فيه لوم وعتاب ومنة عليه .

ويلوح لي ان الخيط الذي يجمع هذه المتناقضات كون شاعرنا لم يقل شعره الا اجابة على اسئلة الحياة وردا على مواقف كانت تحتم عليه الرد الفوري ويمكن تعميم هذا الحكم على شعره نضاليا كان او وجدانيا .

فهو بعد ان وقع في الاسر قال ردا على صوت لانعرفه ولكننا نحسه من خلال نبرات صوته في قصيدته الفائية ولعله كان صوتا يستهدف النيل من نضاله وما اكثر الاصوات التي تستهدف المناضلين عند اول اخفاق يمنون به .

واستنكرت ساقي الوثاق وساعدي
وانا امرؤ بادي الاشاجع اعجف
ولقد تضر سني الحروب وانني
الفى بكل مخافة اتعسف

اتسربل الليل البهيم واستري
في الخبت اذ لا يسترون واوجف
ما ان ازال مقنعا او حاسرا
سلف الكتيبة ، والكتيبة وقف
فاصابني قوم فكنت اصيبهم
فالان اصبر للزمان واعرف
اني لطلاب الترات ، مطلب
وبكل اسباب المنية اشرف
باق على الحدثان غير مكذب
لا كاسف بالي ولا متاسف
ان نلت لم افرح بشيء نلته
واذا سبقت به فلا اتلهف

وفي قصيدة قالها وهو مريض بمكران وعمره خمسون عاما يرد على عواذله :

وقال العواذل هل ينتهي
فيقنعه الشيب او يقصر
وفي اربعين توفيتها
وعشر مضت لي مستبصر
وموعظة لامرىء حازم
اذا كان يسمع او يبصر
فلا تاسفن على ما مضى
ولا يحزننك ما يدبر ..
فان الحوادث تبلي الفتى
وان الزمان به يعثر ..
فيوما يساء بما نابه
ويوما يسر فيستبشر ..

وقال بعد ان رفض ابن الاشعث زيادة عطائه وكانت قبيلة الاعشى اخوال بن الاشعث :

كم قد اسدي لك من مدحة
تروى مع الصادر والوارد
وكم اجبنا لك من دعوة
فاعرف فما العارف كالجاحد
نحن حميناك وما تحتمي
في الروع من مثنى ولا واحد
يوم انتصرنا لك من عابد
ويوم انجيناك من .. خالد
ووقعة الري التي نلتها
بجحفل من جمعنا .. عاقد

الى ان يقول :

نحن ولدناك فلا تجفنا
والله قد وصاك بالوالد
ان تك من كندة في بيتها
فان اخوالك من حاشد

....

....

فارتع لاخوالك واذكرهم
وارحمهم للسلف العائد
فان اخوالك لم يبرحوا
يربون بالرفد على الرافد

وقال في آخر ايامه وهو بين يدي الحجاج :

ابى الله الا ان يتمم نوره
ويطفىء نار الفاسقين فتخمدا

وينـــزل ذلا بالعــــراق واهلبــه
كمــا نقضوا العهد الوثيــق المؤكدا
وما لبث الحجاج ان ســل سـيفه
علينــا فولــى جمعنـــ وتبـــددا
وما زاحــف الحجــاج الا رايتـــه
حساما ملقبــى للحــرب معــودا

الى ان يقول :

ليهنــىء اميــر المــؤمنين ظهــوره
على امــة كــانوا بغــاة وحســـدا
وجـــدنا بني مروان خيــر ائمـــة
واعظــم هذا الخلق حلما وســؤددا
وخــير قريش في قريش ارومـــة
واكرمهـــم الا النبـــي محمـــدا
. . الخ . (١)

٢ ــ مالك بن الريب :

كانوا ثلاثة ضائعين في الارض المحيطة بجبل سنام الرابض بين الكويث والبصرة ، يتعرضون لركاب القوم فيسلبونهممتاعهم ونقودهم ويعتدون على كرامتهم وقد يتجاوزون الى الاعتداء عـلى ارواحهم .. وكثيرا ما جلسوا في ساعات فراغهم يتندرون فيمـا بينهم بقصص فتكهم ولصوصيتهم .. اما احدهم فكان شاعرا ذاع شعره وسار ذكره واما الآخران فلم يشتهرا بشعر .. قد بلغت اخبارهم والي المدينة فنذر نفسه لايقافهم عند حدهم وانقاذالقوم من شرهم فارسل من يلقي القبض عليهم ويقتادهـم لحضـرته ليقتص منهم وندب لهذه المهمة احد الانصار فاضطلع بها اضطلاع قدير متمكن واستطاع ان يلقي القبض على ابي حردابه ومالك بن الريب ولم تذكر الاخبار شيئا عن ثالثهم شظاظ .. وبينمـا الانصاري يحث خطاه في طريقه نحو الوالي تمكن مالك بن الريب من تجريد غلامه من سلاحه وقتله به ثم الاجواز على الانصـاري وقتله هو الاخر والاسراع لانقاذ زميله من الاسر وحل وثاقه ، وما ان تخلصا حتى ركبا ابل الانصاري وهربا نحو البحرين ومن هناك الى فارس .

ويبدو ان مالك بن الريب اثناء ضياعه في بادية البصـرة واثناء غربته في فارس كان يصطحب معه اسرته ولا نعرف من هذه الاسرة سوى ما يدل عليها فلقد كانت له فتاة تدعى « شـهلة » تملك عليه حواسه وتحد من حركته كلما هم ان يتحرك بعيدا . ولم يكن هذا الشاعر المتشرد دميم الخلقة ولا ركيك الشعر ولكنه اشتهر بجمالهما معا .. فلقد كان جميل الوجه من اجمل القوم وجها وآنقهم ثيابا ، وكان جميل البيان من اجمل الناس قولا واعذبهم قصيدا .. وكان شجاعا قوي الباس يحسن الرمايـة والطعن .. وهو لا يجد حرجا في ان يلتحف الظلماء في الباديـة ما دام سيفه بجانبه وقد وجد نفسه ذات ليلة فريسة لشـبح داهمه فلم يرتعب وتمالك نفسه وامتشق سيفه وطعن الشبح الذي داهمه فاذا هو يشطره ويودي بحياته .. وما ان يتبينه مليا حتى يجده رجلا اسود قاتما .

وفي ليلة اخرى يواجه ذئبا او يواجهه الذئب فيزجـر احدهما الاخر فلا يزدجر وما هي الا لحظات ويشتبك الـذئب والشـاعر معا ليسفر عن انتصار الشـاعر وانهيار الـذئب وموتـــه .

ورغم قوة شاعرنا وشدة فتكه الا انه كان حساسا لا يتحمل الاهانة مهما كانت بسيطة ففي خبر من اخباره انه قصد فارس لانه احب ليلى الاخيلية واثناء مبارزة له مع صاحبها توبة بن الحمير يصدر عنه ما يخل بكرامته من ريح ونحوه فيتضاءل امام خصمه وامام شاعرته فيقرر الدخول في الغربة لعل الغربة تطهر ذاته مما الم بها من اهانة . وسواء اكان هذا الخبز صحيحـا او كان سبب غربته غيره فان الشاعر فعلا عرف الغربة وكانت فارس دار غربته .. وبينما هو سادر في حياة الضياع والتشرد يلتقي ذات يوم اميرا من امراء بني امية هو سعيد بن عثمان بن عفان في طريقه الى خراسان ليتقلد مهام عمله فيساله الامير عن السبب الذي دعاه وهو الجميل الانيق الفصيح الى ركـوب المركب الخشن الذي ركبه فيجيبه جوابا صريحا يكشف عنطويته قائلا : يدعوني اليه العجز عن المعالي ومساواة ذوي المروءات ومكافاة الاخوان .. فيعرض عليهالامير ان يضع تحت تصرفه مرتبا لاباس به يعينه على مكافاة الاخوان ومساواة ذوي المروءة وتحقيق المعالي على ان يصطحبه معه وان يصلح سلوكه .. فيكون للعرض وقع حسن في نفسه واذا هو يسرع فيقول : اي والله ايها الامير اكف كفا لم يكف احد احسن منه .. وهكذا تنتهي حياة التشرد والضياع ليكون مالك بن الريب جنديا عربيا من جنود الدعوة الاسلامية يصحب الامير في ركابه المغذ نحو خراسان .

ويتحدث مؤرخو حياته بعد ذلك عن مساهمته في فتـح سمرقند وبلائه فيها ولكنه اثناء ايابه من خراسان ينتابه مرض عضال فيحس بدنو اجله او تلدغه في رواية اخرى افعى فيحس بدنو اجلـه وسواء اصدق الخبر الاول ام صدق الخبر الثاني فقد احس بدنو اجله فانفرد عن القوم وتخلف عن الركب ومعـه صاحبان له ، او معه امراة وصاحب .. واغلب الظن ان صدقت الرواية الثانية ان المراة ابنته شهلة .. وفي هذا الموقف نظـم قصيدة رقيقة المشاعر ، عذبة النغم تقف الى جانب اروع ما وصلنا من شعر التراث يرثي فيها نفســه ويعبر عن غربة روحه.

وكما مات مالك بن الريب شهيدا وهو عـائد من ارض المعركة فان ابا حردبة اللص الثاني هو الاخر استشهد في احدى غزوات العرب للفرس بعد ان تاب وتنسك واما شظاظ الثالث فقد امسكه الحجاج وامر بصلبه فصلب .

ولقد عبر ما لك عن كل فقرة من فقرات حياته بعذوبـة وفطنة ولذلك فان سر قصيده هو التعبير عن حادثة وقعت له ، او تجربة تجاوزها .. وهو في هذا لا يشابه الاعشى الذي تولد قصيدته جوابا على موقف ولكنه يختلف عنه .. لان « التعبير عن موقف » يختلف عن « جواب الموقف » ولا يشابهه .

قال مالك من قصيدة يعبر فيها عن تخلصه من قبضـة الوالي مروان :

الا من مبلــغ مـــروان عني ... فاني ليــس دهـري بالفرار
ولا جزع من الحدثان يومـا ... ولـكني ارود لـكم وبـار
بهزمار تراد العيس فيهـا ... اذا اشفقن من قلق الصفار
وهن يخشن بالاعماق خوشا ... كـان عظامهن قداح بـاري
كان الرحـل اسار من قراها ... هـلال عشـية بعد الســرار
رايت وقد اتى بحران دوني ... لليلي بالغمّيم ضـوء نـار

(١) اعتمدنا في كتابة هذا الفصل على المراجع التالية :ــ
ا ــ الاغاني ــ ط دار الثقافة جـ ٦
ب ــ تاريخ آداب العربية ــ جرجي زيدان جـ ١
جـ ــ تاريخ الادب العربي ــ د.شوقي ضيف ــ العصر الاســلامي .
د ــ تاريخ الامم والملوك ــ الطبري جـ ٥
هـ ــ الموشح للمرزباني .
و ــ الاعلام ــ للزركلي .

اذا ما قلت قد خمدت زهاها   عصيالزند والعصفالسواري
يشب وقودها ويلوح وهنا   كما لاح الشبوب منالصواري
... الخ .

وقال يفخر بقتله الاسود الذي داهمه ذات ليلة :

ياغاسلا تحت الظلام مطية
متخايلا لا بل وغير مخايل
انى انخت لشانك انيابه
مستانس بدجى الظلام منازل
لا يستريع عظيمة يرمى بها
حصاء تحسر عن عظام الكاهل
حربا تنصبه بنبت هواجر
عاري الاشاجع كالحسام الناصل
لم يدر ما غرف القصور وفيؤها
طاو بنخل سوادها المتمايل
يقتل الفؤاد اذا القلوب تآنست
جزعا ونبه كل اروع باسل
حيث الدجى متطلعا لغفوله
كالذئب في غلس الظلام الخاتل
فوجدته ثبت الجنان مشيما
ركاب منسج كل أمر .. هائل
فقرالة أبيض كالعقيقة صارما
ذا رونق يغشى الضريبة قاصل

ومن قصيدته التي يرثى فيها نفسه وقيل ان عدتها ثلاثة عشر بيتا وما عداها منحول عليه :

ايا صاحبي رحلي دنا الموت فانزلا
برابية اني مقيم .. لياليا
وخطا باطراف الاسنة مضجعي
وردا على عيني فضل ردائيا
ولا تحسداني بارك الله فيكما
من الارض ذات العرض ان توسعاليا
لعمري لان غالت خراسان هامتي
لقد كنت عن بابي خراسان نائيا
فياليت شعري هل ابيتن ليلة
بجنب الغضى ازجى القلاص النواجيا (١)

٣ ـ كعب الأشقري :

قالوا عنه : شاعر فارس خطيب معدود من الشجعان ، واقول عنه خلق ليعيش في اللحظة الآنية فهو ابن لحظته دائما وهذه الخصلة فيه تبرر مزاياه ، وهذه الخصلة فيه تبرر اخطاءه وعيوبه ، وهذه الخصلة هي التي قادته الى الموت واوردته المورد الصعب .

فهو شجاع يعطي الموقف حقه ويتاق في حدوده ، فقد لقي الحجاج موفدا من المهلب فدار بينهما حوار ممتع نورد طرفا منه .

ساله الحجاج كيف بنو المهلب ؟

قال : حماة للحريم نهارا وفرسان بالليل ايقاظ .

ـ فاين السماع عن العيان ؟

ـ السماع دون العيان .

ـ صفهم رجلا رجلا .

ـ المغيرة فارسهم وسيدهم ، نار ذاكية ، وصعدة عالية ، وكفى بيزيد فارسا شجاعا ، ليث غاب ، وبحر جم العباب ، وجوادهم قبيصه ليث المغار وحامي اللمار ، ولا يستحيالشجاع أن يفر من مدرك فكيف لا يفر من الموت الحاضر والاسد الخادر وعبدالملك سم ناقع وسيف قاطع .. الخ .

وهكذا يمضي الحوار بينهما فيحكم الحجاج بقدرته وكفاءته ويجزل عطاءه ويقول له : المهلب كان أعلم بك حيث بعثك .

ويكتب الحجاج بعد ذلك الى المهلب يامره بمناجزةالازارقة ويستبطئه فيرد عليه المهلب موضحا ان ادارة الحرب منصلاحيته فهو الذي يخوضها وليس الحجاج وانه يرفض ان ياخذ باوامر الحجاج بحيث تكون الاصابة ان اصاب المهلب للحجاج ويكون الخطأ ان اخطا المهلب على المهلب . ويكتب اليه ان لم يقتنع بان تدبير الحرب من صلاحيته أن يعزله ويولي من يشاء مكانه فتهز اللحظة البطولية التي وقفها المهلب مشاعر كعب فيقول قصيدة ينال بها من شخصية الحجاج وتبلغه فيحمل في نفسه شيئا على الشاعر ولكن الشاعر يستعين عليه بالخليفة فيستوهبه من الحجاج ويعفو عنه .

وحين يخطىء كعب فهو انما يخطىء بسبب عدم رؤيته الى ما هو ابعد من حدود اللحظة الآنية فهو لا يلفت جيده الى الوراء ليتذكر ويعطي للذكرى حقها ، ولا يتطلع للمستقبل ليعطي للمفاجآت حقها ومن هذا موقفه بين قتيبة بن مسلم الباهلي ويزيد بن المهلب .. فلقد اخفق يزيد في فتح مدينة خوارزم واستعصت عليه فعزل وولي مكانه قتيبة فحاصرها وفتحها فهزت هذه اللحظة البطولية مشاعر كعب فمدحه وهجا يزيد بن المهلب وذهب يعري حتى اصوله الاعجمية في الوقت الذي ينكر ذوو المهلب اعجمية اصلهم ويدعون انهم أزديون صليبة .. وتدور الايام ويعود يزيد لولايته فلا يجد كعب امامه إلا الهروب والعودة الى عمان .

ولو ان شاعرنا لم يكن ابن لحظته لاحتاط لغده ونظر الى ما هو ابعد من الآن ولما وقع في المصيدة التي وقع فيها .

وهذه الصفة في كعب هي التي اودت بحياته كذلك فما ان اطمأن في عمان ثم مسه ضر فيها بسبب انقطاع صحبته للامراء والقادة حتى نسي ماضيه وتصور ان الاخرين مثله يعيشون في حدود يومهم فكتب الى ابن المهلب يعتذر وفي اعتذاره كشف عن مخباه الذي فر اليه فانتهز ابن المهلب الفرصة واغرى ابن اخ للشاعر كان الشاعر قد هجاه بقتله فجاءه وهو نائم تحت شجرة فضربه بفاس واودى بحياته .. وهكذا يكون غادره هو الذي منحه اعذب اناشيده . وبذلك لم يكسب كعب بشعره الكثير شيئا يساوي ما خسره بسبب قليل من شعره .. وان ما اعطاه آل المهلب لكعب الاشقري ذهب مع تقادم الزمن وما اعطاهم كعب ما زال باقيا .

قال كعب يمدح المهلب :

سلوا اهل الاباطح عن قريش
عن العز المؤبد اين صارا

---

(١) اعتمدت في كتابة هذا الفصل على :
أ ـ الاغاني ـ دار الثقافة ج ٢٢ ص ٣٠٢ـ٢٢٥
ب ـ الاعلام ـ للزركلي
ج ـ معجم الشعراء ـ المرزباني ص ٢٦٥
د ـ شعراء الواحدة ـ نعمان ماهر الكنعاني
هـ ـ العقد الفريد ـ ج ٢ ـ تحقيق محمد سعيد العريان
و ـ تاريخ آداب اللغة العربية ـ جرجي زيدان ج١

ومن يحمي الثغـور اذا استحرت
حـروب لا ينون لهـا غـرارا
لقومي الازد في الغمرات امضـى
واوفـى ذمـة واعـز جـارا
هـم قادوا الجيـاد على وجاهـا
من الامصـار يقـذفن المهـارا
بكـل مفـازة وبكـل سـهب
بسـابس لا يـرون لهـا منـارا
الـى كرمـان يحمـلن المنايـا
بكـل ثنيـة يوقـدن نـارا
شوازب لـم يصبـن الثـار حتى
رددناهـا مشـكلة مـرارا
ويشجرن العـوالي السمر حتـى
ترى فيهـا عـن الاسـل ازورارا
غـداة تركـن مصـرع عبـد رب
يثـرن عليـه مـن رهـج عصـارا
ويوم الزحـف بالاهـواز ظلنـا
نـروي منهـم الاسـل الحرارا
فقـرت اعـين كـانت حديثـا
ولـم يـك نومهـا الا غـرارا
صنائعنـا السـوابغ والمـذاكي
ومن بالمصـر يجتلـب العشـارا
فهـن يبحن كـل حمـى عـزيز
ويحمـين الحقـائق والذمـارا
طـوالات المتـون يصـن الا
اذا سـار المهلب حيث سـارا
... الخ .

وقال يمدح ابناء المهلب :

كـانهـم نجـوم حـول بـدر
دراري تكمـل فاسـتدارا
ملـوك ينزلـون بكـل ثغـر
اذا ما الهـام يوم الروع طـارا
رزان في الامـور تـرى عليهـم
من الشـيخ الشـمائل والنجـارا
نجـوم يهتـدي بهـم اذا مـا
اخو الظلماء في الغمـرات حـارا
... الخ .

وقد قال فيه الحجاج حين انشده قصـيدته الرائيـة التي منهـا :

تابى علينا حزازات النفوس فما
نبقى عليهم ولا يبقون ان قـدروا

« .. انك لمنصف يا كعب . » ولكن الذين انصفهم كعب لم ينصـفوه .

وقال فيه الفرزدق ايضا : شعراء الاسلام اربعة انا وجرير والاخطل وكعب الاشقري . (1)

---

(1) اعتمدنا في كتابة هذا الفصل على : ـ
ا ـ الاغاني ـ جـ ١٤
ب ـ الطبري ـ جـ ٥
جـ ـ المرزباني ـ معجم الشعراء
د ـ تاريخ آداب العربية ـ جرجي زيدان .
هـ ـ الاعلام ـ الزركلي .

المراجـع

رتبت المراجع حسب ورودها في هوامش الصفحات :

١ ـ حضارة الاسلام ـ جوستاف جرونباوم ـ ترجمة عبدالعزيز جاويد .
٢ ـ محاضرات في تاريخ العرب ـ د . صالح احمد العلي ط٣ .
٣ ـ حضارة العرب ـ غوستافلوبون ـ ترجمة عادلزعيتر ط٣.
٤ ـ تاريخ الاسلام ـ د . حسن ابراهيم حسن جـ ١ـ٢ .
٥ ـ فجر الاسلام ـ احمد امين .
٦ ـ تاريخ العرب قبل الاسلام ـ جواد علي ـ جـ ٨ .
٧ ـ سيرة ابن هشام ـ تحقيق مصطفى السقا ورفيقيه .
٨ ـ الادارة العربية ـ س.ا.ق حسيني . ترجمة د . ابراهيم احمد العدوي .
٩ ـ اشتراكية الاسلام ـ د . مصطفى السباعي ط٢ .
١٠ـ الخراج في الدولة الاسلامية ـ محمد ضياءالدين الريس .
١١ـ الاشتراكية والحرب ـ لنين .
١٢ـ الاستراتيجية العسكرية السوفياتية ـ سوكولوفسكي ـ ترجمة خيري حماد .
١٣ـ العقدالفريد ـ ابن عبد ربه ـ تحقيقمحمدسعيد العريان.
١٤ـ الدعوة الى الاسلام ـ ارنولد ـ ترجمة حسن ابراهيم حسن وعبدالمجيد عابدين .
١٥ـ تاريخ الامم والملوك ـ الطبري .
١٦ـ فتوح البلدان ـ للبلاذري ـ تحقيق صلاح الدين المنجد .
١٧ـ الكامل في التاريخ ـ ابن الاثير ـ طبعة دار صـادر دار بيروت .
١٨ـ شعر الحرب في ادب العرب ـ زكي المحاسني ـ طبعة دار المعارف .
١٩ـ شعر الفتوح الاسلامية في صـدر الاسـلام ـ لنعمـان الصعيدي .
٢٠ـ شيء من التراث ـ عبدالجبار داود البصري .
٢١ـ ديوان الهذليين ـ طبعة دار الكتب .
٢٢ـ نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب ـ جـ١ ـ تحقيق محمد محيالدين عبدالحميد .
٢٣ـ تاريخ ابن خلدون .
٢٤ـ الشعر الملحمي ـ احمد ابو حاقه .
٢٥ـ العمدة في الشعر ونقده ـ ابن رشيق القيرواني ـ تحقيق محمد محيالدين عبدالمجيد .
٢٦ـ اسس النقد الادبي عند العرب ـ د . احمد احمد بدوي .
٢٧ـ الشعر السياسي ـ احمد الشايب .
٢٨ـ ادب السياسة في العهد الاموي ـ احمد محمد الحوفي .
٢٩ـ تاريخ الاداب العربية ـ كارلو نللينو ـ طبعةدارالمعارف .
٣٠ـ الاغاني ـ طبعة دار الثقافة جـ ٦ ، جـ ٢٢ ، جـ ١٤ .
٣١ـ تاريخ آداب العربية ـ جرجي زيدان .
٣٢ـ تاريخ الادب العربي ـ العصر الاسلامي ـ د . شوقيضيف.
٣٣ـ الموشح ـ المرزباني .
٣٤ـ معجم الشعراء ـ المرزباني .
٣٥ـ الاعلام ـ الزركلي .
٣٦ـ المختلف والمؤتلف ـ للآمدي .
٣٧ـ شعراء الواحدة ـ نعمان ماهر الكنعاني .

في تاريخ تطور اللغة العربية الفصحى

بقلم

المستشرق السوفيتي . ف . م . بيلكين

ترجمه عن الروسية الدكتور

جليل كمال الدين

جامعة بغداد ـ كلية الآداب ـ قسم اللغات الاوربية

لقد كانت النهضة في اقطار الشرق العربي نهضة سياسية ، بالدرجة الاولى ، تهدف إلى التحرر من الظلم الاجتماعي والسياسي الاجنبي . وقد اكتسبت هذه العملية ، هنا ، مختلف الاشكال ، وكانت النهضة الادبية ، وبالتالي النهضة اللغوية ، احد عناصرها الملحوظة . وفي كافة الاقطار العربية كانت النهضة وما لحقها من تطور اللغة القومية ، وخصوصاً شكلها الأدبي ، على أوثق الصلة بانشاء السلطة الادارية المستقلة الخاصة ، التي بدايتها في التاريخ العربي الحديث مصر ولبنان .

وفي البداية ، كان التدهور الحاد ، والركود الذي تطاول عدة قرون في كل النشاط العلمي والأدبي تقريباً في داخل العالم العربي نتيجة للغزوات الاجنبية المدمرة واقامة السلطة السياسية الاجنبية ، كان كل هذا قد ادى الى تقليص دور ونطاق عمل اللغة العربية الفصحى . إن الدمار المادي الذي لحق بقسم كبير من التراث اللغوي العربي المكتوب ، كما ان ضيق النشاط الأدبي بنتيجة الغزو الأجنبي ، وانعدام الدوافع والحوافز المادية والاخلاقية في الابداع بسبب ضعف الطلب على الادب العلمي والفني ؛ ان كل هذا معاً قد ادى إلى هبوط شديد في كمية الأدب الأصيل في اللغة العربية . وفي مدى القرنين ـ الثلاثة قرون الاخيرة حتى ميلاد النهضة العربية (حوالي منتصف القرن التاسع عشر) كان شطر لايستهان به من الأدب المكتوب بالعربية يعود الى غير العرب(*) فقد كان ممثلو الاوساط العلمية الاسلامية فى القرون الوسطى ـ من مفسري القرآن والحديث ، والمشرعين وسواهم ـ ، من حيث طبيعة عملهم ، ملزمين باتقان اللغة العربية ، واتقان الكتابة بالعربية كذلك . وعلى اية حال ، ففي الفترة التي يدور الحديث عنها ، لم يستطع هؤلاء تطوير هذه اللغة ودفعها الى أمام . وقد اعتبر المع اديب ذلك الذي كان يملك ، في تاليفه رسالته في الموضوعة التي اختارها ، القدرة على استخراج العدد الاقصى من كمية المقتبسات من مؤلفات سابقيه ، او الذي كان يضيع الوقت هدرا باحثاً لمدى اسابيع عن الكلمة اللازمة في القواميس والمراجع الاخرى .

ان كامل النشاط الادبي للحقبة الاخيرة من القرون الوسطى قد قاد ، في الجوهر ، الى تصنيف المصنفات الواسعة الماخوذة من المؤلفات الاصلية في الفترة السابقة ، والى تقليصها ، والى اعادة الصياغة ذات الطابع الموسوعي ، او التعلقيات ذات المراحل المتعددة على هذه الاعمال : كان يكتب على النص الاصلي (المتن) ايضاح وتفسير يسمى (شرحا) ، وعليه تعليق (حاشية) ، وعلى الاخير تاكيد(تكرير) وقد توطد في كافة نطاقات الكتابة العربية اسلوب النثر المصطنع المسجوع ، واللعب بالكلمات المتجانسة ، والاستعمال اللاحد له للمترادفات ، وكذلك الكلمات النادرة والتي يصعب فهمها .

ان كل هذه البلاغة المتكلفة ، والمليئة بالتلميحات غير الواضحة ، والابهام ، انما كانت محاكاة مغالى

(*) يقصد كاتب الدراسة بهذا ، ان هذا الادب كان مكتوبا باقلام غير عربية (من كتاب الشعوب الاسلامية الذين استلهموا الثقافة العربية وتمثلوها ، فاصبحت ثقافتهم الاساسية) ـ المترجم

فيها لاسلوب الوزير البويهي ابن العميد (٩٢٠ – ٩٩٧) ، والقاضي الفاضل (١١٣٥ – ١٢٠٠) ، وكذلك لاسلوب الحريري ، صاحب المقامات المشهورة (١٠٥٤ – ١١٢٢) . ان مثل هذا الاسلوب في الكتابة هو كما يقول احمد فارس الشدياق (١٨٠٤ – ١٨٨٨) ، الكاتب العربي المعروف ، عقيم ؛ يصرف اهتمام القارىء بالشكل الخارجي عن المحتوى الداخلي(١) . وفي ذات الوقت كان النثر البلاغي المنمق يستعمل في بعض الوان الادب العلمي، وخصوصاً في الادب التاريخي ، بدرجة اقل نسبيا، كما كان افضل كتاب العصر يهدفون الى الحفاظ على طبيعية وبساطة ورسوخ اللغة . فقد كتب المؤرخ ابن الطقطقي (ولد عام ١٢٦٢) ، في مقدمته لكتاب « الفخري » ، يقول : « لقد وجدت لزاما علي ان اقدم افكاري في تعابير يسيرة على الفهم ، وذلك كي ينتفع بها كل انسان . لقد تجنبت التعابير الصعبة التي يسعى البعض ، عن طريقها ، الى اظهار وتاكيد فصاحتهم وحسن بيانهم وقد التقيت بكثير من منشئيها ، الميالين الى البلاغة ، فاذا بغاياتهم غير واضحة ، وافكارهم مختلطة والجدوى من اعمالهم ليست بذات غنى » [٢ – ٣٨٤] .

وقد انحدرت لغة الادارة والدواوين ، منذ اواسط القرن التاسع عشر ، وفي فترة متاخرة ، في اكثر الاحايين ، الى مستوى لهجات الحديث المحلية . وكانت احيانا لا تعدو ان تكون مزيجا غريبا من اللغة العامية الدارجة والعبارات البلاغية المتحذلقة .

وكانت الصلة بين الجماهير الشعبية الناطقة بالعربية واللغة الفصحى بالغة الضعف . وكانت هذه الصلة تعزز ، في الاساس ، عبر المدارس الدينية الاولية القليلة ، حيث كان اطفال المسلمين يتعلمون قراءة سور القرآن ، كما كان المسيحيون يتلقون تعليمهم مباشرة عن الانجيل . وكانت الامية ساحقة تقريبا : فحينما تسلم محمد علي مقاليد السلطة في مصر لم يستطع ان يعد اكثر من عدة مئات من القادرين على الكتابة بالعربية .

وقد انتشرت في الادب العربي المعاصر ، على نطاق واسع ، وجهة النظر الثيولوجية التقليدية ، التي تقول، بان اللغة العربية الفصحى انما استطاعت البقاء ، والبعث من جديد فبفضل القرآن ، فان ملايين الناس ، المتكلمين باللهجات العربية المختلفة، كانوا ، بقراءتهم القرآن وفهمه ، يساندون ، بهذا الشكل ، الصلة الدنيا بلغتهم الفصحى . اما الابداع الشعبي الشفاهي ، في مختلف الوانه ، فكان قد تركز في اللهجات المحلية . وعلى اية حال فانه لمن الواضح ان الفوارق بين لغة الحديث واللغة الفصحى ، مهما كانت ، لم تقم في التراث المكتوب بالعربية ، حدوداً لا يمكن تذليلها في طريق فهم العلاقة الجدلية المتبادلة بين هذين الشكلين المختلفين غاية الاختلاف للغة الواحدة ، و « اذا كان الناس الان لا يتحدثون باللغة العربية الفصحى ، فانهم يستطيعون ، على اية حال ، فهمها ، رغم كونهم لا يعرفون القراءة والكتابة » [٣ – ٤٨] .

وعلى اية حال ، فان الشكل الادبي الفصيح للغة العربية لم يكن ، رغم صعوبته على الفهم جراء الظروف الموضوعية لجماهير الشعب الواسعة ، غريبا عليها قط ، وكان يبدو في عينيها كارفع شكل لغوي . ولذلك ففي مسيرة البعث السياسي والثقافي العربي لم تطرح ، حتى في ظروف التبعية ، مسالة قبول أي شكل جديد من اللغة الفصحى : ففي اعماق ذهن كل امرىء كان هذا الشكل قد وجد ورسخ ، وانه كان من الضروري ، على اية حال ، اتقانه وجعله منسجما مع متطلبات العصر .

وفي اواسط القرن التاسع عشر كانت اللغة التركية لغة رسمية في الاقطار العربية الخاضعة للسيطرة التركية . وحتى في مصر ، التي كانت متحررة ، عند هذا الوقت ، من التبعية التركية ، كانت اللغة التركية هي المستعملة في دواوين الدولة، والهيئات الصحفية الرسمية ، أما في المدارس المصرية الحكومية فقد كانت هذه اللغة تدرس حتى عهد عباس الاول (١٨٤٨ – ١٨٥٤) وكان الحال كذلك في الاقطار العربية الاخرى ، الخاضعة للنفوذ التركي ، واستمر حتى الحرب العالمية الاولى .

وعند بداية القرن التاسع عشر كانت المراكز الاساسية التي تركزت فيها دراسة اللغة العربية هي المؤسسات الدينية ، وبوجه خاص الجامع الازهر في القاهرة ، أو البعثات المسيحية الدينية المختلفة (الجزويتية غالبا) في سوريا ، والتي كانت تتعمق في دراسة العالم العربي بما فيه خدمة مصالح عملها التبشيري . ان الذوق القديم والثقافة القديمة هي التي كان لها قصب السبق بل كان النثر المسجوع يغلب حتى في الوثائق والقرارات الرسمية .

وكان رفاعة الطهطاوي (١٨٠١ – ١٨٧٣) ، اكبر شخصية مصرية في بداية عصر النهضة العربية، وتلامذته يكثرون في ترجماتهم العديدة من الفرنسية

---

(١) راجع الاشارة الى ذلك في الهوامش ، في ختام الدراسة (المترجم)

الى العربية التي كانت الادبيات العلمية والتكنيكية تؤلف شطرها الاغلب من الاساليب البلاغية المتحذلقة والقافية ، والكلمات الغريبة النادرة الاستعمال . وكان سبب ذلك لا ينحصر في قوة التقاليد فحسب ، بل وفي المعرفة السيئة للتراث الثقافي العربي ايضا . وبالنسبة الى الناثرين كان النموذج هو الحريري (١٠٥٤ — ١١٢٢) ب « مقاماته » الشهيرة ، وبالنسبة الى الشعراء كان المتنبي (٩١٥ — ٩٦٥) والشعراء الثانويون كصفي الدين الحلي (١٢٧٧ — ١٣٣٩) وابن الوردي (١٢٨٩ — ١٣٤٨) وغيرهما .

وكان العامل الاقوى في بعث ونشر اللغة الفصحى بين اوساط جماهير القراء المتسعة باستمرار هو تطور الطباعة(٢) . فقد دمرت الطباعة ببطء ، ولكن باطراد ، احتكار الدائرة الضيقة للقراء باللغة العربية الفصحى . فان نشر التراث الثقافي العربي القديم ، الذي كان صاحب المبادرة فيه علي باشا مبارك (١٨٢٣ — ١٨٩٣) ورفاعه الطهطاوي ، وتشديد نشاط المستشرقين الاوربيين قد جعل ممكنا التعرف الواسع على ابداعات ابن المقفع (المتوفى عام ٧٢٧) والجاحظ (٧٧٥—٨٦٨) ، وابن خلدون (١٣٣٢ — ١٤٠٦) وكثيرين آخرين ، واثبت انه توجد اساليب اخرى ، لم يسلط عليها الضوء حتى ذلك الوقت ؛ متحررة من القافية ، والاستعارات البلاغية ، والاحجيات اللغوية . « ومثلما هب الاوربيون من سبات القرون الواسطى وجعلوا يبعثون الحضارة اليونانية ، متخذين هذه الحضارة اساسا للرينسانس ، فكذلك نحن في الشرق قادتنا السليقة والهامها الى مصادر عظمتنا . لقد توجهنا الى ماضينا ، واصبح هذا حجر الاساس في صرح بعثنا » [٧ — ١٧٨] .

لقد استحالت اللغة من «غاية» الى«وسيلة»، وصار الكاتبون باللغة العربية الفصحى يوجهون اهتمامهم الرئيس الى التقديم الواضح لمحتوى تاليفهم ، وتوصيله باقرب طريق الى وعي القراء . وقد تطلب التعميق المطرد للبعث ، وحركة الاصلاح الاجتماعي ، والدور المتعاظم ابدا لحركة التحرر الوطني ، وتقوية العلاقات الثقافية الخارجية ، والتعرف على اللغات الاجنبية (٣) ، تطلب كل هذا اشكالا جديدة للتعبير وادى الى الرفض السريع لاشكال المحاكاة التقليدية ، وصياغة اساليب جديدة . وتجديد القاموس اللغوي ، وظهور الوان ادبية جديدة . وقد اكدت هذه التغيرات في اللغة ان اللغة العربية الفصحى تستطيع ان تنقل المفاهيم المعاصرة . وانها العامل الاهم في البعث والنهوض العربي العام .

وقد كتب ابراهيم اليازجي (١٨٤٧—١٩٠٦) ، وهو الشخصية البارزة المعروفة في الفترة الاولى من عصر النهضة العربية ، كتب في مقالته « اللغة والعصر » ١٨٩٧ ، مؤكدا ان التخلف الموجود في اللغة انما هو نتيجة الظروف التاريخية الناشئة ، والثغرات الحاصلة في اطراد تطور التراث الثقافي ، وفقدان الصلة بالتطور الارتقائي المتزايد للمجتمع البشري . « لو كان حاملو هذه اللغة قد حافظوا على استمرار التقاليد الثقافية في الاجيال السالفة ، وجاروا تعزز العلوم باطراد ، اذن لكانت اللغة قد وجدت في انسجام وثيق مع العصر الحالي » [٤ — ٨٢] . وبعبارة اخرى ، فان اللغة العربية قد تأخرت في تطورها بالقدر الذي تاخر فيه المجتمع العربي في تطوره . ان اليازجي نفسه ، الذي لاحظ ، غير مرة ، عدم انسجام القاموس اللغوي العربي مع متطلبات العصر ، قد سعى في عمله اللغوي الى ان يثبت ان اللغة العربية الفصحى قادرة على نقل مفاهيم العلم المعاصر واذاعتها ، وقد ابرز في مفردات اللغة تلك التي تحمل معاني المصطلح او تقترب منه ، وعند عدم وجود المعادلات العربية كان يلتجىء الى الاستعارة من اللغات الاخرى ، وحاول أن يتجنب الاستعمال المفرط للكلمات الكثيرة المعاني ، هادفاً الى وضوح الكتابة ودقتها . وكان قريباً اليه من حيث الاهتمامات ، مع التميز بالسعة في الاغراض العملية يعقوب صروف (١٨٥٢ — ١٩٢٧) ، مؤسس مجلة « المقتطف » المصرية ، وهو الذي اشاع في اللغة العربية منجزات علوم ذلك الوقت (مستقاة من المصادر الانكليزية اساساً) . وقد انعكس النهوض اللغوي العام في النثر على نحو اوضح مما هو في الشعر ، وذلك لان النثر من حيث اتجاهيته . واغراضه وحجم الظواهر التي يصورها ، قد فاق . في كثير ، الشعر الذي بقي تقليديا بنسوا معاني هذه الكلمة ، والذي ظل ، حتى امد قصير ، منعزلا عن تيار الحياة .

(٢) مشهورة جدا خدمات الطباعة في بولاق (القاهرة) المؤسسة في عام ١٨٢١ ، وكذلك المطبعة الكاثوليكية في بيروت (منذ ١٨٤٨) .

(٣) ارسل في الفترة (١٨١٣ — ١٨٤٩) ٩ ١ مبعوثا من مصر الى فرنسا . وقد اضحى الكثيرون منهم مترجمين . وهكذا فان صالح مهدي (١٨٢٦ — ١٨٨٠) قد ترجم من الفرنسية عددا من الكتب في الطباعة ، وعلم الارصاد الجوية ، والميكانيك ، والفيزياء ، والبناء المدني .

ان الدور الكبير في تشكل اللغة العربية الفصحى المعاصرة قد لعبته الصحافة . فقد كانت الصحافة احد اقوى عوامل نهوض هذه اللغة وتطورها (٤) .

وكان احمد فارس الشدياق احد مؤسسي المقالة الصحفية المعاصرة ، وقد اصدر وحرر عددا من الصحف العربية ، كانت أشهرها جريدة « الجوائب » .

ان كمية الجرائد المصدرة ؛ المتعاظمة باطراد قد اولدت فن المقالة الصحفية المعاصرة ، المتحررة من المقدمات والخاتمات البلاغية المحضة ، وسائر خصائص التنميق والزخرفة البيانية . وباعتراف الجميع ، فان اديب اسحق (١٨٥٦ ـ ١٨٨٥) كان احد أقوى الكتاب الاجتماعيين واحذقهم . وقد اجتذبت مقالاته الانتباه ليس فقط بمحتواها ؛ وانما بذات اسلوب العرض ، الذي يذكر بافضل نماذج النثر في القرن الرابع الهجري . وفيما بعد ؛ كفت الصحافة عن انتهاج هذا الاسلوب : فقد كان بالغ التعقيد وبالغ الثقل بالنسبة للدوريات . وصارت اللغة تتبسط . « فاذا كان الصحفي اللامع ، قبلا ، هو ذلك الذي كان يحسن ان يملأ ؛ غائصاً في مختبر الكلمات ، الصفحات المخصصة له بالمقالة الطويلة ، المفعمة بزينة السجع ، رغم خلوها من اي محتوى ، فالان يعتبر صحفياً ذلك الذي يبسط موضوعته مثل المصور ، عارضاً بدقة الشيء الذي يراه ... » كتب داود بركات ، محرر جريدة الاهرام [٥ ـ ٩١] .

وقد غير كثيرون من شخصيات ذلك العصر البارزة ، في فترة عملهم الادبي ، أساليبهم في الكتابة ، غير مرة .

وهكذا ، فان محمد عبده (١٨٤٩ ـ ١٩٠٥) لم يكن قد وجد بعد ، في بداية طريقه (في السبعينات) ، الوسائل الخاصة للتعبير عن افكاره ، وليس الا في عام ١٨٨٠ ، وبعد ان اصبح محرر جريدة « الوقائع المصرية » ، تحول الى اسلوب جديد ؛ محاولا عن طريق هذه الجريدة اشاعة نماذج جديدة للمراسلات الرسمية . إن التزايد التدريجي لعدد المؤسسات الدراسية ، التي كان التدريس فيها يجري باللغة العربية ، قد رفع ؛ بدوره هو الآخر : سمعة اللغة العربية الفصحى ومكانتها .

---

(٤) ظهرت في عام ١٨٩٢ ، باللغة العربية ، (٥٤) جريدة ، (٢٦) منها في القاهرة والاسكندرية ، و (١٠) في بيروت . (راجع : مجلة الهلال العدد الرابع ، ١٩٦٢ ، ص١٠٨) .

وقد كتب بطرس البستاني (١٨١٩ـ١٨٨٣)، مؤسس المدرسة الوطنية في بيروت (١٨٦٣) ؛ في مجلة « الجنان » التي أصدرها ، إن احدى مهام هذه المدرسة هي « إحياء اللغة الوطنية » ، ذلك لانه « قد ثبت على نحو جازم ، ان احد شروط التقدم والتطور لأي شعب هو اللغة الوطنية ، المشبعة بحليب الأم » [٦ ـ ١٦] . وفي الكلية الجزويتية (المؤسسة عام ١٨٤٦) ، وفيما بعد في الكلية الامريكية (المؤسسة في بيروت عام ١٨٦٦) ، كان التدريس يجري في البداية باللغة العربية (٥) . وقد وصف جرجي زيدان (١٨٦١ـ١٩١٤) الزمن الذي كان يتم فيه التدريس ؛ في كثير من المؤسسات الدراسية ، باللغة العربية ؛ وصفه بانه الفترة الذهبية للبعث الثقافي . وسرعان ما نقل التدريس في هذين المعهدين الدراسيين ، وكذلك في المدارس المصرية ، الى اللغة الانكليزية او الفرنسية ، وذلك بحجة عدم وجود كتب دراسية باللغة العربية،وعدم قابلية اللغة العربيةلتقديم المفاهيم العلمية المعاصرة . وقد كتب زيدان ، بهذه المناسبة ، ان الغاية من التدريس باللغة الوطنية هي رفع المستوي العام للأمة ، وتوحيدها ، والبعث ؛ والتقدم باطراد . إن هذا لا يمكن بلوغه إلا عن طريق تطوير اللغة الوطنية، وتطوير الأدب العلمي والفني فيها ، وكذلك باجراء التدريس باللغة الوطنية في المؤسسات والمعاهد الدراسية العليا .

إن الاحتلال الأجنبي ، سواء منه الانكليزي أو الفرنسي او التركي ؛ قد حمل معه ، على نحو محتم لامناص منه ؛ السعي المتواصل ، وعلى أوسع نطاق ، الى طرد اللغة الوطنية للسكان المحليين ، واذابة كل ما هو محلي وقوى في اللغة الانكليزية ، أو الفرنسية ، أو التركية . وفي عام ١٨٨٩ ، أجبر الانكليز مصر على إصدار قانون حول ادخال اللغة الانكليزية بمثابة لغة اساسيةللتدريس في مدارس الدولة (٦) .

وقد اكسبت المدارس العليا (الكلية الطبية ، أو الكلية الزراعية ، أو معهد التعليم) طابعاً

---

(٥) يثمن مصطفى الشهابي ، رئيس مجمع اللغة العربية في دمشق نشاطات ك . فانديك ، ود . بوست ، واي . فارتبات ، الذين ، باتقانهم اللغة العربية ، كتبوا عددا من الكتب الدراسية في الطب والعلوم الطبيعية ، وانشاوا عدد كبيرا من الاصطلاحات العلمية . (مصطفى الشهابي ، المصطلح العلمي في اللغة العربية ص٤٢ ـ ٤٣) .

(٦) ليس الا في عام ١٩١٢ ، وبعد نضال طويل الامد ، ادخل التدريس باللغة العربة في المدارس المصرية .

انكليزيا صرفا ، ولم يستطع التعلم هناك الا الاشخاص ، الذين يتقنون اللغة الانكليزية ، فان المحاضرات كانت تقرأ بالانكليزية ، من دون ترجمة إلى اللغة العربية . وصار المطلب الاساس الذي يطالب به المصريون، الذين يريدون العمل في الوظائف الادارية ــ هو القدرة على التكلم بالانكليزية . وفي ذات الوقت ، كانت قد اتخذت خطوات فعالة وعملية لمقاومة اللغة الفرنسية والنفوذ الفرنسى وتقاليده التي تاصلت مع ايام محمد علي (كانت العلاقات الثقافية الخارجية، قد اقيمت ، في زمانه، بالدرجة الاولى ، مع فرنسا) . وفي عام ١٨٩٥ وضع حد لارسال البعثات الدراسية المصرية إلى فرنسا . ان تقليص عدد المصريين ، المبعوثين لاكمال التحصيل الدراسى العالي في الخارج ، قد ادى إلى الاضمحلال التدريجي لتدريس العلوم المختلفة باللغة العربية ، بسبب عدم وجود الكوادر المحلية المؤهلة . وكادت « دار العلوم » ان تكون المؤسسة الدراسية العربية الوحيدة في مصر ذلك العصر . غير ان هذه المؤسسة لم تدرس سوى الأدب القديم واللغة العربية. وغالباً ما كان ممثلو الادارةالانكليزية يعلنون ان اللغة العربية الفصحى غير صالحة لتدريس العلوم المعاصرة ، ما دامت خالية من المصطلحات العلمية والتكنيكية الضرورية ، بل كانوا يصرون على القول ان اللغة العربية الفصحى بالذات هي سبب تاخر الاقطار العربية في حقل العلم والأدب . وكثيراً ما كان يوصى بنشدان الحل اللازم لهذه المشكلة في استبدال اللغة الفصحى بلغةالحديث ــ اللهجة المحلية ، التي كانت توصف بانها حية ، متجددة دائما ، مفهومة بالنسبة الى الشعب كله .

وقد وصف الكاتب السوري اسكندر المعلوف امر إدخال اللغة الانكليزية في المدارس المصرية ، بدلا من العربية ، بانه « خطوة جريئة » [٧ ــ ٤٠] . وفي ذات الوقت ، كان قد اقترح رفع اللهجة المحلية الى مستوى اللغة الفصحى (في البداية في الجرائد والمجلات) من أجل جعلها في متناول افهام الجماهير الشعبية ، وكذلك الامر بخصوص ترجمة كافة الابداعات العلمية والأدبية اليها . وفي هذا الوقت لوحظت محاولات استخدام اللهجة في الادب. وعلى اية حال ، فان تجارب محمد عثمان جلال ، الذي ترجم لافونتين ومولير الى اللهجة المصرية ، قد انشات تقليداً وطيداً نسبيا في بعض الفنون الدرامية فقط . وبالنتيجة ، فان اللهجة كانت تستعمل ، على نحو اقل او اكثر نظامية، في الصحف الفكاهية، وفي حواشي الكاريكاتير ، وفي النشرات الخاصة المكرسة للابداع الشعبي ، وكذلك كوسيلة لغوية لاذاعة الحوار في الادب الفني . ان النشاط الادبي العملي. الواقعي قد دحض الحجة القائلة بان اللهجة المحلية اكثر ملاءمة ، كوسيلة لغوية ، للتعبير عن متطلبات الحياة المعاصرة ، باعتبارها اقرب الى الجماهير ، وافضل من حيث تكيفها لنشر العلوم المعاصرة . ان الوضع الاجتماعي ــ السياسي في الاقطار العربية ، حيث كان المحتلون هم الذين يعظون ، غالبا ، ويوصون باستخدام اللهجة المحلية، ان مثل هذا الوضع لم يستطع ، كذلك ، ان يساعد في ضمان وتوفير النجاح للدعاية للهجة المحلية .

وفي اقطار سوريا والعراق وبعض الاقطار الاخرى انتهجت بقوة سياسة نشر اللغة التركية وترسيخها . وكثيرا ما كانت تتردد الاصوات التي تقول بان زمن اللغة العربية الفصحى قد ولى ، وان هذه اللغة انما هي من مخلفات الماضي اللاجدوى فيها . وان اللغة العربية تشكل نقطة الضعف في كيان الامبراطورية العثمانية، وان هذه الامبراطورية لن تكتسب القوة والجبروت الا اذا استبدلت هذه اللغة بلغة القومية السائدة القائدة ، اي باللغة التركية . لقد انتهج مبدأ زعامة العنصر التركي على المكشوف . وقد كتب جلال نوري في كتابه « تاريخ المستقبل » :ان الاقطار العربية ، وبخاصة اليمن والعراق ، ينبغي تحويلها الى مستعمرات تركية لنشر اللغة التركية ، التي ينبغي ان تكون لغة الدين والعقيدة . ومن اجل الدفاع عن وجودنا ، فانه من الضروري جدا تحويل كافة الاقطار العربية الى ناطقة بالتركية ، اما دام جيل الشباب العرب قد اصبح الان يدين بالأتجاه القومي ، الامر الذي ينذرنا بشر مستطير ينبغي علينا ان نتجنبه منذ الآن [٨ ــ ١٢٨] . وفي تركيا الرسمية ، كانت اللغة العربية ، التي كان يتكلم بها حوالي ٦٠٪ من السكان في الامبراطورية العثمانية، قد اصبحت في المكان الثالث بعد الفرنسية . ولم تكن للغة العربية حقوق متساوية مع اللغة التركية، كذلك ، فى مجلس النواب (مجلس المبعوثان) .

وقد انتهج هذا الخط ، كذلك ، في جهاز التعليم . ففي مدارس الدولة ، بما فيها المدارس الأولية : كان التدريس يجري باللغة التركية ، وقد خصص لتدريس اللغة العربية وقت اقل مما اعطي الى اللغة الفرنسية او الفارسية . ولذلك ، فبعد اعلان الدستور في تركيا (١٩٠٨) ، أصبحت الأوساط العربية القومية تطالب ، على نحو فعال ، باجراء التدريس في المدارس باللغة العربية . وفي

ذات الوقت ، فان اكثرية المدارس التبشيرية المسيحية ، في اقطار فلسطين وسوريا ولبنان ، كانت تستثمر ، على نحو حاذق ، امتيازاتها الممنوحة لها ، بما فيها حق التدريس باللغة العربية ، من اجل توطيد نفوذها في هذه الاقطار (٧) .

وقد لاحظ ابراهيم اليازجي في عام ١٨٩٧ ، ان التدريس باللغات الاجنبية ، الذي لا يخلو من بعض الجوانب الايجابية ، يوطد ، في ذات الوقت ، سلطة المحتلين في الاقطار المغلوبة على امرها . وكشهادة على ذلك كان الوضع في الجزائر وتونس، حيث طردت اللغة العربية تماما من نطاق العمل الادبي ، لتحل محلها اللغة الفرنسية . وقد ساعد في هذا ظرف ان غزو هذه الاقطار واحتلالها قد جرى قبل ان يظهر فيها ادبها العربي وصحافتها العربية الخاصة .

إن مشكلة اللغة الوطنية في كافة الاقطار العربية قد حملت في ذات الوقت طابعا سياسيا ، معبراً عنه بوضوح . فقد كان النضال من اجل اللغة الوطنية نضالا للدفاع عن الوجود المستقل للمجتمع العربي ، ومن أجل الطريق المستقل ، الذاتي لتطورها ، ومن أجل حق التعبير الذاتي باللغة الوطنية . وكمسالة مشتقة من ذلك ، متعلقة به نهضت مسالة التطور اللاحق للغة العربية وتكاملها، وتكييفها لمتطلبات العصر .

وبصرف النظر عن الوضع السياسي المعقد ، والظروف غير الملائمة ، فان الادب الفني العربي صار يتطور على نحو فعال ، حيث كان في البداية قريبا جداً في اساليبه اللغوية من التقاليد المرعية ، وذلك مثل « حديث عيسى بن هشام » لمحمد المويلحي ومتحرراً مع مرور الوقت من هذه التقاليد مثل قصة « زينب » لمحمد هيكل . ان حركة التحرر الوطني ، والنضال من أجل الاصلاحات الاجتماعية والحياتية كانا قوتين أساسيتين ، ومصدرين لتطور النشاط الادبي الذي كان يغطي دائرة متسعة باطراد للظواهر وكذلك اللغة المتكاملة وقادا ، بالنتيجة ، الى الكف عن التقليد الأعمى . وان التقليد يظل تقليداً سواء كان طبيعيا او متصنعا، اما المقلد فمهما كان محنكاً وماهراً ، فانه يظل ، مع ذلك ، غريبا ، غير مقبول . ان فترة التقليد ، سواء منه الجيد أو الرديء ، لا تعدو أن تكون فترة التعلم والتفهم ، وليست فترة الابداع والخلق ، ــ كتب خليل السكاكيني [٩ ــ ٨٠] .

وهكذا عانت الفشل في البداية محاولات احد ممثلي التقاليد اللغوية ، الشيخ مصطفى الرافعي ، في التعبير عن الافكار والمعاني الجديدة في اطر لغوية عتيقة . ان أمثال هذه المساعي قد وجدت تعبيرها الرسمي في نشاط الجامع الازهر في القاهرة ومجمع اللغة العربية في القاهرة ودمشق ، ذلك النشاط الذي اشتهر بقراراته التي ابطات عملية تجديدكيان مفردات اللغة والتحرر من اغلال الاساليب العتيقة.

ان التطور اللاحق المطرد للغة العربيةالفصحى يصعب تصوره من دون نشاط ترجمي واسع غطى مصر ، وشارك فيه بنشاط ، إضافة الى المصريين ، المهاجرون اللبنانيون والسوريون، الذين كانوا على اطلاع ممتاز على الأدب الاجنبي المعاصر لهم . لقد نوعت الترميمات أساليب اللغة العربية الفصحى ، وكيفتها للتعبير عن المفاهيم المعاصرة ، ونشطت استعمال الاستعارات من اللغات الاخرى ، وطورت علم النحو والصرف ، وادت احيانا الى اقتباس اساليب اللغات الاخرى. ان الدور القيادي في الحركة الادبية يعود ، في هذا القرن ، لمصر التي قدمت عددا من شخصيات الادب العربي البارزة ، مثل احمد امين ، وطه حسين ، وابراهيم المازني ، والعقاد ، ومحمو تيمور ، وتوفيق الحكيم، واخرين كثيرين تركوا تاثيرهم على كتاب الاقطار العربية الاخرى . ان مثل هذا الوضع الذي تطلبه مجرى التطور التاريخي المحدد قد ادى حتى الى نشوء مفهوم عن لغة أدبية « مصرية » خاصة ، ظهرت على اساس من تبسيط اللغة الادبية القديمة الذي نام به العديد من الكتاب في تاليفهم ، وكذلك استطاعت بفضل الصحافة ان تذيع فيالعالم العربي كله لغة فصحى تفوق ما لأي قطر عربي آخر .

واننا لنجد عند الكاتب المصري عباس محمود العقاد وصفاً مجملا اتى به على جوهر مسيرة تطور النثر في المائة عام الاخيرة ، من وجهة نظره ، حيث سمعه يؤكد ان النثر المسجوع بقوافيه الثابتة ، المكررة عند كافة الكتاب ، والمستعملة في كافةالالوان قد تطور الى نوع من النثر المسجوع يخلق فيه الكاتب كمية تقل او تكثر من الترابطات والقوافي والتداعيات الاصيلة ، وتحول بالتالي الى اسلوب جزل مصقول لا يستعمل القوافي ولا الاشكال

---

(٧) كتب الاديب اللبناني ميخائيل نعيمه يمتدح المدارس الروسية التي كانت تعمل في لبنان وفلسطين عند نهاية القرن الماضي وبداية العام الجديد ، فذكر ان هذه المدارس قد اعارت اهتماما خاصا لتدريس اللغة العربية ، بخلاف المدارس الاجنبية الاخرى ، التي كانت توجه جل جهودها لتدريس لغاتها على حساب العربية . (ميخائيل نعيمه ، سبعون ، ١ ــ ٧٥) .

المصممة مسبقا ، الامر الذي ادى فيما بعد الى تكاثر الاساليب الذاتية وتفردها [١٠ – ١٥٩] .

والى جانب ذلك ، فان اللغة العربيةالفصحى قد جددت ، لحد كبير ، تركيب مفرداتها ، الذي يعكس خصائص العصر الحاضر . ان شطراً كبيراً من الالفاظ والمفردات غير الحية في الوقت الحاضر، قد مات واندثر . وقد أولى انتصار مفهوم « ان اللغة ليست غاية بذاتها ، وانما وسيلة » الاهتمام الجوهري الى المحتوى ، والوضوح والتحديد في اختيار الكلمات، والكف عن الاطالة والتكرار الكثير، وعلى الاستخدام المفرط للمترادفات والاستعارات وسواها . وسوية مع ذلك، ينبغي ملاحظة ان تطور اللغة العربية الفصحى لم يغير من تركيبها ووسائلها المورفولوجية والنحوية، وبهذا المعنى تبقى هي ذات اللغة العربية الفصحى التي عرفناها . وقد أجاب خليل السكاكيني ، في عام ١٩٤٦ ؛ على سؤال : هل اصبح الاسلوب افضل مما كان قبل ربع قرن : اجاب موضحا ان هذا الاسلوب ليس بالجديد . انما الجديد هو الثقافة الواقعية المعاصرة الواسعة . والى جانب ذلك يمكن القول ان ادباء الماضي القريب كانوا بالمقارنة مع كتاب اليوم الحاضر قليلي الثقافة والتعليم . واضاف يقول ان نصحيته الى الكتاب الناشئين – قبل ان تأخذ القلم بيدك ، عليك باكتساب المعرفة . [٩ – ٧٦]

وفي خلال القرن المنصرم ، كانت التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في حياةالمجتمع العربي ، قد جعلت اللغة العربية الفصحى الوسيلة الوحيدة لتطوير الثقافة القومية العربية . انالتيار المتعاظم باطراد للأدب الاصيل في مختلف الفنون الادبية ، والنشاط الفعال في الترجمة من اللغات الاجنبية سواء بالنسبة للأدب العلمي او الادب الفني ، واقرار اللغة العربية في كل مكان في العالم العربي كلغة للتعليم في المدارس الثانوية وكذلك في المدارس العالية (مع بعض الاستثناءات) – ان كل هذا معا قد حول اللغة العربية الى وسيلة فعالة لاستيعاب منجزات العلم والتكنيك والثقافة المعاصرة . وحتى في تلك الاقطار التي ابعدت فيها اللغة العربية جانبا لتحل محلها اللغة الفرنسية (كما كان الحال في الجزائر لامد طويل) ، فان الاجراءات الفعالة تتخذ، بغض النظر عن الصعوبات (عدم كفاية الكوادر التعليمية ، وغياب المناهج والكتب الدراسية الخ) ، نحو « تعريب » التعليم ، ونحو انشاء الثقافة القومية باللغة القومية .

مراجـــع

١ – أحمد فارس الشدياق ، ١ – ص ١٢ .

٢ – رئيف خوري ، التعريف في الادب العربي ، ١٩٥٥ ، ١ .

٣ – الثقافة الوطنية ، ١٩٥٩ ، عدد ٥ – ٦ .

٤ – مختارات المنفلوطي ، ١٩٥٤ .

٥ – الهـلال ، ٢٦ .

٦ – جميل صليبا – الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام ، ١٩٥٨ . ص ١٦ .

٧ – عمر دسوقي – في الادب الحديث ، ١٩٥٥ ، مج ٢ .

٨ – جبر ضومط – فلسفة اللغة العربية وتطورها ، ١٩٢٩ .

٩ – ناصر الدين الاسد ، الاتجاهات الادبية الحديثة في فلسطين والاردن ، ١٩٥٧ .

١٠– أنيس القدسي – الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث ، ١٩٥٢ .

أيام العرب في الجاهلية

قيمتها التاريخية ـ أثرها عند الجاهليين والاسلاميين
نماذج منها

بقلم
منذر الجبوري
مديرية التاليف ـ وزارة الاعلام
بغداد

توطئة :

عرفت المعارك التي كثيرا ما كانت تنشب بين بدو الجزيرة العربية في الجاهلية باسم الايام(١) وهي المعارك التي وقع اكثرها بين العدنانيين انفسهم من عرب الشمال بسبب شحة موارد الصحراء الاقتصادية وانعدام السلطة المركزية فيها ، ويحدثنا الرواة بان عرب الشمال ظلوا متنافرين طيلة جاهليتهم الا في احيان معدودة احسوا فيها بوطأة سيطرة القحطانيين عليهم فناهضوهم كما حدث في يوم خزاز(٢) عندما اجتمعت معه كلها على كليب وائل وخرجت منتصرة في حربها مع اليمن .

وفي الشعر الجاهلي امثلة كثيرة ترد فيها الايام مرادفة لمعنى الحروب ، يقول عمرو بن كلثوم في سياق فخره :(٣)

وايام لنا غر طوال   عصينا الملك فيها ان ندينا

فقد قصد بالايام هنا حروب قومه ، وفي ذات المعنى يقول النابغة الذبياني عند مدحه عمرو بن الحارث الغساني معرضا بهزيمة المناذرة في يوم حليمة .(٤)

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم   بهن فلول من قراع الكتائب
تورثن من ازمان يوم حليمة   الى اليوم قد جربن كل التجارب

وافتخر قيس بن الخطيم بانتصار قومه الاوس على الخزرج يوم بعاث فقال ضمن قصيدة طويلة ذاكرا اليوم بمعنى الحرب :(٥)

اجالدهم يوم الحديقة حاسرا   كان يدى بالسيف مخراق لاعب
ويوم بعاث اسلمتنا سيوفنا   الى نسب في جذم غسان ثاقب

وذكر اليوم بهذا المعنى مهلهل في رثاء اخيه كليب فقال :(٦)

فلو نبش المقابر عن كليب   فيخبر بالذنائب اي زير
بيوم الشعثمين لقر عينا   وكيف لقاء من تحت القبور

والى ذلك ذهب العوام الشيباني في هجاء بني بكر لتخاذلهم يوم الاياد فقال :(٧)

قبح الاله عصابة من وائل   يوم الافاقة اسلموا بسطاما(٨)

ومثله فعل عمرو بن الاحوص عندما قال مفتخرا في يوم طخفة لانتصار يربوع على المنذر بن ماء السماء(٩) :

قسطنا يوم طخفة غير شك   على قابوس اذ كره الصباح

ويرى صاحب لسان العرب ان العرب ربما عبروا عن الشدة باليوم فيقال يوم ايوم كما يقال ليلة ليلاء واستشهد بالبيت التالي لابي الاخزر الحماني(١٠) :

نعم اخو الهيجاء في اليوم اليمي   ليوم روع او فعال مكرم

وفي القرآن الكريم بضع آيات يرد فيها اليوم بمعنى الشدة والضيق منها قوله تعالى « ولقد ارسلنا موسى بآياتنا ان اخرج قومك من الظلمات الى النور ، وذكرهم بايام الله»(١١) ومعنى الآية : خوفهم بما نزل بعاد وثمود وغيرهم ، من العذاب كما يفسرها الفراء(١٢) .

ويحتمل ان الجاهليين قد سموا وقائعهم اياما لانها كانت غارات طارئة تقع الغارة منها في يوم واحد وتنتهي بانتهائه بالرغم

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية المجلد الثالث ص ١٨٠/ ترجمة عباس محمود وجماعته : لسان العرب المجلد الثاني عشر ص٦٥١ طبعة صادر/ بيروت .
(٢) الكامل في التاريخ لابن الاثير ج١ ص٥٢٠/وما بعدها .
(٣) انظر معلقته
(٤) ديوان النابغة/ص١١/دار صادر ١٩٦٠ بيروت
(٥) ديوان قيس بن الخطيم ص٣٤/تحقيق السامرائي ومطلوب / مطبعة العاني ـ بغداد ١٩٦٢ .

(٦) ايام العرب في الجاهلية لمحمد احمد جاد المولى وجماعته / ص١٥٧
(٧) المصدر السابق ص١٩٦
(٨) وهو بسطام بن قيس من اشهر فرسان بكر
(٩) المصدر السابق ص٩٧
(١٠) لسان العرب / المجلد الثاني عشر / ص ٦٥١ .
(١١) سورة ابراهيم/٥
(١٢) لسان العرب ـ المجلد الثاني عشر ـ ص٦٤٩/٦٥٠

من ان لهم وقائع معروفة كانت الحرب تمتد فيها حتى تبلغ العشرات من السنين تتخللها فترات من الترقب قد تطول بين معركة واخرى كما في حربي داحس والبسوس(١٢) .

ويعني اليوم عند اطلاقة على وقائع الجاهليين النهار دون الليل، اذ كانت هذه الوقائع تتوقف عند حلول الظلام اذا لم تحسم نهارا لتشتجر في الصباح التالي كما حدث في يوم فيف الريح اذ استمرت المعركة بين مذحج من اليمن وعامر من قيس ثلاثة ايام كانت الغلبة فيها لمذحج(١٤) ، ومثل ذلك حدث بين عبس وذبيان في موقعة ذات الجراجر(١٥) احدى ايام حرب داحس والغبراء حيث تحاجز القوم ليلا وعادوا للاقتتال غداة اليوم التالي ، وفي ايام العرب امثلة كثيرة لذلك ، وكان من عادة الجاهليين الاغارة مع الصباح ومن اشهر صرخاتهم الحربية التي يستثيرون بها الهمم « ياسوء صباحاه » يطلقها صريخهم عند احساسه بزحف الاعداء ليعلم قومه بالخطر . قال بسطام بن قيس يرد على اسيد بن حناءة في يوم الاياد ـ وهو ليربوع على بكر ـ(١٦) :

صباح سوء لكم النواعب

وكان اسيد قد ارتجز قبله :

لبث قليلا تلحق الحلائب

وكثيرا ما ترد كلمة الصباح والتصبيح في شعر الايام بمعنى الاغارة قال قرة بن زيد بن عاصم في يوم ثيتل وهو لتميم علي بكر(١٧) :

وصبحهم بالجيش قيس بن عاصم … فلم يجدوا الا الاسنة مصدرا

وقال العوام الشيباني في يوم الاياد(١٨) :

اناخوا يريدون الصباح فصبحوا … وكان على الغازين دعوة اشاما

وفي هذا المعنى قال اوس بن حجر يهجو تميما لانهزامهم في يوم زبالة(١٩) :

وصبحنا عار طويـــــل بناؤه … نسبب به مالاح في الافق كوكب

---

(١٢) ويرى الدكتور علي الجندي في كتابه « شعر العرب ج١ ص١٨ ـ ١٩ » ان ثمة اسبابا حدت بالجاهليين لتسمية وقائعهم اياما منها :
١ ـ ان يكون قولهم (ايام العرب) اصله « وقائع ايام العرب » ثم حذفت كلمة « وقائع » اختصارا .
٢ ـ ان الموقعة كانت اظهر حدث في اليوم فسمي اليوم كله بها .
٣ ـ ان كلمة (يوم) مستعملة لتدل على مجرد الوقت.
٤ ـ ان المقصود بكلمة « اليوم » في هذا الاستعمال « وقت الشدة والاختبار » كما يقال « اليوم يومك » .
٥ ـ ان الموقعة كانت تستعمل عند العرب كاشارة او رمز تاريخي في ذلك الزمن فكانت كل قبيلة تؤرخ حوادثها بمواقعها وحروبها .

(١٤) ايام العرب في الجاهلية ـ ص١٣٢

(١٥) المصدر السابق ص٢٦٦

(١٦) المصدر السابق ص١٩١

(١٧) الكامل في التاريخ لابن الاثير ج١ ص٦٥١

(١٨) ايام العرب في الجاهلية ـ ص١٩٤

(١٩) المصدر السابق ـ ص٢٠٧

وافتخر دريد بن الصمة عند اخذه بثار اخيه عبدالله الذي قتل يوم اللوى بقوله(٢٠) :

صحبنا فزارة سمر القنـــا … فمهلا فزارة لا تضجـروا

ومثلة يقول الاعشى مفاخرا بانتصار بكر على تميم في يوم الزويرين(٢١) :

نحن الذين هزمنا يوم صبحنا … جيش الزويرين في جمع الاحاليف
يا سلم ان تسالي عنا فلا كشف … عند اللقاء ولسنا بالمقاريف

وقد سمى الجاهليون معظم ايامهم باسماء المواضع التي حدثت عندها كالجبال والوديان والمياه والنبات . فقالوا يوم عاقل وهو واد بنجد ويوم الرقم وهي جبال دون مكة ويوم حوزة وهو واد بالحجاز ويوم رحرحان وهو اسم لجبل ويوم الكلاب وهو اسم لماء ويوم النتاءة وهي اسماء لنخيلات .. وهكذا .. وقد يسمون ايامهم باسماء اشخاص لهم دور كبير فيها فقالوا يوم حجر لان بني اسد كانت قد قتلت ملكها حجرا في ذلك اليوم وقالوا يوم سمير وهو يوم بين الاوس والخزرج قتل فيه سمير وهو من الاوس احد احلاف الخزرج فنشبت الحرب بين الحيين بسبب ذلك وعرفت باسم سمير لكونه مسببها ، ومثل ذلك يوم حليمة الذي انتصر فيه الحارث بن جبلة الغساني على ملك المناذرة ، وسمي بيوم حليمة لان الحارث طلب من ابنته تطييب جنده لحثهم على القتال . وقد يسمونها باسماء بعض الحيوانات التي كان لها شان في المعركة .. كما دعيت الحرب بين تميم وبكر باسم الزويرين(٢٢) وذلك لان تميما عقلت بعيرين بين جيشها وجيش بكر وآلت الا تولي الادبار مادام معقولين ، ودعيت الحرب الضروس التي دارت طويلا بين عبس وذبيان بحرب داحس والغبراء وهما فرسان لقيس بن زهير العبسي تسابقتا مع اخرين لحذيفة بن بدر الذبياني واختلف الاثنان على السبق فلقحت الحرب بين القبيلتين .

الى اي حد يصح الاعتماد على الايام من الناحية التاريخية ؟

ليس لاحد ان يعتمد على ايام العرب اعتماد المؤرخ المتقق سواء اكان ذلك بالنسبة لسير وقائعها او تحديد تواريخ معينة لهذه الوقائع ، ذلك لان روايات الايام قد وصلت الينا بسبل يسهل التشكيك بها فقد توارثها العرب اجيالا بطريقة المشافهة وهي طريقة تحتمل التحريف والوضع ، ثم ان هذه الايام قد وقعت بين القبائل العربية في جاهليتها ورواتها لابد وان يكونوا من هذه القبيلة او من تلك فكانت العاطفة القبلية او العصبية القبلية على وجه التخصيص عاملا مهما في ابرازها بصور تبتعد عن الاصل في أحيان كثيرة وذلك حسب رغبة رواتها ، فان كان الراوية يمت بصلة الى القبيلة المشاركة في اليوم فانه يعظم انتصارها ويهون من شان القبيلة المناوئة ، او ينتحل الاعذار للقبيلة التي ينحاز اليها ان كانت مغلوبة ، وقد وجد البعض في اغفال الطبري لايام العرب دليل عدم الثقة بها ، ومعروف ان الطبري لم يعرض الا لايام ذي قار وجذيمة الابرش والزباء وطسم وجديس(٢٣) . والملاحظ ان رواة الايام انفسهم كثيرا ما

---

(٢٠) المصدر السابق ـ ص٢٩٨

(٢١) العقد الفريد ج٦ ص٦٣

(٢٢) اسم لبعيرين كما سياتي في الكلام .

(٢٣) انظر تاريخ الجاهلية للدكتور عمر فروخ ص٨١ ، اما ـ

يختلفون في اسماء ابطالها والقادة فيها وفي نتائجها وعدد قتلاها، مثال ذلك الاختلاف في يوم خزاز ، فقد ورد في العقد الفريد(٢٤) .
« قال ابو عبيدة : تنازع عامر ومسمع ابنا عبدالملك ، وخالد ابن جبلة وابراهيم بن محمد بن نوح العطاردي ، وغسان بن عبدالحميد ، وعبد الله بن سالم الباهلي ، ونفر من وجوه أهل البصرة كانوا يتجالسون يوم الجمعة ويتفاخرون ويتنازعون في الرياسة يوم خزاز ، فقال خالد بن جبلة : كان الاحوص بن جعفر الرئيس ، وقال مسمع : كان الرئيس كليب بن وائل وقال ابن نوح : كان الرئيس زراره بن عدس . وهذا في مجلس ابي عمرو ابن العلاء ، فتحاكموا الى ابيعمرو فقال : ما شهدهاعامر ابن صعصعة ولا دارم بن مالك ولا جشم بن بكر ، اليوم اقدم من ذلك ولقد سالت عنه منذ ستين سنة فما وجدت احدا من القوم يعلم من رئيسهم ومن الملك .... ولولا قول عمرو بن كلثوم ما عرف ذلك اليوم حيث يقول :

ونحن غداة اوقد في خزازي ... رفدنا فوق رفد الرافدينا
فكنا الايمنين اذا التقينا .. ... وكان الايسرين بنو ابينا
فصالوا صولة فيما يليهم ... وصلنا صولة فيما يلينا
فآبوا بالنهاب وبالسبايا ... وابنا بالملوك مصفدينا

قال ابو عمرو بن العلاء : ولو كان جده كليب بن وائل قائدهم ورئيسهم ما ادعى الرفادة وترك الرياسة ، وما رايت احدا عرف هذا اليوم ولا ذكره في شعره قبله ولا بعده » . وفي العقد ايضا يرد كلام اخر لابي عبيدة في هذا المعنى عند حديثه عن يوم الكلاب الثاني(٢٥) « وقال ابو عبيدة : حدثني المنتجع بن نبهان قال : وقف رؤبة بن العجاج على التيم في مسجد الحرورية فقال : يا معشر تيم ، ان الكلاب ليس كما ذكرتم فاعفونا من قصيدتي صاحبنا ـ يعني عبد يغوث ووعلة الجرمي (٢٦) ومن قصيدة ابن المكبر صاحبكم وهاتوا غير ذلك فانتم اكثر الناس كلاما وهجاء . قال رؤبة فانشدناه في ذلك اليوم شعرا كثيرا ، فجعل يقول : هذه اسلامية كلها » .
وقريب من هذا قول ابن الاثير عند حديثه عن يوم حليمة(٢٧) « لقد اختلف النسابون واهل السير في مدة الايام وتقديم بعضها على بعض واختلفوا ايضا في المقتول فيها ، فمنهم من يقول : ان يوم حليمة هو الذي قتل فيه المنذر بن ماء السماء ويوم عين اباغ هو اليوم الذي قتل فيه المنذر بن المنذر ومنهم من يقول بضد ذلك ، ومنهم من يجعل من اليومين واحدا فيقول: لم يقتل الا المنذر بن ماء السماء واما ابنه المنذر فمات بالحيرة ، وقيل ان المقتول من ملوك الحيرة غيرهما » .

واذا كانت الامثلة المتقدمة ترجح الظن بعدم جدوى الاعتماد على الايام من الناحية التاريخية فان مما ينمي هذا الظن هو داب رواتها على تغليب الجانب القصصي على النسق التاريخي عند سر حوادثها، اضافة الى ان معظم هؤلاء الرواة يبوبونها حسب القبائل فهم يذكرون مثلا ايام ربيعة وايام قيس وايام تميم ثم يعرجون على الايام المشتركة بين هذه القبائل وغيرها دون مراعاة لزمن وقوع كل منها ، لذا فقد يتقدم يوم حقه التاخير والعكس صحيح ، من ذلك تقديم صاحب العقد حرب داحس والغبراء على حرب البسوس ، ومعلوم ان الثانية اقدم من الاولى فقد حدثت البسوس على اصح الروايات في اواخر القرن الخامس للميلاد بينما حدثت حرب داحس في النصف الثاني من القرن السادس ، وما فعل ابن عبد ربه ذلك الا لانه اعتمد التسلسل القبلي عند روايته احداث الايام ، وبما انه قدم ايام قيس على ايام ربيعة فكان طبيعيا ان يقدم داحسا وهي من حروب قيس على البسوس وهي من حروب ربيعة ، ومثله فعل معظم رواة الايام في مصنفاتهم ، بيد ان هذا الترتيب لم يكن في كل جوانبه عديم الجدوى فقد افادنا في تسلسل بعض الايام التي تعاقبت بين قبيلة واخرى طلبا للثار وفي هذا الضوء امكننا ان نقدم يوما ونؤخر اخر ونحن مطمئنون ، فمن اليسير تقديم يوم بطن عاقل ـ بين ذبيان وعامر ـ والذي قتل فيه الحارث ابن ظالم المرى خالد بن جعفر بن كلاب العامري على يوم رحرحان ـ بين عامر وتميم ـ وهو اليوم الذي انتقمت فيه عامر من تميم لاجارتها الحارث بن ظالم ، وتلا ذلك بعام يوم شعب جبلة ـ بين عامر وتميم ايضا ـ وفيه حاولت تميم دفع هزيمتها في رحرحان . ومثل ذلك يقال في ايام كثيرة اخرى منها يوما الرقم والنتاءة ـ وهما بين غطفان وعامر ـ وايام الفجار ـ بني قيس وكنانه ـ فبالامكان تقديم الرقم على النتاءة لكون الثاني ردا من عامر على هزيمتها في الاول ـ وقد تكررت هزيمة عامر في اليومين ـ اما ايام الفجار واشهرها خمسة في اربع سنين فيمكن ترتيبها زمنيا على هذا النحو : نخلة ، شمطة ، العبلاء ، عكاظ ، الحريرة ، وذلك لان المتحاربين في هذه الايام كانوا يتواعدون راس الحول من العام المقبل عند انتهاء المعركة . وثمة امثلة كثيرة لمثل ما اوردناه تحفل بها الايام ، ومع ذلك فان هذا الترتيب ظل قاصرا عن تحديد تواريخ معينة لها .

والان اليس بمقدورنا ان نسلسل الايام او بعضها تاريخيا ،

ـ ابن الاثير (ج١ ص٥٠٢) فيرى ان الطبري قد اغفلها لانها ليست ايام ملوك ، وقد يبدو هذا التخريج اكثر اتناعا اذ لو ان الطبري قد اهمل ايام العرب لعدم ثبوتها لديه تاريخيا لما سرد اياما اسطورية مثل ايام طسم وجديس .

(٢٤) ج٦ ص٩٧ ـ ٩٨

(٢٥) ج٦ ص٨٧

(٢٦) عبد يغوث هو رئيس مذحج في يوم الكلاب الثاني ، وعندما علم انه مقتول اثر اسره ذكر انه انشد وهو مشرف على الموت قصيدته المشكوك فيها ومطلعها :

الا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا
فما لكما في اللوم خير ولا ليا

اما وعلة الجرمي فهو حامل لواء مذحج في يوم الكلاب ، وذكر انه قال قصيدته ـ التي اشير اليها في النص المتقدم ـ اثر فراره من المعركة ، وهي قصيدة منحولة على الارجح وقد يكون ناحلها تميميا لانها في معظم ابياتها تكبر حفاظ واستبسال تميم في الحرب وآية ذلك ابياتها التالية :

ومن علي الله منا شكرته
غداة الكلاب اذ تجر الدابر
كانا وقد حالت جدية دوننا
نعام تلاه فارس متواتر
فمن يك يرجو من تميم هوادة
فليس لجرم في تميم اواصر =

ـ ولما سمعت الخيل تدعو مقاعسا
تنازعني من ثغرة النحر ناجر
فان استطع لا تلتبس بي مقاعس
ولا ترني بيداؤهم والمحاضر

(٢٧) الكامل في التاريخ ج١ ص٥٤٧

او ان نحصرها او نحصر هذا البعض منها ضمن حقب تاريخية معينة على اقل تقدير ؟ يرى الدكتور جواد علي ان هذا غير ميسور وان كل ما يقال عن تواريخ الايام وترتيبها والسنين التي وقعت فيها هو حدس وتخمين ويذهب الى ان الحال ستبقى كذلك حتى تتهيأ مادة جديدة كنصوص جاهلية مدونة او موارد اخرى قد تتعرض لتلك الايام وعند ذلك ـ حسبما يرى الدكتورعلي ـ يكون بالامكان تدوينها على نحو علمي يشرح لنا تطور الحوادث عند العرب قبل الاسلام . واني هنا لا اريد ان اجاري هذا الراي ـ لا تجرؤا عليه ـ انما هي محاولة ـ قد اكون مسبوقا فيها لاستجلاء شيء من تواريخ الايام اعتمادا على ربطها بشخصيات يطمان اليها كانت قد عاصرتها او اشتركت فيها او بربطها بحوادث تاريخية معلومة . وجريا على هذا النسق يمكن اعتبار يوم البيضاء(٢٨) الذي ذكر انه حدث في اواسط القرن الرابع الميلادي هو اقدم الايام التي تهيات عنها بعض المعلومات التاريخية وهو لبني عدوان ورئيسها عامر بن الظرب على مذحج وفيه كما تذكر الاخبار اجتمعت معد كلها على رئيس واحد وذلك للمرة الاولى عبر تاريخها واذا ما تجاوزنا القرن الرابع الذي حدث فيه هذا اليوم ـ وهو شديد الاضطراب ـ طالعتنا في القرن الخامس عدة ايام اقدمها على ما يبدو يوم منعج بين عبس وغني ـ كلاهما من قيس ـ وسببه قتل رياح الغنوي شاسا بن زهير بن جديمة العبسي اثر عودته من زيارة للنعمان بن امرىء القيس امير الحيرة انذاك فانتقم زهير لمقتل ابنه بان غزا بني غني واكثر فيهم القتل ، ويبدو ان هذا اليوم قد حدث في النصف الاول من القرن الخامس وهي الفترة التي حكم فيها النعمان بن امرىء القيس(٢٩) واعقب هذا اليوم يوم النفراوات وهو من ايام قيس ايضا ـ بين عامر وعبس ـ وفيه قتلت بنو عامر زهير بن حذيمة العبسي لتشدده في جمع الاتاوة وكان قائد عامر خالد بن جعفر الكلابي الذي قتل يوم بطن عاقل التالي لهذا اليوم كما تقدم . وفي اواخر القرن الخامس نشبت حرب البسوس المشهورة بين بكر وتغلب واشتملت الربع الاول من القرن السادس فقد ظلت تثار ـ كما تذكر الروايات ـ بين حين واخر مدة اربعين عاما ، وقبل نشوبها بزمن حدث يوم خزاز الذي اجتمع فيه العرب الشماليون على كليب وائل ـ والذي اثار مقتله حرب البسوس ـ فهزموا جموع مذحج من عرب الجنوب وتحرروا من سيطرة اليمن . ومن ايام النصف الاول من القرن السادس التي يمكن التكهن بازمان حدوثها يوم الكلاب الاول بين سلمة وشرحبيل ابني الحارث بن عمرو الكندي ، وكان الحارث قد حكم الحيرة اثر عزل الفرس المنذر بن ماء السماء لعدم اعتناقه المزدكية دين الفرس آنذاك وقد نصب الحارث ابناءه ـ ومنهم سلمة وشرحبيل ـ امراء على القبائل في البادية اثر توليه امارة الحيرة بيد ان الحارث عزل واعيد المنذر الى حكم الحيرة عقب تولي كسرى الاول حكم فارس ـ وكان كارها للمزدكية ـ فحارب المنذر الحارث الكندي وتمكن منه وقتله ، واثر مقتله تخاصم ابناءه المذكوران ومن خلال الحوادث المتقدمة يمكن القول بان الكلاب الاول يعود في تاريخه الى اواخر النصف الاول من القرن السادس اذ ان المنذر كان قد عاد الى حكم الحيرة عام (٥٣١ م)(٣٠) وخلال هذا التاريخ قتل الحارث وعقب مقتله حدث هذا اليوم . ومن ايام هذه الفترة ايضا بعض من ايام المناذرة والغساسنة واشهرها يوما عين اباغ وحليمة وكلاهما للحارث بن جبلة الغساني على المنذر بن ماء السماء امير الحيرة ، ويقال ان بين اليومين عشر سنوات ، وقد حدث اليوم الاول حوالي ٥٤٤م(٣١) وفي هذا الضوء يمكن وضع الايام التي حدثت بين المنذر بن ماء السماء وسواه في حدود هذه الفترة التاريخية كيوم اواره بينه وبين بني بكر ويوم طخفة بينه وبين بني يربوع(٣٢) . واذا ما انتقلنا الى النصف الثاني من القرن السادس فقد يكون من اليسير وضع تواريخ تقريبية للايام التي قامت اثناءه نظرا لقربها من الاسلام ـ فقد ادركه بعض الذين اشتركوا في هذه الايام او عاصروها ـ فيوم جبلة بين عامر وتميم سابق لظهور الاسلام باربعين سنة على رواية وبتسع وخمسين سنة على اخرى(٣٣) وقبله بعام وقع يوم رحرحان كما اتضح من قبل . اما حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان التي ذكر انها امتدت اربعين عاما فيرجح انها اشتملت على اكثر النصف الثاني من القرن السادس اضافة الى السنين الاولى من القرن السابع ، وكان من ابطالها الشاعر الجاهلي المعروف عنترة العبسي الذي مات مقتولا اثر انتهائها في معركة مع طيء بحدود عام ٦١٤ للميلاد(٣٤) . ومن هذه الايام ايام الاوس والخزرج واشهرها يوم بعاث ، وقد ذكر انه حدث قبل الهجرة بخمسين سنة(٣٥) وانه اخر ايامهم قبل الاسلام يقول ابن الاثير « وكان يوم بعاث اخر الحروب المشهورة بين الاوس والخزرج ثم جاء الاسلام واتفقت الكلمة واجتمعوا على نصرة الاسلام واهله وكفى الله المؤمنين القتال » (٣٦) ، وقبله بزمن وقع يوم سمير في اوائل النصف الثاني من القرن السادس وقد اعتبر اول ايام الاوس والخزرج(٣٧) وما بين هذين اليومين يمكن وضع ايام الاوس والخزرج الاخرى . ومن الايام التي تيسر وضوحها تاريخيا في هذه الحقبة هي ايام الفجار واشهرها ـ كما تقدم ـ خمسة في اربع سنين وقد اشترك النبي صلى الله عليه وسلم في واحد منها اذا كان يناول اعمامه النبل وهو ابن اربع عشرة سنة(٣٨) وعقب ظهور الاسلام بقليل حدثت ايام اعتبرت جاهلية ـ لتمثل الروح الجاهلية فيها ـ وهي ايام يمكن التكهن بزمن وقوعها لاتضاح تاريخ العرب بعد الاسلام منها يوم ذي قار بين العرب والفرس والكلاب الثاني بين تميم ومذحج والشيطين والشباك والوقبي بين بكر وتميم . وبالرغم مما تقدم فان الصعوبة في تعيين تواريخ ثابتة للايام تبقى قائمة نظرا لمراعاة رواتها الجانب القصصي دون الجانب التاريخي .

---

(٢٨) العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان ص٢٣٥ ـ ٢٣٦ ، وقد اختلف في مدى حقيقة هذا اليوم ـ انظر تاريخ الجاهلية للدكتور عمر فروخ ص٨٣ .

(٢٩) تأريخ العرب لفيليب حتي ج ١ ص ١٠٩ .

(٣٠) المرجع السابق ص١٠٤ .

(٣١) تأريخ الجاهلية للدكتور عمر فروخ ص١٠٤ .

(٣٢) وقد امتد حكم المنذر بن ماء السماء بين ٥٠٥ ـ ٥٤٤م (العرب قبل الاسلام لفيليب حتي ج١ ص١١٠) .

(٣٣) ورد في العقد الفريد ج٦ ص٩ بأن هذا اليوم كان قبل الاسلام باربعين سنة اما في الاغاني ج١١ ص١٤٩ فقد ورد بأنه كان قبل الاسلام بتسع وخمسين سنة .

(٣٤) تأريخ الادب العربي للدكتور عمر فروخ ج١ ص٢٠٨ .

(٣٥) الادب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي لهاشم عطية ص٦، .

(٣٦) الكامل في التاريخ لابن الاثير ج١ ص٦٨١ .

(٣٧) تأريخ الجاهلية للدكتور عمر فروخ ص١٢٣ .

(٣٨) العقد الفريد ج٦ ص١٠٣ ، وفي ايام العرب في الجاهلية ص٣٢٤ ان الرسول (ص) قد اشترك في اليوم الرابع منها وهو يوم عكاظ ، وقد انتهت هذه الايام بحدود عام ٥٨٦م .

الايام عدها العرب حقيقة واقعة فتاثروا بها في الجاهلية والاسلام

اتضح لنا فيما تقدم من البحث بان الحياة في جزيرة العرب وفي باديتها بصورة خاصة كانت حياة حرب وغارة وذلك بفعل عوامل كثيرة واهمها قساوة البيئة الطبيعية وما يتبعها من شحة في الموارد ، لذا فقد نزع سكان الجزيرة بفعل هذه العوامل الى الخصومة سعيا لتامين العيش الكفاف ، اذ كثيرا ما كانت المسالمة في صحراء العرب تعني هلاكا للقاعدين عن النضال للظفر بالماء والمرعى . ومن هنا كانت الايام جزءا من حياة الجاهليين فقد توارثوا اخبارها جيلا عن جيل واحاطوها بهالة من التمجيد والتعظيم وراوا فيها مصدر فخرهم الكبير ، ولاهميتها عندهم فقد ابرزوها في شعرهم بصور من الفخر والحماسة والرثاء وباغراض شعرية اخرى تتناسب والحالة التي يعرضون لها . وكان من مظاهر تاثرهم بها تعظيمهم بعض الايام البسيطة واظهارها بمظهر الحروب الكبيرة افتخارا بماتي قومهم ، من ذلك قول قيس بن الخطيم(٣٩) :

اجالدهم يوم الحديقة حاسرا كان يدى بالسيف مخراق لاعب

فقيس بن الخطيم لم يكن امينا في تصويره لهذا اليوم الذي لا يعدو كونه مشاحنة بسيطة قامت بين الاوس والخزرج سلاحها العصي والحجارة ، ومثل هذا يقال في كثير من ايام الاوس والخزرج الاخرى وايام الفجار — وخاصة الفجار الاول — الذي لم تسل فيه دماء غزيرة(٤٠). ومن مظاهر اعتزاز الجاهليين بالايام تعظيمهم الانتصار واعتذارهم عن الهزيمة ومجادلتهم الخصوم . فاثر انتصار بني يربوع — من تميم — على بني بكر — من ربيعة — في يوم مخطط قال مالك بن نويرة(٤١) ولم يكن قد شهد هذا اليوم انما هزه انتصار قومه :

ان لم اكن لاقيت يوم مخطط
فقد خبر الركبان ما اتودد
بابناء حي من قبائل مالك
وعمرو بن يربوع اقاموا فاخلدوا
فقال الرئيس الحوفزان(٤٢) تكتبوا
بني الحصن قد شارلتم ثم جردوا
فما فتئوا حتى راونا كاننا
مع الصبح آذى من البحر مزبد
بملمومة شهباء يبرق خالها
ترى الشمس فيها حين دارت توقد
فما برحوا حتى علتهم كتائب
اذا طعنت فرسانها لا تعود
فاقررت عيني يوم ظلوا كانهم
ببطن غبيط خشب اثل مسند
صريع عليه الطير يحجل فوقه
واخر مكبول اليدين مقيد

(٣٩) ديوان قيس بن الخطيم تحقيق ابراهيم السامرائي واحمد مطلوب ص ٣٤ ويرد هذا البيت في جمهرة اشعار العرب ص٢٥٠ بهذه الصورة :
لتبتكم يوم الخنادق حاسرا
كان يدى بالسيف مخراق لاعب
(٤٠) العقد الفريد ج٦ ص١٠١ — ١٠٢ .
(٤١) المصدر السابق ص٥٧ .
(٤٢) الحوفزان احد رؤساء بكر .

وكان لهم من اهلهم ونسائهم
مبيت ولم يدروا بما يحدث الغد
وقد كان لابن الحوفزان لو انتهى
شريك وبسطام عن الشر مقعد

وفي يوم فيف الريح الذي هزمت فيه مذجج بني عامر قال عامر بن الطفيل مبررا هزيمة قومه(٤٣) :

لعمري وما عمري علي بهين
لقد شان حر الوجه طعنه مسهر
فبئس الفتى ان كنت اعور عاقرا
جبانا وما اغنى لدى كل محضر
وقد علموا انى اكر عليهم
عشية فيف الريح كر المدور
فلو كان جمع مثلنا لم نبالهم
ولكن اتونا اسرة ذات مفخر
فجاءوا بشهران العشيرة كلها
واكلب طرا في لباس السنور

وقال ايضا في هذا المعنى :

اتونا بشهران العريضة كلها
واكلبها في مثل بكر بن وائل
فبتنا ومن ينزل به مثل ضيفنا
يبت عن قرى الضيافة غير غافل
اعاذل لو كان البداد لقوتلوا
ولكن اتانا كل جن وخابل
وخثعم حي يعدلون بمذجج
وهل نحن الا مثل احدى القبائل

وتجادل كل من قيس بن الخطيم وحسان بن ثابت في يوم سمير ، وهو يوم لم يدركاه وقد دفعهما لذكره اشتداد الخصومة بين الاوس والخزرج ، فقيس وحسان مثلهما مثل الشعراء الجاهليين كانا كثيرا ما يجهدان في التنقيب عن ايام قومهما السالفة والتمدح بها . قال قيس في هذا اليوم قصيدته المشهورة التي مطلعها(٤٤) :

رد الخليط الجمال فانصرفوا ماذا عليهم لو انهم وقفوا

وبعد افاضته في الغزل يذكر ماتي الاوس في الحرب :

ابلغ بني جحجبي وقومهم خطمة انا وراءهم انف
وانا دون ما يسومهم الاعـ ـداء من ضيم خطة نكف
نفلي بحد الصفيح هامهم وفلينا هامهم به عنف
انا وان قدموا التي علموا اكبادنا من ورائهم تجف
لما بدت غدوة جباههم حنت الينا الارحام والصحف
كفيلنا للمقدمين قفوا عن شاوكم والحراب تختلف
يتبع آثارها اذا اختلجت سخن عبيط عروقه تكف
ان بني عمنا طغوا وبغوا ولج منهم في قومهم سرف

فاجابه حسان(٤٥) — وهو من الخزرج — بقصيدة من ذات القافية ابتدأها بالغزل ايضا :

ما بال عينيك دمعها يكف من ذكر خود شطت بها قذف
دع ذا وعد القريض في نفر يرجون مدحي ومدحي الشرف

(٤٣) العقد الفريد ج٦ ص٨٨ — ٨٩ .
(٤٤) ديوان قيس بن الخطيم ص٣٨ وما بعدها .
(٤٥) انظر ديوان حسان .

ان تدع قومي للمجد تلفهم ..   اهل فعال يبدو اذا وصفـوا

ان سميرا عبد طغى سـفها   ساعده اعبد له نطف ....

وطرق الشاعر الجاهلي اضافة لما تقدم اغراضا شعرية اخرى اوحتها اليه حوادث الايام كالحماسة والهجاء والرثاء سنمر ببعضها خلال . البحث . وكان من تاثر الجاهليين بالايام بعثهم الحرب طلبا لثار بعيد او قريب ، وهو امر ادى الى اتساع ايامهم وتتابعها لاجيال متعاقبة ، كما هو معروف عن حربي داحس والبسوس وتلك السلسلة من الايام التي ثارت بين عامر ذبيان وتميم بسبب مشاحنة كانت قد جرت بين خالد بن جعفر بن كلاب العامري والحارث بن ظالم المرى الذبياني في حضرة النعمان بن المنذر امير الحيرة آنذاك ، فقد فخر خالد بن جعفر على الحارث بن ظالم بيوم كان له على ذبيان فاحنق ذلك الحارث فعمد الى قتل خالد ، فدعي هذا اليوم بيوم بطن عاقل واعقبه يوم رحرحان وهو لعامر على تميم لاجارة تميم الحارث بعد ان خذله قومه . وتلا ذلك يوم شعب جبلة الذي ارادت فيه تميم ادراك ثارها من بني عامر كما تقدم في موضع سابق .

والجاهليون لم يكونوا وحدهم المتاثرين بالايام انما قد تعدى تاثيرها الجاهلية وظل شاخصا بعد ظهور الاسلام وان خفت حدته بعض الشيء بفضل الدين الجديد . يروى صاحب العقد الفريد(٤٦) في بداية الفصل الذي خص به ايام العرب ووقائعهم انه قد قيل لبعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما كنتم تتحدثون في مجالسكم ؟ قال : كنا نتناشد الشعر ونتحدث باخبار جاهليتنا ، ولا شك ان المتحدث كان يعني باخبار الجاهلية ايامها . وقد بعثت ايام الجاهلية في العصر الاسلامي وفي صدر هذا العصر بصورة خاصة حركة ادبية نشيطة قوامها المناقضة التي كان من نتاجها فيض من الشعر اضيف الى التراث الادبي لهذه الامة وان مثل في بعض جوانبه هبوطا في الخلق وذلك لانحراف الشعراء المتناقضين احيانا عما هو مالوف في المجتمع من اعراف . ومع ذلك فان هذا الشعر اضاف في مجمله رافدا غزيرا الى الحركة الادبية ولاهميته فقد اولاه كبار المصنفين الاسلاميين عنايتهم ، فالف فيه ابو عبيدة معمر ابن المثنى كتابه المعروف ـ مناقضات جرير والفرزدق ـ الذي ضم فخرهذين الشاعرين بايام قومهما في الجاهلية والتهاجي بينهما في هذا المجال ، وقد اضحى هذا الكتاب فيما بعد مصدرا يعول عليه في دراسة الايام ، ومثله فعل ابو تمام في كتابه نقائض جرير والاخطل ، فقد اورد فيه خلاصة للايام التي فخر بها هذان الشاعران وان كان دون كتاب ابي عبيدة في السعة . ونجد مثل هذه العناية عند المحدثين من الادباء كالاستاذ احمد الشايب في كتابه تاريخ النقائض في الشعر العربي والدكتور محمود غناوي الزهيري في كتابه نقائض جرير والفرزدق واضرابهما . اذن فقد كان للايام تاثير بين على الاسلاميين وعلى شعرائهم بصورة خاصة وبامكاننا ان نتبين مثل هذا التاثير من خلال التراث الشعري الذي خلفه هوؤلاء الشعراء . قال جرير من قصيدة يهجو فيها الفرزدق ويفخر بانتصار قومه بني يربوع في يوم طخفة وهو اليوم الذي هزمت فيه بنو يربوع ـ من تميم ـ المنذر بن ماء السماء عندما اراد المنذر نقل الردافة منهم الى بني مجاشع وهم قوم الفرزدق :

السنا نحن قد علمت معـد   غداة الروع اجدر ان نغارا

واضرب بالسيوف اذا تلاقت   هوادي الخيل صادية حرارا

واطعن حين تختلف العوالـي   بمازول اذا ما النقع ثـارا

واحمد في القرى واعز نصـرا   وامنع جانبا واعز جـارا

غضبنا يوم طخفة قد علمتم   فصفدنا الملوك بها اعتسارا(٤٧)

وقال ايضا في هجاء الفرزدق ذاكرا فرسان بني يربوع ومشيرا الى يوم طخفة المتقدم والى يوم ذي نجب الذي هزمت فيه يربوع بني عامر والى يوم جزع ظلال الذي ادعت فيه بنو يربوع انها انقذت الاسرى والاموال من بني فزارة الذين غزوهم في هذا اليوم وخلص الى المقارنة بين تخاذل قوم الفرزدق في يوم الوقيط ـ وهو لبني بكر على بني تميم ـ وبين حفاظ قومه بني يربوع في يوم الغبيط وهو اليوم الذي غزاهم فيه بنو شيبان فاستطاعوا اللحاق بهم وانقاذ الاسرى والاموال منهم وردهم منهزمين :

نحن الولاة لكل حرب تتقـى   اذا انت محتضر لكيرك صـال

من مثل فارس ذي الخمار وقعنب   والحنتفين لليلة البلبـال

والردف اذ ملك الملوك ومن له   عظم الدسائع كل يوم فضال

الذائدون اذا النساء تبذلت   شهباء ذات قوانس ورعال

قوم هم غموا اباك وفيهـم   حسب يفوت بني قفيرة عال

اني لتسلب الملوك فوارسـي   وينازلون اذا يقال نـزال

من كل ابيض يستضاء بوجهه   نفار الحجيج الى خروج هلال

تمضي اسنتنا وتعلم مالـك   ان قد منعت حزونتي ورمالي

فاسال بذى نجب فوارس عامر   واسال عيينة يوم جزع ظلال

احسبت يومك بالوقيط كيومنا   يوم الغبيط بقلة الارحال(٤٨)

وفي هذا المعنى يقول الفرزدق من قصيدة يهجو فيها جريرا ويذكره بيوم جدود الذي اغارت فيه بنو بكر ـ وزعيمها الحارث بن شريك ويدعى الحوفزان ـ على بني تميم فتخاذل بنو يربوع قوم جرير وحافظ بنو سعد حتى ردوا الغازين :

لن تدركوا كرمي بلؤم ابيكم   واوابدي بتحل الاشعار

هلا غداة حبستم اعياركـم   بجدود والخيلان في اعصار

والحوفزان مسوم افراسه   والمحصنات حواسر الابكار

يدعون زيد مناة اذ وليتـم   لا يتقين على قفا بخمـار

صبرت بنو سعد لهم برماحهم   وكشفتم لهم عن الادبار(٤٩)

وقال من قصيدة اخرى مفتخرا على جرير بيوم الشقيقة الذي هزمت فيه بنو ضبة بني شيبان وقتلت سيدها وفارسها بسطام بن قيس ، وبيوم ضرية وهو من ايام ضبة ايضا وقد دعاه بيوم طخفة والنسار كما سياتي :

بنو السيد الاشائم للاعـادى   نموني للعلي وبنو ضـرار

وعائلة التي كانت تميـم   تقدمهـا لمحنية الدمـار

واصحاب الشقيقة يوم لاقوا   بني شيبان بالاسل الحـرار

وسام عاقد خرزات ملـك   يقود الخيل تنبذ بالمهـار

اناخ بهم مغاضبـة فلاقـى   شعوب الموت او حلق الاسـار

وفضل آل ضبة كـل يـوم   وقائع بالمجردة العـوادي

وتقتيل الملوك وان منهـم   فوارس يوم طخفة والنسار(٥٠)

قال ابو عبيدة « اراد بطخفة والنسار يوم ضرية فلم يمكنه في الشعر فجعله يوم طخفة والنسار لقربهما من ضرية » . ودونك بعض ابيات نقيضتين لجرير والفرزدق قوامهما الافتخار

---

(٤٦) ج٦ ص٣ .

(٤٧) نقائض جرير والفرزدق لابي عبيدة ج١ ص٢٥٢ .

(٤٨) المصدر السابق ص٢٩٨ ـ وما بعدها .

(٤٩) المصدر السابق ص٢٢٥ .

(٥٠) المصدر السابق ص٢٣٢ ـ وما بعدها .

بما لاسلافهما من وقائع في الجاهلية . قال الفرزدق(٥١) معددا بعض مآثر قومه وايامهم ومنها النقا وهو يوم الشقيقة المتقدم :

فاسال بناوبكم اذا لاقيتـــم	جشم الاراقم او بني همـــام
منا الذي جمع الملوك وبينهـم	حرب يشب سعيرها بضـــرام
وابي ابن صعصعة بن ليلى غالب	غلب الملوك ورهطه اعمامـــي
خالي الذي ترك النجيع برمحه	يوم النقا شرقا على بســطام
والخيل تنحط بالكماة ترى لها	رهجا بكل مجرب مقـــدام
والحوفزان تداركته غــــارة	منا باسفل اود ذي الارام ..
متجردين على الجياد عشية ..	عصبا مجللة بدار ظـــلام

فاجابه جرير(٥٢) مهونا من شأنه وذاما قومه ومزريا بهم لتخلفهم عن نصرة بني يربوع في يوم قشاوة الذي انتصر فيه بنو شيبان :

خلق الفرزدق سوءة في مالـك	ولخلق ضبة كان شر غـــلام
مهلا فرزدق ان قومك فيهم ..	خـور القلوب وخفـة الاحلام
الظاعنون على العمى بجميعهم	والنازلون بشر دار مقـــام
بئس الفوارس يوم نعف قشاوة	والخيل عادية على بســـطام

ولم يقتصر التغني بالايام على جرير والفرزدق ، فقد فخر بها في الاسلام شعراء اخرون كالكميت الذي افتخر بيوم منعج الذي قتل فيه رياح الغنوي شاس بن زهير بن جذيمة العبسي ، وقد ذكر ان سبب فخر الكميت بهذا اليوم هو انتسابه لامين من غني(٥٣) .

انا ابن غنـي والـداي كلاهمـــا
لامين منهـــم في الفروع وفي الاصل
هم استودعوا زهرا نسيب بن سالم
وهم عدلوا بـين الحصينين بالنبل
وهم قتلوا شاس الملوك ورغمــوا
اباه زهيرا بالمذلـــة والثكـــل

تلك هي اذن كانت نظرة العرب جاهليين واسلامين للايام ، فقد تاثروا بها وعدوها حقيقة واقعة وان كانت في الكثير من جوانبها تحتاج الى تمحيص تاريخي يثبت صحتها ويبعد المصطنع منها لان العرب انذاك لم يكونوا مالكين لتلك النظرة الفاحصة عند تقييمهم للايام وذلك بفعل التعصب القبلي الغالب عليهم وما جره هذا التعصب من تقديس للتراث البطولي لدى اسلافهم ، فقد كان جل همهم التفاخر بالمجد الغابر وتعظيمه على حساب الحقائق التاريخية . وازاء ذلك فليس لنا الا ان تكون نظرتنا للايام منسجمة مع نظرتهم اليها دون تحمل معاناة الخوض في اثبات وقائعها واسماء ابطالها تاريخيا ، واذا كان الدكتور طه حسين قد حمل نفسه هذه المشقة مشكورا وادعى انكار الايام عند قوله(٥٤) « وكل ما يروى عن ايام العـــرب وخصوماتها ومما يتصل بذلك من الشعر خليق ان يكـــون موضوعا » فاننا لا نريد مجادلته في هذا المجال فهو اقدر على اثبات ما ذهب اليه منا انما الذي اردنا توضيحه هو مدى تاثير هذه الايام على العرب جاهليين كانوا او اسلاميين دون الغور في التفاصيل التاريخية التي قد تجرنا الى مظان لم نقصدهـــا أصلا . فمن الخير لنا ان نولي مدى تاثير الايام على العرب في

(٥١) المصدر السابق ص ٢٦٦ ـ وما بعدها .
(٥٢) المصدر السابق ص٢٧٣ ـ ٢٧٤ .
(٥٣) نهاية الادب للنويري ج١٥ ص٣٤٥ ـ ٣٤٦ .
(٥٤) في الادب الجاهلي للدكتور طه حسين ص١٥٩ .

شتى نواحي حياتهم تاركين اثبات وقائعها تاريخيا للمعنيين في المجال التاريخي . فالايام سواء اكانت موضوعة ـ في بعضها ـ او حقيقية فانه يتعذر المجادلة في تاثيرها على العرب ، هذا التاثير الذي بدا واضحا في التراث الشعري الذي خلفوه ، وصفوة القول يجدر بنا ان نذكر انه كما اعتقد العرب بالانساب واقاموا شتى مظاهر حياتهم على أساسها معتقدين بصحتها بالرغم من استحالة اثباتها جنسيا فانهم نظروا ذات النظرة الى الايام غير معتقدين بالحقائق التاريخية وعلى هذا الاساس فلا حاجة لنا للغور في اعماق التاريخ لتبين مدى صحة الايام انما المهم هو تاثيرها على العرب . وقد بدا لنا ذلك في المتقدم من البحث .

اشهر الايام

ايام العرب كثيرة جدا وقد يكون من المتعذر الاحاطة بها لان سكان الجزيرة العربية والبدو منهم بصورة خاصة كانوا في حرب تكاد تكون دائمة وذلك لاسباب املتها عليهم بيئتهم الطبيعية وكان ابرزها العامل الاقتصادي يضاف اليه التعصب القبلي والثار للكرامة وحفظ الجوار والانتصار للحليف . وستردجملة من هذه الاسباب في مظانها عند ذكر اشهر الايام فيما يلي من البحث . وقد اشارت المصنفات التي اتت عن ذكر ايام العرب الى كثرة هذه الايام واستحالة تقصيها ، فقد ذكر ابن الاثير في مقدمة الباب الذي سرد فيه ما يناهز السبعين يوما « ونحن نذكر الايام المشهورة والوقائع المذكورة التي اشتملت على جمع كثير وقتال شديد ولم أعرج على ذكر غارات تشتمل النفر اليسير لانه يكثر ويخرج عن الحصر»(٥٥) اما الميداني فيقول بعد ان يعدد بايجاز مائة وثلاثين يوما « وهذا الفن لا يتقصاه الاحصاء فاقتصرت على ما ذكرت»(٥٦) ويبدو ان للاقدمين في ايام العرب عدة مؤلفات فقد معظمها ، فثمة اشارات الى ان صاحب الاغاني قد الف كتابا في الايام حوى الفا وسبعمائة يوم وان ابا عبيدة معمر بن المثنى(٥٧) له كتابان في الايام احدهما موسع اشتمل على الف ومائتي يوم واخر مختصر سرد فيه سبعة وخمسين يوما وذكر بأن لابي عبيدة سوى كتابيه المتقدمين عدة كتب اخرى قصرها في هذا المجال ومثله فعل هشام الكلبي(٥٨) . اما ما حفظ لنا من المصادر التي تاتي على الايام فاهمها نقائض جرير والفرزدق لابي عبيدة وهو يعرض لليوم عند وروده في احد ابيات المناقضة ، والكامل في التاريخ لابن الاثير والعقد الفريد لابن عبد ربه والاغاني ومعجم البلدان لياقوت ومعجم ما استعجم للبكرى ونهاية الارب للنويرى ومجمع الامثال للميداني وشرح الحماسة للتبريزي وخزانة الادب للبغدادي والعمدة لابن رشيق والكامل في اللغة والادب للمبرد والمختار من نوادر الاخبار لمحمد بن احمد الانباري ، وفي غير هذه المصادر اشارات الى الايام ترد منبثة في كتب الادب والتاريخ القديمة . وعن المصادر المتقدمة اخذ المحدثون من المؤلفين عند كتابتهم عن الايام امثال الالوسي في بلوغ الارب وجرجي زيدان في العرب قبل الاسلامي

(٥٥) الكامل لابن الاثير ج١ ص٥٠٢ .
(٥٦) مجمع الامثال للميداني ج٢ ص٤٤٤ .
(٥٧) ومما يلاحظ ان معظم اصحاب المصنفات القديمة في الايام قد اخذوا عن ابي عبيدة فهم يصدرون رواياتهم عند ذكر اليوم بـ « قال ابو عبيدة » وما في هذا المعنى .
(٥٨) انظر في هذا المجال : شعر الحرب للدكتور علي الجندي ج١ ص٢١ ـ وما بعدها وتاريخ النقائض للشايب ص٦١ وما بعدها .

وجواد علي في تاريخ العرب قبل الاسلام ومحمد احمد جاد المولى وجماعته في كتاب ايام العرب في الجاهلية .

ولما كانت الايام بهذه السعة والشمول فاننا سنعرض في هذا المجال الى المشهور منها والى تلك التي تركت اثرا في تاريخنا الادبي ، وبالامكان تبويبها الى اربع ابواب هي ايام العرب والفرس وايام القحطانيين فيمابينهم والايام التيجرتبين القحطانيين والعدنانيين وايام العدنانيين فيما بينهم ، واكثر هذه الايام اشتهارا وسعة وثراء في التاريخ الادبي هي الاخيرة التي وقعت بين عرب الشمال انفسهم كما سيتبين في سياق البحث :

١ ــ ايام العرب والفرس :

واشهرها يوما الصفقة وذي قار . اما الصفقة(٥٩) فخلاصته ان بني تميم كانوا قد استولوا على أحدى قوافل كسرى التجارية فاحتال عليهم كسرى بان حبسهم في حصن المشقر وقتلهم هنالك ، وقد سمي هذا اليوم بيوم الصفقة لان الفرس اصفقوا باب المشقر على بني تميم . اما يوم ذي قار فهو بين الفرس وقبائل بكر وكانت الغلبة فيه لبكر وقال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم عندما تنامى اليه خبره « اليوم او يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبي نصروا »(٦٠) ومع ان الباعث على هذا اليوم هو عدم تسليم هانيء بن مسعود ودائع النعمان الى كسرى الا انه يمثل في جانبه الاخر تمرد عرب البادية على الفرس ونفورهم من السيطرة الاجنبية . وقد فخر العرب طويلا في هذا اليوم وقالوا فيه الكثير من الشعر من ذلك قول اعشى بكر في قصيدة طويلة(٦١) :

لما راونا كشفنا جماجمنا
ليعلموا اننا بكر فينصرفوا
قالوا البقية والهندي يحصدهم
ولا بقية الا السيف فانكشفوا
لو ان كل معد كان شاركنا
في يوم ذي قار ما اخطاهم الشرف
لما امالوا الى النشاب ايديهم
ملنا ببيض لمثل الهام تختطف
اذا عطفنا عليهم عطفة صبرت
حتى تولت وكاد اليوم ينتصف
بطارق وبنو ملك مرازبة
من الاعاجم في اذانها الشنف

---

(٥٩) الكامل في التاريخ لابن الاثير ج١ ص٦٢٠ وما بعدها ويلاحظ ان يوم الكلاب الثاني بين مذحج وتميم يتصل بهذا اليوم كما سياتي .

(٦٠) ينظر عن ذي قار الكامل في التاريخ لابن الاثير ج١ ٤٨٢ ــ وما بعدها وغيره من مصادر التاريخ المعروفة . وقد لا يتفق ذكر يوم ذي قار في هذا البحث لكونه يمثل حربا جرت بين فرس وعرب (وهذا ما ينطبق بالنسبة ليوم الصفقة) ولانه حدث وقد ظهر الاسلام ، وحجتنا في ايراده ان معنفات الايام تدخل هذا اليوم ضمن ايام العرب اضافة الى أن من ايام العرب ما وقع بعد البعثة الا انه جاهلي في روحه كيومي الشيطين وسحبل ، ومثلهما كثير .

(٦١) العقد الفريد . ج٦ ص١١٦ ــ ويلاحظ ان صاحب العقد يدعو الشاعر : اعشى بكر ــ

من كل مرجانة في البحر احرزها
تيارها ووقاها طينها الصدف
كانما الال في حافات جمعهم
والبيض برق بدا في عارض يكف
ما في الخدود صدود عن سيوفهم
ولا عن الطعن في اللبات منحرف

٢ ــ ايام القحطانيين فيما بينهم

واشهر هذه الايام هي الكلاب الاول والبردان وعين اباغ وحليمة واليحاميم ، ومغاورات الاوس والخزرج ، واليك هذه الطائفة منها :

آ ــ يوم الكلاب الاول(٦٢)

وهو اليوم الذي نشبتفيهالحرب بينشرحبيلوسلمة ابني الحارث بن عمرو آكل المرار الكندي ، وكان مع شرحبيل ضبة والرباب وبنو يربوع وبكر ومع سلمة تغلب والنمر وبهراء وبعض بني مالك بن حنظلة،فالتقوا على ماء يدعى الكلاب موضعه مابين البصرة والكوفة كما يذكر ابو عبيدة في النقائض ، وكانت الغلبة لسلمة على اخيه شرحبيل الذي قتل في هذا اليوم ، فقال اخوه معد يكرب الذي كان معتزلا الحرب يرثيه ويذم تميما لعدم حفاظها في المعركة(٦٣) :

ان جنبي عن الفراش لناب كتجافي الاسر فوق الظراب
من حديث نما الي فما تر قاعيني وما اسيغ شرابي
مرة كالزعاف اكتمها النا س على حرملة(٦٤) كالشهاب
من شرحبيل اذ تعاوره الار ماح من بعد لذة وشباب
يا ابن امي ولو شهدتك اذ تد عو تميما وانت غير مجاب
لتشددت من ورائك حتى تبلغ الرحب او تبز ثيابي
احسنت وائل وعادتها الاحـ سان بالحنو يوم ضرب الرقاب
يوم فرت بنو تميم وولت خيلهم يتقين بالاذناب
ويحكم يا بني اسيد اني ويحكم ربكم ورب الرباب
اين معطيكم الجزيل وجابيـ كم على الفقر بالمئين التباب
فارس يطعن الكتيبة بالسيف على نحره كنضخ الملاب

ب يوم حليمة(٦٥)

وهذا اليوم من ايام المناذرة والغساسنة وقد يكون اشهرها، وفي امثال العرب « ما يوم حليمة بسر » وحليمة هذه هي بنت الحارث الاعرج بن جبلة الغساني وانما سمي اليوم باسمها لان اباها طلب منها ان تطيب الجند ابان المعركة لحملهم على القتال ، وقد انتصر الغسانيون في هذا اليوم وقتل ملك الحيرة المنذر بن المنذر بن ماء السماء . وفي هذا اليوم يقول علقمة بن عبدة مادحا الحارث وبني غسان ومستشفعا اطلاق اخيه شاس من الاسر(٦٦) :

---

(٦٢) النقائض لابي عبيدة ، ج١ ص٥٢٤ وما بعدها ، العقد الفريد ج٦ ص٨٧ ــ ٧٩ ، الكامل في التاريخ لابن الاثير ج١ ص٥٤٩ وما بعدها .

(٦٣) النقائض ، لابي عبيدة ، ج١ ص٤٥٦ ــ ٤٥٧ .

(٦٤) الملة : الجر

(٦٥) الكامل في التاريخ لابن الاثير ج١ ص٥٤٢ وما بعدها : ايام العرب في الجاهلية ص٥٤ وما بعدها .

(٦٦) نفس المصدر السابق

وقائـل من غسان اهـل حفاظهـا
ومنب وفاس جالـدت وشـبيب

[illegible] عليهم
[illegible] جنوب
[illegible] الا [illegible]
[illegible]

[illegible]

وهو من [illegible] ايام الاوس والخزرج [illegible]
[illegible] متيزمين [illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible]

انك لاق غدا غـواة بنـي ... عمي فانظر ما انت مزدهف(٧٤)
فابد سيماك يعرفوك كمـا ... يبدون سيماهم فتعتـرف(٧٥)

ثم استمرت الحرب بين الحيين ولما اتسع اوارها تداعى الاوسيون الى التحكيم [illegible] الخزرج بذلك ، فحكموا بينهما ثابت بن المنذر بن حرام [illegible] حسان بن ثابت [illegible] وقد [illegible] بين [illegible] في ذلك [illegible] الخزرج [illegible]

[illegible] ايام [illegible] فيما [illegible] للاطالة [illegible] القبائل [illegible] وقبائل الاوس والخزرج في يثرب ، [illegible] القبائل الجنوبية [illegible] ايام اخرى [illegible] وبين القبائل [illegible] شيئا من ذلك في [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الوفد وطلب من الباقين دعوة روساء معد اليه لياخذ المواثيق عليهم بالطاعة وهدد بقتل الرهائن اذ لم تفعل معد ذلك . واعلم العائدون قومهم بنية الملك فاجتمعت معد على كليب وائـــل واحتشدت لحرب مذحج وعند ما علمت مذحج بذلك تهيات هي الاخرى للحرب والتقى الجمعان بخزاز ـ وهو جبل ما بـين البصرة الى مكة ـ وكانت الغلبة في هذا اليوم لمعد وهزمت جموع اليمن شر هزيمة .

وفي ذلك يقول السفاح التغلبي(٧٨) :

وليلة بت او قد في خـــزاز　　　هديت كتائبــــا متحـيرات
ضللن مـن السـهاد وكن لولا　　　سهاد القـوم حسب هاديـات

وقد فخر عمرو بن كلثوم بهذا اليوم بقوله(٧٩) :

ونحن غداة او قــد في خزازي　　　رفـدنا فوق رفد الرافدينـا
فكنا الايمنين اذا التقينــــا　　　وكان الايسرين بنو ابينـــا
فصالوا صولـة فيما يلينهـم　　　وصلنا صولـة فيما يلينـــا
فآبوا بالنهـاب وبالسـبايا　　　وابنا بالملوك مصفدينـــــا

ب ـ يوم حجر(٨٠)

كان الحارث بن عمرو الكندي(٨١) قد ملك ابناءه عـلـى القبائل الشمالية ومنها بنو اسد التي ملك عليها ابنه حجرا .. وكان لحجر على بني اسد اتاوة سنوية ، وفي احدى السـنين امتنع الاسديون على ادائها واهانوا رسل حجر ـ وكان انذاك غائبا في تهامة ـ ولما علم بذلك سار اليهم واكثر فيهـم القتـل واجلالهم الى تهامة وبعد حين اسر بنو اسد حجرا اثر قتـال ، فقتله غيلة اسدي كان حجر قد قتل اباه . وعندها قام باخـذ ثاره ابنه امروء القيس ـ الشاعر المعروف ـ فالب القبائل على بني اسد واباحهم اكثر من مرة حتى اسرف فهجرته كثير مـن القبائل التي كانت تناصره لما رات من لحاجته في القتال ولـما ايقن بامتناع القبائل عن نصرته اخذ يطوف البلدان للنصرة الى ان انتهى به المطاف كما تروي الاخبار الى قيصر الروم ويزعـم الرواة ان شخصا من بني اسد يدعى الطماح كان قد قتل امروء القيس اخا له اغوى القيصر بقتله بادعاء وجود علاقة بينه وبين ابنته ـ ابنة القيصر ـ فكان ان اهدى اليه القيصر حلة مسمومة قصد قتله وعند ما لبسها احس بالسم يسري في عروقه وعلـم ان الطماح هو الذي فتك به بوشايته ، وذكر انه قال في هـذه الواقعة(٨٢) :

لقد طمح الطماح من نحوارضه　　　ليلبسني مما يلبس ابوســا
فلو انها نفس تموت ســوية　　　ولكنها نفس تساقط انفســا

---

(٧٨) وهو قائد مقدمة جيش كليب وكان كليب قد امره ان يوقد نارا على خزاز ليهتدى الجيش بها وقال لـه (ان غشيك العدو فاوقد نارين) والى ذلك يشـير في بيتيه المذكورين .

(٧٩) يقول في ذلك صاحب العقد ج٦ ص٩٧ « ولولا قـول عمرو بن كلثوم ما عرف ذلك اليوم . »

(٨٠) الكامل في التاريخ لابن الاثير ج١ ص٥١١ وما بعدها .

(٨١) وهو من مشاهير ملوك كندة وذكر ان قبائل نزار هـي التي طلبت توليه ابنائه عليها .

(٨٢) الكامل في التاريخ ج١ ص٥١٩ .

ج ـ يوم طخفة(٨٣)

وهو لبني يربوع من تميم على المنذر بن ماء السماء ومـن حديثه ان ردافة(٨٤) ملوك الحيرة كانت في بني يربوع ، وآلت في عهد المنذر بن ماء السماء لعتاب بن هرمي ولما مات اراد المنذر ان ينقلها الى بني مجاشع وهم قبيل من تميم ايضا فلما ابت بنو يربوع ذلك قارعهم الحرب في طخفة ـ وهو موضع ما بـين البصرة ومكة ـ وقد هزمت بنو يربوع في هذا اليوم جيش المنذر واسرت ابنه واخاه وفي ذلك يقول مالك بن نويرة مفاخرا :

ونحـن عقرنـا مهر قابوس بعد ما
رأى القوم منه الموت والخيل تلحب
عليه دلاص ذات نسـج وسيفـه
جراز مـن الهنـدي ابيض مقضب
طلبنا بـه انا مداريك نيلهـا ..
اذا طاب الشـاو البعيـد المغرب

د ـ يوم اوارة(٨٥)

وهو يومان اول وثان ، الاول للمنذر بن ماء السماء على بني بكر وقد ذبح المنذر من ظفر به من بني بكر في في هـذا اليوم على اوارة ـ وهو جبل لتميم ـ . اما الثاني فهو لعمرو ابن هند على تميم ، وتذكر الروايات ان عمرا قد احرق في هذا اليوم مائة من بني تميم ، وفي ذلك يقوم لقيط بن زرارة(٨٦) هاجيا بني مالك بن حنظلة ـ وهم الذين دارت عليهم الواقعة في هذا اليوم ـ .

فابلغ لديـك بني مالـــك　　　مغلغلة وسـراة الربـــاب
فان امرا انتـم حولـــه　　　تحفون قبتــه بالقبـــاب
يهين سراتكـم عامـــدا　　　ويقتلكـم مثل قتـل الكلاب
فلو كنتم ابـلا املحت(٨٧)　　　لقـد نزعت للميـاه العذاب
ولو كنتـم غنمــا تصطفي　　　ويترك سائرهـــا للذئــاب
لعمر ابيـك ابي الخير مـا　　　اذرت بقتلهـم مـن صواب
ولا نعمة ان خـير الملـو　　　ك افضلهم نعمة في الرقـاب

هـ ـ يوم الكلاب الثاني(٨٨)

وهو لتميم على مذحج ، وكانت مذحج قد طمعت بتميـم بعد ان اوقع بها كسرى في يوم الصفقة فرات اجتياحها املا بالغنيمة بيد ان تميما حافظت في قتالها وارتدت مذحج مهزومة وكان ممن اسر منها في هذا اليوم زعيمها عبد يغوث الذي قـال في اسره وهو يقدم للموت قصيدته المشهورة التي مطلعها :

الا لا تلوماني كفى اللوم مابيا　　　فمالكما في اللوم نفـع ولاليا

---

(٨٣) المصدر السابق ص٦٤٩ ـ ٦٥٠ ، ايام العرب فـي الجاهلية ص٩٤ ، وما بعدها ، العقـد الفريد ج٦ ص٨٧ ـ ٨٨ ، النقائض ج٢ ص٩٢٤ ـ ٩٢٥ .

(٨٤) الردافة وهي مصاحبة الملك ومن حقوق الرديف ربـع غنيمة الملك من غزواته .

(٨٥) الكامل في التاريخ لابن الاثير ج١ ص٥٤٩ ـ وما بعدها ، ايام العرب في الجاهلية ص٩٩ وما بعدها ، النقائـض ج٢ ص١٠٨١ وما بعدها .

(٨٦) الاغاني ج٢٢ ص١٩٣ ـ ١٩٤ .

(٨٧) أي وردت ماء ملحا .

(٨٨) الكامل لابن الاثير ج١ ص٦٢٠ وما بعدها ؛ العقد الفريد ج٦ ص٩٧ وما بعدها .

٤ ـ ايام العدنانيين فيما بينهم

وهي كما تقدم اكثر الايام شمولا واغناء للادب الجاهلي وقد وقعت في معظمها بين القبائل البدوية فمنها ما وقع بين القبائل القيسية نفسها او بين هذه القبائل وقبائل كنانة من جهة وتميم من جهة اخرى ، ومنها ما وقع بين قبائل ربيعة نفسها او بينها وبين قبائل تميم وهكذا(٨٩) .. وسنمر فيما يلي من البحث على جملة من هذه الايام .

أ ـ ايام قيس

وهي كثيرة اشهرها حرب داحس والغبراء ، ومنها يوم منعج وبطن عاقل والرقم والنتاءة وهراميت وحوزة الاول والثاني واللوى ، وسنتبين باقتضاب بعضها .

داحس والغبراء :(٩٠)

وهي حرب طويلة دارت بين عبس وذبيان واشتملت على عدة ايام هي : المريقب وذي حسى واليعمرية والهباءة والفروق وقطن . وتذكر الروايات ان الذي اثارها هو رهان جرى بين قيس بن زهير العبسي وحذيفة بن بدر من ذبيان(٩١) على سباق لخيلهما(٩٢) . وكان حذيفة قد ادعى السبق في حين ابى قيس ذلك لان حذيفة كان قد اكمن في طريق الخيل بعض الفتيان ليردوا داحسا وهو فرس قيس عن غايته ان جاء سابقا وفي ذلك يقول قيس :

هم فخروا علي بغير فخر ... وردوا دون غايته جوادي

والح حذيفة في دعواه وذلك بان طلب حقه في الرهان(٩٣) وارسل ابنه مالكا الى زهير في طلبه فما كان من زهير الا ان قتله فلقحت الحرب بين عبس وذبيان وظلوا يتراوحون القتال كما يذكر الاخباريون اربعين سنة . وكان اول لقاء لهم في يوم المريقب وهو لعبس على ذبيان ثم التقوا مرة اخرى في يوم ذي حسى وكانت الغلبة فيه للذبيان ، وثارت عبس لنفسها في يوم اليعمرية . وكان اشهر ايام داحس والغبراء هو يوم الهباءة الذي اسرفت فيه عبس في قتل ذبيان وفي ذلك يقول عمرو بن الاسلع(٩٤) :

ان السماء وان الارض شاهدة ... والله يشهد والانسان والبلد

---

(٨٩) وقد عمد صاحب العقد الفريد الى تبويب الايام على اساس وقوعها بين القبائل المختلفة .. ج٦ ص٣ وما بعدها . وكذلك فعل النويري في نهاية الارب ج١٥ ص٢٢٨ وما بعدها وقلدهما جرجي زيدان في كتابه العرب قبل الاسلام .

(٩٠) العقد الفريد ج٦ ص١٧ وما بعدها ، نهاية الارب للنويري ج١٥ ص٣٥٦ وما بعدها الكامل في التاريخ ج١ ص٥٦٦ وما بعدها ، ايام العرب في الجاهلية ص ٢٤٦ وما بعدها النقائض لابي عبيدة ج١ ص٨٣ وما بعدها .

(٩١) وفي رواية ان الرهان كان بين قيس بن زهير وحمل بن بدر ، العقد الفريد ج٦ ص١٧ .

(٩٢) ذكر ان السباق كان بين داحس فرس قيس والغبراء فرس حذيفة وقيل بل كان بين فرسي زهير داحس والغبراء وفرسي حذيفة الخطار والحنفاء ، الكامل في التاريخ ج١ ص٥٧٠ ، العقد الفريد ج٦ ص١٧ .

(٩٣) وكان مائة بعير .

(٩٤) العقد الفريد ج٦ ص٢٢ ـ ٢٤ .

اني جزيت بني بدر ببغيهم ... على الهباءة قتلا ما له قود
لما التقينا على ارجاء جمتها ... والمشرفية في ايماننا تقد ..
علوته بحسام ثم قلت له .. ... خذها اليك فانت السيد الصمد

وقتل في هذا اليوم حذيفة(٩٥) واخوه حمل ومثل بهما وقد رثى زهير حملا بابيات موثرة(٩٦) :

تعلم ان خير الناس ميت ... على جفر الهباءة ما يريم
ولولا ظلمة ما زلت ابكي ... عليه الدهر ما طلع النجوم
ولكن الفتى حمل به بدر ... بغى والبغي مرتعه وخيم
اظن الحلم دل على قومي ... وقد يستضعف الرجل الحليم
ومارست الرجال ومارسوني ... فموج علي ومستقيم ..

وعقب هذا اليوم كانت لهم ايام الفروق وقطن وغدير قلبى(٩٧) ولكنها لم تبلغ في شدتها يوم الهباءة . وعند ما كثرت استباحة الدماء بينهم تداعوا للصلح وقيل ان هرم بن سنان والحارث بن عوف قد تحملا ديات القتلى من الطرفين(٩٨) وفي ذلك يقول زهير بن ابي سلمى مادحا الرجلين(٩٩) :

فاقسمت بالبيت الذي طاف حوله
رجال بنوه من قريش وجرهم
يمينا لنعم السيدان وجدتما ..
على كل حال من سحيل ومبرم
تداركتما عبسا وذبيان بعدما ..
تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم
وقد قلتما ان ندرك السلم واسعا
بمال ومعروف من القول نسلم
فاصبحتما منها على خير موطن
بعيدين فيها من عقوق ومأثم
عظيمين في عليا معد هديتما
ومن يستبح كنزا من المجد يعظم

يوم بطن عاقل :(١٠٠)

وهو اليوم الذي قتل فيه الحارث بن ظالم المرى الذبياني خالد بن جعفر بن كلاب العامري غيلة ببطن عاقل ـ وهو موضع بين البصرة ومكة ـ وقد كان الرجلان انذاك في حضرة النعمان بن المنذر امير الحيرة فحدثت ملاحاة بينهما امام النعمان اغضبت الحارث فحملته على فعلته(١٠١) . وقد ظل الحارث اثر قتله

---

(٩٥) واليه يشير ابن الاسلع بقوله « علوته بحسام ... البيت ... »

(٩٦) العقد الفريد ج٦ ص٢٣ .

(٩٧) هكذا يرد في نهاية الارب للنويري ج١٥ ص٣٦٣ وفي العقد الفريد ج٦ ص٢٥ يرد « غدير قلياد » .

(٩٨) وفي العقدان الذي اصلح بينهما عوف ومعقل ابنا سبيع من بني ثعلبة واباهما يعني زهير بقوله :
تداركتما عباد وذبيان .... الابيات .

(٩٩) انظر معلقة زهير .

(١٠٠) العقد الفريد ج٦ ص٧ ـ ٨ ، ايام العرب في الجاهلية ص٢٤٢ وما بعدها . نهاية الارب للنويري ج١٥ ص٢٤٨ ـ ٢٤٩ .

(١٠١) تذكر الروايات ان ثمة ثارا سابقا بين خالد والحارث ذلك ان خالدا كان قد اغار على قوم الحارث ـ والحارث صغير ـ فاكثر فيهم القتل والسبي ويبدو ان خالدا قد ذكر الحارث بهذه الوقعة في حضرة النعمان .

خالدا يتنقل بين القبائل لان قومه اعظموا فعلته وابوا اجارته ، وبسببه كانت وقعة رحرحان بين عامر وتميم ، ذلك ان تميما اجارت الحارث فاغضبت عامرا . وسياتي ذلك عند الكلام عن يوم رحرحان .

يوم حوزة(١٠٢)

وهو يومان كلاهما بين بني سليم وذبيان ، وحوزة اسم لواد في الحجاز . ففي اليوم الاول غزا معاوية بن عمرو بن الشريد السلمي بني مرة وفزارة ـ من ذبيان ـ يريد هاشم بن حرملة المرى وذلك بسبب مشاحنة حدثت بينهما في عكاظ ، وقد قتل في هذا اليوم معاوية واصيب هاشم بجراح .

وفي اليوم الثاني خرج صخر ـ اخو معاوية ـ يريد بني مرة طلبا لثار اخيه بيد انه لم يتمكن من هاشم انما قتل اخاه ، اما هاشم قاتل معاوية فقد قتله شخص من جشم اسمه عمرو ابن قيس انتقاما لمعاوية وفي ذلك تقول الخنساء :

فدا للفارس الجشمي نفسي   وافديه بمن لي من حميم
افديه بكل بني سليم ..   بظاعنهم وبالانس المقيم
كما في هاشم اقررت عيني ..   وكانت لا تنام ولا تنيم

يوم اللوى(١٠٣)

وهو بين غطفان واللوى اسم لواد .

ومن حديثه ان عبدالله بن الصمة غزا بني غطفان فاصاب منهم اموالا كثيرة فقال له اخوه دريد : النجاء ولا اظن غطفان عنا غافلة فابى عبدالله الا ان ينتقع(١٠٤) . فلحقت بهم قبائل غطفان وهم باللوى فاقتتلوا قتالا شديدا صرع فيه عبدالله وهزم الباقون . ولدريد قصيدة من عيون الشعر الجاهلي يرثي بها اخاه عبدالله ويعرض به لابائه النصيحة منها :

امرتهم امري بمنعرج اللوى
فلو يستبينوا الرشد الاضحى الغد
فلما عصوني كنت منهم وقد ارى
غوايتهم وانني غير مهتد ..
وهل انا الا من غزية(١٠٥) ان غوت
غويت وان ترشد غزية ارشد

ب ـ ايام قيس وكنانة(١٠٦)

واشهرها ايام الكديد وبرزة وحروب الفجار .

يوم الكديد

وهو لبني سليم من قيس على كنانة والكديد اسم لموضع . وفي هذا اليوم قتلت بنو سليم ربيعة بن المكدم احمى فرسان كنانة .

---

(١٠٢) العقد الفريد ج٦ ص٢٨ وما بعدها ، نهاية الارب للنويري ج١٥ ص٢٦٥ وما بعدها .
(١٠٣) العقد الفريد ج٦ ص٢٢ وما بعدها ، نهاية الارب للنويري ج١٥ ص٢٦٨ وما بعدها .
(١٠٤) النقيعة ناقة ينحرها زعيم القوم من الغنيمة لينحرها لاصحابه .
(١٠٥) غزية قبيلة دريد .
(١٠٦) العقد الفريد ج٦ ص٢٨ ؛ نهاية الارب للنويري ج١٥ ص٣٧٣ ـ ٣٧٤ .

يوم برزة(١٠٧)

وهو لبني فراس من كنانة على بني سليم من قيس ، وبرزه اسم لموضع.وكان بنو سليم قد اغاورا على بني فراس بعد حين من قتلهم ربيعة بن المكدم ، بيد ان بني فراس هزموهم وقتل عبدالله بن جذل مالكا وكرزا ابني خالد بن صخر بن الشريد السلمي وقال في ذلك مفاخرا .

قتلنا مالكا فبكوا عليه   وهل يغني من الجزع البكاء
وكرزا قد تركناه صريعا   تسيل على ترائبه الدماء
فان تجزع لذاك بنو سليم   فقد وابيهم غلب العزاء
فصبرا يا سليم كما صبرنا   وما فيكم لواحدنا كفاء
فلا تبعد ربيعة من نديم   اخو الهلاك ان ذم الشتاء
وكم من غارة ورعيل خيل   تداركها وقد حمس اللقاء

ايام الفجار(١٠٨)

وهي حروب قيس وكنانة التي استمرت عدة سنين وقد دعيت بايام الفجار لانها وقعت في الاشهر الحرم التي كان العرب يمتنعون فيها عن القتال . وقد قسمها الاخباريون الى فجارين،اول وقعت فيه ثلاثة ايام وثان وقعت فيه خمسة ، والثاني هو الاهم لشدة ايامه بينما ايام الاول لا تعدو ان تكون مشاحنات بسيطة لم يصب بها كثيرون . وكان من عادتهم في الفجار الثاني ان يتواعدوا راس الحول من العام التالي عند انتهاء اليوم ، لذا فقد التقوا في خمسة ايام على مدى اربع سنين ، اربعة منها لقيس على كنانة وقريش وهي ايام نخلة وشمطة والعبلاء والحريرة ، وواحد لكنانة وقريش على قيس وهو يوم عكاظ . وعكاظ من اشهر هذه الايام وقد اسرفت فيه كنانة من قتل قيس ، وفي ذلك يقول ضرار بن الخطاب الفهري :

الم تسال الناس عن شاننا   ومن يثبت الامر كالخابر
غداة عكاظ اذا استكملت   هوازن في لفها الحاضر
وجاءت سليم تهز القنا   على كل سهلبة ضامر
وجئنا اليهم على المضمرات   بارعن ذي لجب زاخر
فلما التقينا اذقناهم ..   طعانا بسمر القنا العائر
ففرت سليم(١٠٩) ولم يصبروا   وطارت شعاعا بنو عامر
وفرت ثقيف الى لاتها   بمنقلب الخائب الخاسر
وقاتلت العنس شطر النها   ر ثم تولت مع الصادر

ج ـ ايام قيس وتميم :

وقعت بين قيس وتميم عدة ايام اشهرها يوما رحرحان وشعب جبلة ، ومن ايامهم الاخرى يوم ذى نجب لبني تميم على بني عامر من قيس وذو نجب اسم لموضع ، ويوم الصرائم بين بني عبس من قيس وبني يربوع من تميم والصرائم اسم لموضع ايضا ، ويوم الرغام لبني يربوع من تميم على بني كلاب من قيس والرغام اسم لرمل في اليمامة ، ويوم جزع ظلال وهو لفزارة من قيس على تميم وجزع ظلال اسم لموضع ، ويوم المروت وهو لبني تميم على بني عامر بن قيس والمروت اسم لموضع ايضا . وسناتي فيما يلي من الكلام على يومي رحرحان وشعب جبلة لكونهما اشهر ايام قيس وتميم .

---

(١٠٧) العقد الفريد ج٦ ص٢٨ ـ ٢٩ .
(١٠٨) الكامل في التاريخ ج١ ص٦٧٦ وما بعدها ، العقد الفريد ج٦ ص١٠١ وما بعدها .
(١٠٩) اسم القبيلة .

يومُ رحرحان :(١١٠)

تقدم عند الكلام عن يوم بطن عاقل بان بني تميم قد اجاروا الحارث بن ظالم المرى بعد ان انفض عنه قومه ، فبلغ ذلك بني عامر فغزت تميما ، وكانت الغلبة لعامر ، واكثرت في تميم القتل واسرت جماعة من اشرافهم بينهم معبد بن زرارة وقد اسره عامر بن الطفيل الشاعر الفارس المعروف . وعندما طلبت بنو عامر به فداء ملك رفض اخوه لقيط ذلك وابى الا ان يدفع في فدائه مائتي بعير ، فكان ان مات معبد عند بني عامر هزالا لان عامرا منعت عنه الطعام والشراب ، وفي ذلك يقول عامر بن الطفيل :

قضينا الحزن من عبس وكانت   منية معبد فينا هزالا

وقال شريح بن الاحوص يهجو لقيطا لانه ابى فداء أخيه :

لقيط وانت امروء ماجد   ولكن حلمك لا يهتدى
الما امنت وساغ الشرا   ب واحتل بيتك في ثهمد
رفعت برجلك فوق الفرا   ش تهدى القصائد في معبد
واسلمته عند جد القتال   وتبخل بالمال ان تفتدى

يوم شعب جبلة :(١١١)

وهو لبني عامر ـ من قيس ـ وحلفائها العبسيين على بني تميم وحلفائها من بني ذبيان واسد وغيرهم . ويعتبر هذا اليوم من اشهر ايام العرب لكثرة المتحاربين فيه ، ، فقد جاء في الاغاني « قال ابو عبيدة : واما يوم جبلة فكان من عظام ايام العرب . وكان عظام ايام العرب ثلاثة : يوم كلاب ربيعة ويوم جبلة ويوم ذي قار »(١١٢) وكان الساعي في هذا اليوم هو لقيط بن زرارة ـ سيد تميم ـ ابتغاء ثار اخيه معبد الذي مات اسيرا في بني عامر اثر يوم رحرحان كما تقدم . وقد استمال لقيط القبائل في حربه هذه فانضم اليه بنو اسد وذبيان ، وقد انضمت ذبيان اليه لان بني عبس ـ خصومها في حرب داحس والغبراء ـ كانوا حلفاء لبني عامر ، واغرى لقيط كلا من الجون الكلبي ملك هجر والنعمان بن المنذر امير الحيرة بغزو بني عامر فانجداه بجيشين ، ولما راى بنو عامر حشد لقيط عليهم ايقنوا بعدم قدرتهم على ملاقاته فاستعملوا الدهاء ، وذلك بأن كمنوا في شعب جبلة ومنعوا ابلهم المرعى والماء عدة ايام ، ولما هاجمهم لقيط اطلقوا عقل الابل فهوت مسرعة نحو مواردها والقوم وراءها يرجمونها الحجر ، فولت جيوش تميم مذعورة وبنو عامر يتبعونها قتلا واسرا ، وكان لقيط واحدا من قتلى هذا اليوم المرير .

د ـ ايام ربيعة(١١٣)

واشهر ايامها حرب البسوس ، وهي حرب واسعة استمرت بين بكر وتغلب ابنى وائل ، وذكر انها استمرت اربعين سنة ووقعت فيها ايام عديدة اشهرها :

يوم النهى لتغلب على بكر ، والنهى اسم ماء لبني شيبان .

يوم الذنائب لتغلب على بكر ، والذنائب موضع بين البصرة ومكة .

يوم واردات لتغلب على بكر ، وواردات موضع بين البصرة ومكة ايضا .

يوم عنيزة ، وقد تكافات تغلب وبكر في هذا اليوم ، وعنيزة موضع في اليمامة .

يوم القصيبات لتغلب على بكر ، والقصيبات اسم لموضع في ديار بكر .

يوم تحلاق اللمم(١١٤) وهو لبكر على تغلب ، ويعتبر من اشهر ايام البسوس وانما سمي بيوم تحلاق اللمم لان بكرا حلقت روءوسها استبسالا للموت .

وتروى الاخبار ان الذي اثار هذه الحرب بين ابني وائل هو ان كليبا(١١٥) اصاب ناقة البسوس بسهم ـ والبسوس خالة جساس(١١٦) ـ لانها كانت ترعى مع ابله فاغضب ذلك جساسا وذهب الى كليب معاتبا ، ثم ان جساسا قتل كليبا اثر ذلك فنشبت الحرب بين القبيلتين . هذا ما ترويه الاخبار عن قصة هذه الحرب ، ويبدو ان لها سببا اخر غير سببها المباشر ذلك ان كليبا عقب قيادته معدا كلها في يوم خزاز وانتصاره على مذحج حمله زهو كبير واشتط في حكم قومه وسلبهم الماء والمرعى ، ومما قيل في هذا المجال انه كان يحمي مواقع السحاب فلا يرعى حماه. فكان جساسا عندما قتله كان يرد عن بكر ما عانته من بغي وذل على يد كليب .

وقد اسرف مهلهل ـ وهو اخو كليب ـ في قتل بكر عند ما قام بتغلب طلبا لثار اخيه ، وكان المنتصر في اكثر الايام التي خاضها سعيا وراء ذلك الا في يوم تحلاق اللمم عندما قام بامر بكر الحارث بن عباد(١١٧) اثر قتل مهلهل ابنه بجيرا ، وكان الحارث قبل ذلك معتزلا الحرب وفي ذلك يقول من قصيدة طويلة :

اصبحت وائل تعج من الحر   ب عجيج الجمال بالاثقال
لا بجير اغنى قتيلا ولارهـ   ط كليب تزاجروا عن ضلال
لم اكن من جناتها علم الله   واني بحرها اليوم صال
قد تجنبت وائلا كي يفيقوا   فابت تغلب علي اعتزالي
واشابوا ذؤابتي ببجير   قتلوه ظلما بغير قتال
قتلوه بشسع نعل كليب(١١٨)   ان قتل الكريم بالشسع غال
يا بني تغلب خذوا الحذرانا   قد شربنا بكاس موت زلال
قربا مربط النعامة مني   لقحت حرب وائل عن حيال

---

(١١٠) العقد الفريد ج٦ ص٨ ـ ٩ ، الكامل في التاريخ ج١ ص٥٥٦ وما بعدها ، نهاية الارب للنويري ج١٥ ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠ ، نقائض ابي عبيدة ج٢ ص ١٠٦٠ وما بعدها ، ايام العرب في الجاهلية ص ٣٤٤ وما بعدها ، الاغاني ج١١ ص١٠٧ وما بعدها ، ايام العرب في الجاهلية ص٣٤٤ وما بعدها .

(١١١) العقد الفريد ج٦ ص٩ وما بعدها ، الكامل في التاريخ ج١ ص٥٨٣ وما بعدها ، نهاية الارب للنويري ج١٥ ص ٣٥٠ وما بعدها ، نقائض ابي عبيدة ج٢ ص ٦٥٤ وما بعدها ، الاغاني ج١١ ص١٣٥ ، ومابعدها ، ايام العرب في الجاهلية ص٣٤٩ وما بعدها . العمدة لابن رشيق ج٢ ص١٩٣ ـ ١٩٤ .

(١١٢) الاغاني ج١١ ص١٢٥ .

(١١٣) العقد الفريد ج٦ ص٦٩ وما بعدها ، الكامل في التاريخ ج١ ص٥٢٣ وما بعدها . نهاية الارب للنويري ج١٥ ص٣٦٩ وما بعدها .

(١١٤) وقد يسمى هذا اليوم بيوم تغضة « العقد ج٦ ص٧٦ » .

(١١٥) كليب هو زعيم تغلب .

(١١٦) جساس من بكر .

(١١٧) وهو من بكر وابى ان يدخل الحرب خوفا من اتساعها .

(١١٨) يروى ان مهلهلا عند قتل كليبا قال « بوء بشسع نعل كليب » والى ذلك يشير الحارث في هذا البيت .

قربا مربط النعامـــة مني   لا نبيع الرجـال بيـع النعال
قربا مربط النعامـــة مني   لبجير فـــداه عمي وخالي

وقد كرر قوله « قربا مربط النعامة مني » مرات عديدة استنفذت جزءا كبيرا من قصيدته .

هـ ـ ايام ربيعة وتميم(١١٩)

وقد خاضت ربيعة وتميم اياما عديدة اشهرها :

يوم الوقيط وهو لبكر من ربيعة على تميم ، والوقيط اسم لموضع .

يوم ثيتل ، وهو لتميم على بكر وقد يسمى هذا اليوم بيوم النباح وسبب ذلك ان تميما عندما غزت بكرا تنازع كل من قيس بن عاصم المنقرى وسلامة بن ظرب على الاغارة ثم اتفقا على ان يتقسما بكرا حين يغير قيس على البكريين في النباح ـ وهو اسم لموضع ـ ويغير سلامة عليهم في ثيتل ـ وهو اسم ماء قرب البصرة ـ وكان الموضعان متقاربين .

يوم جدود وهو لبني منقر من تميم على بكر من ربيعة ، وجدود اسم لموضع في بلاد تميم .

يوم زرود وهو لبني يربوع من تميم على بني تغلب من ربيعة وزرود اسم لرمل في طريق مكة .

يوم ذي طلوح وهو لبني يربوع ايضا على بني بكر ، وذو طلوح اسم لموضع ، وقد يسمى هذا اليوم بيوم الصمد .

يوم الاياد وفيه هزمت يربوع بكرا وزعيمها بسطام بن قيس شر هزيمة ، والاياد اسم لموضع ، وقد يسمى هذا اليوم بيوم العظالى والافاقة ومليحة واعشاش ، وسمي بيوم العظالي لان رؤساء بكر تعاظلوا على الرئاسة فيه .

يوم الغبيط ويسمى ايضا غبيط المدرة وصحراء فلج وكل هذه الاسماء تدل على مواضع ، وقد يسمى يوم الثمالث وذلك لان بني شيبان ـ من بكر ـ كانوا قد اغاروا على اربعة احياء كل منها يدعى ثعلبة وكان بسطام بن قيس الشيباني يقود شيبان في هذا اليوم وقد هزم فيه قبائل تميم بيد أن يربوعا الحت في طلبه حتى ادركته وجيشه وما استاق من غنيمة في غبيط المدرة فهزموا جيشه واسروه اثر قتال مرير ، وقد اسره عتيبة بن الحارث بن شهاب وفي ذلك يقول :

ابلغ سراة بني شيبان مالكة   اني ابات بعبدالله بسطامـا
ان تحرزوه بذي قار فذاقنة   فقد هبطت به بيدا اعلاما
قاظ الشربة في قيد وسلسلة   صوت الحديد يغنيه اذا قاما

يوم قشاوة وهو لبني شيبان من بكر على بني يربوع من تميم ، وقد يسمى بيوم نعف قشاوة وهو اسم لموضع .

يوم زبالة وهو لبني شيبان ايضا على بني تميم ، وزبالة موضع بطريق مكة .

يوم مبايض وهو من ايام شيبان على تميم ، ومبايض اسم ماء لبني تميم .

يوم الزويرين وهو لبكر من ربيعة على تميم ، ويعتبر هذا اليوم من اشهر ايام ربيعةوتميم.ومن حديثه كماتقدم ان بكراكانت قد اسرفت في عدوانها على تميم فناجزتها تميم الحرب ، وعند اللقاء عقلت بعيرين بين جيشها وجيش تميم سمتهما الزويرين وتعاهدت على عدم الفرار حتى يولي البعيران ، فكانت الدائرة على بني تميم وتتبعتها بكر قتلا واسرا . وفي ذلك يقول الاعشى :

يا سلم ان تسالي عنـا فلا كشـف
عند اللقـاء ولسـنا بالمقـاريف
نحن الذين هزمنا يـوم صحبنا ..
جيش الزورين في جمع الاحاليف
ظلوا وظلنا نكـر الخيـل وسطهم
بالشيب منـا وبالمـرد الغطاريف
تستانف الشـرف الاعلى باعينها
لمح الصقـور علت فـوق الاظاليف
انسل عنها نسيل الصيف فانجردت
تحت اللبـون منون كالزحاليف

وترد في العقد الفريد وسواه من مصادر الايام ايام اخرى قامت بين قبائل ربيعة وتميم منها ايام الحائر والقحقح وراس العين وسفوان والسلى ونقاء الحسن وكلها لتميم على بكر ومنها صعفوق وفيحان والحاجر والشقيف وهي لبكر على تميم .

وعلى اية حال فان الايـام تبقى ـ برغـم ضراوتها ـ تمثل نزوع الامة العربيـة للحريـة واستهانتها بالموت حفاظا على الكرامة والارض .

---

(١١٩) العقد الفريد ج٦ ص٤٤ ومابعدها ، نهـاية الارب للنويري ج١٥ ص٢٧٩ وما بعدها ، نقائض ابي عبيدة ج١و٢ الصفحات ١٩ ، ٤٧ ، ٥٧ ، ١٤٤ ، ٢٣٢ ، ٣٢٦ ، ٤٠٤ ، ٥٨٠ ، ٦٨٠ ، ١٠٢٣ ، الكامل في التاريخ ج١ الصفحات ٥٩٦ ، ٥٩٨ ، ٦٠٠ ، ٦٠٢ ، ٦٠٤ ، ٦١٠ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦٢٠ ، ٦٥٢ ، العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان ص٢٤٢ وما بعدها .

البريديون

٣١٠ – ٣٤٩هـ/٩٢٧ – ٩٦١ م

بقلم الدكتورة

جليلة ناجي الهاشمي

جامعة بغداد – كلية الاداب
قسم التاريخ

قبل الدخول في موضوع البريديين واصلهم ومنطقة نفوذهم والمراكز الحساسة التي وصلوا اليها لابد لنا من التطرق الى ظروف الفترة التي عاصرت ظهورهم . لنستطيع ان نكشف الاسباب الموضوعية والذاتية التي ادت الى بروزهم على مسرح التاريخ شأنهم شأن الاسر المتنفذة التي لعبت بمقدرات الخلافة العباسية لسنوات عديدة .

ان طبيعة النظام الاقطاعي السائد في الدولة العباسية منذ نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الهجري ، تلقى الضوء على تردي الاوضاع الاقتصادية انذاك نتيجة تكدس الاراضى والاموال بيد فئة تمثلت بالخليفة العباسي وحاشيته من الوزراء وكبار القادة العسكريين والكتاب وغيرهم وفئة معدمة فقيرة تكدح ليل ونهار في سبيل الحصول على لقمة العيش التي يتعذر تناولها في اغلب الاحيان وهناك شيئ مهم هو ان نشير هنا الى مجموعة من الامثلة والحوادث التي اعطاها ابن الاثير والتي عكست ما كان يعانيه الناس من المآسي والالام . فمن جملة تلك الحوادث قوله « اشتد الغلاء ببغداد حتى اكل الناس الميتة والكلاب والسنانير .. واكل الناس ضروب الشوك فاكثروا منه وكانوا يلقون حبه وياكلونه فلحق الناس امراض واورام في احشائهم وكثر فيهم الموت حتى عجز الناس عن دفن الموتى فكانت الكلاب تأكل لحومهم وانحدر كثير من اهل بغداد الى البصرة فمات اكثرهم في الطريق ومن وصل منهم مات بعد مديده يسيره وبيعت الدور والعقار بالخبز (١) . وبالرغم من كثرة المبالغات الواردة في هذا النص فانه يعكس الى حد ما الوضع الاقتصادي السيئ وما وصلت اليه البلاد من فوضى وخراب وطبيعي ان وضعا اقتصاديا متهريا كهذا رافقه وضع سياسي مترد جدا تمثل بظهور حركات انفصالية واختلال اسباب الامن وعدم الاستقرار حتى اصبح الناس لا يامنون على حياتهم واموالهم فكثرت حوادث سلب الاموال ونهب الدور وكبسها ليلا ، مع ما صاحب تلك الحوادث من فوضى عسكرية نتيجة تسلط الجند المرتزقة على الخلافة وتحكمهم في تنحية وتنصيب الخلفاء حسب رغباتهم الشخصية ، وحسب مقدار ما يصرف عليهم من الاموال ، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى نرى ان عملية السيطرة على الاراضي اخذت طابعا اخر فعلى مر السنين تركزت غالبية الاراضي بيد الخليفة العباسي ومنحه الاراضى الشاسعة للمقربين له بمثابة اقطاع وكذلك منحها للفئات الغنية في المجتمع والتي لها الامكانيات المادية لتعمير الاراضي واحيائها بعد موتها (٢) .

كما انه لعدم استطاعة الخليفة من سد حاجات الجند المرتزقة . اضطر ان يقطع كبار الجند ، الاقطاعات الواسعة ليسدوا بها نفقاتهم وليسترضيهم ،

---

١ – ابن الاثير – الكامل – ج ٦ دار الكتاب العربي – بيروت ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م ، ص٢٢١ .

٢ – الماوردي – الاحكام السلطانية ، ط٢ ، ص١٩٠ ، مصر ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦ .

ولكن هؤلاء كانوا يتمسكون بما حصلوا عليه من الاراضي عندما يلاحظون مقدار ما تدره عليهم من الارباح ، اما اذا كان ربحهم قليلا من هذه الاراضي فردوها وعوضوا عنها بغيرها (٣) . وبطبيعة الحال فان نتيجة كل ذلك ان اصاب الاراضي الزراعية الخراب والفوضى فقل واردها بسبب عدم استطاعة الجند استثمارها واصلاح ما خرب منها ، وهذا بدوره ادى الى انخفاض المحصول الزراعي وبالنتيجة اثر تاثيرا كبيرا على وارد الخلافة فزادت الاسعار وانخفض مستوى المعيشة ، وهكذا اصبحت هذه الاقطاعات وما تدره من واردات عاملا يحدد علاقة الخليفة باصحاب هذه الاقطاعات ، كما ويحدد من جانب اخر علاقتهم بالخليفة ، وفي اكثر الاحيان كانوا يتقاعسون عن الدفع له ويخرجون عن طاعته ويعملون لتنحيته من منصب الخلافة . ذلك لان جزءا كبيرا من وارد الخلافة الاساسي كان ياتي من مالكي الاقطاعات وان بقية الموارد كانت تاتي من الضياع السلطانية وخراج الولايات .

وبنتيجة الامتناع عن الدفع للخليفة وعدم محاسبة الضمناء الا بما هو متعاقد عليه فان طرق جباية الاموال واستحصالها كانت غالبا ما تتم بطرق تعسفية ظالمة وكان لا يهم الجباة غير جمع الاموال والحفاظ عليها بعد تادية حصة الخلافة منها وما يقدمونه للوزراء على شكل هدايا لكسب مودتهم وبمرور الزمن وبسبب استئثار هؤلاء بالاموال تحولت اكثرية ثروة الدولة العباسية الى الوزراء والعمال والكتاب والقواد ونحوهم في فترات ضعف الخلفاء ، ومن جانب اخر عمد الخلفاء لاستبقاء نفوذهم وسطوتهم على الجند وكان الجند بحاجة مستمرة الى الاموال وبنتيجة لحاجة الخليفة الماسة لسد حاجات جنده فانه اضطر الى مصادرة بعض ممتلكات الوزراء والعمال والكتاب واستحصال الاموال منهم بالقوة واصبحت المصادرة بتوالي الايام مصدر هام في تحصيل المال فالوزير يصادر العمال وهؤلاء يصادرون الناس والخليفة يصادر الوزراء والتجار المثرين . ان معظم المصادرات حدثت في فترة الخليفة المقتدرة (سنة ٢٩٥ـ٣٢٠هـ/ ٩٠٨ـ٩٣٢م) واولهم كان الوزير علي بن الفرات (٤) وغيره من الوزراء كعلي بن عيسى (٥) وآل البريدي (٦) وابن مقلة(٧) وغيرهم وهكذا سادت هذه الفترة الفوضى العسكرية وتدخل الجند في شؤون الخلافة. حيث اصبحوا السند لكل من يمدهم باموال اكثر ولا يهمهم امر الخلافة فان تعذر على الخليفة ترضيتهم وكسب ولائهم ثاروا ضده ونصبوا من يرغبون فيه عوضا عنه ، مثلما حدث للخليفة المقتدر حيث نحي عن الخلافة من قبل الغلمان المصافية والحجرية(٨) بعد ما نهبت الدار ومحت رسوم الخلافة .

وهتكوا الحرمة ، وهم انفسهم اعادوه للخلافة للمرة الثانية (٩) ، بعد تنحية القاهر وسمل عيناه (سنة ٣٢٢هـ /٩٣٤) لمحاولة القاهر بتقليل الساجية (١٠) واستعمال الشدة معهم وتأخير عطاءاتهم مما جعل هؤلاء يتشاورون في الامر ويعدون له العدة لخلعة وفعلا نجحوا في ذلك (١١) ، بمساعدة جماعة تقف وراءهم وتمدهم بالمال وترسم لهم الاتجاه بدافع من مصلحتها الخاصة وللوصول الى اعلى المناصب ، فمن هؤلاء ابن مقلة الوزير السابق الذي دبر خلع القاهر بعد تنصيبه بمدة يومين فقط . وعند عودة الخليفة المقتدر للخلافة مرة ثانية عهد لابن علي بن مقلة بالوزارة وكتب الى البلاد بما تجدد له (١٢) .

فالتوزيع غير المتكافيء للثروة عن وجود النظام الاقطاعي الممثل بسلطة الخليفة وحاشيته من جهة ووجود طبقة فلاحية فقيرة عانت من الهون والحرمان جعلها تلتف حول كل الحركات السياسية التي ظهرت في تلك الفترة مؤملة فيها خلاصها من الظلم الاقطاعي من جهة اخرى ، جعل هؤلاء الفلاحون يشكلون الدعامة الاساسية في الانتاج من حيث ان الوارد العام للخزينة ياتي عن طريق الاراضي الزراعية ، من

---

٣ ـ مسكويه ، تجارب الامم ، حـ٢ ، ص٩٧ ، مصر ١٣٣٣هـ ـ ١٩١٥م .
٤ ـ مسكويه ـ تجارب الامم حـ٢ ، ص٨٨
٥ ـ نفس المصدر السابق ، ص ١٠٩

---

٦ ـ نفس المصدر السابق ، ص ٢٠٥
٧ ـ نفس المصدر السابق ، ص ٢٠٩
٨ ـ المصافية فرقة من الغلمان الذين كانوا يتناوبون الحراسة في مصاف باب الخاصة وحوالي القصر ونسبة لذلك سمو بالمصافية .
الحجرية .. هم مماليك الخليفة المعتضد بالله ، فانه رتبهم على حسب المقام في القصر والحجر وسماهم بالحجرية (الهلال الصابي ، الوزراء ، تحقيق عبدالستار احمد فراج ، دار احياء الكتب العربية، ١٩٥٨ ص١٦) .
٩ ـ ابن الاثير . الكامل ، حـ٦ ، ص٢٠٠ ـ ابو الفداء المختصر في اخبار البشر حـ٢ ، ص٩٢ ـ بيروت .
١٠ـ فرقة عسكرية من الجند المرتزقة ينسبون الى يوسف ابن ابي الساج والي اذربيجان وارمينية في عهد المقتدر (ابن الاثير جـ٨ ، ص٩٨) .
١١ـ ابن الاثير ـ الكامل ، حـ٦ ، ص٢٢٢
١٢ـ نفس المصدر السابق ، ص٢٠٢

مجهود الفلاحين المضنى ، كان يقدم للخليفة وحاشيته ليصرفوها في شتى المجالات المختلفة سواء كانت تدفع كرواتب للوزراء ولكبار الموظفين والجند او تصرف في امور ترفيهية . وان فداحة الضرائب الملقاة على عاتق الفلاحين ، وما يعانوه من فقر وحرمان اثر على بقية فئات المجتمع الاخرى اذ لم يسلم هؤلاء من النهب والسرقات وكسر الدكاكين ليلا ونهب ما فيها وتركهم لرحمة القدر .

والى جانب ذلك ان ظهور الحركات الانفصالية ادت الى حصر سلطة الخليفة في هذه الفترة على بغداد وما يحيط بها من قرى وارياف . اما بقية انحاء الخلافة فقد توزعت بشكل اقطاعات توزعت على الجماعات المقربين للخلافة واصحاب النفوذ فالبصرة خضعت لابن رائق امير الامراء وخوزستان اصبحت في يد البريدي وفارس والري اصفهان والجبل فقد خضعت للبويهين وكرمان فكانت بيد ابن علي محمد بن الياس ، والموصل وديار بكر ومصر وربيمة تحت سيطرة الحمدانيين ، والمغرب وافريقيا تحت سيطرة العلويين والاندلس تحت حكم الامويين وخراسان وما وراء النهر في يد نصر بن احمد السماني وطبرستان وجرجان في يد الديلم والبحرين واليمامة تحت نفوذ القرامطة (١٣) الا ان هؤلاء اعترفوا بالسلطة العليا للخليفة العباسي وكانوا يخطبون له في المساجد وتقدم له الهدايا السنوية مقابل منحهم الالقاب والرتب العسكرية ، وكان من ضمن هؤلاء المنتفعين عائلة ابناء البريدي الذين سيطروا على الاهواز والبصرة ، وهذا ما استناوله في بحثي لما لها من اثر في وضع الخلافة ولما لعبته من دور في الاهواز والبصرة لفترة طويلة .

من هم البريديون ؟ يذكر الكثير من المؤرخين ان تسميتهم جاءت من كلمة بريد حيث ينفذ بسرعة من بلد الى بلد والمشهور بهذه النسبة ابو عبدالله الحسن بن عبدالله احمد البريدي (١٤) اما باون وكابير وسوردال فيذكرون بان اباهم كان مديرا للبريد في البصرة (١٥) . وذكر الصولي ومسكويه بان البريديين كانوا يترددون بين منطقة الاهواز والبصرة (١٦) . ومن خلال ذلك يتضح لنا بان موطن البريديين كان البصرة . وكان البريديون حسب اعتقاد ماسنيون من الشيعة ، مشيرا الى ابي القاسم البريدي (ابن ابو عبدالله) وكذلك يذكر سوردال بان البريديين ينتسبون الى الشيعة (١٧) ولا يوجد غير ذلك الى ما يشير او يكشف عن عقيدتهم عدا بعض الاشارات عند مسكويه عندما اصدر الخليفة امرا بالقاء القبض على ابي عبدالله وابى الحسين وابى يوسف انهم ركبوا طياراتهم واظهروا انهم يريدون مسجد الرضا المتصل بالشاذروان بالاهواز (١٨) وفي الحقيقة ان ما اورده مسكويه بهذا الخصوص لا يعطينا دليلا واضحا على عقائد البريديين الدينية حيث ان ذهابهم الى مسجد الرضا كان لغرض الابتعاد عن اعدائهم ولا يعني انهم ذهبوا لزيارة الحضرة .

لم يكن لبني البريدي شان يذكر في بداية الامر ولكن طموحهم والخبرة المستمرة وترقبهم للاحداث مع زيادة وتطور نفوذهم المالي كل ذلك جعل ابناء البريدي يرسمون الخطة لاحتلال بغداد وتقليدهم منصب الوزارة هذا المنصب الذي حلم به الكثيرون ومهدوا له شتى السبل وكان من ضمنهم ابو عبدالله البريدي .

لقد بدأ وضع البريديين يتحسن بصورة ملموسة منذ ان قلد الوزير علي بن عيسى (سنة ٣١٥ هـ ٩٢٧م) لابى عبدالله البريدي الضياع الخاصة ضمانا واقطاع الوزراء وكان ابو يوسف البريدي يتولى لعلي بن عيسى الخراج برامهرمز سهلها وجبلها (١٩) الا ان ذلك لم يرض طموح ابى عبدالله البريدي وغروره فنراه عندما سمع بتقليد غيره من العمال منطقة الاهواز وما حولها اضطرب للامر كثيرا وتفوه بعبارات امام بعض الاشخاص حيث قال « يقلد هؤلاء هذه الاعمال وتقتصر باخي ابى يوسف على سرق ولي على ضمان انضياع الخاصة فان لطياي صوتا سوف تسمعه بعد ايام (٢٠) » حيث اعتبر العمال الذين تقلدوا الاهواز ليسوا اكثر كفاءة منه وان الاهواز بنظره تعني شيىء اخر اذ انها تعتبر من المناطق الغنية التي تدر ارباحا كثيرة ، لذلك قام بعدة محاولات للحصول على هذه المنطقة باذلا المال لكسب الاصدقاء ولتذليل الصعوبات . والمعروف عن ابى عبدالله انه يستطيع النفاذ من اصعب المشاكل والخروج منها بسلام مستخدما ذكاءه وماله وصداقته ، ففي كل مكان كان له من يترصد الاخبار واكثرها كانت تنقل

١٢- تاريخ ابو الفداء ، حـ٢ ، ص١٠٦ .

١٤- ابن الاثير اللباب في تهذيب الانساب ، حـ١ ، ص١١٧ ، مصر ١٣٥٧هـ .

١٥- عبدالجبار ناجي ، البصرة في القرن الثالث الهجري ص٨١ ، لندن ١٩٧٠ (طروحة بالانكليزية لم تنشر بعد).

١٦- الصولي ، الاوراق - مسكويه تجارب الامم حـ١ ، جـ٢.

١٧- عبدالجبار ناجي ، البصرة في القرن الثالث الهجري ، ص٨ .

١٨- مسكويه ، تجارب الامم ، جـ١ ، ص٣٦٤ ، مصر ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م .

١٩- نفس المصدر السابق ، ص ١٥٢-١٥٣ .

٢٠- مسكويه ، تجارب الامم ، جـ١ ، ص١٥٨ - ابن الاثير - الكامل جـ٨ ص١٨٥ - بيروت ١٢٨٦هـ - ١٩٦٦م .

عن طريق الحمام الزاجل ، كل ذلك جعل الكثير من المؤرخين يصفونه بأحد دجالي الدنيا وشياطينها(٢١) وعندما ما بلغه اضطراب امر الوزير وهو بالاهواز ارسل اخاه ابا الحسين الى بغداد وامره بان يحصل له على الاهواز من الوزير ولا سيما انه كان من المرتشين ، وعند تنحية علي بن عيسى عن منصب الوزير ومجيء ابو علي بن مقلة وكانت تربطه صلة مودة معه فارسل اليه مبلغ « سفا تيج بثلاثمائة الف دينار » (٢٢) فتقلد ابو عبدالله على اثرها اعمال الاهواز جميعها سوى السوس وجنديسابور وقلد ابو الحسين الفراتية(٢٣)، وابو يوسف الخاصة(٢٤). واستطاع ابو عبدالله البريدي ان يحصل من عامل تستر مبلغ عشرة الاف دينار واخذ من كاتبه الفي دينار ومن خليفته ثلاثة الاف دينار ومن حاجبه الفي دينار (٢٥) ، ولم يوصلها الى الوزير بن مقلة . فهذه المبالغ تعطينا توضيحا للثروة التي بدات تتدفق على يد ابناء البريدي من جهة والتمسك بالاهواز والمحافظة عليها من جهة اخرى ، لكن امورهم لم تستمر على هذه الوتيرة بل اصابتهم خيبة الامل بعد عزل الوزير ابن مقلة عن منصبه ومطالبة الخليفة المقتدر بالقاء القبض عليهم لتمنعهم عن الدفع ، وعلى اثر ذلك قام ابو عبدالله البريدي بمحاولة لانقاذ اخوته واطلاق سراحهم بواسطة كتاب مزور الا ان امره انكشف بعد ذلك وعلى اثرها جلبوا جميعا الى بغداد حيث اجبروهم على دفع ثلثمائة الف دينار(٢٦) ثم اعادوهم الى وظائفهم .

من هذا العرض السريع يتضح لنا كيف ظهر البريديون وطبيعة الوظائف التي احتلوها والتي لا تتعدى الضمان والكتابة ودفع الغرامات والعزل والاعادة الى الوظائف ، وكلها تعكس عن عدم الاستقرار السياسي الناجم عن ضعف سلطة الخلافة العباسية في بغداد ، وهذا لا يعني ان البريديين اكتفوا عند هذا الحد ورضوا به فقد قاموا بعدة محاولات لاعادة نفوذهم وبنتيجة احتكاكهم بالسلطة السياسية عن طريق وظائفهم والتقلبات التي مروا بها جعلتهم يشخصون اسباب التدهور السياسي وضعف نفوذ الخليفة وعدم سيطرته على بقية مناطق الخلافة ، ولذكائهم وخبرتهم في مجال العمل بداوا يعدون للامر عدة للسيطرة على الاهواز والبصرة باقرب فرصة مناسبة .

كانت الاهواز والبصرة تعنى كل شيء بالنسبة للبريديين بسبب وفرة الموارد الاقتصادية التي تدرها هذه المناطق ، لذلك بذلوا شتى الوسائل للقضاء على كل من ينافسهم في السيطرة عليها . فقد اعتبروا محمد بن ياقوت من اشد المنافسين لهم عندما عقد لياقوت اعمال الاهواز (سنة ٣٢٢هـ ــ ٩٣٤م) ، شغل ابو عبدالله البريدي منصب كاتب له مضافا الى ما بيده من اعمال خراج الاهواز وصار اخوه ابو الحسين يخلف ياقوتا ببغداد (٢٧) . وبعد مقتل ياقوت قضى على اكبر منافس لهم حيث قلد الخليفة الراضي كور الاهواز لابي عبدالله ولاخيه ابي يوسف خلال مدة تقليدهم الاهواز لسنى « اثنتين وثلاث واربع وعشرين وثلثمائة انهم جمعوا مبلغ ثمانية الالف الف دينار »(٢٨) والذي ساعدهم على جمع المال هو حسن تصرف ابي عبدالله البريدي وعدم افراطه في البذخ ومعرفته لموارد الاموال فقد وصفه مسكويه بانه « كان اجمه ، عنده استظهار ، واناخ في النفقات وارزاق الاولياء وما كان يعلل به السلطان على اموال كور الاهواز الباقية وكان يجتذب القطعة فالقطعة منها ويجعل ذلك وراءه ولم يكن له نفقة ولا بذخ حينئذ ، وما وهب قط لطارق ولا لشاعر ولا ولد نعمة شيئا وكان عارفا بورود الاموال وخرجها وجميعها تجرى على يده »(٢٩) ، اما عن نفقاته العائلية فقد حدد مثلا مصروف مائدته في كل يوم الف درهم وكان عدد غلمانه خمسة وكسوته متوسطة ولم يتسرر الا بثلاث جواري ولم تكن له زوجة غير والدة ابنة ابي القاسم . اما صلاته بالجيش فكانت خاصة(٣٠) لم يكتف البريديون بجمع الاموال بل بدات تظهر عندهم اطماع اوسع برز ذلك يوم ان امتنع ابو عبدالله البريدي عن ارسال الاموال الى بغداد مما كان متوفر عنده في الاهواز . ان امتناع ابى عبدالله البريدي من ارسال حصة الخلافة كان يشكل خطرا على مالية الخلافة ولا سيما وان جند الخلافة كانوا بحاجة الى هذه الاموال وان عدم توفيرها لهم يجعل الخليفة في محنة من حيث ان هؤلاء الجند كانوا يميلون الى

٢١ـ مسكويه ، تجارب الامم ، جـ١ ، ص١٥٨

٢٢ـ نفس المصدر السابق ، ص١٥٨

٢٣ـ الفراتية ـ الضياع على ضفاف نهر الفرات

٢٤ـ الخاصة وهي الضياع التي يملكها الخليفة نفسه لايشاركه فيه احد ولها ديوان الخاصة يشرف عليها كتاب وعمال (جرجي زيدان تاريخ التمدن الاسلامي ، جـ٢ ، ص١٢٨) .

٢٥ـ مسكويه ، تجارب الامم ، جـ١ ص١٥٨ .

٢٦ـ مسكويه ، تجارب الامم ، جـ١ ، ص٢٠٧ ـ يذكر ابن الاثير (انهم صودروا على اربعمائة الف دينار) الكامل ، جـ٦ ، ص١٨٥ .

٢٧ـ ابن الاثير ـ الكامل ـ جـ٦ ، ص٢٢٩ ـ

٢٨ـ مسكويه ، تجارب الامم ، جـ١ ، ص٣٥٠

٢٩ـ نفس المصدر ، ص٣٤٩

٣٠ـ محمد بن عبدالملك الهمداني ، تكملة تاريخ الطبري ، جـ١ ، قدم له وحققه ووضع فهارسه ، البرت يوسف كنعان ، الطبعة الثانية سنة ١٩٦١ ، بيروت ، ص٩٨ .

كل من يمدهم باجور اكثر وكان المعروف عن ابى عبدالله انه يحسن الى جنده ويوفر لهم حاجاتهم. لذلك اقترح ابن رائق امير الامراء في بغداد على الخليفة الراضي سنة ٣٢٥هـ بان يذهبوا الى الاهواز ويطردوا البريدي عنها ان لم ينفذ امرهم فارسلا اليه رسالة يذكران فيها «انه قد اخر الاموال واستبد بها واخذ الجيوش وحسن لها المروق وانه ليس بطالبي يسارع على الملك ولا بجندي فينبغي الامارة ولا من حملة السلاح فيؤهل لفتح البلاد المنغلقة وانه كان كاتبا صغيرا فترفع بعد خمول وعاملا من اوسط العمال فاصطنع واهل بجليل الاعمال فطغى وكفر النعمة وجازى عن الاحسان بالسوء وخلع الطاعة وان سلم الجند وحمل المال اقر على العمالة ، والا قصد وعوامل بما يستحق »(٣١) : واخيرا تقبل ابو عبدالله هذه الدعوة بسبب انهاكه لكثرة المعارك المتكررة بينه وبين جيوش الخلافة وفراره الى فارس ولجوئه الى البويهيين وخروج الاهواز من يده وحصار جيوش الخلافة برئاسة بن رائق للبصرة . فكل تلك الظروف لم تكن بصالح البريديين بعد ان تحسن وضع الخليفة بضربهم لفرق الجند من الحجرية والساجية لذلك فانه وافق على ان يدفع مبلغا مقداره ثلثمائة وستين الف دينار ، يرسل في كل شهر ثلاثين الف دينار والذهاب بالجيش الى فارس لعدم استطاعة الخلافة تسديد نفقاتهم وفي البعد ما يضمن الامان لهم (٣٢) ، وفي الحقيقة فان هذا الاتفاق كان مجرد حبرا على ورق ولم ينفذه ابو عبدالله وكلما هناك اراد ان يكسب وقتا يمهد له فرصة اخرى ليستمد بها لمنازلتهم ، وبعد موافقة ابى عبدالله عليه بصورة شكلية ارسل الخليفة اليه الخلع السلطانية وبالولاية وعمالة الاهواز وبنفس الوقت جرى اهتمام كبير لابى الحسين عندما كان في بغداد وقد رعى هذا الاهتمام ابن رائق فانحدر ابى الحسين من بغداد والتحق باخويه .

خرج البصريون باجمعهم الى سوق الاهواز لتهنئة ابو عبدالله البريدي بالولاية فقربهم واكرمهم واشار لهم باعداد المراكب العسكرية ليحصن بها البلدة من اعتداءات القرامطة ولينتقم لهم من ظلم ابن رائق ومحمد بن يزداد خليفته الذي ارهقهم بكثرة الضرائب وتحمله الدفع اربعة الاف دينار في كل شهر بازاء ما كان يؤخذ من الشرطة والماصير والشوك تخفيفا عنهم(٣٣) وقد ازيلت جميعها ولتثبيت صحة

٣١- مسكويه ، تجارب الامم ، جـ١ ، ص٢٥٨

٣٢- نفس المصدر السابق ، ص٣٥٩

٣٣- نفس المصدر السابق ، ص٣٦٤

ذلك فانه وقع امامهم بخطة وسلمها اليهم ، فعند ذاك ازداد الدعاء له وبحمده فشكروه لما اقدم على هذا العمل للتنفيس عما اصابهم من ظلم وتعسف . وقد وضح ابو عبدالله لهم بان عمله هذا سيجلب له عداوة ابن رائق واخوانه ابو يوسف وابو الحسين وابنه القاسم ، فحفز فيهم الهمم لمحاربة ابن رائق ، وذكرهم بايامهم مع عبدالرحمن بن الاشعث ومحمد وابراهيم ابني عبدالله بن حسن بن حسن(٣٤) وقال لهم : لتكن قلوبكم قوية وامالكم فسحة ونفوسكم شديدة في مجاهدة عدوكم ، ثم وقع للنفقة على المسجد الجامع بالبصرة بالفي دينار وعرضت عليه الرقاع بالحاجات فوقع وجرى تخفيف في المعاملات بالف الف درهم(٣٥) ، وبهذا فقد استطاع ابوعبدالله ان يكسب رضى البصريين فاصبحوا له خير عون في حربه مع الخلافة ، للدفاع عن تلك المكاسب التي مهدها لهم ابو عبدالله البريدي . اخذ ابو عبدالله يهيء جيشه ، فقد استعد في بناء الشذاآت والزبازب والطيارات (٣٦) والاستكثار منها حتى اصبح عددها مائة قطعة جيدة الاستعمال وسير جيش قوامه الفي رجل برئاسة اقبال غلامة وحاجبه الى حصن المهدي وامرهم بالاقامة هناك حتى مكاتبهم بالمسير الى البصرة (٣٧) . وبنفس الوقت استطاع ابوعبدالله ان يكسب ود الغلمان الحجرية بدفع ارزاقهم ووعدهم بالاحسان . كل تلك الاستعدادات التي اتخذها ابو عبدالله تعكس عدم الثقة المتبادلة بين الاطراف المتصارعة داخل جهاز الخلافة العباسية والمحافظة على المراكز الحساسة ولا سيما السيطرة على المناطق الغنية التى تعتبر المصادر الممولة لمالية الخلافة العباسية . وبعد سماع الخليفة وابن رائق بتهيئة ابو عبدالله لجيوشه وارسال قسم من جيشه الى حصن المهدي ، رتبوا له خطة بالسير الى الاهواز والبصرة ، اما قوات ابي عبدالله البريدي فانها استطاعت التحرك من حصن المهدي ودخول البصرة وطرد محمد بن يزداد الذي نصبه ابن رائق على البصرة . ولكن هذا النصر الذي حققه البريديون سرعان ما انقلب الى هزيمة عندما توجه اليهم بجكم قائد جيش الخلافة الذي عينه ابن رائق، فوقعت الحرب بينه وبين جيش البريدي بقيادة ابي جعفر الجمال ،

٣٤- الهمداني ، التكملة ، ط٢ ، ص١٠٠

٣٥- مسكويه ، تجارب الامم ، جـ١ ، ص٣٦٤

٣٦- انواع من السفن النهرية .

٣٧- الصولي ، الاوراق ، مصر ، عني بنشره - ج هيورث د ن ص٢٨٩ . - مسكويه ، جـ١ ص٢٧١

فانهزم البريديون امامه ، ثم منوا بهزيمة اخرى بتستر ، حيث اضطر ابو عبدالله مع اخويه الى الهروب بواسطة زورق مائي فيه ثلاثمائة الف دينار ، كانت هذه من خزائنهم فغرقت بالنهروان وغرق المركب واخرجهم الغواصون ، وبعد هزيمتهم هذه اتجهوا الى الابله (٣٨) وهيئوا ثلاثة مراكب للهروب فيها الى عمان ، بعد ان اوفدوا اقبال غلام ابو عبدالله الى مطار الملاقاة جيش الخلافة وايقاف تقدمهم ، وبعد ان دامت المعارك فترة طويلة ، خرج البصريون مناصرين للبريديين بعد سماعهم ان ابن رائق يريد قتلهم واحراق بلدهم (٣٩) وجعلها رمادا (٤٠) استطاع اقبال ان ينفذ الى شاطىء الابلة وحال بين جيوش الخلافة وبين الابلة ، فعند ذاك استطاع ابو عبدالله بالسير مر جزيرة اوال الى فارس واستجار بعلي ابن بويه لفتح الاهواز (٤١) . على انه يضمن للامير على بن بويه الاهواز والبصرة بثمانية عشر الف الف درهم لسنة خراجية (٤٢) وبعد مجىء بن بويه بصحبة ابي عبدالله وسحقهم جيش الخلافة ، عبروا الى غربي عسكر مكرم ينتظرون هناك ورود الاخبار لهم من قبل جواسيس ابي عبدالله البريدي المنتشرين في كل مكان ، بعد موآتات الاخبار عليهم بهدوء المنطقة وخلوها من الاعداء ، عند ذاك نزل البريدي دارا على شاطىء نهر المسرقان ، حيث اقبل اهل الاهواز بمجموعهم مهنئين لهم بسلامة الوصول (٤٣) ولكن ابا عبدالله كعادته ، عندما تشتد به الامور وتدور عليه الدائرة يصبح امام امرين لا ثالث لهما : فاما ان يخضع ويستسلم للواقع ويمكث فترة يراوغ هذا وذاك من الوزراء والقواد ، واما ان يهرب الى جهة بعيدا عن الناس يراقب تحركات منافسيه ولمن سيكسب النصر ، فيتقرب للجهة التي يستطيع كسب ودها دون ان يقع تحت تأثيرها بصورة مباشرة . وبعد ان مكث احمد بن بويه ومعه ابي عبدالله البريدي في الاهواز خمسة وثلاثين يوما هرب منه الى منطقة الباسيان واقام بها ، ثم اخذ بمراسلته ، اما اسباب ذلك وهروبه من قبضة ابن بويه فانها تعود الى نفسية

٣٨- بلدة على شاطىء دجلة غرب البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل الى مدينة البصرة ، انظر ، فتوح البلدان ، البلاذري ، نشر صلاح الدين المنجد ، القاهرة ، ١٩٥٧ ص٦٨٠ .

٣٩- الصولي ، الاوراق ، ص٨٩

٤٠- الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، جـ٢ ، ص٢٠٤ ، تحقيق فؤاد سيد ، كويت ١٩٦١ .

٤١- مسكويه ، جـ١ ، ص٣٧٢ - الذهبي ، العبر ، جـ٢ ، ص ٢٠٤ .

٤٢- مسكويه ، جـ١ ، ص٢٨٠-٢٨١

٤٣- نفس المصدر السابق ، ص٢٨٠-٢٨١

ابي عبدالله الابية وعدم تحمله للاهانة التي لحقت به من الديلم ، ونفرته من الخضوع للاخرين .

لقد اعتاد ابو عبدالله على نوع من الحرية ، واكره ما في نفسه معرفة الاخرين بمقدار ما كان يجنيه من الارباح عن طريق الضمان . بدأ ابو عبدالله بمواسلة ابن رائق والتفاوض معه بعد ان هرب الى البصرة واستتر فيها سنة ٣٢٦هـ ، اتخذ بن رائق عهدا على نفسه بالتوسط له لدا الخليفة الراضي بالرضا عنهم ، ومنحت لهم الخلعة على ان يقيموا الدعوة لابن رائق بالبصرة ويعملوا على فتح الاهواز ، وضمنوا حمل ثلاثين الف دينار واطلقت ضياعهم (٤٤) والظاهر ان هذا الصلح لم يكتب له النجاح بسبب ما حدث من تعكير الجو بين الطرفين المتصالحين ، حيث اتخذ بجكم هذا الصلح ذريعة له واعتبره ضربة موجهة ضده لا سيما اذا استطاع البريدي ان يفتح الاهواز ويضمنها لابن رائق ، لذلك قام بجكم بمحاولة لعزل البريديين عن ابن رائق ومن ثم استمالتهم ، بعد ان حرضه على حربهم بعض الاشخاص ، وعندما احرز بجكم النصر ارسل يعتذر للبريديين عما حدث لهم ويكسب ودهم ويعاهد ابو عبدالله على تقليده ، لواسط ، فيما لو كتب له النصر في تسلمه اعلى منصب في الخلافة . ولم تكن غاية بجكم في حربه للبريديين سوى اذلالهم وخضوعهم له . وبعد ان تسلم بجكم منصب امير الامراء سنة ٣٢٦هـ في خلافة الراضي ضمن لابي عبدالله البريدي اعمال واسط بستمائة الف دينار في السنة . ونظرا لنفوذ ابو عبدالله المالي وما يحيط به من الاصدقاء وتقربه من بجكم امير الامراء ، استطاع ابو عبدالله ان يحصل على منصب الوزارة لاول مرة سنة ٣٢٧هـ وللمحافظة على ما كان يربطه ببجكم من عرى التحالف ولتمتين اواصر الصداقة بينهم زوج ابنته سارة من بجكم ، وكان الظاهر على هذه الزيجة صفتها السياسية ، حيث عكستها العلاقة السائدة بين منصب امير الامراء ومنصب الوزير ، ولم تكن هذه الزيجة هي الوحيدة من نوعها ، بل اصبحت صفة ذلك العصر ، لكل من يريد التقرب من اصحاب المراكز العليا في الخلافة ، وللحصول على الشرف والتباهي امام الاخرين . ولكن توثيق عرى المصاهرة كثيرا ما كانت تصطدم بعقبات تجعل كل طرف يتحين للايقاع بالطرف الاخر (٤٥) .

كان سببها الطمع في الثراء والحصول على زيادة النفوذ ، مما جعلت ابا عبدالله يتردد في حربة ضد

٤٤- مسكويه ، تجارب الامم ، جـ١ ، ٣٨٤ .

٤٥- نفس المصدر السابق . ص٤٠٩

البويهيين الذين سبق وأن ساعدوه في حربه ضد ابن رائق . ثم لطمعه باموال بجكم التي ملكها وخروجه من بغداد لفتح الاهواز ، فعندما تأكد ابو عبدالله من خروج بجكم من بغداد ، فكر بالمسير الى بغداد وجلب هذه الاموال والعودة بها الى واسط . ولكن بجكم لدا سماعه بالخبر ، عاد الى بغداد بسرعة خاطفة وعزل ابا عبدالله عن منصب الوزير سنة ٣٢٨هـ بعد ان استمر في وزارته سنة واحدة واربعة اشهر واربعة ايام(٤٦) .

وبعد انحدار بجكم الى واسط وجد ان البريدين قد غادروها الى البصرة ، وبينما كان البريديون مجتمعين بمطارا يعدون امرهم للهرب بلغهم خبر قتل بجكم ، فارتاحوا لهذا الخبر ، ورافق ذلك انحياز الجند الديلم للبريدين ، مما ادى الى رجحان كفة البريدين وزيادة نفوذهم العسكري ، بعد ان زاد البريدي ارزاق الجند وعلى راسهم تكنيك . صمم البريديون على التوجه بحركتهم الى بغداد ، فازداد خوف الناس منهم لكثرة الدعاية ضدهم ، حتى اضطر فريق من الناس مغادرة بغداد الى جهات مختلفة . ان الدعاية التي اثيرت ضد البريدين ما هي في الحقيقة الا من باب التشويه لسمعتهم وتنفير الناس من حكمهم ولا سيما سذج الناس وبسطائهم ، فقد ثبت ان هذه الفئة من المجتمع سرعان ما تقع تحت تأثير الدعايات الكاذبة المضللة التي يروجها اصحاب المقامات العليا ، عندما يشتد الصراع بينهم ، فيتخذون من تلك الفئة اداة لضرب كل من تخول له نفسه بالنيل من مكانتهم الاجتماعية والتصدي لها باي ضرب من ضروب الاذى . كل تلك الاساليب وغيرها التي اتخذت ضد البريدين لم تثني عزمهم في السيطرة على بغداد ، ففي سنة ٣٢٩هـ ، فترة حكم الخليفة المتقي ، دخل بغداد ابو عبدالله البريدي ومعه اخوه ابو الحسين وابنه القاسم وابو جعفر ابن شيرزاد الصديق لابي عبدالله . فنزلوا البستان الشفيعي وكان في استقبالهم الوزير ابو الحسين ابن ميمون بصحبة الكتاب والعمال والقضاة .

سكن ابو عبدالله البريدي الدار بالنجمي ونزل ابو الحسين دار مؤنس المظفر ، ولقب ابو عبدالله البريدي بالوزير . ولتوثيق صلته بالخليفة المتقي ، زوج ابنته من عبدالواحد بن منصور بن المتقي لله . ونثر عليه دنانير كثيرة ، تراوحت ما بين الخمسة الالف دينار ومائة الف درهم ، اذ كانت العادة متبعة عند الاسر الحاكمة والغنية ان تنثر الدراهم في

٤٦ـ الصولي ، الاوراق ، ص١٤٤ ـ مسكويه ، تجارب الامم جـ١ ، ص٤١١-٤١٢

حفلات الزواج للتعبير عن الابتهاج والفرح في تلك المناسبات(٤٧) .

انفرد ابو عبدالله ، البريدي بمنصب الوزارة للمرة الثانية بعد تنحية الوزير ابي الحسين بن ميمون ، واستطاع ان يكسب رضا الجند بالاموال التي وزعها عليهم . ولكن رضا هؤلاء لم يكن بالشيء الجديد عليهم . فهم كعادتهم التي تعودوا عليها ، يتجهون الى كل من يمدهم بالمال وينفضون عنه ويتألبون ضده عندما يتعذر لهذا الممول من تسديد نفقاتهم . لقد تألب الجند ضد ابو عبدالله البريدي، بعد ان عجز عن دفع مصاريفهم ، اتفق الجند فيما بينهم للانقضاض على البريدين ، فقصدوا دار ابي عبدالله بالنجمي مع عامة الشعب وحدثت بين الطرفين معركة انتهت بنهب داره ودور قواده وفرارهم من بغداد وانحدارهم الى واسط. تراوحت فترة بقاء ابو عبدالله البريدي في منصب الوزير حوالي اربعة وعشرون يوما (٤٨) .

اتخذ ابو عبدالله البريدي عدة اجراءات طيلة بقائه في منصب الوزير منها تنحية عمال الكوفي(٤٩) وتوليه عماله بدلا عنهم ، وبالرغم من قصر تلك الفترة فانها اتصفت برخص الاسعار (٥٠) وذلك كما يبدو من توفير المواد الضرورية من المناطق القريبة من بغداد ، واستخدامه الشدة تجاه المتلاعبين بالاسعار .

وفي سنة ٣٣٠هـ عند ما صمم محمد بن رائق على دخول واسط وطرد البريدين منها ، بسبب امتناعه عن ارسال الاموال الى بغداد . هرب البريديون منها الى البصرة . وبالنظر لسوء حالة الوضع واضطرابه ضد بن رائق واحتياجه للمال مجددا . بدأ بمراسلتهم على ان يضمن لهم البقاء في واسط مقابل مائة وسبعين الف دينار . ثم بستمائة الف دينار في السنة (٥١) . وبعد ان تم لابن رائق ما اراد ترك واسط واتجه الى بغداد ، فعند ذلك قدم البريديون من البصرة واستقروا في واسط، وانضم اليهم عدد غفير من الجند الاتراك وعلى راسهم نوزون ونوشتكين اللذين تخلوا عن ابن رائق واتجهوا اليه ، ونتيجة لما حدث من انضمام الجند الاتراك الى البريدين تعززت قوتهم العسكرية واصبحت تهدد

٤٧ـ الصولي ، الاوراق ، ص٥٧

٤٨ـ مسكويه ، تجارب الامم ، جـ٢ ، ص١٧ ، مصر سنة سنة ١٣٣٣هـ ـ ١٩١٥م .

٤٩ـ ابو عبدالله الكوفي ـ هو المساعد للوزير ابن الحسين احمد بن محمد بن ميمون .

٥٠ـ الصولي ـ الاوراق ، ص٢٠٠

٥١ـ الصولي ـ الاوراق ، ص٢٢٤

مركز بن رائق . ولاجل تفادي هذا الامر اضطر بن رائق ان يعيد ابو عبدالله البريدي الى منصب الوزير . فاصبح ابو عبدالله البريدي وزيرا للمرة الثانية ، وارسل اليه الهدايا تعبيرا عن رضاه . ولكن البريديين صمموا على تصعيد حركتهم الى بغداد وعندما وصل الخبر بقربهم من بغداد بقيادة ابي الحسين البريدي اتخذت ضدهم بعض الاجراءات منها عزل ابي عبدالله البريدي عن منصب الوزير وتحشيد الجيوش وتهيأتهم ضدهم وحث عامة الناس لمحاربتهم ، فحلت الفوضى في بغداد ونشط العيارين وفتحوا السجون واخرجوا من فيها ، فنهبت البيوت واستمر كبس الدور ليلا ونهارا ، ولعن بنو البريدي على المنابر في المساجد الجامعة في بغداد .

خرج الخليفة الى نهر ديالى ومعه ابن رائق وبصحبته القواد لمحاربة البريديين واستمرت الحرب بينهم فترة حتى استطاع البريديون من دخول بغداد ، مما اضطر الخليفة المتقي وابنه على الهروب مع افراد من الجيش فلحق بهم ابن رائق واتجهوا الى الموصل ، وبعد ان سيطر ابو الحسين البريدي على بغداد نزل دارمونس وقام بعدة امور تضمن حياة الناس وتهيء لهم الراحة والامن وتوفر لهم المواد الغذائية . فلاجل صيانة ارواح الناس وممتلكاتهم ، عين ابو الوفاء توزون على رئاسة الشرطة في الجانب الشرقي ولنوشتكين الرئاسة على الجانب الغربي ونظرا لارتفاع الاسعار ببغداد حيث بلغ المكوك من الدقيق ستة دراهم (٥٢) . ويذكر مسكوية انه وظف على كر من الحنطة سبعين درهما وعلى سائر المكيلات وعلى الزيت (٥٣) ، وكلها تشير الى الازمة المعاشية التي كان يعانيها الناس في تلك الفترة المضطربة . حاول البريديون التخفيف من هذه الحالة بسيطرتهم على المواد الغذائية ، لا سيما الدقيق التي ملكهـا التجار والواردة من الكوفة ، وبعد انهيأوا للناس تلك المواد الضرورية رخصت الاسعار (٥٤) ببغداد وعمها الهدوء والاستقرار طيلة بقاء البريديين فيها واجرى للقاهر الخليفة المعزول في كل يوم خمسة دراهم بعد سماع البريدي بانه كان يتصدق بسوق الثلاثاء (٥٥)

وبالنظر للخيانات المستمرة والتي اعتاد عليها الجند الاتراك بسبب تأخير ارزاقهم هرب عدد منهم والتحقوا بالخليفة مما اضطر ابو الحسين البريدي الى طلب المساعدة من اخيه ابى عبدالله اثناء وجوده

٥٢ـ الصولي الاوراق ، ص٢٢٤ .
٥٣ـ مسكوية تجارب الامم ، جـ٢ ، ص٢٦ .
٥٤ـ الصولي ، الاوراق ، ص٢٢٤ .
٥٥ـ الهمداني ، التكملة ، جـ١ ، ط٢ ، ص١٢٧ .

في واسط ولدى سماعه بان الخليفة المتقي بصحبة ابن حمدان قد عـزموا على المجيء الى بغداد ، هيأ ابو الحسين العدة والرجال اضافة الى ما قدمه ابو عبدالله من مساعدة له ، اظهر التوجه لمحاربة ابن حمدان وذلك لعدم ثقته بالجند وتخوفه من الناس حيث اضطرب العامة السذج من الناس وهموا بمقاتلة البريديين ، كل ذلك اثبت عدم رجحان كفة البريديين العسكرية ، مما اضطر ابو الحسين الى مغادرة بغداد الى واسط ، عندما تقرب المتقي وابو محمد بن حمدان منها . صحب ابو الحسين البريدي اثناء هروبه من بغداد جميع جيشه ومن كان معتقلا عنده ، فعم الاضطراب والفوضى مدينة بغداد ونهبت الدور مجددا وحمل الناس السلاح للدفاع عن انفسهم لعدم وجود سلطة تأخذ على عاتقها حماية الارواح وصيانتها من المعتدين .

استمر بقاء ابو الحسين البريدي في بغداد ثلاثة أشهر وعشرين يوما (٥٦) . وبعد ذلك دخل الخليفة المتقي بغداد وكان يصاحبه ابي محمد محمد الحسن بن عبدالله بن حمدان ونتيجة للانتصار الذي احرزه جعله الخليفة اميرا للامراء ولقبه بناصر الدولة وخلع عليه وعلى اخيه علي طوقا وسورا بطوقين واربعة أسورة ذهبا وخلع على ابي عبدالله الحسين بن سعيد بن حمدان وطوق بطوق واحد وسوارين ذهبا (٥٧) ، هذه الهدايا والخلع كانت تغدق على قادة الجيوش بعد احرازهم للنصر وتعد تعبيرا لهم عن رضا الخليفة وتقربه لهم ، وكانت عادة متبعة في ذلك العصر . لكن ابا الحسين البريدي حاول مجددا التوجه الى بغداد بجيشه الكثير العدد ودارت بين البريدي وبين علي ابن عبدالله بن حمدان معركة في القرية المعروفة بكيل اسفل المدائن ، فانهزم اصحاب ابن حمدان الا ان ناصر الدولة وجيشه استطاع ان يقهر جيش البريدي ، عندما كان ناصر الدولة بالمدائن فاستوسر من اصحاب البريدي يانس غلام ابى عبدالله البريدي والفرج كاتب جيش البريدي وابو الفتح ابن ابي طاهر ومحمد بن عبدالصمد ومذكر البريدي وعندما دخل ناصر الدولة بغداد كان هؤلاء بين يديه مشهرين على جمال وعلى رؤسهم برانس ، وكانت هذه عادة اتبعت للتشهير بالخصوم الذين خسروا المعركة . اما ابو الحسين فقد انحدر الى البصرة مع ثلة من جيشه . وفي سنة ٣٢٢هـ وبموت ابى عبدالله البريدي بدأ التشتت يظهر على ابناء البريدي بعد

٥٦ـ مسكوية تجارب الامم ـ حـ٢ ، ص٢٦
٥٧ـ الصولي ـ الاوراق ص٢٢ ـ مسكوية تجارب الامم جـ٢ ص٢٩

ان انهى اثنين منهم نحبه ولم يبق منهم غير ابى الحسين وابى القاسم ابن ابي عبدالله البريدي .

وبعد موت ابي عبدالله البريدي اصبحت رئاسة الجيش لابي الحسين البريدي ، وبدأ الصراع بين ابي الحسين وابي القاسم ، وقد استطاع ابو القاسم من فرض سيطرته بعد ان عجز ابو الحسين بمساعدة القرامطة في هجر ، حيث جهز ابو طاهر الهجري جيشا ومعه اثنان من اخوانه لمحاصرة البصرة واسترجاع رئاسة ابو الحسين البريدي عليها .

وراسل ابو الحسين البريدي بعد هروبه من البصرة وفراره الى بغداد ، الامير توزون ، وطلب منه المساعدة لفتح البصرة ، وانه يضمن له من جراء ذلك الاموال الكثيرة ، وبعد المداولة في الامر بين الخليفة المستكفي وبين توزون ، خلع الخليفة المستكفي على ابي الحسين الخلعة دلالة على رضاه منه ، وبنفس الوقت عندما سمع ابو القاسم لهذا الخبر ، حاول هو الاخر كسب رضا توزون وابن شيرزاد كاتبه ، الذي حاول ابو الحسين من ضربه وقطع صلته بتوزون ، وبعد ان تم لابي القاسم البريدي من كسب رضا توزون وابن شيرزاد ، وجه توزون بتحريض من ابن شيرزاد بالقبض على ابي الحسين في بغداد ، واقتيد الى دار الخلافة حيث ضربت عنقه ، وصلبت جثته ثم احرقت سنة ٣٣٣هـ وبموت ابي الحسين البريدي لم يبق منهم غير ابي القاسم ، وقد استطاع ابو القاسم البريدي ان يضمن واسط من معز الدولة البويهي ، الا ان هذه الصلة الحسنة لم تستمر طويلا ، بسبب تضارب المصالح المالية فعند ذلك ارسل معز الدولة البويهي جيشا الى واسط ، وكان ابو القاسم البريدي قد سير جيشا من البصرة لمواجهتهم ، فجرت بين الطرفين معركة انتهت بانهزام البريدي واسر عدد كثير من الديلم ، ولكن معز الدولة البويهي لم يكتف بهذا القدر من النصر ، بل انه صمم على انتزاع البصرة من واليها ابو القاسم البريدي ، وجرت في هذا الاثناء مراسلات بين القرامطة في هجر يشيرون على معز الدولة البويهي بالكف عن الاقدام الى البصرة ، بعد ما لمسوا ما يهددهم من مخاطر فيما لو تم للبويهي من فتح البصرة ، رفض معز الدولة ما ارادة القرامطة ملوحا لهم ما في نيته من السير اليهم والقضاء عليهم .

بعد وصول جيش الخليفة المطيع لله ومعز الدولة البويهي الى الدرهمية (٥٨) انحاز جيش البريدي باسره الى جانب الخليفة ، وعلى اثر ذلك هرب ابو القاسم البريدي الى هجر ودخل معز الدولة البصرة (سنة ٣٣٦هـ - ٩٤٧م) والقي القبض على جميع قواد البريدي واستولى على امواله وودائعه وخزائنه واحرق كل ما وجده من الشذاءات والطيارات والزبازب ، وجعل لؤلؤا واليا على اعمال البصرة والحرب (٥٩) الا ان ابا القاسم البريدي لم يسكت اذ بعد فترة استطاع من الحصول على الامان في سنة ٣٣٧هـ والمجيء الى بغداد ، فلقي معز الدولة واحسن اليه واعاد عليه ضيعته المعروفة بفروخابا من بادوريا وانزله ، في الدار المسماة بالموزة بمشرعة الساج (٦٠) وانه اقطع اقطاعا بعشرة الاف دينار واتخذه نديما له(٦١)ويذكر مسكوية ، ان معز الدولة «اقطعه بمائة وعشرين الف درهم ضياعا» (٦٢) . استمرت العلاقة بينهما طيبة حتى وفاة ابو القاسم البريدي (سنة ٣٤٩هـ/٩٦١م) وبهذا انقطعت الاخبار عن اسرة ال البريدي .

٥٨- مكان بالقرب من البصرة

٥٩- مسكوية ، تجارب الامم ، جـ٢ ، ص١١٢ - ابن الاثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص٣٢٥ .

٦٠- الهمداني ، التكملة ، جـ١ ، ط٢ ، ص١٦٠

٦١- مسكويه ، تجارب الامم ، جـ٢ ، ص١٨١

٦٢- مسكوية ، تجارب الامم ، جـ٢ ، ص١١٥

***

المصادر والمراجع

١ - احمد بن محمد المعروف بمسكويه ، تجارب الامم - الجزء الاول مصر (سنة ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م) - الجزء الثاني مصر (١٣٣هـ - ١٩١٥م) .

٢ - ابن الاثير ، الكامل - الجزء السادس ، بيروت ١٣٨٧هـ .

٣ - ابن الاثير ، اللباب في تهذيب الانساب مصر - ١٣٥٧هـ .

٤ - ابو الفداء المختصر في اخبار البشر الجزء الاول والثاني والثالث بيروت .

٥ - محمد بن يحيى الصولي ، الاوراق - غنى بنشره ج - هيورت ، دت .

٦ - محمد بن عبدالملك الهمداني ، تكملة تاريخ الطبري ، قدم له وحققه ووضع فهارسه البرت يوسف كنعان ط٢ بيروت سنة ١٩٦١ .

٨ - الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، تحقيق فؤاد سيد - كويت سنة ١٩٦١ .

٩ - الهلال الصابي ، الوزراء ، تحقيق عبدالستار احمد فراج دار احياء الكتب العربية سنة ١٩٥٨ .

١٠- جرجي زيدان ، تاريخ التحدث الاسلامي ، الجزء الثاني دار الهلال .

١١- عبدالجبار ناجي ، البصرة في القرن الثالث الهجري لندن ١٩٧٠ اطروحة باللغة الانكليزية لم تنشر بعد .

الأجماع في الشريعة الأسلامية

بحث موضوعي مقارن للمصدر الثالث
من مصادر الاحكام الشرعية

بقلم الدكتور
رشدي محمد عرسان عليان
كلية الاداب ـ جامعة بغداد
قسم الدين

اول مصادر الاحكام الشرعيــة كتاب اللــه ـ تعالى ـ عمـدة الشـريعة وكليتها انـزلـه الله ـ تعالى ـ على رسوله الكريم ـ ص ـ وضمّنه على سبيل الاجمال والعموم بيانا لكل ما يصدر عـن الانسان من اعمال « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء »(١) قال الامام الشافعي : « فليست تنزل باحد من اهل دين الله نازلة الا و في كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها »(٢) وروى الكليني عن ابي عبد الله ـ ع ـ انه قال : « ان الله تبارك وتعالى انـزل في القرآن تبيان كل شيء حتى والله ما ترك اللـه شيئا يحتاج اليه العباد حتى لا يستطيع عبد يقول لو كان هذا انزل في القرآن . الا وقـد انزلـه الله فيه »(٣) .

وثانيهما : سنة رسول الله ـ ص ـ الثابتـة من اقواله ، وافعاله ، وتقريراته ، وهي تعتبر مبيّنة وشارحة ، ومكملة لكتاب الله ـ تعالى ـ نص القرآن على حجيتها في اكثر من آية قال تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا »(٤) وقال : « من يطع الرسول فقد أطاع اللـه »(٥) واجمـع المسلمون على حجيتها واعتبارها اصلا قائما بذاتـه في استنباط الاحكام، قال الشيخ الخضري« فقداجمع المسلمون على ان سنة رسول الله ـ ص ـ حجة في الدين ودليل من ادلة الاحكام »(٦) .

ورابع المصادر عند اهل السنة والجمـاعة « القياس » وهو الحاق الفروع التي لم ينص على حكمها بالاصول التي ورد النص فيها لوجود علـة مشتركة بينهما وعند الامامية « دليل العقل » وهو « كل حكم للعقل يوجب القطع بالحكم الشرعي »(٧) او « كل حكم عقلي يتوصل بصحيح النظر فيه الى حكم شرعي »(٨) .

والذي دفعني الى هذا البحث عدة اسباب :

منها : ما للاجماع من اهمية في التشريـع الاسلامي فهو يبين للامة حكم ما ينزل بها مـن ابتلاءات وما يصادفها من معضلات مما لا نص عليها في ظاهر الحال من كتاب او سنة .

ومنها : ما لاتفاق الراي ، ووحدة الفكر مـن اهمية بالغة في تكاتف الامة ووحدة كلمتها ، ورص صفوفها .

وتلك هي احدى مميزات الاسلام دين التوحيد ودين التآلف والتكاتف : « واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم »(٩) فقديما كان العرب ـ كما هم اليوم ـ امة ضعيفة متخاذلـة ،

(١) النحل / ٨٩
(٢) الرسالة ص٢٠
(٣) اصول الكافي ، كتاب فضل العلم .
(٤) الحشر/٤
(٥) النساء/٧٩

(٦) تاريخ التشريع ص٢٦٣
(٧) اصول الفقه للمظفر ج ٣ ص١٢٥ .
(٨) انظر العقل عند الشيعه لكاتب هذا البحث .
(٩) آل عمران/١٠٣

متناحرة هان امرهم عند جيرانهم من فرس وروم ، فاتخذوا منهم صنائع وعملاء وحراس حدود ، وادلاء قوافل ومداحين متزلفين لكسرى تارة ولقيصر اخرى ، حتى جاءهم رسول من انفسهم .. وحد كلمتهم وجمع امرهم وقادهم الى ما فيه صلاح دنياهم وسعادة اخراهم ودعاهم الى الاخذ باسباب النهوض والرقي .. الى الاعتصام بكتاب الله حجة الحجج ومنارة السالكين .. الى التمسك بسنته – ص – لان فيها عز الدنيا وصلاح الآخرة الى الالتفاف حول ما يتفق عليه قادة الامة وأولو الراي فيها .. فهو المرجع لكل معضلة بعد الكتاب والسنة. فكان ما كان بعد ذلك من رقي العرب ونهضتهم وقيادتهم العالم ونشرهم العلم والعرفان في كل مكان .

ومنها : بيان فساد الآراء التي تنتشر بين حين وآخر مدعية ان الاجماع فقد قيمته التشريعية بعد القرن الاول للهجرة نظرا لتفرق اولي الراي واهل الحل والعقد في مشارق الارض ومغاربها وعدم امكان معرفتهم ومعرفة ما اتفقوا عليه من احكام وفتاوى واقضيه .

ونظرا لاختلاف منازعهم الفكرية والسياسية واهوائهم المختلفة فانى يتفق السني والامامي والزيدي والاباضي .. الخ على راي واحد في مسالة واحدة ، وارى ان دعوى تعذر الاجماع لانتشار اهله في البلدان ظاهرة الفساد للاتي :

اولا : ان التفرق المكاني والبعد الزماني لم يحل دون الاطلاع على عدم اختلافهم في مسائل كثيرة ، ونقلها الينا جيلا بعد جيل . ادل دليل على وقوع الاجماع ، وعلى انه لم يفقد قيمته التشريعية، من ذلك :– جمع القرآن وكتابته ، وعدم النقص والزيادة فيه ، وصحة عقود الاستصناع ، وبيع المعاطاة ، وبطلان زواج المسلمة بغير المسلم ، وتحريم الجمع بين المحارم في النكاح ، وقيام الاخوة والاخوات لاب مقام الاخوة الاشقاء عند عدمهم .. الى غير ذلك من الاحكام قال الامدى : « ان جميع ما ذكروه منتقض بما وجد من اتفاق جميع المسلمين فضلا عن اتفاق أهل الحل والعقد ، مع خروج عددهم عن الحصر ، على وجوب الصلوات الخمس ، وصوم رمضان ، ووجوب الزكاة والحج ، وغير ذلك من الاحكام التي لم يكن طريق العلم بها الضرورة»(١٠)

ثانيا : ان كانت تلك الدعوى قد تكون مستساغه في العصور الغابرة فلا مجال لها في عصرنا والعصور التالية ، لما حققه الانسان من تقدم في مجال الاتصالات والمواصلات واجهزة الاعلام ، فبفضل المواصلات الحديثة اصبح من السهل جدا ان يعقد قادة الفكر في الامة واهل الاجماع منها مؤتمرا عاما ، كلما دعت الحاجة ويتبادلون وجهات النظر فيما يجد من احداث وما يطرؤ من مشكلات وما اتفقوا عليه كان اجماعا واجب الاتباع من جميع افراد الامة وبفضل اجهزة الاعلام المتنوعة والمتطورة يمكن الاطلاع على الفتاوى التي تصدرها دور الفتوى في كل قطر اسلامي ، وعلى آراء المجتهدين اينما كانوا وما اتفقوا عليه كان اجماعا وهكذا نضمن حلولا وتشريعات جديدة لكل جديد من المحن والشدائد وتبقى الشريعة – في ظل الاجماع – حية متطورة يجد انسان العصر فيها الحل المناسب لما يصادفه من مصاعب الحياة ، ومشاكل التطور والمدنية ؛

اما بالنسبة لدعوى تعذر الاجماع لاختلاف منازع اهله الفكرية والسياسية فهي كذلك ظاهرة الفساد ، لان اقصى ما يؤدى اليه اختلافهم هو الحد من الاجماعات ولا يؤدى ذلك الى استحالة الاتفاق على بعض الاحكام والفتاوي بدليل ما نقل الينا من اجماعات لا زال العمل عليها عند جميع المذاهب الاسلامية حتى عصرنا هذا وقد ذكرت نماذج منها فلا نعيد ؛

ولما كان الاجماع يتكون من ركنين مجمع عليه وهو نفس الاجماع ، ومجمعين وهم اهل الاجماع فقد جاءت هذه الدراسة في مبحثين :–

المبحث الاول في الاجماع ويحتوى على :–

تعريفه – مقامه – سنده ، حجيته – انواعه – مخالفة حكمه .

المبحث الثاني في المجمعين « اهل الاجماع » هل هم الصحابة .. الخلفاء الاربعة ، اهل البيت ، اهل المدينة ، اهل الكوفة والبصرة .. جماعة المجتهدين في اي عصر .؟

المبحث الاول

« في الاجماع »

١ – تعريفه في اللغة وفي اصطلاح الاصوليين

١ – الاجماع في اللغة :

الاجماع من الالفاظ المشتركة في وضع اللغة بين معنيين :

(١٠) احكام الاحكام للامدي ج١ ص١٠٢ ، وانظر معراج الاصول للمحقق الحلي ص٦٦ .

الاول : العزم يقال « اجمع فلان على كذا » اذا عزم عليه ، وجاء في الحديث «لا صيام لمن لم يجمع الصيام من الليل » اي لم يعزم الصيام من الليل وورد في الكتاب الكريم « فاجمعوا امركم »(١١) اي اعزموا والاجماع بهذا المعنى يصدق على الواحد كما في المثال الاول ، وكما جاء في الحديث الشريف ، ويصدق على الجمع كما في الآية الكريمة .

الثاني : الاتفاق يقال « اجمع القوم على كذا » اذا اتفقوا عليه وهو بهذا المعنى لا يصدق الا على الجمع ولا يتصور من الواحد . وقيل ان الاجماع في اللغة هو الاتفاق والعزم راجع اليه ، لان من اتفق على شيء فقد عزم عليه(١٢) .

وقيل ان الاجماع حقيقة في معنى الاتفاق لتبادره الى الذهن مجاز في معنى العزم لصحة سلب الاجماع عنه(١٣) .

وعلى هذا فان « الاجماع بمعناه اللغوي معنى عام لا يعرف تخصيصا ولايقبل تقييدا فلايخصص بجماعة خاصة ولا بامر مخصوص »(١٤) فاتفاق كل طائفة يسمى اجماعا لغة وعلى اي امر كان دينيا او غير ديني .

٢ ــ الاجماع في الاصطلاح

١ ــ الاجماع في اصطلاح اهل السنة والجماعة :

عرّف كثير من الاصوليين الاجماع بانه :ــ

« اتفاق المجتهدين من هذه الامة في عصر بعد وفاة النبي ــ ص ــ على امر ديني »

شرح التعريف وبيان ما يفهم منه من امور :ــ

١ ــ الاتفاق لفظ مشترك بين القول والفعل والاعتقاد ، فلو اتفقوا على قول من الاقوال يكون اجماعا . وكذلك لو اتفقوا على فعل ، كما اذا شرع اهل الاجتهاد جميعا في المزارعة او الشركة ، وكذلك لو اتفقوا على عقيدة كاجماعهم على نفي تعدد الالهة وبطلان عقيدة التثليث .

٢ ــ ان اتفاق المجتهدين هو المعتبر في الاجماع الذي هو دليل على الاحكام الشرعية ، فلا عبرة ــ في هذا المجال ــ باتفاق غيرهم من المفكرين وعامة الناس .

ومن العلماء من يرى دخول عامة الناس في اهل الاجماع ، وهو راي باطل لان امثال هؤلاء لا يملكون دقة النظر في الامور الشرعية .

٣ ــ ان يكون الاتفاق من جميع المجتهدين ، فلو اتفق الاكثر على حكم شرعي وخالف الاقل ، فانه لا يكون اجماعا وحجة عند جمهور العلماء(١٥) ومن العلماء من يرى تحقق الاجماع باتفاق الاكثر(١٦) ومنهم من يرى انه يكون حجة وليس باجماع .

وكلا الرايين مرجوح ، لان الحق قد يكون في جانب الاقل ، ولان الاجماع لا يتحقق مع وجود مخالف لعدم تحقق الاتفاق ولان ذلك معارض بدلالة احاديث عصمة الامة ككل ، وسيأتي بيان ذلك .

٤ ــ ان يكون المجتهدون من الامة الاسلامية ، فلا اعتداد باتفاق المجتهدين من الامم السابقة ؛ وذلك لقيام الادلة على اختصاص امة محمد بالعصمة من الخطأ عند اتفاقهم .

٥ ــ ان يكون الاتفاق في عصر واحد ، اذ لا يتصور تحقق الاجماع او العلم به في كل العصور .

٦ ــ ان يكون الاتفاق بعد وفاة النبي ــ ص ــ اذ لا عبرة باتفاقهم في زمنه ــ ص ــ في اثبات الاحكام الشرعية ، اذ لو حصل الاجماع على امر فلا يخلو اما ان يوافقهم النبي ــ ص ــ وحينئذ فالحكم ثابت بالنص لا بالاجماع واما ان يخالفهم وحينئذ يطرح الاجماع لمخالفته النص .

٧ ــ ان يكون ما اتفق عليه من الامور الدينية سواء اكان شرعيا(١٧) اجتهاديا أم غير شرعي مما يدرك بالحس او بالعقل ؛ لان الاحكام الحسية قد تكون ظنيه فالاجماع عليها يكسبها صفة القطعية ؛ وكذلك بعض المدركات العقلية .

وقيد بعض العلماء الامر المتفق عليه بكونه شرعيا ، ونفى حجية الاجماع في الامور الدينية غير الشرعية مما يدرك بالحس او بالعقل على اعتبار ان المدركات الحسية والعقلية تفيد اليقين ، فلايكون الاجماع حجة فيها .

وردّ بما ذكرت من أنّ من المدركات الحسية والعقلية ما تفيد الظن فقط فيصير بالاجماع قطعيا، واطلق بعض العلماء كابن الحاجب(١٨) والجلال

(١١) يونس/٧١
(١٢) انظر ارشاد الفحول للشوكاني ص٧١ .
(١٣) انظر الاجماع لمحمد صادق الصدر ص٢١ .
(١٤) المصدر السابق ، واحكام الاحكام للامدي جـ١ ص١٠١ ، وشرح الكوكب المنير للفتوحي ص٢٢٥ .

(١٥) راجع المستصفى للغزالي ص١١٧ .
(١٦) وهم محمد بن جرير وابو بكر الرازي وابو الحسين الخياط . راجع روضة الناظر لابن قدامة ص٧١ الاحكام للامدي جـ١ ص١٢١ .
(١٧) الحكم الشرعي « هو الذي لا يدرك الا من خطاب الشارع وغير الشرعي مما يدرك بالحس او بالعقل » .
(١٨) انظر منتهى الاصول ص٣٧ .

المحلى(١٩) الامر ولم يقيدوه بالديني » وعليه يكون الاجماع حجة في كل الامور دينية كانت او عادية او عقلية او لغوية ، وقالوا ان الادلة الدالة على حجية الاجماع لم تفرق بين الاجماع على امر ديني او دنيوي، فاذا ما اتفقوا على اي امر من امور التجارة او الزراعة او الحروب او غير ذلك ، وجب ان يكون حجة وقد ناقش استاذنا الشيخ فايد في محاضراته في كلية الشريعة والقانون هذا الراي بما حاصله :

١ ـ ان تحقق الاجماع في غير الامور الدينية او عدم تحققه سواء لانه غير ملزم للمسلم فلا يأثم بمخالفته .

٢ ـ ان قول الرسول ـ ص ـ لا يكون حجة في الامور الدنيويه لقوله ـ ص ـ في قصة تلقيح النخل « انتم أعلم بامور دنياكم » وكان ـ ص ـ يرى الراي في الحروب فيراجعه فيه اصحابه ـ كما في غزوة بدر ـ فيترك رايه ويعمل برايهم . فاذا كان قول الرسول ـ ص ـ في هذه الامور ليس بحجة . فالاجماع فيها ليس بحجة من باب اولى لان الاجماع في مرتبة ادنى من قول الرسول ـ ص ـ .

وبهذا يتضح ارجحية الراي الذي خص الاجماع بالامور الدينية سواء اكانت شرعية أم غير شرعية ، وعليه اكثر العلماء ، قال حجة الاسلام الغزالي : « اما تفهيم لفظ الاجماع فانما نعني به اتفاق أمة محمد ـ ص ـ خاصة على امر من الامور الدينية »(٢٠) وقال ابن قدامة : « ومعنى الاجماع في الشرع اتفاق علماء العصر من امة محمد ـ ص ـ على امر من امور الدين . »(٢١)

٢ ـ الاجماع في اصطلاح الامامية :

عرف العلامة الحلي الاجماع بأنه : «اتفاق اهل الحل والعقد من امة محمد ـ ص ـ على امر من الامور »(٢٢)

ومراده من اهل الحل والعقد على ما نبّه عليه غير واحد « المجتهدون » اذ لا عبرة براي عامة الناس في استنباط الاحكام الشرعية ، وعرفه المحقق الحلي بانه : « اتفاق من يعتبر قوله بالفتاوى الشرعية على امر من الامور الدينية »(٢٣) وبذلك عرفه صاحب المعالم(٢٤) وعرفه زين الدين « الشهيد الثاني » بانه « اتفاق المجتهدين من امة النبي(ص) على حكم »(٢٥) .

هذه طائفة من تعاريف الاجماع عند الامامية ؛ ويلاحظ انها لا تختلف في مؤداها بل ونصوصها عن تعاريف اعلام اهل السنة والجماعة . وهناك طائفة اخرى من التعاريف يظهر فيها الاختلاف وتتضح منها وجهة نظر الامامية بالنسبة للاجماع؛نستعرضها ثم نشير الى ما يفهم منها .

عرفه صاحب الفصول بانه « الاتفاق الكاشف عن قول المعصوم على حكم ديني »(٢٦) وعرفه بعض الاعلام بانه « اتفاق جماعة يعتبر قولهم في الفتاوى الشرعية على حكم ديني بحيث يقطع بدخول المعصوم فيهم لا على التعيين ولو في الجملة »(٢٧) وعرفه الميرزا ابو القاسم القمي بانه « اتفاق جماعة يكشف اتفاقهم عن راي المعصوم »(٢٨) وعبر عنه الشيخ المظفر بقوله : « الاجماع : كل اتفاق يستكشف منه قول المعصوم »(٢٩) .

ويفهم من هذه التعاريف امور عده :ـ

١ ـ ان الاجماع ليس دليلا مستقلا في اثبات الاحكام الشرعية ، وانما هو في الحقيقة كاشف ومظهر لقول الامام المعصوم الذي هو في الواقع الدليل المثبت للحكم الشرعي ، وبعبارة اخرى ان الاجماع ليس دليلا بنفسه بل هو دليل على الدليل وعليه فالحجة ليست للاجماع الكاشف بل لقول المعصوم المنكشف بالاجماع ، وقد افصح عن ذلك الشيخ المظفر بقوله : « ان الاجماع بما هو اجماع لا قيمة علمية له عند الامامية مالم يكشف عن قول المعصوم فاذا كشف على نحو القطع عن قوله فالحجة في الحقيقة هو المنكشف لا الكاشف فيدخل حينئذ في السنة ، ولا يكون دليلا مستقلا في مقابلها »(٣٠) .

٢ ـ اذا كان الاجماع حجة من جهة كونه كاشفا عن قول المعصوم ، فلا يشترط الامامية اتفاق جميع المجتهدين ، كما هو الحال عند اهل السنة بل يكفي اتفاق من يكشف اتفاقهم عن قول المعصوم كثروا او قلوا وقد صرح بذلك غير واحد من اعلامهم .

قال السيد المرتضى « اذا كان علة كون الاجماع حجة كون الامام فيهم فكل جماعة كثرت او قلت كان الامام في اقوالها فاجماعها حجة»(٣١) والواقع

---

(١٩) انظر شرحه على متن جمع الجوامع جـ٢ ص١٧٦ .
(٢٠) المستصفى جـ١ ص١١٠ .
(٢١) روضة الناظر ص٦٧ .
(٢٢) من الفصول لابن رحيم طبعة حجرية ص٢٤٢ .
(٢٣) معراج الاصول ص٦٦ .
(٢٤) انظر كتابه المعالم ص١٦٤ .
(٢٥) من الاجماع لمحمد صادق الصدر ص٢٥ .
(٢٦) الفصول ص٢٤٣ .
(٢٧) نفسه .
(٢٨) القوانين جـ١ ص٣٤٩ .
(٢٩) اصول الفقه جـ١ ص١٠٦ .
(٣٠)،(٣١) نفسه .

ان اطلاق لفظة الاجماع على اتفاق الجماعة القليلة اصطلاح خاص بجملة من العلماء وفي رأيي انه مغالطة صريحة لمفهوم الاجماع لغة وعرفا .

٣ ـ ان الاجماع قد يطلق ويراد به اتفاق جميع المجتهدين غير الامام وهذا مختلف في حجيته وسيأتي بيان ذلك ، وقد يطلق ويراد به اتفاق جماعة من المجتهدين فيهم الامام المعصوم ولو كانوا فئة قليلة جدا ، وهذا لا خلاف في حجيته ، وقد يطلق ويراد به قول الامام بمفرده وسيأتي بيان ذلك في المبحث الثاني « المجمعين » .

٢ ـ مقام الاجماع عند المذاهب الاسلامية :

الاجماع من البحوث النافعة والمهمة في علم اصول الفقه ، استأثر بعناية خاصة من اعلام الامة ومفكريها لانه المصدر الذي يلي النصوص في القوة والاحتجاج .

فاذا ماعرضت للمجتهد حادثة ، واراد معرفة راي الشريعة فيها عرضها اولا على كتاب الله تعالى ـ مصدر الشريعة الاول ، فاذا لم يجد بغيته مال الى سنة رسول الله ـ ص ـ مصدر الشريعة الثاني فان اعياه البحث ولم يجد ضالته فيها ، نظر هل اتفق السابقون على حكم لها ؟ فان وجد عمل به ، وافتى بموجبه وهو مطمئن البال ، فالامة لا تجتمع على الخطأ والضلالة كما اخبر بذلك الصادق الامين واذا لم يسعفه الاجماع لجأ الى مصادر اخرى معروفة في اصول الفقه كالقياس ، وحكم العقل ، والمصلحة .. الخ ، ليس هنا محل بحثها .

حدث ميمون بن مهران فقال :

« كان ابو بكر الصديق اذا ورد عليه خصم نظر في كتاب الله فان وجد قضى به ؛ والا نظر في سنة رسول الله فان وجد فيها ما يقضي به قضى به ، فان اعياه ذلك سال الناس وجمع رؤساءهم واستشارهم ، فان اجتمع رأيهم على شيء قضى به ، وكان عمر يفعل ذلك فان اعياه ان يجد ذلك في الكتاب والسنة ، سال ـ هل كان ابو بكر قضى فيه بقضاء ؟ والا جمع الناس واستشارهم فاذا اجتمع رأيهم على شيء قضى به »(٣٢) وقال الشيخ محمد صادق الصدر : « الاجماع هو الدليل الثالث من ادلة الاحكام بعد الكتاب والسنة وهو ينبوع فياض افاض على الامة كثيرا من الاحكام التي لولاه لما وصلت اليها فكرة المجتهدين ؛ فهو اذن يمدهم بالفيض حيث تجف امام اعينهم الينابيع وهو يشع امام ابصارهم كمشكاة فيها مصباح اذا اطفئت المصابيح وهو يفتح للمجتهدين الف باب وباب من مستعصيات الفقه اذا اوصدت بوجوههم الابواب . وهو يجمع شمل المجتهدين على راي واحد بعد ان كان لكل واحد فكره ولكل مجتهد نظره ، انه الاجماع الجامع المانع»(٣٣)

وهذه المميزات العلمية ، والقيمة التشريعية للاجماع ، اهلته لنيل الحظوة ، والاهمية لدى كافة المذاهب الاسلامية ، ولدى المطلعين على أصول الفقه من المستشرقين ، فهذا جولد زيهر ـ المجري الاصل واليهودي الدين ـ يعجب كل الاعجاب بالاجماع كأصل من اصول الشريعة الاسلامية ، ويقول : « سوف يرى بلا شك أن هذا الاصل ـ الاجماع ـ قد احتوى على ينبوع القوة التي تجعل الاسلام يتحرك ويتطور بكل حرية »(٣٤) .

ويقول : « الحق ان هذا المبدأ ـ الاجماع ـ المتبع ملحوظ عند مجددي الاسلام في عصرنا ، فهو الباب الذي يجب بواسطته ان تنفذ الى بناية الاسلام عوامل القوى الشابه »(٣٥) .

٣ ـ سند الاجماع

هل الاجماع مصدر مستقل بذاته في اثبات الاحكام الشرعية في مقابل المصادر الثلاثة الاخرى ، الكتاب والسنة والقياس او العقل ؟

ام انه لا ينعقد ولا يصير حجة الا بتوسط احد هذه المصادر ، ذهب بعض الاعلام الى الاول وقالوا باستقلالية الاجماع وعدم حاجته الى توسط دليل آخر يستند اليه(٣٦) ودليل هؤلاء :

اولا : ان الاجماع في نفسه حجة ودليل في اثبات الاحكام فلو توقف على سند لكان هذا السند هو الحجة ، وحينئذ لا يكون للاجماع فائدة .

ثانيا : لو توقف الاجماع على سند لما وقع بدونه، لكنه وقع ، فلا يكون السند شرطا في انعقاده، ومثلوا لذلك ببيع المعاطاة فان العلماء اجمعوا على جوازه بلا دليل .

ثالثا : ان العقل لا يمنع من انعقاد الاجماع عن توفيق وذلك بأن يوفق الله ـ تعالى ـ أهل الاجماع في الامة لاختيار ما هو الصواب عنده . وذهب الاكثرون من علماء الامة الى الثاني اي ان الاجماع لا ينعقد الا عن مستند لان حق انشاء الاحكام

---

(٣٢) ملخص ابطال الراي لابن حزم ص١١ .

(٣٣) الاجماع ص١٩ .
(٣٤) عن المدخل الى علم اصول الفقه لمعروف الدواليبي ص٢٢
(٣٥) العقيدة والشريعة لزيهر ص٥٤ .
(٣٦) انظر احكام الاحكام للامدي جـ١ ص١٣٢ وارشاد الفحول للشوكاني ص٧٩ .

الشرعية لله ولرسوله ، وليس لاهل الاجماع ، وقالوا : ان عدم الدليل يستلزم الخطأ في الاحكام لان الدليل هو الطريق الموصل الى الصواب .

قال الشيخ الخضري : « لا ينعقد الاجماع الا عن مستند لان الفتوى بدون المستند خطأ لكونه قولا في الدين بغير علم . والامة معصومة عن الخطأ »(٣٧) وقال الشيخ ابو زهره : « لابد للاجماع من سند لان اهل الاجماع لاينشئون الاحكام »(٣٨) واجابوا عن ادلة البعض القائل بعدم حاجة الاجماع الى سند ودليل بما يأتي :

اولا : لا نسلم عدم فائدة الاجماع مع الدليل . اذ الفائدة موجودة معه وهي سقوط البحث عن ذلك الدليل ، والاكتفاء بالاجماع ، وحرمة المخالفة الجائزة فيه قبل الاجماع .

ثانيا ـ لا نسلم ان العلماء اجمعوا على صحة بيع المعاطاة بدون دليل وكل ما في الامر انهم لم ينقلوه اكتفاء بالاجماع اذ هو اقوى دلالة .

والذي اراه ان علماء الامة ان اتفقوا على امر من الامور الدينية ، لابد ان يكون حقا وصوابا لان العادة تمنع اتفاقهم على شيء بدون دليل ، قال الشهيد في الذكرى « ان عدالتهم تمنع من الاقتحام على الافتاء بغير علم وانه لا يلزم من عدم الظفر بالدليل عدم الدليل »(٣٩) .

وقال السيد الصدر : « ان جماعة المجتهدين ان اجمعوا على راي في اي عصر من العصور يدلنا بوضوح على ان رايهم المجمع عليه كان لمستند قوي استدعى ان تجتمع كلمة الاعلام بسببه على ذلك الراي والا لاختلفت كلمتهم وذهب كل فريق الى راي غير راي الآخر كما يتفق هذا في كثير من المسائل .. واذا حصل الاجماع من كافة المجتهدين كان المستند حينئذ للحكم هو سبب الحجية لانا نعلم انهم لا يصدرون حكمهم بغير مستند ، ولا يجمعون على باطل »(٤٠) وقال : « وليس من الضروري لنا ان نعرف سند الاجماع عند المجمعين بل الواجب ان ناخذ باجماعهم اعتمادا على ورعهم وعلمهم ، لاعتقادنا بأنهم لا يجمعون الا عن دليل »(٤١) .

قطعية السند

اختلف القائلون بلزوم السند للاجماع في قطعية السند وظنيته فقال اهل الظاهر ان مستند الاجماع لابد ان يكون قطعيا كنصوص الكتاب ومتواتر السنة ولا يجوز ان يكون ظنيا كخبر الواحد والقياس . لان الاجماع قطعي الدلالة ، فلا ينعقد الا عن دليل قطعي ، اذ غير القطعي لا يفيد القطع .

وقال الامامية : ان مستند الاجماع يكون قطعيا كنص الكتاب والخبر المتواتر ويكون ظنيا اذا كان خبر واحد لا قياسا ، لان خبر الواحد العدل كلام من وجبت طاعته فيصح ان يكون سندا للاجماع(٤٢) بخلاف القياس لورود النهي عن العمل به عن الائمة المعصومين ولان العلماء مختلفون في حجيته ، وهذا مانع من انعقاد الاجماع عنه ؛ لان من لا يقول بحجيته لا يوافق القائل بها . وقال الاكثرون ان مستند الاجماع يكون قطعيا ، ويكون ظنيا كخبر الواحد والقياس . وقد وضح الشيخ الخضري في كتابه اصول الفقه والشيخ فايد في محاضراته في الاجماع وجهة نظر الاكثرين بما حاصله(٤٣) .

اولا : ان النصوص الدالة على حجية الاجماع نصوص عامة تفيد انعقاد الاجماع سواء اكان سنده قطعيا أم ظنيا ، فاشتراط القطعية تخصيص للنصوص من غير دليل والتخصيص من غير دليل باطل .

ثانيا : وقع اجماع من المجتهدين مستندا الى خبر واحد كاجماعهم على حرمة بيع الطعام قبل قبضه لدلالة حديث ابن عمر ـ رض ـ « من ابتاع طعاما فلا يبعه حتى يستوفيه » وكذلك انعقد اجماعهم مستندا الى القياس كاجماعهم على تحريم شحم الخنزير قياسا على لحمه ، وعلى اراقة السيرج ونحوه اذا ماتت فيه فارة قياسا على السمن(٤٤) ، وردوا على الظاهرية القائلين بان الاجماع قطعي فلا يكون الا عن قطعي بأن قطعية الاجماع لم تثبت من جهة السند ، والا لكان الاجماع لغوا لان المثبت للحكم حينئذ هو الدليل القطعي وليس الاجماع ، وردوا على الامامية القائلين بان الاجماع لا ينعقد عن القياس بأن القياس طريق من طرق اثبات الاحكام الشرعية فيجوز ان يكون سندا للاجماع وبأن اختلاف العلماء في حجيته لا يمنع من انعقاد الاجماع عنه كخبر الواحد ، فان العلماء مختلفون في حجيته ومع ذلك جوزتم ان ينعقد

(٣٧) اصول الفقه ص٣١٠ وانظر تيسير التحرير لاميربادشاه جـ٣ ص٢٥٤ .
(٣٨) اصول الفقه ص١٩٩ .
(٣٩) الفصول لابن رحيم ص٢٥٢ .
(٤٠)،(٤١) الاجماع ص٥٣ وص٨٧ .

(٤٢) راجع القوانين للقمي جـ١ ص٣٨٤ .
(٤٣) راجع اصول الفقه ص٣١١ وص٢٩ من بحث الشيخ فايد في الاجماع ، واحكام الاحكام للامدي جـ١ ص١٣٥ .
(٤٤) انظر شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير ص٢٣٧ .

الاجماع بموجبه .(٤٥) وعن ورود النهي عن العمل بالقياس ، بأن ذلك معارض بما ورد من اخبار تدل على جواز العمل به . قال حجة الاسلام الغزالي : « يجوز انعقاد الاجماع عن اجتهاد وقياس »(٤٦) وقال ابن قدامة المقدسي « يجوز ان ينعقد الاجماع عن اجتهاد وقياس ويكون حجة »(٤٧)

والذي اراه ان الاتفاق ان وجد من علماء العصر فهو دليل وحجة سواء اكان هذا الاتفاق عن دليل قطعي أم ظني ؛ لأن الحجة تنتقل من ذلك الدليل الى الاجماع . فإن كان في الاصل ظني فالاجماع يفيد ثبوت الحكم قطعا وان كان في الاصل قطعي فالاجماع يفيد التأكيد والتعضيد لانه يكون من قبيل تظافر الادلة على الحكم الواحد . ومما يدعم هذا الراي قول الامام الصادق ـ رض ـ : « فان المجمع عليه لا ريب فيه »(٤٨) فان الامام نفى الريب عن الراي المجمع عليه مطلقا ، ولم يقيده بما اذا كان مجمعا عليه بموجب سند قطعي او ظني خاص او عام .

٤ ـ حجية الاجمـــاع

ذهب المتكلمون باجمعهم والفقهاء باسرهم على اختلاف مذاهبهم ، الى ان الاجماع حجة ، وحكي عن النظام وجعفر بن حرب وجعفر بن مبشر انهم قالوا : الاجماع ليس بحجة واختلف من قال انه حجة ، فمنهم من قال انه حجة من جهة العقل وهم الشواذ ، وذهب الجمهور الاعظم والسواد الاكثر الى ان الطريق الى كونه حجة السمع دون العقل»(٤٩) واضح من قول شيخ الطائفة الطوسي ومن جميع ما تقدم ان الاجماع حجة شرعية عند جميع المذاهب الاسلامية ولكن اختلف جمهور العلماء وائمة المذاهب مع الامامية في مستند الحجيه .

ومن اجل ذلك ساستعرض جملة من ادلة المذاهب الاسلامية عدا الامامية ثم نذكر وجهة نظر الامامية .

١ ـ ادلة جمهور العلماء عدا الامامية :

اولا ـ ادلتهم من الكتاب الكريم :

استدل ائمة المذاهب وجمهور العلماء بآيات عدة من الكتاب الكريم منها : بل اهمها قوله تعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوليه ما تولى ونصلـه جهنم وساءت مصيرا »(٥٠) .

وجه الاستدلال بهذه الاية :

« ان الله سبحانة جمع بين مشاقة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين في الوعيد فلو كان اتباع غير سبيل المؤمنين مباحا لما جمع بينه وبين المحظور فثبت ان متابعة غير سبيل المؤمنين عبارة عن متابعة قول او فتوى يخالف قولهم او فتواهم واذا كانت تلك محظورة وجب ان تكون متابعة قولهم وفتواهم واجبة»(٥١) بدون شرط اتفاق الجميع فمن باب اولى تكون متابعة ما اتفقوا عليه واجبة فثبت ان الاجماع حجة ، وتعتبر هذه الآية اوضح الآيات واقواها دلالة على حجية الاجماع ، فقد روى ان الامام الشافعي ـ رحمه الله ـ عندما سئل عن آية في كتاب الله تدل على ان الاجماع حجة لزم داره ثلاثة ايام مفكرا وقرأ القرآن ثلاثمائة مرة حتى وجد هذه الاية ومع ذلك فقد قرر كثير من الاعلام ان الاية ليست نصا في الدلالة على حجية الاجماع(٥٢)

ومنها قوله تعالى : « كنم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر »(٥٣) .

الاستدلال بهذه الآية من وجهين :ـ

١ ـ ان الله تعالى قد وصف هذه الامة بالخيرية ، وهذا الوصف يقتضي ان ما اتفقوا عليه يكون حقا واجب الاتباع ، لانه اذا لم يكن حقا كان ضلالا ، « فماذا بعد الحق الا الضلال »(٥٤) قال الشوكاني في وجه الاستدلال بهذه الآية « هذه الخيرية توجب الحقيقة لما اجمعوا عليه ، والا كان ضلالا»(٥٥) .

٢ ـ ان الله ـ تعالى ـ وصفهم بانهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وهذا الوصف يقتضي انهم اذا ما اتفقوا على الامر بشيء كان معروفا يجب العمل به ، واذا ما نهوا عن شيء كان منكرا يجب الامتناع عنه وهذا يقتضي ان يكون اجماعهم

(٤٥) راجع احكام الاحكام للامدي جـ١ ص١٢٦ .
(٤٦) المستصفى جـ١ ص١٢٣ .
(٤٧) روضة الناظر ص٧٧ .
(٤٨) الاجماع للصدر ص٣٦ .
(٤٩) عدة الاصول للطوسي جـ٢ ص٦٤ ، وانظر ارشاد الفحول للشوكاني ص٧٣ .

(٥٠) النساء/١١٤ .
(٥١) ارشاد الفحول للشركاني ص٧٤ .
(٥٢) انظر المستصفى للنزالي جـ١ ص١١١ ، والاصول العامة للفقه المقارن للسيد تقي الحكيم ص٢٥٨ .
(٥٣) آل عمران / ١١٠ .
(٥٤) يونس /٣٢ .
(٥٥) ارشاد الفحول ص٧٧ .

حجة .(٥٦) ومنها : قوله تعالى : « وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس »(٥٧)

ومعنى جعلناكم امة وسطا : اي صيرناكم عدولا .

لان الوسط هو العدل في اللغة :ـ

قال الشاعر : ـ

هم وسط يرضى الانام بحكمهم
اذا نزلت احدى الليالي بمعظم

اي عدول وجاء بهذا المعنى في الكتاب الكريم « قال أوسطهم الم اقل لكم »(٥٨) اي اعدلهم كما ورد بهذا المعنى في السنة ايضا : ـ « خير الامور اوساطها » .

وجه الاستدلال بهذه الآية :ـ

ان الله ـ تعالى ـ وصف هذه الامة بالعدالة وجعلهم حجة على الناس في قبول اقوالهم ؛ وهذه الصفة تنافي الكذب والميل الى جانب الباطل وهذا يقتضي ان يكون ما اتفقوا عليه عدلا وحقا يجب اتباعه والعمل به فيكون اجماعهم حجة .

ومنها : قوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا »(٥٩)

وجه الاستدلال :ـ

« ان الله ـ تعالى ـ نهى عن التفرق ، ومخالفة الاجماع تفرق ، فكان منهيا عنه ولا معنى لكون الاجماع حجة سوى النهي عن مخالفته »(٦٠)

ثانيا ـ ادلة الجمهور من السنة الكريمة :ـ

استدل جمهور العلماء وائمة المذاهب بجملة احاديث مأثورة عن عدد من كبار الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ .

منها : ١ ـ « لا تجتمع امتي على الخطأ »

٢ ـ « لا تجتمع امتي على الضلالة »

٣ ـ « ولم يكن الله ليجمع امتي على الضلالة »

٤ ـ «لم يكن الله ليجمع امتي على الخطأ»

٥ ـ «سألت الله ان لا يجمع امتي على الضلالة فاعطانيه »

٦ ـ « من سره أن يسكن بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة »

٧ ـ « يد الله مع الجماعة ، ولا يبالي الله بشذوذ من شذ »

(٥٦) انظر محاضرات الشيخ فايد . بحث الاجماع ص١٢ .
(٥٧) البقرة / ١٤٣ .
(٥٨) القلم / ٢٨ .
(٥٩) آل عمران / ١٠٣ .
(٦٠) احكام الاحكام للامدي جـ١ ص ١١١ .

٨ ـ « من خرج عن الجماعة او فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه » .

٩ ـ « من فارق الجماعة ومات فميتة الجاهلية »

١٠ ـ « لا تزال طائفة من امتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم »

وقد بين حجة الاسلام الغزالي وجه الاستدلال بهذه الاحاديث على ان الاجماع حجة قاطعة . بعد أن فرغ من تقرير الدليل من آي الكتاب الحكيم .

فقال : « المسلك الثاني :ـ وهو الاقوى ـ التمسك بقوله ـ ص ـ : « لا تجتمع امتي على الخطأ » وهذا من حيث اللفظ : اقوى وادل على المقصود ولكن ليس بالمتواتر ، كالكتاب ، والكتاب متواتر ولكن ليس بنص ، فطريق تقرير الدليل ان نقول : تظاهرت الرواية عن رسول الله ـ ص ـ بالفاظ مختلفة مع اتفاق المعنى في عصمة هذه الامة من الخطأ واشتهر على لسان المرموقين والثقاة من الصحابة كعمر ، وابن مسعود ، وابي سعيد الخدري وانس بن مالك ، وابن عمر ، وابي هريرة ، وحذيفة بن اليمان ، وغيرهم ممن يطول ذكره » وبعد ان ذكر تلك الاحاديث قال : « وهذه الاخبار لم تزل ظاهرة في الصحابة والتابعين الى زماننا هذا لم يدفعها احد من اهل النقل من سلف الامة وخلفها ، بل هي مقبولة من موافقي الامة ومخالفيها ، ولم تزل الامة تحتج بها في اصول الدين وفروعه»(٦١)

وقرر الشيخ الآمدي في كتابه الاحكام(٦٢) ان اقرب الطرق لاثبات كون الاجماع حجة قاطعة هو تلك المرويات عن كبار الصحابة بالفاظ مختلفة مع اتفاق المعنى في عصمة هذه الامة عن الخطأ والضلالة؛ وابن قدامة المقدسي بعد ان ذكر هذه الاحاديث قال : « وهذه الاخبار لم تزل ظاهرة مشهورة في الصحابة والتابعين لم يدفعها احد من السلف والخلف وهي وان لم تتواتر آحادها حصل لنا بمجموعها العلم الضروري أن النبي ـ ص ـ عظم شأن هذه الامة وبيّن عصمتها عن الخطأ »(٦٣) .

وقد ختم الشيخ الخضري بحثه في حجية الاجماع بعد ان فرغ من تقرير الدليل من الكتاب الكريم ، فالسنة النبوية . بقوله «ان الامة الاسلامية في عصور مختلفة قررت ان الاجماع حجة قاطعة حتى كان فقهاء كل عصر ينكرون اشد الانكار على من خالف راي مجتهدي السلف ، والعادة تقضي ان

(٦١) المستصفى جـ١ ص١١١ .
(٦٢) انظر جـ١ ص١١٢ .
(٦٣) روضة الناظر ص٦٨ .

مثل هذا الاتفاق لا يكون عن مجرد ظنون ، بل لابد ان يكون عندهم دليل مقطوع به ، وهذا يدل على ان الاخبار النبوية التي سقناها كانت عندهم مقطوعا بها حتى لم تكن في نظرهم مجالا للظن والاختلاف »(٦٤) .

٢ ـ وجهة نظر الامامية في مستند حجية الاجماع

ان الاجماع دليل وحجة عند الامامية ، كما هو دليل وحجة عند جميع المذاهب الاسلامية ، قال شيخ الطائفة : « والذي نذهب اليه ان الامة لا يجوز ان تجمع على الخطأ ، وان ما يجمع عليه لا يكون الا صوابا وحجة »(٦٥) .

وقال صاحب المعالم : « الحق امكان وقوعه ، والعلم به ، وحجيته »(٦٦) .

وقال صاحب القوانين : « أن أصحابنا متفقون على حجية الاجماع ووقوعه »(٦٧) .

وقال : « ان علماء الشيعة لم يختلفوا في حجية الاجماع »(٦٨) .

وعليه فالاجماع حجة عند الطرفين لا خلاف لهما في حجيته ، وانما اختلفوا في مستند حجيته . وقد عرفنا أن مستندها عند جمهور العلماء وائمة المذاهب من غير الامامية هو عصمة الامة كافة ، استنادا الى قول الرسول الكريم « لا تجتمع امتي على الخطأ » ونحوه مما هو متفق في المعنى على ان رسول الله ـ ص ـ ميّز هذه الامة ، وعظم شأنها ، بعصمها من الخطأ والضلال ، وجعل ما اجمع عليه علماؤها حقا وصوابا لا يقبل الشك والجدال .

فما هو مستند الاجماع عند الامامية ؟

اختلفت انظار اعلام الامامية في ذلك ، وتعددت آراؤهم . واهمها اربعة آراء متعاقبة زمنيا تمثل تطور الفكر الامامي بالنسبة للاجماع نجملها فيما يلي :ـ

الرأي الاول : وهو للسيد المرتضى واشياعه من متقدمي الامامية .(٦٩)

وهو أن مستند حجية الاجماع هو دخول شخص الامام ضمن المجمعين فاذا ما اتفق اهل الاجماع على حكم وعلم دخول الامام ـ بطريق الحس ـ معهم اصبح اتفاقهم اجماعا وحجة لتضمنه راي الامام عند هذا الفريق ، ولانه احد مجتهدي العصر عند جمهور العلماء وائمة المذاهب الاخرى ، ومن الواضح أن هذا الراي انما يتمثل في عصر الحضور فقط يوم كان الائمة ـ رض ـ يحضرون المجتمعات الخاصة والعامة يسألهم الناس ويجيبون وينتهي هذا العصر بغيبة الامام الثاني عشر « المهدي المنتظر »(٧٠)

الرأي الثاني : وهو لشيخ الطائفة الطوسي واتباعه .(٧١)

وهو انإجماع علماء العصر على امر ـ ليس فيه مخالفة نص مقطوع به من الكتاب او السنة ـ يستكشف منه ـ عقلا ـ مطابقته لحكم الله الواقعي، الذي أمر الامام بتبليغه للناس والا وجب على الامام بناء على « قاعدة اللطف »(٧٢) أن يظهر ويبين الحق

---

(٦٤) اصول الفقه ص٣١٦ .

(٦٥) عدة الاصول جـ٢ ص٦٤ .

(٦٦) معالم الدين ص١٦٤ .

(٦٧)،(٦٨) القوانين جـ١ ص٣٤٩ ، ٣٦٧ .

(٦٩) انظر اصول الفقه للمظفر جـ٣ ص١٠٦ .

(٧٠) ولد الامام « محمد المهدي » ليلة النصف من شعبان ٢٥٥هـ وتولى الامامة اثر وفاة والده الامام « الحسن العسكري » ٢٦٠هـ وعمره خمس سنوات ، وفي سنة ٢٦٦هـ احتجب عن الاعين الى سنة ٣٢٩ هـ وتسمى هذه الفترة « الغيبة الصغرى » وقد عهد بالحكم وادارة شؤون الطائفة الى اربعة من اتباعه سموا « الوكلاء الاربعة » كانوا سفراء بينه وبين اشياعه ويقال انه كان يتصل بهم خلال تلك الفترة . ثم بدأت « الغيبة الكبرى » ويعتقد الامامية ببقائه حيا الى اليوم وانه « المهدي المنتظر » وسيرجع في آخر الزمان ليملأ الارض قسطا وعدلا بعد ما ملئت ظلما وجورا ، انظر في ذلك كله كتاب الغيبة للطوسي ، والامام المهدي لعلي دخيل ص٨ وعقيدتنا في الامام الصادق وسائر الائمة للسيد حسين العاملي ص٢٠٦ ، وعقائد الامامية للمظفر ص٧٧ وهذه بعض عباراته : « ان البشارة بظهور المهدي من ولد فاطمة في آخر الزمان ليملأ الارض قسطا وعدلا بعد ما ملئت ظلما وجورا ثابتة عن النبي ـ ص ـ » وفي ص ٧٩ يقول « ولا يخلو من ان تكون حياته وبقاؤه هذه المدة الطويلة معجزة جعلها الله تعالى ـ له وليست هي بأعظم من معجزة ان يكون اماما للخلق وهو ابن خمس سنين » وانظر باب الغيبة من اصول الكافي وهذه احدى رواياته « اخبرنا محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن ابن محبوب عن اسحاق بن عمار قال : قال ابو عبد الله : « للقائم « ع » غيبتان احداهما قصيرة والاخرى ـ طويلة .. ، الغيبة الاولى لا يعلم بمكانه فيها الا خاصة شيعته والاخرى لا يعلم بمكانه فيها الا خاصة مواليه» .

(٧١) انظر عدة الاصول جـ٢ ص٦٤،٧٦،٧٧ .

(٧٢) اللطف : هو ما يقرب المكلف الى الطاعة ويبعده عن المعصيه،ولم يكن له حظ في التمكين ولم يبلغ حد الالجاء، واللطف واجب على الله عند الإمامية والمعتزلة ، ليحصل له ـ تعالى به الغرض من التكليف والالزم نقضه .
بيان ذلك : ان المكلف اذا علم ان المكلف لا يطيع الا باللطف واراد الطاعة ولم يفعل اللطف كان ناقضا لغرضه وهو قبيح فعدم اللطف قبيح فيكون واجبا لان ما قبح عدمه وجب وجوده انظر كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد للحلي ص٢٥٤ .

او يوقع الخلاف بين اهل الاجماع ، نقل عن العلامة الكراجي في كنز الفوائد قوله : « ان اتفاق الكلمة من سائر الامة على امر لا يظهر فيه مخالفة ، دليل على ان الامام قائل بذلك الامر وهو صواب ولو لم يكن كما ذكرنا لم يسعه غير النكير واظهار الحق »(٧٣) .

الراي الثالث : وهو لاكثر المتاخرين(٧٤)

وهو ان اتفاق علماء العصر على امر يعلم منه « بطريق التلازم » ان هذا الاتفاق مستند الى راي الامام . وليس عن اختراع للراي من تلقاء انفسهم « وقد اختار هذا الراي من المعاصرين الحجة السيد الخميني حيث قال مقرر بحثه ما نصه : « ان القوم ذكروا لاستكشاف قول الامام طرقا أوجهها دعوى الملازمة العادية بين اتفاق المرؤوسين على شيء ورضا الرئيس به ، وهذا امر قريب جدا ولاجل ذلك لو قدم غريب الى بلادنا وشاهد اجراء قانون العسكرية بحدس قطعا ان هذا القانون قد صوب في مجلس النواب : واستقر عليه راي من بيده رتق الامور وفتقها »(٧٥) .

ويلاحظ ان هذه الآراء الثلاثة تنص على ان مستند حجية الاجماع هو راي الامام المعصوم ، وما الاجماع سوى كاشف عنه ولكن بطرق مختلفة .

فالاول : الاجماع يكشف عن دخول شخص الامام مع المجمعين .

والثاني : فيه رجوع عن دخول شخص الامام والاكتفاء بالقول :- ان الاتفاق يكشف عن دخول قول الامام ؛ لانه لو لم يكن المجمع عليه حقا لوجب على الامام ان يبين الحق اما بظهوره نفسه او باظهار من يبين الحق في الامر .

والثالث : « فيه رجوع عن الراي بكشف الاجماع عن دخول الامام بشخصه او قوله ، وقولهم ان اجماعهم يمثل رضا الامام ما هو الا كرمز تقديس عن فكرة وجوده وشمول عطفه(ع)»(٧٦)

ويلاحظ ايضا أن الاجماع بناء على هذه الآراء لا يكون دليلا مستقلا في مقابل الادلة الاخرى ؛ لان الحجة ليست للاجماع من حيث هو اجماع بل لراي الامام المنكشف بالاجماع ، فيكون الاجماع حينئذ دليلا على الدليل . وهذا ينافي اجماع الامامية وسائر المذاهب الاسلامية على ان الدليل الثالث من ادلة الاحكام الشرعية هو « الاجماع » وهذا ما حدا

(٧٣) هامش عدة الاصول ج٢ ص٧٦ طبعة الهند .
(٧٤) انظر القوانين للقمي ج١ ص٣٥٦ واصول الفقه للمظفر ج١ ص١٠٦ .
(٧٥) الاجماع للصدر ص٥٠ .
(٧٦) الاجماع للصدر ص٥١ .

بكثير من المتاخرين والمعاصرين الى عدم القول بتلك الآراء الثلاثة والبحث عن راي يتفق مع القول بدلالة الاجماع على الاحكام الشرعية .

الراي الرابع : وهو لمتاخري المتاخرين وبعض المعاصرين :

وهو : ان اجماع علماء العصر على حكم يكشف عن وجود دليل معتبر لديهم لان العادة تمنع اتفاقهم لا عن دليل ، ولعلك تلحظ ان هذا عين ما قال به جمهور العلماء من غير الامامية من اول الامر . يقول احد الذين عرضوا هذا الراي واختاروه وهو الحجة الشيخ محمد علي الكاظمي في تقريرات بحث استاذه « محمد حسين النائيني » : « ان الوجه في حجيته انما هو لاجل كشفه عن وجود دليل معتبر عند المجمعين ولعل هذا الاخير اقرب المسالك ، لان مسلك الدخول مما لا سبيل اليه عادة في زمان الغيبة بل ينحصر ذلك في زمان الحضور الذي كان الامام يجالس الناس ويجتمع معهم في المجالس فيمكن ان يكون الامام ـ ع ـ احد المجمعين واما في زمان الغيبة فلا يكاد يحصل ذلك عادة ، واما مسلك اللطف فهو بمكان من الضعف لانه مبني على انه يجب على الامام القاء الخلاف بين الامة اذا لم يكن المجمع عليه من احكام الله ـ تعالى ـ وذلك من اصله فاسد فان الواجب على الامام انما هو بيان الاحكام بالطرق المتعارفة وقد ادى ما هو وظيفته . . . ، اما مسلك الملازمة العادية فاتفاق المرؤوسين على امر ان كان نشأ عن تواطئهم على ذلك كان توهم الملازمة العادية بين اجماع المرؤوسين ورضى الرئيس محال ؛ واما اذا اتفق الاتفاق بلا تواطيء منهم على ذلك فهو مما لا يلازم عادة رضى الرئيس ولا يمكن دعوى الملازمة .. فالانصاف ان الذي يمكن ان يدعى هو ان يكون اتفاق العلماء كاشفا عن وجود دليل معتبر عند المجمعين »(٧٧) .

وقد رجح السيد محمد صادق الصدر هذا الراي حيث قال : « اما القول الذي اختاره استاذنا « الكاظمي » فرجوع عن الفكرة بصورة لا تقبل الشك ويبدو لي ترجيح هذا الراي ولم اجد اي ضرورة للقول بكشف الاجماع عن راي المعصوم من زمن غيبته ، ولا يوجد على هذا اي دليل سوى قاعدة اللطف التي قال بها الشيخ ـ الطوسي ـ وانكرها عليه كل من تأخر عنه » .

وقال : « اني أرى عدم دلالة الاجماع زمن

(٧٧) فوائد الاصول ج٣ ص٥٢،٥٣ وانظر منتهى الاصول للبجنوردي ج٢ ص٨٦ .

الغيبة على الكشف عن دخول المعصوم بشخصه او قوله »(٧٨) .

وقد ايد رايه هذا بعدة امور نلخصها فيما يلي :ــ

١ ــ ان الاجماع السكوتي ليس بحجة عند اصحابنا حيث قالوا : لا ينسب الى ساكت قول : فكيف يقولون بان الاجماع قد كشف عن راي الامام في حين انه لم يحضر ولم يتكلم .

٢ ــ المطلوب من المجتهد ان يحكم بحسب الظاهر ، والواقع علمه عندالله ومن المتفق عليه انه ان اصاب فماجور ، وان اخطا فمعذور بل ماجور ايضا عند جمهور العلماء لقول الرسول الكريم : « اذا اجتهد الحاكم فاصاب فله اجران ، وان اخطأ فله اجر » فلماذا نطلب من جماعة المجتهدين اذا اجمعوا على حكم شرعي ما لا نطلبه من المجتهد بمفرده .

« نطلب منهم ان اجمعوا ان يكشفوا عن قول المعصوم ورايه ليصبح الاجماع حجة في حين ان عدالتهم تابى ان يجمعوا على باطل وعلمهم يأبىعليهم ان يصدروا الحكم دون مستند قوي يمكن الاعتماد عليه »(٧٩) وقال الشهيد في « الذكرى « ان عدالتهم تمنع من الاقتحام على الافتاء بغير علم ، وانه لا يلزم من عدم الظفر بالدليل عدم الدليل »(٨٠) .

نخلص من ذلك الى ان الراي الذي ساد في الفكر الامامي اخيرا لا يختلف عما هو سائدومعروف لدى سائر المذاهب الاسلامية الاخرى بالنسبة لمستند حجية الاجماع .

وعليه فالاجماع بمعنى « اتفاق جماعة المجتهدين من هذه الامة في عصر بعد وفاة النبي ــ ص ــ على امر ديني » دليل وحجة شرعية عند الامامية ، كما هو دليل وحجة عند سائر المذاهب الاسلامية . قال حجة الاسلام الغزالي : « اجمعت الامة على وجوب اتباع الاجماع ، وانه من الحق الذي يجب اتباعه »(٨١) .

وجهة نظر القائلين بعدم حجية الاجماع

عرفنا ان النظام وآخرين ذهبوا الى ان الاجماع ليس حجة شرعية وادلتهم تتلخص في الآتي :ــ

١ ــ ان تحقق الاجماع وثبوته يتوقف على معرفة كل واحد من اهل الاجماع ثم على وصول الواقعة اليهم ، ومعرفة راي كل منهم . وهذا امر غير ممكن عادة نظرا لانتشارهم في البلدان الاسلامية ، وبعد المسافة بينهم .(٨٢)

ورد ذلك : بانمعرفة اهل الاجماع ، والتحقق من شخصياتهم ممكن وذلك بان يحصي كل حاكم اقليم مالديه منهم ، ويكتب بذلك الى الحاكم العام سيما وان من يبلغ درجة الاجتهاد يكون معروفا جدا في كل اقليم بل قد يطير صيته وآراؤه الى سائر اقاليم الدولة والدول الاسلامية كافة ثم ان انتشارهم وتفرقهم وبعد المسافة بينهم لا يمنع من وصول الواقعة اليهم ، والاطلاع على آرائهم جميعا ، وذلك بان يجمعهم الحاكم في بلدة واحدة كلما دعا الامر ويسألهم عما يريد او يكتب اليهم فيستطلع راي كل منهم .

٢ ــ ان معاذا ــ رض ــ لم يذكر الاجماع من المصادر التي يصح الاعتماد عليها في تشريع الاحكام بل اقتصر على الكتاب والسنة والاجتهاد ، وذلك عندما وجهه رسول الله ــ ص ــ قاضيا الى اليمن وساله بماذا تقضي ... ، وان النبي ــ ص ــ اقره على ذلك ودعا له ، وحمدالله على توفيقه فلو كان الاجماع من مصادر الاحكام ، لذكره معاذ ولما ساغ له تركه مع حاجته اليه ، ولما اقره النبي ــ ص ــ على تركه ورد ذلك : بان معاذا ــ رض ــ انما ذكر المصادر التي يمكن الاعتماد عليها في تشريع الاحكام في زمن النبي ــ ص ــ ومعروف ان الاجماع ليس حجة في حياته .

وان تقرير النبي ــ ص ــ لمعاذ مطابق للواقع في حياته وليس فيه دلالة على عدم حجية الاجماع بعد وفاته ــ ص ــ(٨٣) .

٣ ــ قالوا : ان الاجماع لا يخلو اما ان يكون عن دليل قطعي او عن دليل ظني ، فان كان عن دليل قطعي ، احالت العادة عدم الاطلاع عليه ، وعلى تقدير الاطلاع عليه يكون هو مستند الحكم وليس الاجماع ، وان كان عن دليل ظني ، فان العادة تمنع اتفاقهم لاختلاف القرائح والانظار(٨٤) .

ورد ذلك : بان العادة لا تمنع من ان يكون الاجماع بموجب دليل قطعي ، ولا يجب نقله بعد انعقاد الاجماع الذي هو دليل اقوى لان به يرتفع الخلاف الداعي الى نقل الدليل . كما انه لا مانع

---

(٧٨) الاجماع ص٥١ .
(٧٩) المصدر السابق .
(٨٠) الفصول في الاصول ص٢٥٢ .
(٨١) المستصفى جـ١ ص١٤٤ .
(٨٢) انظر احكام الامدي جـ١ ص١٠٢ .
(٨٣) انظر احكام الامدي جـ١ ص١٠٧ .
(٨٤) انظر اصول الفقه للخضري ص٣١٢ .

من وقوعه بموجب دليل ظني كخبر الواحد واختلاف القرائح والانظار لا يمنع من الاتفاق وغايته انه قد يقلل من عدد الاجماعات . وبهذا يتضح لنا تهافت ما اثاره القائلون بعدم حجية الاجماع من شبهات ، وانها لا تقوى بحال على معارضة الادلة الكثيرة التي احتج بها القائلون بحجيته وهم جمهور العلماء من جميع المذاهب الاسلامية . وهكذا تبقى الآراء المجمع عليها مصدر اشعاع ونور تنير طريق الامة في كل معضلة شرعية ليس للامة نص عليها في ظاهر الحال من كتاب او سنة(٨٥) .

٥ ـ انواع الاجماع

اولا ـ الاجماع البياني والاجماع السكوتي :ـ

يتنوع الاجماع الى نوعين : ـ اجماع بياني ، واجماع سكوتي ،

١ ـ الاجماع البياني او الصريح :

ويتنوع الاجماع البياني الى نوعين : اجماع قولي ، واجماع عملي .

١ ـ الاجماع القولي : وهو ان يصرح كل واحد من جماعة المجتهدين بما يفيد قبوله للراي المعلن للاتفاق عليه .

فمثلا : افتى بعض المجتهدين المعاصرين بحل عقود التامين ، والقرض بفائدة من المصارف العامة(٨٦) ، فاذا صرح كل مجتهد معاصر بما يفيد موافقته على ذلك ، اصبح اجماعا قوليا وحجة شرعية .

٢ ـ الاجماع العملي :ـ وهو ان يقع العمل من كل واحد من جماعة المجتهدين كعملهم جميعا في المضاربة ، والمزارعة ، والاستصناع ، فاذا وقع منهم ذلك كان اجماعا عمليا وحجة شرعية .

والاجماع البياني بنوعيه القولي والعملي هو الاصل في الاجماع وهو الذي يتبادر الى الذهن عند اطلاق كلمة الاجماع وهو ما فرغنا من الاستدلال على حجيته ، وخلصنا الى انه حجة عند جميع المذاهب الاسلامية .

٢ ـ الاجماع السكوتي : وهو ان يصرح بعض المجتهدين برايه في مسالة اجتهادية ، او يقوم بعمل كالتامين على حياته ، او شراء بطاقة يانصيب ـ مثلا ـ ويشتهر ذلك بين المجتهدين من اهل عصره ويسكتون بعد علمهم بذلك من غير نكير . وهذا

(٨٥) الاجماع للصدر ص١٨ .
(٨٦) انظر الاسلام وقضايا الساعة للشيخ موسى عزالدين .

النوع من الاجماع اختلف اعلام الامة في تسميته اجماعا كما اختلفوا في حجيته ، ولهم في ذلك عدة آراء ، اهمها ثلاثة .

الراي الاول : انه اجماع وحجة ، وهو لأكثر الاحناف . واحمد بن حنبل ، وابي اسحاق الاسفرايني من الشافعية(٨٧) .

الراي الثاني : انه ليس اجماعا ولا حجة ، وهو للامام الشافعي واكثر اتباعه ، واكثر المعتزلة، والمالكية ، والامامية(٨٨) .

الراي الثالث : انه حجة وليس اجماعا ، وهو لبعض المعتزلة وبعض الامامية(٨٩) .

وجهة نظر اصحاب الراي الاول الذين ذهبوا الى ان الاجماع ينعقد بالسكوت ويكون حجة قطعية ، تتلخص في الآتي :ـ

١ ـ لو اشترط لانعقاد الاجماع البيان ـ قولا او عملا ـ من كل المجتهدين ، لتعذر انعقاد الاجماع اصلا لتوقفه على شرط متعذر عادة ، اذ المعتاد ان يتولى كبار المجتهدين الفتيا والقضاء ويسكت سائرهم موافقة لهم ، لانه لو كان الحكم مخالفا عند الساكت لاعلن النكير واظهر الخلاف لأن الساكت عن الحق شيطان اخرس ، وجماعة المجتهدين لا يتهمون بذلك »(٩٠) .

٢ ـ انعقد الاجماع على ان الاجماع السكوتي حجة قطعية في الامور الاعتقادية فيكون حجة في الفروع العملية من باب اولى .

وقد منع الشيخ الخضري وغيره دعوى الاجماع هذه ، لأنه ان كان اجماعا بيانيا فقد بنوا دليلهم الاول على تعذره ، وان كان اجماعا سكوتيا فهو محل النزاع . كما منعوا دعوى انتفاء الاجماع مع شرط البيان من الكل ، لأنهم رفضوا هذه الدعوى عند مناقشة النظام في احالته انعقاد الاجماع(٩١) . وقالوا : ان انتشار العلماء وتفرقهم في الامصار لا يمنع من التساوي في العلم ، ووصول الخبر اليهم .

(٨٧) انظر تيسير التحرير جـ٣ ص٢٤٦ ، وروضة الناظر ص٧٦ ، والاحكام للامدي جـ١ ص١٢٩ .
(٨٨) انظر المصادر السابقة ، واصول الفقه للخضري ص٢٠١ .
(٨٩) انظر روضة الناظر ص٧٦ والقوانين للقمي جـ١ ص٣٧٢ والفصول لابن رحيم ص٢٥٢ .
(٩٠)،(٩١) انظر تيسير التحرير جـ٣ ص٢٤٧ ، ومنتهى الوصول لابن الحاجب ص٤٢ ، واصول الفقه للخضري ص٢٠١ .

وجهة نظر اصحاب الراي الثاني الذين ذهبوا الى انه ليس اجماعا ولا حجة وهم الاكثرون .

قالوا : ان السكوت يحتمل ان يكون للموافقة، ويحتمل ان يكون للتأمل والنظر ، ويحتمل ان يكون خوفا وهيبة من القائل او المقول ، كقول ابن عباس — وقد اظهر مخالفة عمر — رض — بعد وفاته — كان رجلا مهيبا فهبته ويحتمل ان الساكت لايرى الانكار في المسائل الاجتهادية ، بناء على القول بأن كل مجتهد مصيب .

واذا كان السكوت محتملا لهذه المعاني ، فلا يكون دليلا على الموافقة فلا ينعقد الاجماع ولايكون حجة(٩٢) .

وجهة نظر اصحاب الراي الثالث الذين ذهبوا الى انه حجة وليس اجماعا .

قالوا : ان غاية ما يدل عليه السكوت مع الاحتمالات التي تقدمت هو الموافقة في الظاهر فيكون حجة ظنية كخبر الواحد لكنه لا يكون اجماعا والذي ترجح عندي ان ما سمي بالاجماع السكوتي ليس اجماعا ، لان السكوت ليس صريحا في الموافقة فلا يكون اجماعا لافتقاره الى عنصر الموافقة الذي هو قيد رئيس في تحقق الاجماع . وليس حجة لانه قول بعض الامة ، والعصمة من الخطا انما ثبتت للامة كافة وليس لبعضها فلا يكون حجة .

ثانيا : الاجماع البسيط والمركب

يتنوع الاجماع الى نوعين : بسيط ومركب ، لان الأمر لا يخلو : اما ان يتفق أهل الاجماع في عصر على حكم واحد لحادثة ما ، او تتعدد الاحكام وينعقد الاجماع على كل حكم منها وهذا ما يسمى بالاجماع البسيط .

واما ان تتعدد الاحكام ولا ينعقد الاجماع على كل منها ، بل يتحزب كل فريق لراي يخالف الآخر ، وهذا ما سمي بالاجماع المركب ، قال صاحب الفصول : « الاجماع البسيط ، هو الاجماع المنعقد على حكم واحد ، ولو تعددت الاحكام ، وانعقد الاجماع على كل واحد منها فاجماعات بسيطة ويقابله المركب وهو الاجماع المنعقد على حكمين او احكام مع عدم انعقاده على كل واحد(٩٣) .

(٩٢) انظر المصادر السابقة والاحكام للامدي جـ١ ص١٢٩ ، والمستصفى للغزالي جـ١ ص١٢١ .

(٩٣) الفصول ص٢٥٥ .

مخالفة الاجماع البسيط

ان الحكم المجمع عليه من علماء عصر يكتسب صفة القطعية ، ويكون ملزما لجميع افراد الامة يجب عليهم جميعا اتباعه والعمل به ، ولا يجوز لأحدهم مهما كان مركزه الديني العمل بخلافه . وكذلك يكون هذا الحكم ملزما لأهل العصور التالية مجتهدين وغير مجتهدين ، فلا يحق لأحدهم ولا لهم مجتمعين نقض اجماع من سبقهم او العمل بخلافه ، والا كانوا تاركين للحق ، متبعين للضلال « فماذا بعد الحق الا الضلال » قولا واحدا عند جميع المذاهب الاسلامية ، أما لأن الامة لا تجتمع على خطأ وعلماء عصر كل الامة بالنسبة الى ذلك الحكم ، قال الامدي : « اذا اتفق اجماع أمة عصر من الاعصار على حكم حادثة ، فهم كل الامة بالنسبة الى تلك المسالة : وتجب عصمتهم في ذلك عن الخطأ »(٩٤) .

واما لأن اجماعهم كشف عن راي سيدهم ورئيسهم امام العصر . قال الطوسي : « متى اجمعت الامة على قول فلابد من كونها حجة لدخول الامام المعصوم في جملتها » ، وقال : « ان ما يجمع عليه لا يكون الا صوابا وحجة لان عندنا انه لا يخلو عصر من الاعصار من امام معصوم حافظ للشرع يكون قوله حجة يجب الرجوع اليه كما يجب الرجوع الى قول الرسول — ص — »(٩٥) .

وكذلك يكون الاجماع ملزما لمجمعي العصر انفسهم ، فلا يجوز لاحدهم الرجوع عن رأيه وموافقته ، واشترط بعض الاعلام(٩٦) انقراض عصر المجمعين ، فيما اذا كان مستند الاجماع دليلا ظنيا ، لا دليلا قاطعا ، حتى يكون الاجماع ملزما للجميع وهو شرط واه ، وراي ضعيف ، لان الاجماع يكسب الحكم القطعية سواء أكان مستندة قبل انعقاد الاجماع دليلا ظنيا أم قطعيا ، قال حجة الاسلام الغزالي « اذا اتفقت كلمة الامة ولو في لحظة انعقد الاجماع ، ووجبت عصمتهم عن الخطأ ، وقال قوم : لابد من انقراض العصر وموت الجميع ، وهذا فاسد ، لأن الحجة في اتفاقهم لافي موتهم »(٩٧)

قال صاحب الفصول : « لا يجوز مخالفة الاجماع البسيط على طريقتنا — يعني الامامية —

(٩٤) الاحكام جـ١ ص١٣١ ، وانظر المستصفى للغزالي جـ١ ص٢٤ .

(٩٥) العدة جـ٢ ص٦٤ .

(٩٦) وهما احمد بن حنبل وابو بكر بن فورك ، انظر احكام الامدي جـ١ ص١٢٠ ، وروضة الناظر ص٧٣ .

(٩٧) المستصفى جـ١ ص١٢٢ .

حيث يكون كاشفا عن قول المعصوم القطعي(٩٨) ، وقال الشيخ الخضري : « بمجرد صدور الفتوى من المجتهدين ينعقد الاجماع ، ولا يشترط لتحققه انقراض عصر المجمعين عند المحققين فبذلك يخرج الحكم عن دائرة النزاع فليس لأحدهم ان يرجع عنه ، واذا حدث مجتهدون في نفس العصر الذي انعقد فيه الاجماع لزمهم القول بذلك الحكم »(٩٩).

وقال شيخنا ابو زهره : « الاكثرون على ان الاجماع اذا انعقد الزم الذين تكون منهم الاجماع ومن جاء بعدهم(١٠٠) .

مخالفة الاجماع المركب

اذا انعقد اجماع مجتهدي عصر على حكمين مختلفين او اكثر لحادثة فهل يكون ذلك اجماعا منهم على نفي ما عداها ، فلا يجوز لمن بعدهم احداث حكم سواها ؛ او لا يكون اجماعا على نفي ما عداها فيجوز احداث حكم آخر ؟

اختلفت انظار اعلام الامة في ذلك ، فذهب جمهور علماء أهل السنة والامامية الى المنع مطلقا(١٠١) وذهب بعض الى الجواز مطلقا(١٠٢) واختار الآمدي(١٠٣) وابن الحاجب(١٠٤) وبعض المعاصرين من الامامية(١٠٥) التفصيل ، فقالوا : ان كان الحكم الآخر يرفع ما اتفق عليه السابقون امتنع والا جاز ، وقبل بيان وجهة نظر كل لا بد من ذكر طائفة من المسائل التي توضح الاجماع المركب .

١ ـ توريث الجد مع الاخوة :ـ اختلف فيه فقهاء العصر الاول ، فقال ابوبكر وعمر وابن الزبير وابن عباس :ـ يرث الجد ويحجب الاخوة وقال علي وزيد بن ثابت :ـ يرث الجد مع الاخوة ؛ وحينئذ فالقول بتوريث الاخوة وحرمان الجد قول ثالث ، يرفع ما اتفق عليه من توريث الجد .

٢ ـ النية في الطهارات الثلاث :ـ اختلف الفقهاء في حكمها ، فقال قوم :ـ بلزومها في جميع الطهارات من وضوء ، وغسل ، وتيمم ، وقال آخرون : بلزومها في التيمم فقط ، وحينئذ فالقول بعدم لزومها في الجميع قول ثالث ، يرفع ما اتفق عليه من لزومها في التيمم .

٣ ـ فسخ النكاح بالعيوب ، وهي الجذام ، والبرص ، والجب ، والعنة ، والرتق ، والقرن اختلف الفقهاء في ذلك ؛ فمنهم من قال بفسخ النكاح في اي منها ، ومنهم من قال لا يفسخ النكاح بشيء منها ، وحينئذ فالقول بالفسخ بالبعض دون البعض قول ثالث ، ولكنه لا يرفع ما اتفق عليه ، لانه لم ينعقد الاجماع على احد هذه العيوب .

٤ ـ ام واب واحد الزوجين : اختلف العلماء في ميراث الام فقال فريق : ترث الام ثلث المال كله ، وقال فريق آخر : ترث ثلث الباقي ، وحينئذ فالقول بانها ترث ثلث المال كله مع احد الزوجين وثلث الباقي مع الآخر قول ثالث ، ولكنه لايرفع ما اتفق عليه لانه يوافق كل فريق من وجه .

عرفنا ان للعلماء في احداث القول الآخر ثلاثة آراء :

المنع مطلقا وهو للاكثرين ، والجواز مطلقا وهو للاقلين ، والتفصيل بين ما يرفع متفقا عليه فلا يجوز ، وبين ما لا يرفع بل يوافق كل راي من وجه فيجوز .

وجهة نظر القائلين بالمنع مطلقا :ـ

قالوا : انه لو جاز احداث القول الآخر لكان مخالفا للاجماع المنعقد على عدم القول به ومستلزما تخطئة كل الامة . وهذا لا يجوز لمخالفته لعموم ادلة حجية الاجماع ؛ ووجه اطلاق المنع عند جمهور الامامية « ان الاجماع قد حصل بدخول الامام وهو متحقق باحدى الطائفتين فلا اهمية بعد هذا بالقول الثالث سواء رفع متفقا عليه ام لم يرفع(١٠٦) . قال صاحب الفصول : « اذا انعقد الاجماع على قولين او اقوال في موضوع لا يجوز احداث قول آخر بلا خلاف بين اصحابنا » واستدل على ذلك بقوله : « اذا علم بدخول قول المعصوم بين القولين او الاقوال ، او بموافقته لاحدهما ، كان القول الآخر مخالفا لقوله قطعا فيكون معلوم البطلان فلا يجوز المصير اليه »(١٠٧) .

ويلاحظ ان وجهة المنع عند الامامية انما تتفق مع راي المتقدمين منهم والتاليين القائلين بأن مستند حجية الاجماع هو رأي المعصوم المنكشف بالاجماع ، وليس لان الاجماع يكشف عن دليل معتبر لديهم كما قال به بعض المتأخرين

(٩٨) الفصول ص٢٢٥ .
(٩٩) اصول الفقه ص٣٠٨ .
(١٠٠) اصول الفقه ص١٩٨ .
(١٠١) انظر ارشاد الفحول للشوكاني ص٨٦ . والاجماع للعدر ص١٢٠ .
(١٠٢) انظر روضة الناظر ص٧٥ .
(١٠٣) انظر الاحكام للامدي جـ١ ص١٢٧ .
(١٠٤) انظر منتهى الوصول لابن الحاجب ص٤٤ .
(١٠٥) الاجماع للعدر ص١٢٠ .

(١٠٦) نفسه .
(١٠٧) الفصول لابن رحيم ص٢٥٦ .

والمعاصرين(١٠٨) ولذا اتجه هؤلاء الى القول بالتفصيل بين ما يرفع متفقا عليه ، وبين ما لا يرفع فمنعوا في الاول واجازوا في الثاني(١٠٩) .

كما يلاحظ ان القول بالمنع لا ينافي القول بالتفصيل ، لان الممنوع هو مخالفة الكل فيما اتفقوا عليه كما في مسألة الجد مع الاخوة ، اما ان يخالف كل فريق من وجه ويوافقه من وجه فلا يتجه عليه المنع كما في مسألة فسخ النكاح بالعيوب .

وجهة نظر القائلين بالجواز مطلقا —

قالوا : ان وقوع الاختلاف في حكم حادثة ، دليل على انها من المسائل الاجتهادية التي يصح الاجتهاد فيها ، وحينئذ لا مانع يمنع من الاجتهاد فيها بالنسبة لمجتهدي العصور التالية(١١٠) .

واجيب عن ذلك بأن الاختلاف يكون دليلا على صحة الاجتهاد فيما اذا لم يمنع مانع من الاجتهاد ، وهنا المانع موجود ، وهو اجماع الفريقين على نفي القول الآخر .

وجهة نظر القائلين بالتفصيل —

قالوا : ان كان القول الآخر يرفع ما اتفق عليه القولان كما في مسألة الجد مع الاخوة ، ومسألة النية في الطهارات ، فهو ممتنع لما فيه من مخالفة الاجماع . وان كان القول الآخر لا يرفع ما اتفق عليه ، بل يوافق كل فريق من وجه ويخالفه من وجه كما في مسألة فسخ النكاح بالعيوب ومسألة الام والاب ، واحد الزوجين . فهو جائز لانه لم يخالف اجماعا(١١١) .

واشكل عليهم بأن في ذلك تخطئة كل فريق في بعض ما ذهب اليه وتخطئتهم تخطئة للامة ، وذلك محال . فاجاب ابن الحاجب عن ذلك بقوله : « المحال تخطئة الامة فيما اتفقوا عليه ، واما تخطئة كل فريق فيما لم يتفقوا عليه فجائز »(١١٢) وبنفس الفكرة وبلفظ مشابه اجاب الامدي : « المحال انما هو تخطئة الامة فيما اتفقوا عليه ، واما تخطئة كل بعض فيما لم يتفقوا عليه لا يكون محالا »(١١٣) .

وبهذا يتبين لنا رجحان ما ذهب اليه المتأخرون والمعاصرون وهو التفصيل وذلك « لانه اذا رفع

(١٠٨) انظر الراي الرابع في مستند حجية الاجماع عند الامامية ص٧٣ من هذه الدراسة .
(١٠٩) الاجماع للصدر ص١٢٠ .
(١١٠) انظر الاحكام لابن حزم جـ٤ ص٥١٥ .
(١١١) انظر احكام الامدي جـ١ ص١٣٧ ، ومنتهى الوصول لابن الحاجب ص٤٤ .
(١١٢)،(١١٣) المصادر السابقة .

مجمعا عليه فقد خالف الاجماع فلم يجز كمسألة الجد والنيه ، واذا لم يرفع مجمعا عليه فلا داعي للمنع لانه لم يخالف اجماعا ولا مانع سواه »(١١٤) .

ثالثا : الاجماع المحصل والمنقول :

يتنوع الاجماع الى نوعين :ــ محصل ، ومنقول

١ ــ الاجماع المحصل :ــ هو الذي يحصله الفقيه بنفسه ؛ وذلك بأن يتتبع رأي كل فرد من مجتهدي عصر في الحادثة التي يريد معرفة حكمها ، فيجدها متفقة في الحكم . والمحصل هو الذي تقدم البحث عنه ، وخلصنا الى انه حجة عند جميع المذاهب الاسلامية .

٢ ــ الاجماع المنقول : هو الذي لم يحصله الفقيه بنفسه ، وانما وصل اليه عن طريق النقل ، سواء اكان هذا النقل بواسطة او اكثر ، والنقل تارة يكون بالتواتر وحكم المتواتر في الحجية حكم الاجماع المحصل عند الجميع(١١٥) .

وتارة اخرى يكون بالآحاد ، وهو المراد من « الاجماع المنقول » عند الاطلاق في عرف الاصوليين .

حجية الاجماع المنقول بخبر الواحد

اختلف الاصوليين في حجية الاجماع المنقول على قولين :ــ

١ ــ انه حجة .

٢ ــ انه ليس بحجة .

وقد ذهب الى الراي الاول كثير من علماء اهل السنة والامامية .

قال ابن الحاجب : « يصح التمسك بالاجماع المنقول بخبر الواحد ، وانكره الغزالي وبعض الحنفيه »(١١٦) .

وقال البناني : « ان الاجماع المنقول بالآحاد حجة لصدق التعريف به وهو الصحيح في الكل »(١١٧) .

وقال ابن قدامة المقدسي : «الاجماع المنقول بطريق الآحاد يغلب على الظن فيكون ذلك دليلا كالنص المنقول بطريق الآحاد »(١١٨) .

وقال الشوكاني : « الاجماع المنقول بطريق

(١١٤) اصول الفقه للخضري ص٣٤٠ .
(١١٥) انظر اصول الفقه للمظفر جـ٣ ص١٦٤ ، والاجماع للصدر ص٩٧ .
(١١٦) منتهى الوصول ص٤٦ .
(١١٧) حاشية البناني على شرح الجلال على متن جمع الجوامع جـ٢ ص١٧٩ .
(١١٨) روضة الناظر ص٧٨ .

الآحاد حجة وبه قال الماوردي ، وامام الحرمين ، والامدي . »[١١٩]

وقال الامدي : « اختلفوا في ثبوت الاجماع بخبر الواحد فاجازه جماعة من اصحابنا واصحاب ابي حنيفة ، رحمهم الله ، والحنابلة ، وانكره جماعة من اصحاب ابي حنيفه وبعض اصحابنا كالغزالي مع اتفاق الكل قطعيا في متنه »[١٢٠] وهكذا يلحظ المتتبع أن أكثر علماء أهل السنة قائلون بحجة الاجماع المنقول بالآحاد[١٢١] بل على حجيته اكثر علماء الامامية من عهد العلامة الحلي الى اليوم اما قبل ذلك فلم يصرح احد من علمائهم ممن كتبوا في الاجماع برايه في حجية الاجماع المنقول او عدم حجيته[١٢٢] ومن القائلين بالحجية العلامة الحلي في « نهاية الاصول » والشهيد الاول في « الذكرى » والشيخ حسن في « المعالم » ومن متأخريهم صاحب القوانين ، وصاحب الفصول ، وصاحب القوامع : وصاحب الدلائل ؛ وصاحب مباني الاصول[١٢٣] ؛ وكثير غير هؤلاء ؛ قال صاحب المعالم : « اختلف الناس في ثبوت الاجماع بخبر الواحد بناء على كونه حجة فصار اليه قوم وانكره اخرون والاقرب الاول لنا أن دليل حجية خبر الواحد يتناوله بعمومه فيثبت به كما يثبت غيره[١٢٤] وقال الميرزا ابو القاسم القمي : « الاقرب حجية الاجماع بخبر الواحد لانه خبر ، وخبر الواحد حجة[١٢٥] ، وقال صاحب الفصول : « لا كلام في حجية نقل الاجماع بالخبر المتواتر وفي حكمه الخبر المنقول بخبر الآحاد مع انضمامه بقرائن العلم ، واما المنقول بخبر الواحد المجرد عن قرائن العلم ففي حجيته خلافا والظاهر ان النزاع غير متوجه على القول بعدم حجية الخبر الواحد كما صرح به بعضهم بل هو مقصور على القول بحجية خبر الواحد ، والمختار ما ذهب اليه القائلون بالاثبات[١٢٦] . وقال البجنوردي : « ومما قيل بحجيته وخروجه عن اصالة حرمة العمل بالظن « الاجماع المنقول » واستدلوا على حجيته بادلة حجية خبر العادل»[١٢٧] وقال نقي الحيدري: « ومما خرج عن حرمة العمل بالظن الاجماع المنقول في الجملة »[١٢٨] .

وقال الشيخ محمد تقي الاصفهاني : « ويظهر من طريقة الفقهاء وهو القول بالحجية فان كتب الاستدلال مشحونة بالتمسك به والتعويل عليه في مقام الاجتهاد . وطريقتهم مستقرة على العمل باخبار الآحاد ، واحتمال أنهم انما يذكرون الاجماع المنقول في عداد الادلة من وجهة التأييد بعيد جدا سيما بعد ملاحظة انحصار المستند في كثير من الموارد بالاجماع المنقول»[١٢٩] .

وخلاصة وجهة نظر القائلين بالحجية هي :ـ

١ ـ أن الاجماع المنقول بالآحاد مفيد للظن فكان حجة : كالمنقول بالآحاد عن رسول الله ـ ص ـ

٢ ـ المطلوب من المجتهد ان يحكم بالظاهر ، عملا بقول الرسول الكريم ـ ص ـ : « نحن نحكم بالظاهر » والاجماع المنقول ظاهر ظني ، فيكون حجة[١٣٠] .

والى الثاني ـ اعني عدم حجية الاجماع المنقول ـ ذهب فريق من أعلام أهل السنة والامامية قال حجة الاسلام الغزالي : « الاجماع لا يثبت بخبر الواحد خلافا لبعض الفقهاء ، والسر فيه أن الاجماع دليل قاطع يحكم به على الكتاب والسنة المتواترة ، وخبر الواحد لا يقطع به ، فكيف يثبت به قاطع وليس يستحيل التعبد به عقلا لو ورد ، كما ذكرناه في نسخ القرآن بخبر الواحد لكن لم يرد »[١٣١] .

ولكنه لم يقطع ببطلان العمل به حيث قال : « ولسنا نقطع ببطلان مذهب من يتمسك به في حق العمل خاصة »[١٣٢] .

ومن الامامية كثير من المتاخرين والمعاصرين كالمحقق الخونساري ، وسلطان العلماء وصاحب المدارك ، وصاحب الوافيه ، والسيد مرتضى الانصاري ، والمحقق الخوئي قال السيد الانصاري: بعد ذكره لراي القائلين بالحجية : « والذي يقوى في النظر هو عدم الملازمة بين حجية الخبر وحجية الاجماع المنقول »[١٣٣] .

---

(١١٩) ارشاد الفحول ص٨٩ .

(١٢٠) الاحكام للامدي جـ١ ص١٤٣ .

(١٢١) انظر بالاضافة الى المصادر السابقة ، شرح المنار لابن ملك ص٢٥٨ ؛ وكشف الاسرار على اصول البزدوي جـ٣ ص٢٦٥ ، وفتح الغفار بشرح المنار لابن نجيم جـ٢ ص٦ .

(١٢٢) انظر الفصول ص٢٥٨ .

(١٢٣) راجع الاجماع للصدر ص١٠٠ ـ ١٠٤ ، والفصول لابن رحيم ص٢٥٨ .

(١٢٤) المعالم ص١٧٢ .

(١٢٥) القوانين جـ١ ص٣٨٤ .

(١٢٦) مختصر الفصول جـ٢ ص٦ ، وانظر الفصول ص٢٥٨ .

(١٢٧) منتهى الاصول جـ٢ ص٨٦ .

(١٢٨) اصول الاستنباط ص١٤٥ .

(١٢٩) دلائل الاصول ـ عن الاجماع للصدر ص ١٠٥ .

(١٣٠) انظر الاحكام للامدي جـ١ ص١٤٤ ، ومنتهى الوصول ص٤٦ وروضة الناظر لابن قدامة ص٧٨ .

(١٣١)،(١٣٢) المستصفى جـ١ ص١٢٧ .

(١٣٢) الرسائل ص٤٣ .

وخلاصة وجهة نظر القائلين بعدم الحجية هي :

ان الاجماع المنقول بخبر الواحد ، لا يفيد العلم القاطع فلا يكون حجة والقائلين بحجيته يسلمون بعدم افادته القطع بل الظن ويقولون أن الظن يكفي في الاحكام الشرعية كالنصوص المنقولة بخبر الواحد فيكون حجة ، ومنهم من يقول ان العمل بالظن الحاصل من الاجماع المنقول خارج عن اصالة حرمة العمل بالظن . قال ابن قدامة : « ذهب قوم الى ان الاجماع لا يثبت بخبر الواحد لان الاجماع دليل قاطع يحكم به على الكتاب والسنة، وخبر الواحد لا يقطع به فيكف يثبت به المقطوع ، وليس ذلك بصحيح فان الظن متبع في الشرعيات .

والاجماع المنقول بطريق الآحاد يغلب عن الظن فيكون ذلك دليلا كالنص المنقول بطريق الاحاد ، وقولهم هو دليل قاطع ، قلنا قول النبي ـ ص ـ ايضا دليل قاطع في حق من شافهه أو بلغه بالتواتر واذا نقله الآحاد كان مظنونا وهو حجة . فالاجماع كذلك بل هو اولى »(١٣٤) .

المبحث الثاني

« المجمعون »

عرفنا ان الاجماع يتألف من ركنين : مجمع عليه ، وهو نفس الاجماع ومجمعين ، وهم اهل الاجماع ، وقد فرغنا من بحث الاجماع نفسه ، وعرفنا راي المذاهب الاسلامية فيه فمن المجمعون الذين يتكون منهم الاجماع ؟

ان المجمعين يختلفون باختلاف الامر المجمع عليه نفسه ، فالمعتبر في الامور اللغوية ـ مثلا ـ راي جميع اللغويين وفي الامور الاقتصادية راي جميع الاقتصاديين وفي الامور القانونية راي جميع القانونيين ، وفي الامور الفقهية الاجتهادية راي جميع المجتهدين من الفقهاء ..، وهكذا يعتبر راي كل اهل اختصاص في مجال اختصاصهم ولا عبرة براي فريق في غير مجال اختصاصه . وما دمنا بصدد بحث الاجماع في الشريعة الاسلامية ، فمن المجمعون الذين يتكوّن منهم الاجماع ، الذي هو دليل وحجة في الامور الشرعية ؟ لقد جرى النقاش حول عدة جماعات يمكن ان يتكون منهم الاجماع كالصحابه ، والخلفاء الاربعة ، واهل بيت الرسول ـ ص ـ واهل المدينة والكوفة ، والبصرة ، وجماعة المجتهدين في كل عصر .

(١٣٤) روضة الناظر ص٧٨ .

وهذا هو الحق الذي يتمشى مع الدليل من الكتاب والسنه ، ويناسب جعل الاجماع دليلا وحجة لتتمكن الامة بواسطته من تشريع احكام ملزمة لكل ما يجدّ من احداث ووقائع ، ليس عليها نصوص ـ في ظاهر الحال ـ من كتاب او سنه ، والمعروف ان النصوص تتناهى والاحداث لا تتناهى، والشريعة الاسلامية مؤهلة لاستيعاب مشاكل البشرية قادرة على تنظيم حياتهم ، في كل مكان حلوا فيه ؛ وفي اي زمان وجدوا فيه ، ولئن كان تحصيل الاجماع والاطلاع عليه عسيرا في العصور السابقة بالنظر للانتشار المكاني لجماعة المجتهدين ، وبعد المسافة ، وصعوبة المواصلات والاتصالات ؛ فانه اليوم من ايسر الامور واسهلها ، فليس صعبا ان يجتمعوا سنويا او كلما دعت الحاجه في اي قطر اسلامي ، او في مكة المكرمة في موسم الحج ، « ويتذاكرون في كل ما يحدث من المسائل الشرعية التي هي محل ابتلاء المسلمين ، وبعد المذاكرة في وجوه الادلة يصدرون الفتوى الشرعية التي اجمع رايهم عليها وذلك باعداد كتاب سنوي يشتمل على كل ما يتفق عليه من الآراء والفتاوي »(١٣٥) واجماع المجتهدين في اي عصر اسلامي هو المعول عليه عند جميع المذاهب الاسلامية عدا اهل الظاهر فانهم حصروا الاجماع بعصر الصحابه حيث قال داود الظاهري : لا اجماع الا اجماع الصحابة .

١ ـ الصحابة :

ذهب اهل الظاهر واحمد بن حنبل في رواية(١٣٦) الى أن اجماع غير اجماع الصحابة ليس دليلا شرعيا .

وقد عرض ابن حزم دعواهم وبيّن حجتهم في ذلك فقال : « قال ابو سليمان(١٣٧) وكثير من اصحابنا : لا اجماع الا اجماع الصحابة ـ رض ـ واحتج في ذلك بانهم شهدوا التوقيف من رسول الله ـ ص ـ وقد صح انه لا اجماع الاّ عن توقيف ، ايضا فانهم ـ رض ـ كانوا جميع المؤمنين لا مؤمن من الناس سواهم ، ومن هذه صفته فاجماعهم هو اجماع المؤمنين وهو الاجماع المقطوع به ، واما كل عصر بعدهم ، فانما هم بعض المؤمنين لا كلهم ، وليس اجماع بعض المؤمنين اجماعا ، انما الاجماع اجماع جميعهم ، وايضا فانهم كانوا عددا محصورا

(١٣٥) الاجماع للصدر ص٨٥ .
(١٣٦) انظر روضة الناظر لابن قدامة ص٧٤ .
(١٣٧) ابو سليمان كنية داود امام اهل الظاهر ، واشتهر تلامذته علي بن حزم .

يمكن ان يحاط بهم وتعرف اقوالهم ، وليس من بعدهم كذلك ».(١٣٨)

ودعوى أهل الظاهر هذه تتضمن امرين :

اولهما : أجماع الصحابة دليل شرعي .

وثانيهما : اجماع ما بعدهم ليس دليلا .

والاول مسلم عند كافة المذاهب الاسلامية لانهم مجتهدوا العصر ، فما اتفقوا عليه كان دليلا وحجة [illegible] ان حجة اجماعهم أولى من حجة اجماع من بعدهم لانهم شاهدوا الوحي وعاصروا الرسول [illegible] السيد الصدر [illegible] وأما رأي الامامية في اجماع الصحابة [illegible]

[illegible]

[illegible] لان الادلة الثلاثة على كون الاجماع حجة من الكتاب والسنة ، والعقل لا تفرق [illegible]

[illegible]

بنظر الاعتبار من توفي من الصحابة قبل انعقاد الاجماع ، كخديجة ، وسمية وابي امامة ، وعثمان بن مظعون ، وشهداء بدر واحد [illegible] فيلزم على قولهم عدم انعقاد الاجماع أصلا لا من الصحابة ولا من غيرهم وهذا باطل بالاتفاق .

[illegible] ان المجتهدين في أي عصر [illegible] الامة بالنسبة الى حكم الحادثة التي اتفقوا عليها كما كان الصحابة كل الامة بالنسبة لاجماعاتهم لانه كما بطل الالتفات الى اللاحقين وقت انعقاد اجماع الصحابة يبطل الالتفات الى [illegible]

[illegible]

تقي الدين النبهاني في كتابه اصول الفقه حيث قال : « كل اجماع غير اجماع الصحابة ليس دليلا شرعيا لانه لم يقم الدليل القطعي على أنه دليل شرعي ، وكل ما استدلوا به هو ادلة ظنيه »(١٤٥) .

وقد اجاب شيخنا ابو زهرة عن مثل قول الشيخ النبهاني بقوله : « والاعتراض على ان الاجماع كان لان الادلة القطعية هي التي جرى فيها الاجماع، أما الظنية فلا مساغ للاجماع فيها ليس وارد هنا ، لان مواضع الاجماع التي كانت في عصر الصحابة ما كان اصل الدليل قطعيا ، فقد كان اخبار آحاد عن النبي – ص – ومع ذلك اجمعوا على اساسها ، فكان الاجماع رافعا لها من مرتبة الظني الى مرتبة القطعي »(١٤٦) .

كما يتبين لنا رجحان ما عولت عليه كافة المذاهب الاسلامية من أن الاجماع المعتبر هو اجماع المجتهدين في اي عصر .

٢ – الخلفاء الراشدون :

اذا اتفق الخلفاء الاربعة على حكم واقعة ، وخالفهم فيه بعض الصحابة فهل يعتبر ذلك حجة أم لا ؟

ذهبت جماهير العلماء الى انه ليس اجماعا ولا حجة . وذهب الامامية(١٤٧) ، وبعض الحنفيه(١٤٨) والامام احمد في رواية الى انه حجة وليس اجماعا ، وفي رواية اخرى انه اجماع وحجة ، واختاره ابن البناء من اتباعه(١٤٩) قال الامدي : « لا ينعقد اجماع الائمة الاربعة مع وجود المخالف لهم من الصحابة عند الاكثرين ، خلافا لاحمد بن حنبل في احدى الروايتين عنه . وللقاضي ابي حازم من اصحاب ابي حنيفه . »

ثم ذكر دليل هؤلاء فقال : « وحجة من قال بانعقاد الاجماع الائمة الاربعة قوله – ع – « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ » أوجب اتباع سنته ، والمخالف لسنته لا يعتد بقوله ، فكذلك المخالف لسنتهم »(١٥٠)

وقد كفانا الامام الشوكاني – وهو من مجتهدي الشيعة الزيدية – مؤونة الرد على وجه الاستدلال بهذا الحديث وامثاله بقوله : « واجيب بأن في

(١٤٥) اصول الفقه الجزء الثالث من كتاب الشخصية الاسلامية ص٢٩٤ و ٣٠٦ .
(١٤٦) اصول الفقه ص١٩٢ .
(١٤٧) الاجماع للصدر ص٦٣ .
(١٤٨) انظر تيسير التحرير لامير بادشاه جـ٣ ص٢٤٢ .
(١٤٩) الاحكام للامدي جـ١ ص١٢٧ .
(١٥٠) انظر شرح الكوكب المنير للفتوحي ص٢٣٢ .

الحديثين دليلا على أنهم اهل للاقتداء بهم لا على ان قولهم حجة على غيرهم ، فان المجتهد مستعبد بالبحث عن الدليل حتى يظهر له ما يظنه حقا ولو كان مثل ذلك يفيد حجية قول الخلفاء اوبعضهم ، لكان حديث « رضيت لامتي ما رضي لها ابن ام عبد » يفيد حجية قول ابن مسعود ، وحديث « أبا عبيده بن الجراح امين هذه الامة يفيد حجية قوله وهما حديثان صحيحان »(١٥١) ومن قبله اجاب بمثل ذلك ابن الحاجب في « المنتهى(١٥٢) وأمير بادشاه في تيسير التحرير(١٥٣) ، والجلال في شرحه على متن جمع الجوامع(١٥٤) ، والفتوحي في شرح الكوكب المنير(١٥٥) ومن المعاصرين الشيخ النبهاني في كتابه اصول الفقه(١٥٦) وقد اطال في الاجابة على ذلك لانه استعرض كل حججهم وابطلها جميعا .

وبهذا يتبين لنا ان القول بحجية اجماع الخلفاء الاربعة مع وجود مخالفهم قول مرجوح ولذا لم يعتبره جمهور العلماء وائمة المذاهب عدا من ذكرت .

٣ – اهل البيت :

اذا اتفق أهل البيت على حكم حادثه ، وخالف فيه بعض الصحابة أو المجتهدون من المعاصرين لهم فهل يعتبر اتفاقهم اجماعا وحجة أم لا ؟

المفهوم انه في حالة عدم وجود المخالف يكون اجماعا صحيحا وحجة شرعية ، عند كافة المذاهب الاسلامية ، لتحقق مفهوم الاجماع حينئذ ، اما في حالة وجود مخالف فقد اختلفت انظار ائمة المذاهب الاسلامية في ذلك ، فذهب جمهور العلماء وائمة المذاهب الى انه ليس اجماعا ولا حجة وذهب الامامية الى انه اجماع وحجة .

« ادلة الامامية »

استدل الامامية على حجية اجماع اهل البيت بالكتاب والسنه . أما دليلهم من الكتاب فقوله : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا »(١٥٧) .

وجه الاستدلال من الاية :

قالوا : ان الله – تعالى – نفي الرجس عن اهل البيت وطهرهم ، واذا انتفى الرجس عنهم ،

(١٥١) ارشاد الفحول ص٨٣ .
(١٥٢) انظر منتهى الاصول ص٤١ .
(١٥٣) انظر تيسير التحرير جـ٣ ص٢٤٢ .
(١٥٤) انظر الجلال جـ٤ ص١٩٧ .
(١٥٥) انظر شرح الكوكب المنير للفتوحي ص٢٣٢ .
(١٥٦) اصول الفقه ص٣٠٤ – ٣٠٦ .
(١٥٧) الاحزاب/٣٣ .

أنتفى الخطأ منهم فيكون أتفاقهم حجة ولا عبرة براي من خالفهم وقالوا ان المراد باهل البيت في الاية هم علي وفاطمة وابناهما الحسن والحسين — رض — بدليل ان النبي — ص — لفهم بكسائه عند نزول هذه الاية وقال « اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا »(١٥٨) وبدليل التعبير باداة الحصر « انما » فانها كما يقول الطبرسي : « محققه لما ثبت بعدها نافية لما لم يثبت »(١٥٩) .

ولم يقتصر الامامية على حجية قول واجماع هؤلاء الاربعة — رض — بل اضافوا اليهم تسعة من نسلهم وهم علي بن الحسين ، ومحمد بن علي ، وجعفر بن محمد ، وموسى بن جعفر ، وعلى بن موسى ، ومحمد بن علي ، وعلي بن محمد ، والحسن بن علي ، ومحمد بن الحسن « الغائب المنتظر » .

قال عبدالحسين شرف الدين « المراد باهل بيته هنا مجموعهم من حيث المجموع باعتبار المتهم ، وليس المراد جميعهم على سبيل الاستغراق ، لان هذه المنزلة ليست الا لحجج الله والقوامين بامره خاصة بحكم العقل والنقل »(١٦٠) .

وأما دليلهم من السنه فقوله — ص — : « اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا : كتاب الله وعترتي » وفي رواية : « اني تارك فيكم الثقلين فان تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي » وفي رواية : « واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي ، اذكركم الله في أهل بيتي ، اذكركم الله في أهل بيتي » وفي رواية : « اني تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله ، وعترتي اهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض » وقد بين السيد الصدر وجه الاستدلال من الحديث فقال : « في الحديث امران كل منهما يكفي للدلالة على العصمة من الخطأ .

١ — جزم — ص — بصورة قاطعة على ان التمسك بالكتاب وباهل بيته — ص — يستدعي ان لا يضل المسلم عن طريق الحق والصواب .

٢ — حكم — ص — حكما لا يقبل الشك بانهما لن يفترقا ولو جاز الخطأ لافترقا ولا شك ان الذي يكون مع القرآن لا يتصور في حقه الخطأ .

وهذا ما جعل الامامية تجمع على حجية اجماع أهل البيت — ع — معتبرة خلاف غيرهم كالعدم فلا يضر بالاجماع »(١٦١) .

مناقشة الجمهور لادلة الامامية :

قالوا ان الاجماع الذي قام الدليل على انه معصوم من الخطأ هو اجماع الامة الاسلامية ممثلة في جميع المجتهدين في كل عصر ، ومن ضمن المجتهدين المعتبرين بل على راسهم بطبيعة الحال المجتهدون من أهل البيت اما ان يقول احدهم او بعضهم قولا ويخالفه فيه مجتهدو العصر فلا يكون قوله حجة لانا لا نجزم بأن الحق معه اذ لا عصمة لبعض الامة .

وردوا على استدلال الامامية من الكتاب بعدة وجوه : —

منها : ان الرجس في الآية معناه القذر المعنوي وهو كل ما يؤدي الى التهمة والريبة والاثم والعذاب جاء في القاموس ، الرجس : القذر والمأثم وكل ما استقذر من العمل والعمل المؤدي الى العذاب والشك والعقاب والغضب(١٦٢) .

وقد ورد بهذا المعنى في عدة آيات قال تعالى : « فاجتنبوا الرجس من الأوثان »(١٦٣) وقال « ويجعل الرجس على الذين لايعقلون »(١٦٤) وقال : «وكذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون »(١٦٥) وقال : « انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان »(١٦٦) وقال : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت » اي يذهب عنكم القذر المعنوي وهو التهمة والريبة » وعليه فان اذهاب الرجس عنهم لا يكون فيه نفي للخطأ عنهم ، والخطأ في الاجتهاد ليس رجسا بل يثاب عليه صاحبه بدليل قول الرسول — ص — : « اذا حكم الحاكم فاجتهد ثم اصاب فله اجران ، واذا حكم فاجتهد ثم اخطأ فله اجر » .

فهذا يدل على ان نفي الرجس عن اهل البيت لا يعني نفي الخطأ ، لأن الخطأ ليس من الرجس »(١٦٧) وقال الشيخ الخضري : « ان الرجس المفهوم من النظام (يعني نظام الآيات وسياقها) ليس منه ما قالوا من الخطأ في الاجتهاد وانما هو ما ينقص قدر النبوة من الريب

(١٥٨) اسباب نزول القرآن للواحدي ص٢٧٤ وتفسير القرآن للطبرسي مجلد ٤ ص ٣٥٧ .
(١٥٩) المصدر السابق .
(١٦٠) المراجعات ص٤٤ وانظر عقائد الامامية للمظفر ص٧٦ .
(١٦١) الاجماع ص٧٧ — ٧٨ .
(١٦٢) القاموس المحيط مادة « رجس » .
(١٦٣) الحج/٣٠ .
(١٦٤) يونس/١٠٠ .
(١٦٥) الانعام/١٢٥ .
(١٦٦) المائدة/٩٠ .
(١٦٧) اصول الفقه للنبهاني ص٣٠١ .

والمعاصي »(١٦٨) وقال الامام الشوكاني « لا يخفاك ان كون الخطأ رجس لا يدل عليه لغة ولا شرع فان معناه في اللغة القذر ويطلق في الشرع على العذاب كما في قوله سبحانه « انه وقع عليكم من ربكم رجس وغضب » وقوله « من رجز اليم » « والرجز : الرجس »(١٦٩) .

ومنها : ان الآية انما انزلت في نساء النبي — ص — لغرض دفع التهم والريبة وكل مستقذر معنوي بدليل ما قبلها وما بعدها . فالآية جزء من ثلاث آيات قال تعالى : « يا نساء النبي لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا ، وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى واقمن الصلاة وآتين الزكاة واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا ، واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا »(١٧٠) واما قول الرسول (ص) « هؤلاء أهل بيتي » فانه لا ينافي كون نسائه من اهل البيت وهو يدل على ان الآية وان انزلت في نساء النبي فهي عامة ، قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى : « انما يريد .. الآية » وهذا نص في دخول ازواج النبي (ص) في أهل البيت هاهنا لأنهن سبب نزول هذه الآية ، وسبب النزول داخل فيه قولا واحدا اما وحده على قول أومع غيره على الصحيح»

وناقش قول عكرمة وغيره انها انما نزلت في نساء النبي خاصة بقوله : « فان كان المراد انهن كن سبب النزول دون غيرهن فصحيح وان اريد انهن المراد فقط دون غيرهن ففي هذا نظر فانه قد وردت احاديث تدل على أن المراد اعم من ذلك »(١٧١) ثم ذكر عدة احاديث تدل على رأيه من ان لفظ « اهل البيت » يشمل نساء النبي — ص — واصحاب الكساء ، وهو الراجح وعليه المعول عند جمهور المفسرين والعلماء المجتهدين في الدين — رحمهم الله جميعا — .

ومنها : ان الآية وان كانت قطعية الثبوت فانها ظنية الدلالة ، لاختلاف العلماء في تفسيرها ؛ وتحديد المراد من اهل البيت فيها : هل هم نساء النبي — ص — وحدهن ؟ أم هن مع اصحاب الكساء ، أم اصحاب الكساء وحدهم ؟ فتكون ظنية الدلالة . والاستدلال على أصل من اصول الشريعة يكون بالادلة القطعية ولا يصح ان يكون ظنيا .

ورد الجمهور على استدلال الامامية من السنة النبوية بعدة وجوه .

منها — ان غاية ما يدل عليه هذا الحديث وكل ما جاء في معناه هو بيان مزيد فضلهم في شرح وبيان دين الله ، والاجتهاد في احكامه وانهم اهل للاقتداء بهم ، وليس فيها دلالة قطعية على حجية قولهم فرادى أو مجتمعين .

قال الشوكاني : « واستدلوا بأحاديث كثيرة جدا تشتمل على مزيد شرفهم ، وعظيم فضلهم ولا دلالة فيها على حجية قولهم وقد ابعد من استدل بها على ذلك »(١٧٢) .

ومنها : ليس المراد من حديث الثقلين العترة بل الكتاب والسنة بدليل الرواية الصحيحة التي اعتمدها جمهور العلماء وهي : تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي » وعلى تقدير رواية « كتاب الله وعترتي » يكون المراد حجية ما رووه عنه — ص — لانهم اخبر بحاله وليس حجية قولهم(١٧٣) .

وايضا فان العترة ليس عليا وفاطمة وحسنا وحسينا حسب بل هم وجميع آل البيت ممن حرم عليهم اخذ الصدقة وهم آل علي ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل عباس بدليل قول النبي — ص — « لا تحل لآل محمد صدقة » والامامية لاتقول بحجية اقوال هؤلاء جميعا حتى يكون قول بعضهم أو احدهم حجة .

خلاصة راي الامامية في الاجماع —

عرفنا ان الاجماع يطلق تارة ويراد به اتفاق كافة مجتهدي عصر على حكم شرعي بعد وفاة النبي — ص — وبينا انه حجة عند الامامية كما هو حجة عند غيرهم بلا مخالف .

ويطلق (اخرى) ويراد به اتفاق جماعة من الفقهاء فقط ، وهذا : لا يكون حجة الا اذا كشف عن راي المعصوم لأن الحجة حينئذ للمنكشف وليس للكاشف ، قال المحقق الحلي في هذا النوع من الاجماع : « فلو خلا المائة من فقهائنا من قوله « يعني الامام » لما كان حجة ، ولو حصل في اثنين كان قولهما حجة »(١٧٤) .

---

(١٦٨) اصول الفقه للخفري ص٢٠٨ وانظر الاحكام للامدي جـ١ ص١٢٦

(١٦٩) ارشاد الفحول ص٨٣ .

(١٧٠) الاحزاب ٣٢/٣٣/٣٤ .

(١٧١) تفسير بن كثير جـ٣ ص ٤٨٣ .

(١٧٢) ارشاد الفحول ص٨٣ .

(١٧٣) راجع الاحكام للامدي جـ١ ص١٢٦ .

(١٧٤) المعتبر ص٦ .

وبطلق (ثالثة) ويراد به قول الامام بمفرده ويسمى الاجماع التشرفي(١٧٥) وهذا لا خلاف في حجيته عند الامامية .

والحق أن اطلاق لفظة « الاجماع » على اتفاق القلة ، وعلى قول الامام بمفرده اطلاق غير سديد بل غير صحيح بالمرة . لانه ينافي مفهوم الاجماع في اللغة ، ويصادم ما اصطلح عليه الاصوليون والفقهاء من تعريف الاجماع . ولست اعرف سببا لاطلاق الامامية لفظة الاجماع على اتفاق الفئة القليلة ، وقول الامام بمفرده ، في حين يمكنهم القول بحجية هذا او ذاك مع عدم تسميته اجماعا ، لانه لا يلزم من كون قول الامام حجة - مثلا - تسميته بالاجماع ، فالكتاب والسنة والقياس أو الدليل العقلي كل منها حجة ، ولا يسمى اي منها اجماعا وقد تنبه لذلك احد اعلامهم المعاصرين حيث قال « فيكون تسمية اتفاق جماعة من علماء الامامية بالاجماع مسامحة ظاهرة ، فان الاجماع حقيقة عرفية في اتفاق جميع العلماء من المسلمين على حكم شرعي ، ولا يلزم من كون مثل اتفاق الجماعة القليلة حجة ان يصح تسميتها بالاجماع ، ولكن شاع هذا التسامح في لسان الخاصة من علماء الامامية على وجه اصبح لهم اصطلاح آخر فيه »(١٧٦) .

وعليه فليس للاجماع الا مفهوم واحد وهو اتفاق كافة مجتهدي عصر على حكم شرعي بعد وفاة النبي - ص - ، فلا يكون من مباحثه اصلا ولا من المسائل ذات الصلة به القول بحجية اتفاق الفئة القليلة ، وقول الامام . وكذلك ليس من مباحثه ما سمي باجماع اهل البيت أو « العترة » لأن مرده الى حجية قول كل واحد من ائمة آل البيت - سلام الله عليهم - وليست حجية قول الامام متوقفة على موافقة راي غيره له - عند الامامية - سواء أكان هذا الغير من باقي الائمة الاثنى عشر أم من سائر مجتهدي العصر فقول الامام ، وفعله ، وتقريره جزء من السنة ، بل انه هي عند الامامية(١٧٧) بناء على نظرية خزن العلم او ايداع الشريعة ، وليس هنا محل بحث ذلك ، وانما الذي يعنينا هو بحث الاجماع ، وقد تبين لنا ان ما سمي باجماع العترة أو اتفاق القلة ليس من مباحث الاجماع ، بل لا يمت اليه بصلة على الاطلاق، فليشطب من مباحثه .

٤ - أهل المدينة -

اذا اتفق اهل مدينة الرسول - ص - على حكم حادثة وخالف فيه بعض المجتهدين من غير اهلها فهل يكون اتفاقهم حجة ام لا ؟

نسب الى الامام مالك القول بحجيته ، وقيده بعض الاعلام في زمن الصحابة والتابعين وحمله بعض المحدثين على تقديم روايتهم على رواية غيرهم اذا عارضتها . وحمله آخرون على نقلهم العمل المشهور كالآذان ، والاقامة والمزارعة ..، ويبدو من استقراء كلام مالك في الموطأ ان هذا النوع هو الذي يقول بحجيته(١٧٨) قال ابن الحاجب :«اجماع المدينة من الصحابة والتابعين حجة عند مالك ؛ وقيل انه محمول على ان روايتهم متقدمة ، وقيل على المنقولات المستمرة كالآذان والاقامة والصاع والمد والصحيح التعميم »(١٧٩) احتج الامام مالك بقول الرسول - ص - « ان المدينة طيبة تنفي خبثها » . ووجه الاستدلال ان الحديث قد دل على انتفاء الخبث عن المدينة والخطأ خبث فيجب أن يكون منفيا عن أهلها ، فانه لو كان في اهلها لكان فيها ، واذا انتفى عنهم الخطأ كان اجماعهم حجة » .

واجيب عن ذلك بأن الخطأ في الاجتهاد ليس خبثا و لايصح أن يكون خبثا والا لم يؤجر المجتهد المخطيء ، ثم ان الخطأ معفو عنه قال الرسول -ص- « رفع عن امتي الخطأ .. » والخبث منهي عنه قال الرسول - ص - « مهر البغي خبث » ونحوه فيكون احدهما غير الاخر وعليه الا يكون الحديث حجة على ان اجماع أهل المدينة دليل شرعي»(١٨٠) واحتج ايضا بأن المدينة دار الهجرة ومهبط الوحي ، ومجتمع الصحابة ومستقر الاسلام واهلها شاهدوا التنزيل ، وعرفوا التأويل ، وهم شهداء آخر العمل من النبي - ص - وعرفوا ما نسخ وما لم ينسخ فوجب أن لا يخرج الحق عنهم »(١٨١) .

واجيب : بان غاية ما يدل عليه هذا الكلام هو اشتمال المدينة على ما يوجب فضلها وهذا لا يوجب حجة اجماع اهلها ، كما لا يدل على انتفاء الفضل

---

(١٧٥) انظر مصطلحات الاصول للمشكيني ص٢٦ .
(١٧٦) الشيخ محمد رضا المظفر - اصول الفقه جـ٣ ص١٠٦ .
(١٧٧) انظر عقائد الامامية ص٦٦ ، واصول الفقه للمظفر جـ٣ ص٥١ ، والاصول العامة للفقه المقارن للسيد محمد تقي الحكيم ص١٢١ . والمعالم الجديدة في اصول الفقه لمحمد باقر الصدر ص٣٢ ، ومصابيح الاصول لبحر العلوم ص٤ ، ومناهج الاحكام للنراقي ص١٥٨ .

(١٧٨) انظر اصول الفقه للخضري ص٣٠٦ .
(١٧٩) منتهى الوصول ص٤١ .
(١٨٠) اصول الفقه للنبهاني ص٣٠٤ .
(١٨١) انظر الاحكام لابن حزم جـ٤ ص٥٥٣ . وللامدي جـ١ ص١٢٥ .

عن غيرها فان مكة افضل منها لما تتمتع به من صفات ومزايا ، ومع ذلك فلا اعتبار باجماع اهلها .(١٨٢)

وبهذا يتبين لنا ان الحق ما ذهب اليه الجمهور والامامية(١٨٣) من ان اتفاق اهل المدينة ليس اجماعا ولا حجة ، لانهم بعض الامة قال ابن قدامة : « ان العصمة تثبت للامة بكليتها ، وليس اهل المدينة كل الامة ، وقد خرج من المدينة من هو اعلم من الباقين بها كعلي وابن مسعود ، وابن عباس ، ومعاذ وابي عبيده ، وغيرهم من الصحابة فلا ينعقد الاجماع بدونهم »(١٨٤) وقال الفتوحي : « لا يكون اجماع اهل المدينة حجة مع مخالفة مجتهد عند جماهير العلماء لانهم بعض الامة لا كلها ؛ لان العصمة من الخطأ انما تنسب للامة كلها ؛ ولا مدخل للمكان في الاجماع ؛ اذ لا اثر لفضيلته في عصمة اهله ، بدليل مكة المشرفة(١٨٥) وقال الشوكاني : « اجماع اهل المدينة على انفرادهم ليس حجة عند الجمهور لانهم بعض الامة »(١٨٦) .

٥ ـ اهل الحرمين :

وذهب الجمهور ايضا الى ان اجماع « اهل الحرمين » مكة والمدينة ليس حجة لانهم بعض الامة ولانه لا اثر للمكان في حجية الاجماع والقول بانهما كانتا مجمع الصحابة ومهبط الوحي واهلها اعرف باحوال النبي ـ ص ـ فيكون اجماعهم حجة ، يجاب عنه بان غاية ما يدل عليه هذا هو فضلهما وليس في دلالة على ان اجماع اهلها حجة وايضا فان الصحابة

---

(١٨٢) انظر روضة الناظر ص٧٢ ، والمستصفى جـ١ ص١١٩ .
(١٨٣) الاجماع للصدر ص٦٣ .
(١٨٤) روضة الناظر ص٧٢ .
(١٨٥) شرح الكوكب المنير ص٢٣٢ .
(١٨٦) ارشاد الفحول ص٨٣ .

انتشروا في الارض وتفرقوا فى الامصار اثر وفاة النبي ـ ص ـ دعاة وفاتحين ولم تعد مكة والمدينة مجتمع الصحابة والتابعين فلا اثر لاتفاق من بقي فيها اذا عارضهم غيرهم لان الحجية للاجماع بالاتفاق ولا اجماع مع وجود مخالف من مجتهدي العصر .

٦ ـ اهل المصرين :

وذهب الجمهور ايضا الى ان اجماع « اهل المصرين » الكوفة والبصرة ليس بحجة لما سبق والواقع انني لم اجد سببا معقولا للقول بحجية اجماع هؤلاء في زمن الصحابة والتابعين ، ولا في اي زمن بعده سوى العصبيه المذهبيه ، كما يقول ابن حزم(١٨٧) وعليه فأن القول بحجية اجماعهم في غايـة التهافت .

والحق ان القول بحجية اتفاق الخلفاء الاربعة ، او الشيخين ابي بكر وعمر او اهل البيت ، او اهل المدينة ومكة ، او اهل الكوفة والبصرة ، مع وجود مخالف لهم من المعاصرين لهم ، خارج عن مباحث الاجماع لان القول بحجية امر ، لا يستلزم ان يسمى اجماعا ، ولان ذلك مخالف لمفهوم الاجماع في لغة العرب واصطلاح الاصوليين ، ولان الأدلة الدالة على حجية الاجماع عامة ، لم تفرق بين مكان وآخر ، ولا بين هؤلاء وهؤلاء من اتباع هذا الدين ، بل تدل على عصمة الامة في حالة اجماع كافة علمائها في عصر ولان الادلة التي احتج بها القائلون بحجية تلك الاجماعات لا تدل على اكثر من فضيلة هؤلاء الاشخاص واهل تلك الاماكن وليس فيها دلالة على سلب الفضل عن غيرهم ولا على ان اقوالهم حجة على غيرهم فضلا عن ان تسمى اجماعا .

---

(١٨٧) انظر الاحكام لابن حزم جـ٤ ص٥٦٦ .

مصادر البحث

١ ـ الاجماع في التشريع الاسلامي ـ محمد صادق الصدر ـ ط١ بيروت .

٢ ـ الاحكام في اصول الاحكام ـ سيف الدين الامدي ـ مطبعة محمد علي صبيح ـ القاهرة .

٣ ـ الاحكام في اصول الاحكام ـ علي بن حزم ـ مطبعة العاصمة ـ القاهرة .

٤ ـ ارشاد الفحول ـ الشوكاني ـ ط١ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٣٧ .

٥ ـ اسباب نزول القرآن ـ علي بن احمد الواحدي ـ ط١ دار الكتاب الجديد القاهرة ١٩٦٩ .

٦ ـ الاسلام وقضايا الساعة ـ الشيخ موسى عزالدين ـ ط١ دار الاندلس بيروت ١٩٦٦ .

٧ ـ اصول الكافي مع شرحه الشافي ـ الكليني ـ والشرح لعبد الحسين المظفر ـ ط١ ـ مطبعة النعمان النجف .

٨ ـ اصول الفقه ـ الشيخ محمد الخضري ـ ط٥ ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة ١٩٦٥ .

٩ ـ الاصول العامة للفقه المقارن ـ السيد محمد تقي الحكيم ـ ط١ ـ بيروت ١٩٦٣ .

١٠ـ اصول الاستنباط ـ الشيخ علي نقي الحيدري ـ ط٢ ـ مطبعة الرابطة ـ بغداد .

١١ـ اصول الفقه ـ تقي الدين النبهاني ـ ط١ .

١٢ـ اصول الفقه ـ الشيخ محمد ابو زهرة ـ مطبعة مخيمر ، القاهرة ١٣٧٧هـ .

١٣ـ بحث الاجماع ـ الشيخ فايد ـ من محاضراته في كلية الشريعة ـ جامعة الازهر ـ ١٩٦٨ .

١٤ـ تاريخ التشريع ـ الشيخ محمد الخضري ـ ط٧ ـ مطبعة الاستقامة ـ القاهرة ـ ١٩٦٧ .

١٥ـ تفسير القرآن العظيم ـ ابن كثير الدمشقي ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت ١٩٦٩ .

١٦ـ تيسير التحرير ـ امير بادشاه ـ مطبعة مصطفى الحلبي القاهرة ١٣٥٠هـ .

١٧ـ دليل العقل عند الشيعه ـ الدكتور رشدي عليان ـ ط١ ـ مطبعة دار السلام ـ بغداد ١٩٧٣ .

١٨ـ الرسالة في اصول الفقه ـ الامام الشافعي ـ ط١ مطبعة مصطفى الحلبي ـ ١٩٤٠ .

١٩ـ الرسائل (فرائد الاصول) ـ مرتضى الانصاري ـ طبعة حجرية ـ ايران ١٣٢٤هـ .

٢٠ـ روضة الناظر وجنة المناظر ـ ابن قدامة المقدسي ـ المطبعة السلفية ـ القاهرة ١٣٨٥ .

٢١ـ شرح الكوكب المنير ـ الفتوحي ـ ط١ ١٩٥٢ القاهرة .

٢٢ـ شرح الجلال على متن جمع الجوامع ، وحاشية العلامة البناني ـ دار احياء الكتب العربية .

٢٣ـ شرح المنار ـ ابن ملك ـ طبع في تركيا ١٣١٤هـ .

٢٤ـ علم اصول الفقه ـ محمد معروف الدواليبي ـ مطبعة الجامعة السورية ١٩٤٩ .

٢٥ـ عقائد الامامية ـ محمد رضا المظفر ـ مطبعة النعمان ـ النجف .

٢٦ـ العقيدة والشريعة في الاسلام ـ جولد زيهر ـ مطبعة دار الكاتب المصري ١٩٤٦ .

٢٧ـ عقيدتنا في الامام الصادق وسائر الائمة ـ السيد حسين العاملي ـ مطابع دار الاندلس بيروت .

٢٨ـ عدة الاصول ـ ابو جعفر الطوسي ـ طبعة حجرية ـ الهند ١٣١٢هـ .

٢٩ـ كتاب الغيبه ـ ابو جعفر الطوسي ـ ط١ ـ مطبعة النعمان ـ النجف ١٣٨٥هـ .

٣٠ـ القاموس المحيط ـ مجد الدين الفيروز آبادي ـ ط٢ ـ مطبعة مصطفى الحلبي ١٩٥٣ .

٣١ـ كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد ـ جمال الدين الحلي ـ المطبعة العلمية بقم ـ ايران .

٣٢ـ قوانين الاصول ـ ميرزا ابو القاسم القمي ـ طبعة حجرية ـ ايران ـ ١٢٧٥هـ .

٣٣ـ الفصول في الاصول ـ محمد حسن بن رحيم ـ طبعة حجرية ، ايران ١٢٦٦هـ .

٣٤ـ فوائد الاصول ـ محمد علي الكاظمي ـ طبعة حجرية ـ ايران .

٣٥ـ مجمع البيان في تفسير القرآن ـ الطبرسي ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت ١٣٧٩هـ .

٣٦ـ المراجعات ـ عبدالحسين شرف الدين ـ مطبعة الاداب ـ النجف .

٣٧ـ مصابيح الاصول ـ الشيخ علاء بحر العلوم ـ مطبعة طهران ١٣٨٠ .

٣٨ـ مصطلحات الاصول ـ علي المشكيني الاردبيلي ـ المطبعة العلمية بقم ـ ايران ١٣٨٣هـ .

٣٩ـ مختصر الفصول (خلاصة الفصول) في علم الاصول ـ السيد صدر الدين الصدر ـ طبعة حجرية ـ ايران .

٤٠ـ معراج الاصول ـ ابو القاسم نجم الدين الحلي ـ طبعة حجرية ١٣١٠هـ .

٤١ ـ المعتبر ابو القاسم نجم الدين الحلي ـ طبعة حجرية ـ ايران ١٣١٨هـ .

٤٢ـ المستصفى ـ ابو حامد الغزالي ـ ط١ ـ مصطفى محمد القاهرة ١٩٣٧م .

٤٣ـ مناهج الاحكام والاصول ـ الشيخ احمد بن ابي ذر النراقي ـ طبعة حجرية ـ ايران ١٢٢٤هـ .

٤٤ـ منتهى الاصول ـ الشيخ حسن البجنوردي ـ مطبعة النجف ١٣٧٩هـ .

٤٥ـ منتهى الوصول ـ ابن الحاجب ـ ط١ ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة ١٣٢٦هـ .

٤٦ـ معالم الاصول ـ جمال الدين الشيخ حسن ـ طبعة حجرية ـ ايران ١٣٧٨هـ .

٤٧ـ المعالم الجديدة للاصول ـ محمد باقر الصدر ـ طبعة اولى ـ مطبعة النعمان ـ النجف .

٤٨ـ ملخص ابطال القياس والرأي ـ علي بن حزم ـ مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٠ .

٤٩ـ المعجم المفهرس لالفاظ القرآن ـ محمد فؤاد عبدالباقي ـ مطابع دار الشعب .

٥٠ـ الامام المهدي ـ علي دخيل ط١ ـ مطبعة الاداب ـ النجف ١٩٦٦ .

٥١ـ نيل الاوطار ـ الشوكاني ـ مطبعة مصطفى الحلبي .

البيروني

حياته وفكره

بقلم

صالح مهدي العزاوي

اعدادية بعقوبة ـ محافظة بعقوبة

البيروني عقلية متفتحة ، وذهن نفاذ ، ونفسية متطلعة ابدا الى تشوف الحقيقة والسعي لتحقيق اسمى درجات المعرفة الانسانية ، ومن هنا كانت روحه العلمية الصادقة وتتبعه المتواصل . نذر نفسه للجهاد من اجل العلم ، لم تجره دواعي الدنيا اليها ، ولم تاخذ بيده مهاوي الطمع وحب الجاه والسلطان ، فكان بحق العالم الذي كرس حياته للعلم ، وزاده الايمان به ، تعلقا للاخذ منه بكل سبب .

لقد تحدث المؤرخون عن البيروني ، لكن تلك الاحاديث لم تكن كافية لتعطيه حقه من التعظيم والاجلال ، وبقيت اكثر مؤلفاته تنتظر السواعد الخيرة لتنفض عنها غبار الزمن وتتابع الحقب لتسهم مساهمة فعالة في دفع عجلة التقدم العلمي في الوطن العربي . ولعل من المؤسف ان يرى الباحث في مصادر دراسة البيروني علماء الغرب يعرفون عنه اكثر مما نعرف ، ويشيدون به اكثر مما اشدنا ، فعسى ان يكون هذا البحث الموجز حافزا للمثقفين وسدنة العلم والثقافة لدراسة هذا العالم دراسة جادة .

والبيروني هو ابو الريحان محمد بن احمد الخوارزمي ، هذا ما اتفق عليه المؤرخون ، الا ان الشيخ صلاح الدين الصفدي انفرد عن غيره من المؤرخين فجعله احمد بن محمد ولذا ترجم له في باب الهمزة(١) و « بيرون » التي ينسب اليها ابو الريحان تسمية لخارج خوارزم مدينة البيروني ، وتطلق على كل من يكون من خارج البلد ولا يكون من نفسها يقال عنه فلان بيروني .

وقد اختلف المؤرخون في ضبط حرف الباء من هذه الكلمة ، فاوردها قسم منهم بالباء المكسورة والراء المفتوح(٢) واوردها قسم آخر بالباء المفتوحة والراء المضموم ، وقد ضبطها ياقوت الحموي بالفتح « لأن بيرون بالفارسية معناها برآ ، وسألت احد الفضلاء عن ذلك فزعم ان مقامه بخوارزم كان قليلا واهل خوارزم يسمون الغريب بهذا الاسم وما اظنه يراد به الا انه من اهل الرستاق (السواد والقرى) يعني انه من برا البلاد »(٣) . ولعل من المفيد تحقيق ضبط الباء في كلمة بيرون ، والذي أراه انها بالباء الموحدة المفتوحة لسببين :

الاول ان ياقوت الحموي ضبطها بالفتح مشيرا الى معناها الفارسي وذكر انه سمي بهذا الاسم لان مقامه بخوارزم كان قليلا ، ويؤيد هذا القول اكثر المؤرخين في انه لم يقم ببلدته كثيرا وانه كان كثير الرحلات ، والسبب الثاني ان لفظة بيرون جاءت في المعجم الفارسي الانجليزي مقابلة لكلمة (out) وبهذا يصح قول ياقوت(٤) . ومما يدعم راينا هذا ان « نالينو » فطن الى غلط « ابن ابي اصيبعة » لانه « لم يميز بين بيرون خارج مدينة خوارزم والنيرون مدينة مشهورة على شط نهر مهران او نهر السند المسماة نيرونكوت او حيدر آباد السند »(٥) وما ورد في عيون الانباء يعزز الراي القائل بفتح الباء ، لانه جعلها مقابلة في الوزن لكلمة بيرون المفتوحة الباء(٦) . ولد ابو الريحان في خوارزم فيما وراء النهر ، وتعود المصادر التاريخية لتختلف من جديد في تحديد سنة ولادته ، فقد جاء في قسم منها انها كانت سنة « ٣٦٢هـ »(٧) وذكر القسم الاخر انها كانت سنة « ٣٦٣هـ »(٨) على ان السيد محمد مسعود في تعليقه على مقال البيروني في دائرة المعارف الاسلامية جعل ولادته سنة « ٣٥١هـ »(٩) وقد نشر « سخاو » في الاثار الباقية ما نصه « ان مولد هذا الشخص العجيب النادر والبحر العميق الزاخر

---

(١) تقع ترجمته في الجزء المخطوط ولم استطع الحصول عليه واظن ذلك في الجزء ٩ .

(٢) فيليب حتي ، محسن الامين وغيرهما من المؤرخين .

(٣) معجم الادباء جـ ١٧ ص ١٨٠ .

(٤) انظر المعجم الفارسي الانجليزي ـ ابراهيم يونس ص ٥٢٢

(٥) علم الفلك ص ٦٩ .

(٦) عيون الانباء جـ ٢ ص ٣٠ .

(٧) تاريخ العلوم عند العرب ص ٤١٧/تراث العرب العلمي ص ١٥٩/دائرة المعارف الاسلامية جـ ٤ ص ٣٩٧ / جهود المسلمين في الجغرافيا ص ٦٥ .

(٨) تاريخ الحضارة الاسلامية ص ١٠٩ .

(٩) جـ ٤ ص ٤٠٢ ـ ٤٠٣ .

والبدر المنير الباهر الامام الشيخ الاستاذ الرئيس الحكيم برهان الحق ابي الريحان محمد بن احمد البيروني انار الله برهانه واسكنه جنانه ورضي عنه وارضاه وجعل اعلى العليين مثواه كان بمدينة خوارزم صبيحة يوم الخميس ثالث ذي الحجة سنة ٣٦٢ للهجرة »(١٠) .

كما اختلفت مرة اخرى في تحديد سنة وفاته ، فقد كانت في سنة « ٤٤٠هـ »(١١) وكانت في سنة « ٤٤٢هـ »(١٢) وجعلها ابن ابي اصيبعه في « ٤٣٠هـ »(١٣) بينما جعل السيد عباس العزاوي نفسه في حل من صعوبة تحقيق المسالة فجل وفاته بين « ٤٣٠ ـ ٤٤٠هـ »(١٤) وقد ذكر ياقوت « ان السلطان محمودا بن سبكتكين مات في سنة ٤٢٢هـ وابو الريحان حي بغزنة » ثم عاد مرة اخرى ليقول « ثم اقام بغزنة حتى مات بها ارى في حدود سنة ٤٠٣هـ عن سن عالية »(١٥) فانت ترى ان التناقض في كلام ياقوت واضح .

وقد نشر « سخاو » في الاثار الباقية رسالة وجدت مكتوبة بخط تلميذه الامام الفاضل ابي الفضل السرخسي صاحب كتاب جوامع التعاليم وكان من اقرب ملازميه واخص خادميه على حاشية بعض كتب الامام الرئيس ابن سينا « توفي الشيخ العالم رحمه الله بعد العتمة في ليلة الجمعة في الثاني من رجب سنة ٤٤٠هـ » ومكتوب ايضا في موضع آخر بخط غيره « كان عمر الحكيم ابي الريحان البيروني برد الله مضجعه سبعا وسبعين وسبعة اشهر قمرية »(١٦) اذا حاول الباحث الاعتماد على ماجاء في هذه الرسالة التي تحدد زمن وفاته وعمره ، والرسالة السابقة التي تحدد زمن ولادته ، وكلام ياقوت في انه مات عن سن عالية ، يترجح ان وفاته كانت حوالي ٤٤٠هـ ، وعندي ان هذا التاريخ هو الاصح اذا صدقنا ان السلطان محمودا مات سنة ٤٢٢هـ وابو الريحان حي ، ثم ان اكثر المصادر التاريخية تتفق على هذه السنة ، ولا عبرة لما اورده ياقوت بعد ذلك من ان وفاته كانت سنة ٤٠٣هـ . لم يعرف الكثير عن حياة الطفولة التي قضاها في بلدته خوارزم ، وتتحدث عنه المصادر التاريخية وهو قد تجاوز هذه المرحلة ، وقد « تلقى العلم على ابي نصر منصور بن عراق ، واتصل بعد ذلك بمنصور بن نوح الساماني ثم مكث في جرجان مدة طويلة »(١٧) في خوارزم قضى اكثر حياته تحت كنف امرائها من بيت مامون بن مامون ، ثم زار حوالي سنة ٣٩٠هـ شمس المعالي قابوس بن وشمكير(١٨) ويرى « بارتولد » انه ظل في وطنه حتى بلغ الاربعين من عمره مستشار(١٩) ، على ان رحيله عن بلدته كان على أثر حادث عظيم « فغادرها الى محل في شمالها يدعى « كوركنج » وبعد مدة ترك هذه البلدة وذهب الى مقاطعة « جرجان » حيث التحق بشمس المعالي ثم عاد الى « كوركنج » وتمكن بدهائه من أن يصبح ذا مقام عظيم لدى بني مامون ملوك خوارزم »(٢٠) .

وكانت رحلته الى الهند فاتحة عهد جديد في حياته العلمية ، وقد ذهب اليها في حداثته وكانت قد دخلت الاسلام وقتذاك بفضل الحملات المظفرة التي قامت بها جيوش محمود الغزنوي ، ودرس هناك العلوم اليونانية واخذ يستقي من الثقافة الهندية ، ولما عاد من الهند استقر في البلاط الغزنوي .

وتتصل حياة البيروني اتصالا وثيقا بحياة الغزنويين وخاصة السلطان محمود وابنه مسعود ، ويروى ان السبب في مصيره الى غزنة ان السلطان محمودا لما استولى على خوارزم قبض عليه وعلى استاذه عبدالصمد الاول بن عبدالصمد الحكيم واتهمه بالقرمطة والكفر فاذاقه الحمام ، وهم أن يلحق به ابا الريحان ، فساعده فسحة الاجل بسبب خلصه من القتل ، وقيل له انه امام وقته في علم النجوم وان الملوك لايستغنون عن مثله فاخذه معه ودخل بلاد الهند واقام بينهم وتعلم لغتهم واقتبس علومهم ثم اقام بغزنة حتى مات بها(٢١) . ومما يذكر ان السلطان محمودا كان عاقلا خيرا دينا عنده علم ومعرفة له كثير من الكتب في الفنون ، وقصده العلماء من اقطار البلاد وكان يكرمهم ويقبل عليهم ويعظمهم ويحسن اليهم(٢٢) .

تبالغ بعض المصادر التاريخية في تحديد الفترة التي قضاها البيروني في الهند ، فهي تذكر انه قضى « اربعين سنة فيها »(٢٣) الا ان السيد « حسن البرني » قد فطن الى تلك المبالغة فناقش ما ورد في المصادر التاريخية مناقشة الواثق من صحة معلوماته فهو يرى « ان التفاصيل التاريخية لسياحة البيروني في الهند ليست محل ثقة ، فقد تاثر بعض مترجميه المسلمين بدراسته الواسعة لعلوم الهند فبالغوا في تقدير مدة مكوثه في تلك البلاد ، ولكني اظن انه انفق في الهند ما بين سبع او عشر سنوات قبل اتمامه كتاب الهند وذلك قبل وفاة السلطان محمود ، وتشعر بعض كتاباته انه كان في غزنة في سني [٤٠٩ ، ٤١١ ، ٤١٦ ، ٤١٨] والسنوات التالية ، فلذا لا ارى انه مكث بالهند سنوات متتابعة بل كان يتردد اليها من حين لآخر اثناء اقامته بغزنة ويستعين في اعماله بعلمائها البراهمة »(٢٤) .

ونحن اذا صدقنا راي السيد البرني ـ ولا يسعنا الا تصديقه ـ نستدل على عقلية البيروني المتفتحة وسرعة تلقفه للعلوم اذ استطاع في هذه الفترة القليلة التي قضاها في الهند ان يلم بتلك المعارف القيمة . ويبدو ان تعليل السيد البرني لاعتقاد العلماء المسلمين بمكوث البيروني مدة طويلة في الهند اعتمادا على ما لاحظوه عنده من معرفة واسعة ، صائب ، اذ ليس من المعقول ان يمكث هذه الفترة الطويلة ونحن نعلم انه كان مغرما بالرحلات وطلب العلم .

اما ثقافته فتبدو للباحث وهي في قمة نضوجها واستكمالها، وتبدو طريقته العلمية وقد اتخذت مسارها الصحيح وخطها

---

(١٠) الاثار الباقية ـ القسم الالماني ص ١٦ .
(١١) تاريخ الحضارة الاسلامية ص ١٠٩ / مختصر تاريخ الطب ص ٢٤٦ .
(١٢) تاريخ العلوم عند العرب ص ٢٤٥ / جهود المسلمين في الجغرافيا ص ٦٧ .
(١٣) عيون الانباء جـ ٢ ص ٢٠ .
(١٤) تاريخ علم الفلك في العراق ص ١٢١ .
(١٥) معجم الادباء جـ ١٧ ص ١٨٠ ، ١٨٥ / بغية الوعاة ص٢١
(١٦) الاثار الباقية ـ القسم الالماني .
(١٧) تاريخ العلوم عند العرب ص ٤١٧ .
(١٨) تاريخ الاسلام السياسي جـ٣ ص٤٠٢ .
(١٩) تاريخ الحضارة الاسلامية ص ١٠٩ .

(٢٠) تراث العرب العلمي ص ١٥٩ .
(٢١) معجم الادباء جـ ١٧ ص ١٨٥ / دائرة المعارف الاسلامية جـ ٤ ص ٣٩٨ .
(٢٢) تاريخ الاسلام السياسي جـ ٣ ص ٨٧ ـ ٩٦ .
(٢٣) روضات الجنات ص ٦٨٨ / تاريخ آداب اللغة العربية : زيدان جـ ٢ ص ٢٦٦ .
(٢٤) مجلة ثقافة الهند / سبتمبر ١٩٥٣ / جهود المسلمين في الجغرافيا ص٦٦ .

القويم ، فاذا ماحاول الباحث ان يتلمس جذورها الاولى فليس بمقدوره ان يظفر بشيء ذي بال . أين تلقى البيروني علمه الاول ؟ من اساتذته وشيوخه ؟ ما نوع الدروس التي كانت تلقى عليه ؟ تلك اسئلة تظل بحاجة الى جواب مقنع ، ان الذي امامنا اشارة ياقوت الى استاذه عبدالصمد الاول ، واشارة اخرى الى استاذه ابي نصر منصور بن عراق ، وتنبيه آخر من « بارتولد » انه كان على علم تام بمدارس بغداد والبصرة العلمية ، ويرى « سيديو » ان ابا الريحان اكتسب معلوماته المدرسية البغدادية ، ثم نزل بين الهنود حين احضره الغزنوي فاخذ يستفيد من الروايات الهندية المحفوظة لديهم قديمة أو حديثة(٢٥) ولعل ما يشير الى ثقافته وسعة اطلاعه مراسلاته ومباحثاته مع ابن سينا(*) وكان ايضا ذا مواهب جديرة بالاعتبار فقد كان يحسن السريانية والسنسكريتية والفارسية والعبرية عدا العربية وكان ايضا اثناء اقامته بالهند يعلم الفلسفة اليونانية ويتعلم هو بدوره الهندية(٢٦) وكان مشهورا بروح التتبع العلمي ومواصلة الدرس والتحصيل ، ويروي ياقوت انه كان « مع الفسحة في التعمير وجلالة الحالة في عامة الامور مكبا على تحصيل العلوم منصبا الى تصنيف الكتب يفتح ابوابها ويحيط بشواكلها واقرابها ، ولا يكاد يفارق يده القلم وعينه النظر وقلبه الفكر الا في يومي النيروز والمهرجان من السنة ... »(٢٧) .

وليس ادل على حبه للعلم وتعلقه به مما روي عن القاضي كثير بن يعقوب البغدادي النحوي في الستور عن الفقيه ابي الحسن علي بن عيسى الولواجي قال : دخلت على ابي الريحان وهو يجود بنفسه قد حشرج به نفسه وضاق به صدره فقال لي في تلك الحال كيف قلت لي يوما حساب الجدات الفاسدة ؟ فقلت له اشفاقا عليه أفي هذه الحالة ؟ قال لي ياهذا اودع الدنيا وانا عالم بهذه المسالة ، الا يكون خيرا من ان اخليها وانا جاهل بها ؟ فاعدت ذلك عليه وحفظه وعلمني ما وعد ، وخرجت من عنده وانا في الطريق فسمعت الصراخ(٢٨) .

وكان للبيروني منهج علمي يفرده عن غيره من العلماء ويؤهله ليحتل مكانة مرموقة بين كبار العلماء والمفكرين فقد كان يمتاز على معاصريه « بروحه العلمي وتسامحه واخلاصه للحقيقة ، كما كان يمتاز بدقة البحث والملاحظة ينقد فيصيب ، يعتمد على المشاهدة ولا ياخذ الا ما يوافق العقل ، يكتب رسالاته وكتبه مختصرة منقحة وباسلوب مقنع وبراهين مادية »(٢٩) .

لئن كان الجاحظ قد وضع البادرة الاولى في مفهوم البحث العلمي والمناقشة العلمية والحياد التام في نقل الخبر ، فان هذه البادرة قيض لها ان تستكمل خيرها وتشتد جذورها لتبدو في اوج عظمتها لدى البيروني .

واتسم منهجه ايضا « بالروح العلمية والنزاهة والحياد التام ، وهو حتى عندما يتحدث عن المعتقدات الدينية يحافظ ما امكن على العبارات التي يستعملها معتنقو كل دين ، واذا قارن دينا بدين آخر فانما يقارنهما مقارنة علمية محضة »(٣٠) .

---

(٢٥) تاريخ الحضارة الاسلامية ص ١١٠ .
(*) معجم ادباء الاطباء ج ١ ص ٥١ .
(٢٦) تراث العرب العلمي ، ص١٦٠ .
(٢٧) معجم الادباء ، ج١٧ ، ص١٨١ .
(٢٨) معجم الادباء ج ١٧ ص ١٨٢ .
(٢٩) العلوم عند العرب ص ١٦٦ .
(٣٠) تاريخ الحضارة الاسلامية ص ١١١ .

امتاز باطلاعه الواسع ومعرفته الغزيرة وروح النقد العلمي الدقيق والعمق في التفكير»(٣١) .

كان البيروني انسانيا في رسالته ، وانت تعجب اذ ترى مثل تلك العقلية تمثل الرسالة السامية التي اصبحت من مفاخر العصر الحديث فقد كان يرى « في وحدة الاتجاه العلمي في العالمين الاسلامي والغربي اتحاد الشرق والغرب ، وكانه كان يدعو الى ادراك وحدة الاصول الانسانية والعلمية بين الشعوب في عالم واحد »(٣٢) .

ولم يكن البيروني شخصية علمية فريدة فحسب ، بل جمع الى جانب علمه اخلاقا حسنة وشخصية محببة الى نفوس الناس واولي الامر ، فقد نقل عن الشيخ الصفدي قوله « كان البيروني حسن المعاشرة لطيف المحاضرة »(٣٣) وقال ياقوت « كان حسن المحاضرة طيب العشرة ، خليقا في الفاظه عفيفا في افعاله لم يات الزمان بمثله علما وفهما »(٣٤) أما شخصيته فيروى عن قطب الدين اللاهيجي في كتابه محبوب القلوب « كان اسمر اللون قصير القامة كث اللحية كبير البطن عاقلا كيسا في حركاته وسكناته »(٣٥) ومما يدل على علو منزلته لدى أولي الامر ما رواه ياقوت « واما نباهة قدره وجلالة خطره عند الملوك ، فقد بلغني من جلوته لديهم ان شمس المعالي قابوس بن وشمكير اراد ان يستخلصه لصحبته ويحتبسه في داره على ان تكون له الامرة المطاعة في جميع مايحويه ملكه ويشتمل عليه ملكه فابى عليه ولم يطاوعه ولما سمحت له قرونته بمثل ذلك اسكنه في داره وانزله معه في قصره »(٣٦) .

واشتهر البيروني في الفلك والرياضيات اكثر من اشتهاره في المجالات الاخرى ، ويرتبط علم الفلك ارتباطا وثيقا بعلم النجوم وقد ضرب بسهم وافر فيه . وليس ادل على ذلك من مخاطراته في بلاط غزنة فقد بعث السلطان محمود في طلب البيروني وهو في حديقة قصره الصيفي ، وقد غرس فيها الف شجرة ليمتحنه في علم النجوم ، فساله من اي الابواب الاربعة ساخرج ؟ فاجاب البيروني اجمع رايك واكتبه على قطعة من الورق وضعها تحت وسادتي ، ثم طلب ابو الريحان اسطرلابا واختبر النجوم ثم دون قراره في قطعة من الورق وضعها تحت الوسادة ، ثم قال السلطان محمود هل اهتديت الى قرار ؟ فقال البيروني نعم ، وامر السلطان ان يثقب احد الحيطان ويتخذ منه بابا خامسا يخرج منه ، ثم امر باحضار الورقة ولما احضرت قرا ما فيها وهو انه لن يخرج من احد هذه الابواب الاربعة الا انه ستفتح فتحة في الحائط الشرقي وسيخرج من هذا الباب ، ولما قرا السلطان هذه الورقة اخذ الغضب منه كل ماخذ وامر بان يلقى ابو الريحان من فوق سطح القصر ، لكنه لم يصب باذى لانه سقط على شبكة اقيمت لطرد الذباب فتمزقت واستطاع ان يصل الى الارض ولم يلحق به اي ضرر ، ولما امر السلطان بادخاله قال يا ابا الريحان هل تنبات عن هذا الحادث ايضا ؟ فابرز من جيبه كراسة كتب فيها سيلقى بي في هذا اليوم من قصر السلطان لكنني ساصل الى الارض سالما وانهض معافى الجسم ، اعتقله السلطان في غزنة

---

(٣١) الرحالة المسلمون ص ٥٤ .
(٣٢) العلوم عند العرب ص ١٦٨ .
(٣٣) معجم ادباء الاطباء ج ١ ص ٥٢ .
(٣٤) معجم الادباء ج ١٧ ص ١٨٦ .
(٣٥) معجم ادباء الاطباء ج ١ ص ٥٢ .
(٣٦) معجم الادباء ج ١٧ ص ١٨٢ .

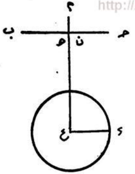
حيث بقي فيها ستة اشهر لم يجرؤ احد على ان يكلم السلطان في امره ، ثم اطلق بفضل تدخل الوزير احمد بن حسن الميمندي ، ثم امر السلطان باحضاره في الغد واعطاه جوادا محلى بالذهب وخلعة سلطانية وعمامة من الطيلسان ووهبه الف دينار وعبدا وامة(٣٧) .

قد تكون هذه القصة ملفقة وقد يكون لها نصيب من الصحة ، فان كانت صحيحة فلا نعرف تفسير ما ورد فيها على ضوء العلم الحديث ولكنها تدل على عبقرية الرجل وعلو كعبه في هذه الصناعة . ومما يدل ايضا على نبوغه في هذا المجال ما رواه ياقوت عما جرى في بلاط السلطان محمود « فيحكى انه ورد عليه رسول من اقصى بلاد الترك ، وحدث بين يديه بما شاهد فيما وراء البحر نحو القطب الشمالي من دور الشمس عليه ظاهرة في كل دورها فوق الارض بحيث يبطل الليل ، فتسارع على عادته بالتشدد في الدين الى نسبة الرجل الى الالحاد والقرمطة على براءة اولئك القوم من هذه الافات ، حتى قال ابو نصر بن مشكان ان هذا لا يذكر ذلك عن راي يرتئيه ولكن عن مشاهدة يحكيه وتلا قوله عز وجل [وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا] فسال ابا الريحان عنه فاخذ يصف له على وجه الاختصار ويقرره على طريق الاقناع وكان السلطان في بعض الاوقات يحسن الاصغاء ويبذل الانصاف فقبل ذلك وانقطع الحديث بينه وبين السلطان وقتئذ ...... واما ابنه السلطان مسعود فقد كان فيه اقبال على علم النجوم ... فصنف له كتابا في اعتبار مقدار الليل والنهار »(٣٨) . وقد ناقش البيروني مسالة دوران الارض ، وهي مسالة قديمة تتابع على مناقشتها العلماء منذ قديم الزمان « ومن القليلين الذين قالوا بحركة الارض حول محورها من القدماء بعض الفلاسفة اليونانيين اصحاب مذهب فيثاغورس والفلكي « ارسطرخس الموجود سنة ٢٧٠ قبل المسيح ، ثم عند الهند « آريبهط » الموجود في اواخر القرن الخامس للمسيح ، اما العرب فلا ادري فيهم احدا ظن الكرة السماوية ساكنة والارض دائرة على محورها اللهم الا ابا سعيد السجزي [ويروى السنجاري] الرياضي المشهور الكائن في النصف الثاني من القرن الرابع ، ففي القسم الاخير غير المطبوع من كتاب جامع المبادىء والغايات لابي علي الحسن المراكشي من علماء القرن السابع ورد عنه عند وصف الاسطرلاب المعروف بالزورقي هذا النص [قال ابو الريحان البيروني ان مستنبط هذا الاسطرلاب هو ابو سعيد السجزي وهو مبني على أن الارض متحركة والفلك بما فيه الا السبعة السيارة ثابت ، قال البيروني وهذه شبهه صعبة الحل] وعجيب منه كيف يستصعب شيئا هو في غاية ظهور الفساد وهذا امر قد بين فساده ابو علي بن سينا في كتاب الشفاء ، والرازي في كتاب ملخص وفي كثير من كتبه وغيره »(٣٩)

وقد اعترف البيروني في كتاب مفتاح علم الهيئة وتحقيق ما للهند من مقولة انه « يمكن ايضاح تلك الظواهر (حركة الاجرام السماوية) اذا فرض ان الارض متحركة حركة الرحى على محورها ، وبكلام آخر انه يمكن ايضاح وتعليل حركة الاجرام السماوية اذا فرضنا ان الارض تدور على محورها دورة كاملة من الغرب الى الشرق نحو كل اربع وعشرين ساعة اي عكس الجهة التي يظهر ان تدور اليها النجوم من الشرق الى الغرب كما يظهر لعين الناظر »(٤٠) ناقش البيروني هذه المسالة كما راينا ولم يستطع ان يحقق نتيجة ملموسة ولم يكن بمقدوره ان ينشيء نظرية خاصة به ، ولكنه ناقش المسالة واظهر عدم اقتناعه بحركة الارض حتى ولو قال بذلك كبار العلماء كابن سينا والرازي . وليس ادل على مقدرة البيروني في علم الفلك وضبطه لهذه المهنة انه صنع لنفسه اسطرلابا ، كما انه « صنع جهازا خاصا لجامع غزنة يبين اوقات الصلاة بالاتقان ولكن امام الجامع لم يقبله لانه كان مؤسسا على النظام الشمسي والشهور الرومية ، فما كان من البيروني الا ان كسر الالة قائلا ان الروم رجال مثلنا يمشون وياكلون فهل نترك المشي والاكل لان الروم يمشون وياكلون »(٤١) .

ومن الاعمال المجيدة في تاريخ العلم ان البيروني وضع نظريته المشهورة في كيفية حساب نصف قطر الارض ومحيطها فقد ورد في آخر كتاب الاسطرلاب « وفي معرفة ذلك الطريق قائم في الوهم صحيح بالبرهان والوصول الى عمله صعب ، لصغر الاسطرلاب وقلة مقدار الشيء الذي يبنى عليه فيه ، وهو ان تصعد جبلا مشرفا على بحر او تربة ملساء ترصد غروب الشمس فتجد فيه ما ذكرناه من الانحطاط ، ثم تعرف مقدار عمود ذلك الجبل وتضرب في الجيب المستوي لتمام الانحطاط الموجود وتقسم المجتمع على الجيب المنكوس لذلك الانحطاط نفسه ثم تضرب من القسمة في اثنين وعشرين ابدا وتقسم المبلغ على سبعة فيخرج مقدار احاطة الارض بالمقدار الذي قدرت به عمود الجبل . ولم يقع لنا بهذا الانحطاط وكميته في المواضع العالية تجربة ، وجرانا على هذا الطريق ما حكاه ابو العباس النيريزي عن ارسطوطاليس ان اطوال اعمدة الجبال خمسة اميال ونصف ميل بالتقريب ، والى التجربة يلجا في مثل هذه الاشياء وعلى الامتحان فيها يعول وما التوفيق الا من الله العزيز الحكيم »(٤٢)

وقد استعمل البيروني هذه المعادلة في حساب نصف قطر الارض



$$\text{س} = \frac{\text{ف جتا}\,\text{ه}}{\text{نق} - \text{جتا}\,\text{ه}}$$

نفرض ان قمة الجبل اج الخط الواصل من ا

---

(٣٧) تاريخ الاسلام السياسي جـ ٣ ص ٢٩٥ — ٢٩٦ .
(٣٨) معجم الادباء جـ ١٧ ص ١٨٣ .
(٣٩) علم الفلك ص ٢٥٢ .

(٤٠) مآثر العرب في الرياضيات والفلك ص ٢٠ .
(٤١) جهود المسلمين في الجغرافيا ص ١٦٠ « هامش » .
(٤٢) العلوم عند العرب ص ٧١ .

الى مركز الارض ع ويسمى البيروني ∠ عا انحطاط الافق وعلى هذا ∠ع = ∠ه لان كلا منهما تغمم ∠ عاد ، ورمز الى نصف القطر المنسوبة الخطوط الساحية اليه نق والى ر بنصف قطر الارض وبحرف ف الى ارتفاع الجبل وبزاوية ه الى الانحطاط (٤٣) ٠

وتدل شهادة المؤرخين على علو منزلته في هذا المجال ، فقد روي عن ابن اصيبعه انه كان فاضلا في على الهيئة والنجوم(٤٤) واعتبره ابن طاووس من علماء الاسلام المشتهرين في هـــذا العلم(٤٥) ويعتقد نالينو بانه من اعظم المبتكرين المبتدعين واكبر المتضلعين واشهر الباحثين والمفكرين واكثرهم ذكاء في العلــوم الفلكية والرياضية(٤٦) على ان البيروني وان قال في التفهيـم « وعند الكثير من الناس أحكام النجوم من ثمرات العلـــوم الرياضية لكني من أقل الناس عقيدة فيه » ظل مرتبطا به خلافا للفارابي وابن سينا وابن رشد(٤٧) اما جهوده في الرياضيات بمختلف شعبها فلم تكن اقل قيمة عما ورد عنه في مجالات علم الفلك ، فقد روي عن محمد بن محمود النيسابوري قوله « له في الرياضيات السبق الذي لم يشق المحضرون غباره ولم يلحق المضمرون المجيدون مضماره »(٤٨) ، وقد استطاع ان يحل اعمالا تسمى مسائل البيروني وهي التي لا تحل بالمسطرة والفرجـار منها قسمة الزاوية الى ثلاثة اقسام متساوية وحساب قطـــر الارض ومن براعته في الهندسة انه كتب في استخراج الاوتـار في الدائرة وقد اراد بهذا ان يصحح دعوى لقدماء اليونانيين في انقسام الخط المنحني في كل قوس بالعمود النازل عليها مـن منتصفها والتنقير عن خواصه(٤٩) وناقش البيروني قضيـــة الجاذبية ، وكان العرب قد نقلوا راي الاغريق في الجاذبيـــة وتعليل الثقل ، وفحواه ان الاجسام الثقيلة مجلوبة الى معدنها من مركز الارض وان الاجسام الروحانية مجلوبة الى اصلهـا في السماء ، ولكن البيروني شك في ذلك ووجه الى ابن سينا سؤاله الذي يدل على ميله الى القول بان الاجسام كلها مجلوبة الى مركز الكرة الارضية وذلك حيث يقول « ما الصحيح مـن قول القائلين احدهما يقول ان الماء والارض يتحركان الى المركز ، والهواء والنار يتحركان من المركز ، والاخر يقول ان جميعهـا يتحرك نحو المركز ولكن الاثقل منها يسبق الاخف في الحركـة اليه » وقد مهدت هذه الاراء سبيل ـ نيوتن ـ الى كشـف قانون الجاذبية وتعليل الثقل على الاساس العلمي الحديث(٥٠)

وبحث البيروني في مسالة الثقل النوعي او الوزن النوعي واستطاع ان يجد هذا الثقل لحوالي ثمانية عشر معدنا وحجرا كريما تحديدا صائبا وتبدو النظرية التي استعملها لاستخـراج الاوزان منسجمة تماما مع القوانين العلمية الحديثة ، حيـث كان يعمد الى وزن الجسم في الهواء ثم الى وزنه في الماء بعد ان يدخله في وعاء مخروطي الشكل مثقوب على علو معين وبعدئـذ

(٤٣) علم الفلك ص٢٩١ ، تراث العرب العلمي ص٦٢ ٠
(٤٤) عيون الانباء ج٢ ص٣٠ ٠
(٤٥) فرج المهموم ص٢٠٦ ٠
(٤٦) مآثر العرب في الرياضيات والفلك ص١٩ ٠
(٤٧) جهود المسلمين في الجغرافيا ص١٦٤ ٠
(٤٨) معجم الادباء ج١٧ ص١٨٠ ٠
(٤٩) تاريخ العلوم عند العرب ص١٥٤ ، ٤١٨ وراجع شـرح النظرية ص١٥٤ ـ ١٥٦ ٠
(٥٠) اثر العرب في الحضارة الاوربية ص ٤٢ ـ ٤٤ ؛

يزن الماء الذي ازاحه ذلك الجسم ، وفي الماء المزاح كان يعرف حجم الجسم ، ومن قسمة الجسم في الهواء على وزن المـاء المزاح يخرج الوزن النوعي للجسم الموزون بطريقة قريبة جـدا من الصواب(٥١) ولكي يلاحظ القارىء النتائج الصائبة التـي استطاع البيروني ان يحققها نورد هذا الجدول للمقارنة بـين أوزانه واوزان العلم الحديث .

المادة	أوزان البيروني		الاوزان الحديثة
الذهب	١٩و٢٦	١٩و٠٥	١٩و٢٦
الزئبق	١٣و٧٤	١٣و٥٩	١٣ر٥٦
النحاس	٨و٩٢	٨و٨٣	٨و٨٥
النحاس الاصفر	٨و٦٧	٨و٥٨	نحو ٨و٤(٥٢)

ومن المسائل الرياضية التي بحثها شرحه لبعض الظواهـر التي تتعلق بضغط السوائل وتوازنها وشرح صعود ميـــاه الفوارات والعيون الى أعلى وتجمع مياه الابار بالرشح مـن الجوانب وكيف تفور العيون وتصعد مياهها الى القلاع ورؤوس المنارات ، كما خدم العلوم الرياضية خدمة جليلة في أنه اوضح استعمال الارقام الهندية مع استعمال الاصفار لمقام الخانات(٥٣) وشارك هو وابن سينا ابن الهيثم في رايه القائل بان شعاع النور ياتي من الجسم المرئي الى العين(٥٤) وفي ختام هذا الاستعراض السريع نشير الى بعض كتبه المهمة في هذا الباب مثل : جمع الطرق السائرة في اوتار الدائرة ، التطبيق الى حركة الشمس ، تحقيق منازل القمر ، ترجمة مافي براهين سدهانه من طرق الحساب ، كيفية رسوم الهند في تعلم الحساب ، والارشاد في احكام النجوم [تراث العرب العلمي ص ١٦٤] .

ويعتبر البيروني من أعاظم العلماء في التاريخ وهو يحتـل مكانة فريدة بين علماء المسلمين ، اذ هو عالم مؤرخ طبيعـي جيولوجي ، وهو يتمتع بحاسة جغرافية حاذقة ، وان ما توصل اليه من نتائج في هذا الجانب يستحق اكبر تقدير . « وقد كانت آراؤه ومروياته في عامي الجغرافيا والفلك شائعة بين الاوربيين المهذبين ، ومما نقله عن أهل الهند « ان على ترابيع خط الاستواء اربعة مواضع هي جمكوت الشرقي والروم الغربي وكنك الذي هو القبة والمقاطر لها فلزم من كلامهم ان العمارة في النصـف الشمالي باسره » ثم قال « اما اليونان فقد انقطع العمران من جانبهم ببحر اوقيانوس فلما لم ياتهم خبر الا من جزائر فيـه غير بعيدة عن الساحل ولم يتجاوز المخبرون عن الشرق ما يقارب نصف الدور جعلوا العمارة في أحد الرابعين الشماليين لا ان ذلك موجب أمر طبيعي فخراج الهواء الواحد لا يتباين ، ولكـن امثاله من المعارف موكول الى الخبر من جانب الثقة فكان الربع دون النصف هو ظاهر الامر ، الأولى ان يؤخذ به الى ان يـرد دليل لغيره » ومعنى هذا الكلام ان موجب العقل يقضي بوجود جانب مغمور في الجانب الغربي من الكرة الارضية ، ولكنـه لا يقطع بوجوده الا بعد المشاهدة وتواتر الخبر من الثقات وهذه هي الحقيقة التي اعتمد عليها كولومبس فاقتحم بحر الظلمات على رجاء تحقيق الفكرة المنطقية برؤية العيان »(٥٥) وقد عرف

(٥١) تراث الاسلام ج١ ص١٩٥ ٠
(٥٢) عبقرية العرب في العلم والفلسفة ص٧١ ٠
(٥٣) تاريخ الفكر العربي ص٢٤٥ ٠
(٥٤) مختصر تاريخ الطب ص٢٤١ ٠
(٥٥) اثر العرب في الحضارة الاوربية ص ٥١ ـ ٥٢ ٠

البيروني عدداً من الحقائق الجغرافية وجمعها في كتبه وخصوصاً فيما يتعلق بالبحار ، وعرف المناطق الشمالية في اسيا واوربا ، وعرف ان ثمة بقاعا في الشمال لا تغرب الشمس عنها في الصيف ، كما عرف ان في جنوب خط الاستواء في افريقيا بقاعا يكون الزمن فيها شتاء عندما يكون الزمن عندنا ـ في الشمال ـ صيفا(٥٦) ومن مآثره الجغرافية العلمية شرح القول بان وادي نهر الاندس (مهران) انما كان في العصور الغابرة حوض بحر قديم ملأته الرواسب ، ومنها وصف بعض المخلوقات العجيبة وبينها ما نسميه اليوم توامي سيام(٥٧) قام البيروني بعمل خريطة مستديرة للعالم في كتابه التفهيم لبيان موضع البحار وكذلك الاثار الباقية وابتكر طريقة لتصميم خرائط الارض والسماء ، وله مبتكرات كثيرة في كيفية نقل صورة الارض الكروية الى الورق المسطح ورسم الخرائط الفلكية للسماوات ، وقد صنع نصف كرة ارضيه قطرها ١٥ قدما رسم عليها الامكنة والاطوال والعروض وخلفها عند رحيله الى غزنه ، وقد قيل عن البيروني انه سبق الى فكرة وضع خريطة على اسلوب مركاتور(٥٨) .

وله العديد من الملاحظات في الجغرافية الطبيعية جاءت على نسق رفيع فنراه حين يصف جغرافية اسيا واوربا يتحدث عن سلسلة جبليه متصلة ما بين الهمالايا والالب كما نراه قد ميز بين الخليج البحري والمصب النهري ، وفكرته عن العالم غير المعمور تفوق افكار الكثيرين ممن تقدموه(٥٩) ويرجع اليه الفضل في انه وصف لنا الطريق بين فرغانه وشرق تركستان واهم المدن التي تقع في ذلك الاقليم بالاضافة الى وصفه لاقليم نيبال وهضبة التبت(٦٠) وقد اصطلح كثيرا من التقاويم السنوية حتى اظهر تقويما سنويا ادعاه لنفسه (غريغوري) بعد ذلك بـ ٦٠٠ سنة(٦١) .

سار البيروني على منهج علمي دقيق في حديثه عن الكثير من المشكلات الجغرافية ، والذي يلاحظه الباحث في تاليفه اتساع مدى المعلومات الجغرافية التي حصل عليها واستيعابه المذهل لتأثير العوامل الجغرافية الاساسي في الشؤون البشرية ، وهو يقدم في كتاب الهند برهانا وافيا على تفهمه للمسائل الجغرافية عندما يناقش هنا وهناك المظاهر الجغرافية للبلاد ، وناقش البيروني مسالة ميل دائرة البروج وكان عدد من ارصادات الهند واليونان قد عالجت المسالة ، فكرس اكثر من ثلاثين سنة من حياته للملاحظة لعله يصل الى نتيجة محكمة متقنه ولا يخفى ان دائرة الميل كانت في نقص مستمر ولكن البيروني على ذكائه عجز عن اكتشافه ، وعالج العالمان الايرانيان ميرلي وده خدا جهود البيروني في تسطيح الكرة فقالا انه سبق الى فكرة وضع خريطة على اسلوب مركاتور ، ومع ان علم طبقات الارض لم يصل الى درجة العلم القائم بذاته في عصر البيروني ننقل نموذجا ملخصا من كتاب التحديد .

« عالمنا ليس بازلي ولكن لا يمكن تحديد عمره أو يوم حدوثه بالضبط الا ان الحوادث تتابعت في زمن مجهول وليس عندنا من التاريخ او الوحي ما يساعدنا في تحديده ، وقد نطق القرآن الكريم ـ وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون ـ وعندما ندرس السجلات الصخرية والاثار العتيقة نعلم ان هذه التطورات والتحولات لابد ان استغرقت دهورا طويلة. تحت ضغط البرد او الحر ، الامر الذي لا نعرف وصفه او قدره خلافا للتطورات التاريخية. فقد درست وسجلت في الصحائف »(٦٢) والذي يبدو عند قراءة هذه السطور اننا نقرأ آراء رجل من رجال الجيولوجيا والاثار في العصر الحديث لا آراء في القرن الرابع الهجري . وتظهر مقدرة البيروني في الاقتصاد او الجغرافية الاقتصادية عند مناقشته لمسالة تحريم ذبح البقر في الهند فيرى ان هذا النوع من اللحوم لا يكون سهل الهضم في بلاد حارة كالهند بجانب ان ارض البلاد غالبها زراعي مما يجعل ذبح الماشية ضارا بالحياة الاقتصادية ، وهو قريب من راي ديورانت الذي يرى ان السياسة الحكمية هي التي رسمت فيما مضى تحريم البقرة احتفاظا للزراعة بحيوان الجر حتى يسد حاجة السكان الذين يتكاثرون(٦٣) .

ومن تآليفه المهمة في علم الجغرافيا نذكر :

مقالة في تصحيح الطول والعرض لمساكن المعمور من الارض، مقالة في تعيين البلد من العرض والطول كلاهما ، تصور أمر الفجر والشفق في جهتي الشرق والغرب من الافق ، تهذيب الاقوال في تصحيح العروض والاطوال(٦٤) .

ولم تكن شهرة البيروني في الفلسفة والطب كشهرته في الرياضيات والفلك ، على ان هذا لا يعني انه لم يكن له ما يثير الاهتمام في هذين العلمين ، فقد رويت اخبار عن تمتعه بسمعة حسنة وصدى لا باس به في هذا الباب وكانت فلسفته في الحياة تمثل نظرته الصائبة واتجاهه السليم .

والذي يبدو ان شهرته في الطب لم تكن كبيرة كاقرانه من مشاهير الاطباء في ذلك العصر ، فلم يترجم له القفطي في اخبار الحكماء ، واغفله كذلك ابن جلجل في طبقات الاطباء . وعلى كل حال فقد روي انه اشتغل بامور الطب ، فقد ترجم له ابن ابي اصيبعه ووصفه بانه « كان له نظر جيد في الطب »(٦٥) وهو ايضا « درس الطب والف فيه كتبا عدة منها كتاب الصيدلة وقد رتبه على حروف المعجم »(٦٦) وقال عنه صاحب مختصر الدول « ان ابا الريحان اشتهر بعلوم الاوائل وتخصص بانواع الرياضيات وشعب الطب وصنف بها الكتب الجليلة »(٦٧) . اما الفلسفة ، فقد جعل لها حظا كبيرا من عنايته لانه يعدها ظاهرة من ظواهر المدنية ، ومن الطريف انه يبين أحسن بيان وجوه التوافق بين الفلسفة الفيثاغورية والافلاطونية والحكمة الهندية والكثير من مذاهب الصوفية ، واعترافه بسمو العلم اليوناني اذا قيس بمحاولات العرب والهنود وبما انتجته جهودهم ليس اقل من ذلك طرافة . وهو يقول ان بلاد الهند لم تنجب فيلسوفا مثل سقراط . وتتبين فلسفة البيروني في انه يرى ان العلم اليقيني لا يحصل الا من احساسات يؤلف بينها العقل على نمط منطقي ، وعنده ان مطالب الحياة تجعلنا

---

(٥٦) تاريخ العلوم عند العرب ص ٢٠٢ ـ ٢٠٤ .
(٥٧) تاريخ العرب المطول ج٢ ص٤٦٠ وقد اشار المؤلف في الهامش الى انه أول من اشار الى الشاي في كتاب له لم يطبع بعد ولم يشر المؤلف الى اسم الكتاب .
(٥٨) جهود المسلمين في الجغرافيا ص١٤٢ وانظر الهامش .
(٥٩) نفس المصدر ص ٦٨ ـ ٦٩ .
(٦٠) الكشوف الجغرافية ص٩١ .
(٦١) حضارة العرب ص٥٥٤ ، الجغرافيون العرب ص١٢٨ .

(٦٢) عن جهود المسلمين في الجغرافيا ص ١٦٣ ـ ١٦٤ .
(٦٣) جهود المسلمين في الجغرافيا ص ٦٩ ، من قصة الحضارة.
(٦٤) تراث العرب العلمي ص ١٦٤ .
(٦٥) عيون الانباء ج ٢ ص ٣٠ .
(٦٦) مختصر تاريخ الطب ص ٢٤٦ .
(٦٧) معجم ادباء الاطباء ج ١ ص ٥١ .

في حاجة الى فلسفة عملية نميز بها العدو من الصديق والخير من الشر ، والبيروني نفسه يعتقد انه بهذا لم يقل كل مايقال ولا آخر ما يمكن ان يقال(٦٨) .

ولعل صفة البيروني العلمية قد غطت على صفته الادبية ، فاشتغاله بتحصيل العلوم المختلفة وتصنيفه الكتب والرسائل العديدة في مختلف المجالات العلمية لم يترك له الوقت الكافي للاشتغال بهذه الصناعة ، وكان مع ذلك « اديبا عالما بفنون الادب ، شاعرا كاملا ذا طبع رقيق وملكة شعرية سامية ، غير انه كان مقلا لانشغاله بتحصيل العلوم واتقان الفلسفة والحكمة والفلك »(٦٩) وكان البيروني يصف اشتغاله بالادب بانه تسلية للنفس لاغير(٧٠) وقد اورد له ياقو تست مقطوعات من الشعر ، وذكر له اطول قصيدة في مدح ابي الفتح البستي من كتاب سر السرور نجد فيها الكثير من الاشارات التاريخية ، ومنها :ـ

مضى أكثر الايام في ظل نعمة ... على رتب فيها علوت كراسيا
فآل عراق قد غذوني بدرهم ... ومنصور منهم قدتولى غراسيا
وشمس المعالي كان يرتادخدمتي ... على نفرة مني وقد كان قاسيا
واولاد مامون ومنهم عليهم ... تبدى بصنع صار للحال آسيا
ولم ينقبض محمود عني بنعمة ... فاغنى واقنى مغضيا عن مكاسيا(٧١)

وله ايضا :ـ

ومن حام حول المجد غير مجاهد ... ثوى طاعما للمكرمات وكاسيا
وبات قرير العين في ظل راحة ... ولكنه عن حلة المجد عاريا(٧٢)

وله في التجنيس :ـ

فلا يغررك مني لين مسي ... تراه في دروسي واقتباسي
فاني اسرع الثقلين طرا ... الى خوض الردى في وقت باسي(٧٣)

اما اسلوبه في النثر فيبدو ناضجا يدل على ان صاحبه لغوي بارع الاطلاع على اللغة وفهم دقائق استعمالها ، ومما تجدر الاشارة اليه ان السيوطي ترجم له في بغية الوعاة ، وكما هو معلوم ان الكتاب مخصص للغويين والنحاة ولعل السيوطي ادرك قيمة البيروني اللغوية ، ولكنه لم يقل فيه سوى ماقال ياقوت(٧٤) .

يبدو اسلوبه في تحقيق ما للهند من مقولة اسلوب اديب دقيق التعبير كثير الارتباط في جملة الكلامية جيد التنسيق ، فاذا حدلك فكانه ابن المقفع في حبك الكلام وتناسق التعبير فلا تستطيع أن تستغني عن كل جملة من جمله ، وكلامه يتسلسل تسلسل المنطقي في مقدماته ونتائجه حتى تحتاج ان تقرأ مابين السطور وما يحوم عليها من مفاهيم دقيقة وهو يظهر في اسلوبه بشخصية قوية مهذبة متمركزة ذات اناقة في البيان ، وهو اديب متجدد من ادباء العصر العباسي يدخل الكلمة الجديدة والتعبير المبتكر ويتساهل في تعابير الاعداد وعنعنة الجاهلية في ذلك فكانه يوحي اليك بانه جدير بذلك ، اي اديبا خاصا منفردا كالجاحظ من الادباء المتجددين ومن الذين لايريدون ان تحول دونهم ودون ثقافتهم العالية ارستقراطية الالفاظ الجاهلية وتراكيب الشنفرى وامرىء القيس . وهو في الجماهر لغوي واسع الاطلاع على اللغة ومجازاتها وتطورها ومدى بلاغتها وهو أديب بديع الاسلوب ممتنع التناول عليم بطرق الاستشهاد بالقرآن الكريم والامثال العربية(٧٥) وهكذا يبدو البيروني صاحب أسلوب متفرد ، فمن يطالع كتبه ورسائله يجد ظاهرة الوضوح والسلاسة والبعد عن التعقيد واضحة ، فكانه كان بمعزل عن موجة التصنع والتصنيع التي سادت ادباء العربية في ذلك العصر .

لقد ورث العلم عن البيروني ثروة كبيرة من الكتب والرسائل، فقد انفق حياته يؤلف ويترجم حتى بلغت الكتب التي انشاها اربعمائة وسبعة عشر كتابا لما بلغ خمسا وستين سنة قمرية (٦٣ سنة شمسية)(٧٦) وقد اختلف المؤرخون في تحديد عدد الكتب التي جاءتنا عن البيروني ، حيث يرى السيد طوقان انها تربو على مائة وعشرين كتابا ونقل القليل منها الى اللاتينية والانكليزية والفرنسية والالمانية(٧٧) في حين يذكر صاحب هدية العارفين ما يقارب مائتي كتاب ورسالة(٧٨) وفي الاثار الباقية بعناية سخاو قائمة مفصلة باسماء الكتب والرسائل التي خلفها البيروني ويعتبر الكتاب من المصادر المهمة في هذا الموضوع . وقد اشار ياقوت الى مؤلفات البيروني فقال « تفوق الحصر ، رايت فهرستها في وقف الجامع بمرو في نحو الستين ورقة بخط مكتنز »(٧٩) ولعل هذه الاشارة تبين العدد الهائل لتلك المؤلفات. ومما يؤسف له ان العديد من مؤلفاته لايزال مجهولا . وقد اشتهر من بين هذه المؤلفات : الاثار الباقية ، تحقيق ماللهند من مقولة ، القانون المسعودي .

١ ـ الآثار الباقية عن القرون الخالية :

طبع المتن العربي بعناية سخاو في لابزك سنة ١٨٧٦ وترجمته الى الانكليزية مع ملحوظات وفهرست سنة ١٨٧٩ طبعه ثانية بالمتن العربي وشروح الاستاذ سخاو لابزك ١٩٢٣(٨٠) وقد قامت مكتبة المثنى بتصوير طبعة سخاو لكن الكتاب بحاجة الى ترجمة دراسة سخاو الى العربية . يبحث الكتاب في امور عدة، وخاصة قضايا الزمن فيما هو اليوم والشهر والسنة عندمختلف الامم وفيه جداول عن الاشهر عند العديد من الاقوام ، وفيه مادة تاريخية فيما يتعلق بالملوك القدماء عند الامم المختلفة ، وقد كتب البيروني فصلا خاصا في تسطيح الكرة ولعل هذا الفصل هو الاول من نوعه ، ولم يعرف ان احدا كتب فيه قبله وهو بهذا الفصل وضع أصول الرسم على سطح الكرة ولايخفى ما لهذا من اثر في تقدم الجغرافيا والرسم(٨١) وقد اهدى البيروني كتابه هذا الى شمس المعالي قابوس بن وشمكير عندما زاره سنة ٣٩٠هـ(٨٢) .

---

(٦٨) تاريخ فلاسفة الاسلام ص ١٨٥ .
(٦٩) معجم ادباء الاطباء ج ١ ص ٥٢ .
(٧٠) تاريخ الحضارة الاسلامية ص ١١٢ .
(٧١) معجم الادباء ج ١٧ ص ١٨٦ ـ ١٨٧ .
(٧٢) معجم الادباء ج ١٧ ص ١٨٩ .
(٧٣) نفس المصدر ص ١٨٩ ، بغية الوعاة ص ٢١ .
(٧٤) انظر ترجمته ص ٢١ .

(٧٥) اعيان الشيعة ج ٤٣ ص ٢٣٩ عن الدجيلي في اعلام العرب .
(٧٦) تاريخ العلوم عند العرب ص ٤١٩ .
(٧٧) تراث العرب العلمي ص ١٦٢ .
(٧٨) ج ٢ ص ٦٥ ـ ٦٦ .
(٧٩) معجم الادباء ج ١٧ ص ١٨٥ .
(٨٠) معجم المطبوعات العربية عمود ٦١٥ .
(٨١) العلوم عند العرب ص ١٦٩ وانظر كشف الظنون ج ١ ص ٩ ، وتاريخ العلوم عند العرب ص ٤٢٠ ـ ٤٢٧ ، وتاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ج ٢ ص ٢٩٧ وهدية العارفين ج ٢ ص ٦٥ .
(٨٢) تاريخ الاسلام السياسي ج ٣ ص ٤٠٢ .

٢ ـ تحقيق ما للهند من مقولة :

ويسمى احيانا تاريخ الهند او كتاب الهند . كتب حوالي ١٠٣٠م وهو يزود معارف المسلمين بمعلومات أوفى عن آراء الهندوس في الجغرافيا ونظام الكون الى مافيه من المعلومات الجغرافية الغزيرة عن الممالك المفتوحة(٨٣) . لم يؤلف البيروني كتابه هذا وهو يقصد ابتداء ان يكون كتابا عن جغرافية الهند ولذا كان عمله فريدا في هذه الناحية فمس جوانب متعددة [دين ، فلسفة ، ادب ، قوانين ، تنجيم ، فلك ، جغرافيا] ولم يكن هذا بالتاكيد عملا يسيرا بالنسبة لغريب عن البلاد مهما كان تمكنه من العلم وحظه من المعلومات ، وعلاوة على ذلك تاتي معالجة المؤلف لموضوعاته دائما على مستوى اكاديمي يتحرر من مختلف الاهواء دينية او ثقافية ، ويرى سخاو ان مؤلف البيروني هذا ذو طابع فريد في الادب الاسلامي باعتباره محاولة جادة لدراسة عالم وثني التفكير دون ان يشرع صاحبه في عمله قاصدا الهجوم والتفنيد بل نراه يداب على ابداء رغبته في ان يكون عادلا غير متحيز حتى ولو كانت آراء من يعارضه لاتلقى القبول(٨٤) . وقد وصف البيروني الهنود بالاعجاب بانفسهم

(٨٣) دائرة المعارف الاسلامية جـ ٧ ص ٢٤ مادة جغرافيا .
(٨٤) جهود المسلمين في الجغرافيا ص ٢٦٩ .

والاعتداد بامتهم والازدراء بمن عداهم وتحدث عن معتقداتهم الدينية وفرق بين دين الخواص ودين العوام ، لان طباع الخاصة تقصد التحقيق في الاصول ، والعامة تقف عند المحسوس ، وقد اطال في وصف الفلسفة الدينية للهند من الاعتقاد بالله والموجودات العقلية والحسية وتعلق النفس بالمادة والارواح وتناسخها ......(٨٥) والكتاب قريب الشبه بكتاب التاريخ الطبيعي لمؤلفه بلني وكتاب الكون لهمبولت(٨٦) .

٣ ـ القانون المسعودي :

صنفه للسلطان مسعود بن محمود الغزنوي بعد ان اظهر هذا السلطان ميله لدراسة علم النجوم ويعتقد نالينو ان هذا الكتاب منقطع النظير لانه جامع شامل غزير المادة دقيق المباحث يدل على نبوغ وعبقرية وذكاء(٨٧) .

(٨٥) ضحى الاسلام جـ ١ ص ٢٣٦ ـ ٢٣٨ .
(٨٦) قصة الحضارة جـ ٢ من المجلد الاول ص ١٢٩ وانظر الحضارة الاسلامية جـ ٢ ص ١٠ ، وتاريخ العلوم عند العرب ص ٤٢٠ واكتفاء القنوع ص ٢٤٦ .
(٨٧) مآثر العرب في الرياضيات والفلك ص ٢٠ وانظر دراسة نالينو للقانون المسعودي في علم الفلك ص ٣٨ـ٤٠ وتاريخ العلوم عند العرب ص ٤٢٠ ـ ٤٢١ .

من مراجع البحث

١ ـ معجم الادباء (ياقوت الحموي ، طبعة دار المأمون ـ القاهرة) .
٢ ـ المعجم الفارسي الانكليزي (ابراهيم يونس) .
٣ ـ علم الفلك وتاريخه عند العرب (نللينو ، طبعة روما) .
٤ ـ عيون الانباء (ابن ابي اصيبعة ، طبعة بيروت) .
٥ ـ العلوم عند العرب (قدري حافظ طوقان ، القاهرة) .
٦ ـ تاريخ علم الفلك في العراق (عباس العزاوي ، بغداد) .
٧ ـ تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك (قدري حافظ طوقان) .
٨ ـ دائرة المعارف الاسلامية (الترجمة العربية) .
٩ ـ تاريخ الحضارة الاسلامية (بارتولد ، ترجمة حمزة طاهر ، القاهرة ١٩٥٨) .
١٠ ـ الآثار الباقية (البيروني) .
١١ ـ مختصر تاريخ الطب (شوكت الشطي ، دمشق ١٩٥٩) .
١٢ ـ بغية الوعاة .
١٣ ـ تاريخ الاسلام السياسي (حسن ابراهيم حسن ، القاهرة ١٩٦٢) .
١٤ ـ روضات الجنات (الخونساري ، طبعة حجرية) .
١٥ ـ تاريخ آداب اللغة العربية (جرجي زيدان ، القاهرة) .
١٦ ـ مجلة ثقافة الهند (عدد سبتمبر ١٩٥٣) .
١٧ ـ معجم ادباء الاطباء (محمد الخليلي ، مطبعة الغري ـ النجف ١٩٤٦) .
١٨ ـ الرحالة المسلمون في العصور الوسطى (زكي محمد حسن ، دار المعارف ـ القاهرة) .
١٩ ـ مآثر العرب في الرياضيات والفلك (منصور جرداق ، بيروت ١٩٣٧) .
٢٠ ـ فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم (ابن طاووس ، النجف) .
٢١ ـ اثر العرب في الحضارة الاوربية (عباس محمود العقاد ، القاهرة) .
٢٢ ـ تراث الاسلام (جماعة من المستشرقين ، الترجمة العربية ـ الموصل) .
٢٣ ـ عبقرية العرب في العلم والفلسفة (عمر فروخ ، بيروت ١٩٥٢) .
٢٤ ـ تاريخ الفكر العربي .
٢٥ ـ تاريخ العرب المطول (فيليب حتي ، بيروت) .
٢٦ ـ تاريخ فلاسفة الاسلام (دي بور ، ترجمة محمدعبدالهادي ابو ريدة ، القاهرة ١٩٣٨) .
٢٧ ـ هدية العارفين (اسماعيل البغدادي ، استانبول)
٢٨ ـ معجم المطبوعات العربية والمعربة (يوسف اليان سركيس ، القاهرة) .
٢٩ ـ كشف الظنون (حاجي خليفة ، استانبول) .
٣٠ ـ قصة الحضارة (ول ديورنت ، جـ ٢ من المجلد الاول ، ترجمة زكي نجيب محمود) .
٣١ ـ تاريخ الشعوب الاسلامية (بروكلمان ، ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكي ، بيروت) .

التأثير الأكدي للغة العربية

بقلم

سلمان التكريتي

اعدادية خالد بن الوليد ـ بغداد

ما زال البحث في اللغة ، واللغة العربية بصورة خاصة ، طريا جديداً ، وميدان البحث ما زال خصبا واسعا يحتاج الى دراسة في العديد من نواحيه . وقد استهوانا بحث فقه اللغة العربية ، ولكن ليس بحثا ذاتيا داخليا في هيكل اللغة العربية وحدها ، انما بحثا مقارنا ، خاصة وان الارض العربية حتى قبل الهجرات السامية والهجرات العربية وقبل الفتح الاسلامي على وجه الدقة ، كانت واسعة مترامية الاطراف تطل على ثلاثة بحار ، وتتصل عن طريقها بالعالم الواسع الذي يستظل مجتمعات متحضرة ومجتمعات بدائية . ولا شك ان هذا يلعب دورا رئيسا وبارزا في عملية التحول والتحويل والنقل والامتزاج ، ونحن نعلم بأن التلاقح الحضارى يؤتي ثماره سواء كان الشعب غالبا منتصرا ، ام مغلوبا مخذولا . والموجات السامية او الموجات العربية لاشك قد وقع لها مثل هذا الامر بتجوالها في ربوع الجزيرة واطرافها تحت تاثيرات الحاجات المادية . ولا يمكن ان يستمر التقوقع والانعزال والانطواء الذاتي لاي مجتمع سواء غالبا كان ام مغلوبا ، مهما كانت تلعب الدواعي العرقية والعنصرية في تحديد الاقليمية والكينونة الذاتية له . فهو مثلما يعطى ، لابد ان ياخذ ، ومثلما يفرز لاشك يمتص . ولما كان ميدان بحثنا اليوم هو اللغة، فسنحاول هنا ان نتبين باستقصاء قد لايكون شموليا ، النواحي التي ادت الى الاستقاء اللغوي المتبادل بين الشعوب التي عمرت شبه الجزيرة العربية على الاقل في العصور الخوالي ، وبالاخص منذ ظهور المجتمعات المتطورة المتوحدة التي تميزت بانظمة اجتماعية وسياسية بارزة المعالم في الوقت الذي ما زال المجتمع العربي يعيش في عصور الارتباك والتفرد بدون رابطة نظام اجتماعي متماسك او سياسي .

ان اول المجتمعات المتطورة التي ظهرت في اطراف الجزيرة العربية ومن الشعوب السامية خاصة ، هو الشعب الاكدي الذي اثر تاثيرا بليغا بالشعب البابلي الذي يمت بصلة القربى الوثيقة الى الشعب الاموري الذي نزح من الاراضي الغربية للهلال الخصيب ، والذي القى ظلاله الاجتماعية والفكرية والسلالية ايضا على الشعب الكلداني فيما بعد ، والذي وحد الثقافة والفكر البابليين بعدئذ ، امتدادا من العراق وحتى بلاد سوريا وفلسطين الذي كان هناك يتنازع السلطات مع الشعب الكنعاني والعبراني . ونظرا لهذا التحرك المتراوح على الارض العربية فقد تلاقحت الجوانب الحضارية، كما تلاقحت السلالات ايضا . وكما نجد ان الافكار والتقاليد ايضا قد امتدت سيطرتها على تلك المجتمعات ، فلاشك ايضا ان امتدت سيطرة اللغة عبر تلك المجتمعات . وكما صور لنا القرآن العلاقة الوثيقة للفكر العربي بامجاد الشعوب السامية في العراق وبلاد الشام وفلسطين ، نستطيع ان نؤكد على الترابط اللغوي الوثيق عبر هذه المجتمعات ، وكما ان هناك الكثير من العادات والتقاليد والتنظيمات الفكرية قد لعبت دورا في الفكر العربي في الجزيرة العربية مستقاة من شعوب الهلال الخصيب واطراف الجزيرة العربية ، فلا محالة ، ان تلك الشعوب قد تركت آثارها اللغوية على فم العربي وطبعت صوته بطابعها . فليس عبثا ان نلاحظ السباعيات العربية حسابيا وفلكيا ودينيا والتي اوضحها

القرآن ، انها متصلة تماما بسباعيات بلاد بابل . والقرآن يقص علينا قصص الشعوب المجتمعات ، ويلمح الى اساطير الاولين الذين بادوا وانقرضوا . وكما نلاحظ ان كلمة تنبت على بساط لغة لا يوجد مثيلها في لغات اخرى قد تنتقل بشكلها ومدلولها ايضا . ونحن مازلنا نجد امثال هذه المستنبتات اللغوية في العصر الحديث في اللغات الاوربية دلالة على عدم وجودها لديهم حينذاك ، وانهم عرفوها واخذوها عن طريق العرب وقت عرفوهم ، فنقلوها معهم واقتنوها كما يقتنون الاثاث وينقلونه ، بل قد يكون ذلك بطريقة اعز . فلاعجب ان تمتص اللغة العربية وتقتني مفردات جديدة من لغات تقترب منها بالجيرة والمصاهرة والنسب ايضا ، لعدم وجود مدلولاتها قبلئذ لديهم . ولا يقلل من قيمة شعب او حضارته ، انتصار ذلك الشعب او غلبه . ومن ناحية ثانية ، فان تطور الشعب العربي كان متأخرا ولاحقا لتطور الشعوب السامية الاخرى التي انتشرت في اطراف الجزيرة العربية والهلال الخصيب التي كونت مجتمعات متميزة بنظم اجتماعية وسياسية ، فلاشك ان يسبق التكافل الحضاري في هذه المجتمعات قبل المجتمع العربي . وحينما تكون اللغة مظهرا من مظاهر هذا التكامل الحضاري، فهي اسبق في المجتمعات السامية منها في المجتمع العربي ايضا .

يجب ان نعلم بأن التلاقح الحضاري ونقل التراث الفكري كليا او جزئيا لا يكون ، ولن يكون شكليا مغلقا ، انما يكون ذلك النقل والامتصاص جوهريا مفتوحا ، خاصة واللغة صوت وتوقيع نغمي مترابط مع البنية النفسية في الميدان الاجتماعي لاي شعب تحت ظروف مختلفة متباينة . فليس عبثا ان نقلت كلمة بلاتو Plato الى افلاطون وسوكراتيس Socrates الى سقراط ، وموزيك Musik الى موسيقى ، وربما انتقلت الكوليج College الى كلية ، كما نقلت ابن رشد الى افيروس وابن سينا الى افيسينا والحسن الهيثم الى الهازن ودار الصناعة الى ارزينال والخوارزمي الى لوكاريتم ثم لوغاريتم . فان لكل لغة موسيقاها وايقاعها ، ودخول لفظة من لغة الى اخرى لابد من حدوث بعض التغييرات الظاهرية الشكلية ، وقد تحدث بعض التغييرات الداخلية (المعنوية) ، كان تخرج الكلمة من ميدانها الى ميدان آخر ؛ كما قد تخرج الكلمة في نفس اللغة عن معناها الى معنى آخر كما خرجت كلمة القحبة ، فهي تدل على الكحة (السعال) ولكن الذهاب الى دور البغايا كان يستدعي الكحة (النحنحة) للتنبيه او النداء فتخرج المرأة العاهر لا ستقبال ضيفها او زبونها ، فانتقلت القحبة من (السعال) الى العاهر الفاجرة ، كما خرجت الكلمة مستهتره عن معناها ايضا ، فهي تدل في الاصل على الولع بالشيء (الاستهتار) ، لكنها الان تعني المرأة او الرجل اللامبالي او اللامبالية بالقيم الخلقية المتعارف عليها .

وفي لهجتنا الشعبية العراقية الكثير من الالفاظ انتقلت بسرعة البرق من اية لغة اجنبية ، وقد يشتق العراقي الاشتقاقات او ينحت منها النحوت فالاتومبيل Autombile اصبحت « اطرامبيل» والموتورسايكل Motorcycle اصبحت « مطر الوز»*. ولامب Lamp صارت « لمبة » وكوانتراكت Contract اصبحت « قونطرات » والترينز Trains آضت « طرزينة » وهلم جرا . وقد سمعت بين القرويين من يطلق اسماء للاشياء من شكلها او صوتها ، اذا لم يكن قد سمع باسمائها من قبل . فمثلا سمعت من يقول « ام عوينات » للدبابة و « طريطرة » للموتورسيكل حينما رآوهما لاول مرة اثناء حركة مايس ١٩٤١ كما سمعت من قال « مصوارة » للكاميرا Camera و « المخبرة » للتلفون Telephon (الهاتف) .

وقد تنتقل كلمة بتمامها ، ولا يوجد لها بديل مثل طابو ، فهي تلفظ كما تلفظ بالتركية والباء العربية عن حروفنا ، والكمرك والتياترو (اسبانية) والباتكه (هندية) والدوسيه والكليشيه (فرنسيتان) والاوفسيت واللاينو وامثال هذه الكلمات الكثير الكثير والتي لم نجد لها لحد الان ما يقابلها وان وجدت ، فمازال المجمع اللغوي في العالم العربي في حيص بيص امامها او عاجزا عن ادخالها في حيز الاستعمال ، ناهيك عن كونه ما زال عاجزا ايضا عن تعديل اللحن الذي يقع في اللغة العربية ذاتها ، فلا يوجد شخص او يندر ان يوجد هذا الشخص

(*) لقد وهم الاستاذ سلمان التكريتي (صاحب البحث) في المدلول الشعبي لهذه اللفظة الانكليزية .. لان الاستعمال العامي راسخ على « ماطور سيكل » في مقابل الدراجة النارية Motor-cycle وهناك تفاوت كبير بين هذا المدلول وبين ما يسميه العوام العراقيون « مطر اللوز » او « المتربوز » عند غيرهم من عوام الوطن العربي ؛ وهذه اللفظة تتقمص معنى « المدفع الرشاش السريع الطلقات » وهي تنظر الى الفرنسية Mitraillese بالمعنى ذاته بعد اشتقاقها من Mirailler بل تؤدي معنى اللفظة الانكليزية الدارجة Machine Gun

(رئيس تحرير المورد)

فيلفظ متحف بضم الميم والمتنزه بتسبيق التاء على النون وليس العكس كما يحلو لامانة العاصمة البغدادية وهو الغلط . والا فكم منا من يعرف ان «الچفچير» هو (المنشل) و«الچمچة» هي (المغرفة) ؟!

ونحن في راينا انه ليس بعيب على لغتنا العربية ان تمتص بعض الالفاظ او جملة الفاظ اجنبية ، كما ليس بعيب على ادبنا ان يقتبس اساليب غربية معاصرة في فن الكتابة ، اذ قد تضيف اضافات جديدة الى البناء الشكلي لاساليبنا . ولاشك ان الاصالة لا تعني التقوقع والعزلة في دائرة ضيقة مقفلة ، انما الاصالة هي قدرة التعايش والتمثل بعد الهضم ، لتتعاصر مع غيرها من الاقران . والحضارة الاصيلة هي التي لا تموت ولا تنقرض كما انقرضت الحضارة العبرية (اليهودية) والتركية في الوقت الذي ما زال اصحاب هاتين الحضارتين يعيشون بين ظهرانينا . بينما نجد اثار الحضارات الاصيلة ما زالت قائمة لحد الان ؛ وقد تكون لعبت دورا في الانتقال الى شعوب اخرى ، وطورت حضارات تعاصرنا في الوقت الحاضر ، مثل الحضارة الاكدية والبابلية والفينيقية بالرغم من انقراض شعوب هذه الحضارات وزوالها من الوجود . فهذه هي الاصالة وكلما ورثت حضارة واقتبست من الحديث ، كلما دلت على اصالتها . وامامنا اللغات الاوربية عامة ، حافلة بكثير من الالفاظ ليست عربية فقط ، بل فيها الالفاظ السامية التي يعود منها الى اللغة الاكدية ، انتقلت بطرق شتى الى اللغات الاوربية . وان ربطنا الاصالة بعدم الانفتاح والتلاقح والاقتباس ، نفينا عندئذ الاصالة عن جميع اللغات الاوربية مثلما ننفيها عن لغتنا العربية ، وكما لا يلعب الدم الاحمر دورا في الشعور القومي وتكوين القومية ، كذلك ليس للغة دم اسود او ازرق حتى يلعب دورا في تحديد هذه الاصالة . فالقومية كما هو معروف ، هي الارتباط المادي والمعنوي ، وهي الانتماء العفوي والمصلحي ايضا – ولا نقصد المصلحي هنا الاناني الانتهازي ، انما نعني اشتراك المصالح وتبادلها – وكذلك اللغة ، فانها تظل ذات نكهة وعذوبة ، ويظل الحرف ذا رونق وجمال ، يمثل نفسية الانسان العربي ، وقد يمثل صلابته مثلما يمثل رقته . وقد نتجرأ ونقول : ان هذه الحروف لم ترسم عبثا ، انما رسمت بعفوية المشاعر مع التصميم الهادف . فالطاءات والصادات المهملة والمنقوطة تمثل الكثبان الرملية ، والحاءات المهملة والمنقوطة تمثل رؤوس الحيوانات والسينات المهملة والمنقوطة تمثل السهول ، والنقاط تصور الازهار المنتشرة في النجاد والوديان ، وقد يتولى غيرنا تثبيت هذه الامور ، وغيرها على الحروف العربية ، فهو ليس من صميم عملنا في الوقت الحاضر من ناحية ، وقد يكون الفنانون هم اولى بهذا البحث والاستدلال من ناحية ثانية .

***

لقد كثر الكلام عن اللغة العربية وعلاقتها باللغات السامية الاخرى ، كاللغة الارامية (السريانية) واللغة العبرانية ، وقد يستدل الباحثون على وجود هذا التقارب في القربى والجوار بين هذه الشعوب ، ولكن الذي نعتقده ، هو ان الارامية والعبرانية هما ابعد عن العربية ، مع كل القرابة الموجودة ، وان وجود التشابه بين كثير من المفردات العربية بقريبتها العبرانية ، انما لاشك يحدث ، ولكنه ليس بالصورة التي سنستشهد للغة الاكدية ، وهي اول لغة في العالم ، نشأت في ارض الرافدين ، ذات اصول وقواعد واشتقاقات ؛ وقد كانت ذات اساليب عديدة ، منها القصة والاسطورة ومنها الشعر والامثال ايضا . وصحيح ان الشبه كبير بين كثير من قضايا اللغة العربية وقريبتها العبرانية كالوزن الاشتقاقي والقلب والابدال . وقد انتقل مثل هذا القلب من العبرانية الى العربية ، فكثيرا ما يقلب حرف باخيه ، كان يقلب السين العبرانية شينا عربية .

عبراني	عربي
سمال	شمال
سعر	شعر
سعراه	شعره
سعراه	شعير
عسره	عشرة
عسريم	عشرين
عسب	عشب
ستاء	شتاء
سمله	شمله

او يقلب الشين العبراني الى سين عربي .

عبراني	عربي
امش	امس
شبي	سبي
شبيل	سبيل
شبعة	سبعة
شبعين	سبعين
شبت	سبت
شوق	سوق
شطح	سطح

عبراني	عربي
شميعه	سمع
شمشياه	شمسية
شن	سن
شنة	سنة

وبالاضافة الى القلب ، فقد يحدث ابدال بعض الحروف في العبرانية اذا انتقلت الى اللغة العربية .

عبراني	عربي
تلميد	تلميذ
مهندم	مهندس
مزبح	مذبح (محراب)
مكتاب	مكتوب
ازن	اذن
هص	صه
عيقر	عاقر
عوبد	عابد
عولم	عالم
رمون	رمان
صلاب	صليب
عقره	عقرب
هس	هث
نبح	نفخ
صاه	صاع
عراب	غراب

وقد لا يقتصر التغير على القلب والابدال ، بل قد يحدث الحذف والاضافة

عبراني	عربي
بن	ابن
مجل	منجل
فم	فحم
عز	عنزه
منين ؟ !	من اين ؟ !
كمه	كم
مدوكه	مدك
هوا	هو
سطيري	سطر
نصيب	نصب (عمود)
سلام	سلم
نحنو	نحن
صبوع	اصبع
سكور	سكران

من هذه المفردات القريبة لفظا ومعنى في العربية بالنسبة للعبرانية استدل الباحثون اللغويون على وجود مفردات اخرى لا وجود لاصولها او آثارها في لغتنا العربية ، انما قد وردت الى اللغة العربية عن طريق العبرانية مثل سفر بمعنى كتاب وعدن التي تعني السرور ، وصلب بمعنى دق بالمسمار ، فاخذ معناها في العربية (التعليق) وليس الدق بالمسمار ، وآدم في العربية ليست ذات معنى ، بينما معناها في العبرانية هو الاحمر ، والشبيه بالتراب والماخوذ من التراب ، فلاشك ان تكون الادم قد اخذت من آدم العبرانية ، والسكين هي المدية العربية ، ومجلة تعني الملف (العربية) ، ومزمور بمعنى النشيد ، وعنان (غمام العربية) وصحر (ابيض) ومنها (اصحر العربية). وهذا ليس وحده دليلا على هذه القرابة ، وهذا الاحتكاك الذي ادى الى اقتباس وتزاوج بين اللغة العربية والعبرانية ، انما هناك ما يوحى الى الاقتباس العربي الحتمي من العبرانية ، وذلك لوجود عدد من الاسماء المصدرية النادرة او القليلة لا وزن لها في العربية ، بينما هي قاعدة اشتقاقية في اللغة العبرانية فان ملكوت وجبروت على وزن (فعلوت) لا يوجد غيرهما في العربية(*) ؛ بينما نجد في العبرانية بالاضافة الى ملكوت وجبروت ، نقروت (نصرانية) نقيوت (تانيث) سفكوت (الماء) وسفروت (العلوم الادبية) وعبدوت (العبودية) وغيرها الكثير في العبرانية . كذلك يستدلون بما يوجد من نادر وقليل في العربية على وزن (فالون) مثل (طاغوت وناسوت ولاهوت وجالوت (مدينة فلسطينية) فهي كثيرة في العبرانية . وهناك مفردات اخرى في العبرانية خرجت عن معناها حينما دخلت اللغة العربية مثل القيامة ، فهي في العبرانية (الوجود) وصلب (يدق بالمسمار) واليهود هم اول من دقوا انسانا بالمسمار ، وهو المسيح الصليب ، وكلمة ساراه وتعنى (الاميرة) والتوره (التوراة) وتعنى القانون وتلمود (درس المطالعة) وبريئة (خليقة) وقدوس (المقدس) وقيوم (وجود ، كينونة) بينما اصبحت في العربية في مقام اسم الفاعل على وزن صيغة المبالغة بمعنى الموجود الدائم .

اننا لا نعارض ابدا في كون اللغة العبرانية هي اقدم من اللغة العربية بأية حال كذلك لا نعترض

---

* بل يوجد ايضا في العربية : رهبوت وحلبوت وبلبوت ورحموت ورغبوت وبرهوت

(رئيس تحرير المورد)

ايضا على انه من المحتمل ان يحدث هذا الاقتباس من قبل اللغة العربية على اعتبار حداثتها وجدتها ، وكون اللغة العربية لم تصبح لغة ادب وشعر الا في القرن الاول للميلاد ، بينما العبرانيون واللغة العبرانية وظهور الديانة اليهودية والنبي موسى ، قد كانت هذه كلها قبل الميلاد ، وهذا حدث تاريخي لا شك فيه ، وليس عليه اي اعتراض ، لكن يجب ان نعلم من ناحية اخرى ، ان اليهود قد كانوا في بلاد مصر الفراعنة ، وقد اجلوا من ديارهم من قبل فراعنة مصر ، او هاجروا ، وقد كانت هذه الهجرة بقيادة النبي موسى ، وقد اثار العالم اليهودي النمساوي فرويد Frued جملة من الشكوك حول كون النبي موسى يهوديا عبرانيا ، بل قد ساق كثيرا من القضايا الاستدلالية على ان موسى ، انما هو فرعوني (او امير فرعوني) او قد يكون من سلالة بعض امراء الفراعنة ، تنازل فقاد اليهود الاذلاء .

ونحن نعلم ايضا بان (نبو خذ نصر) قد تمكن من دحر حكومة اسرائيل واخضاعها ، وسبى الالوف من ابنائها وساقهم الى موطنه العراق . وقد اصبح هذا السبي هو نقطة انطلاق التجمع القومي الانتقامي ضد الساميين فيما بعد ، وفي العراق بالذات كتب اليهود الاسرائيليون وليس العبرانيون التلمود والمشنا . ولا شك ان هذا التاريخ والمكان الذي كتب فيه التلمود ، ونعنى به العراق ، انما يدعنا لان نقرر بان لغة الدولة المنتصرة لاشك قد اثرت على لغة الشعب المهزوم المخذول ، وهم اليهود الاسرائيليون . فلابد ان تلقحت اللغة العبرانية (الاسرائيلية) بكثير من المفردات السامية التي عاشتها في ارض ما بين النهرين ، تلك الارض التي كانت تشع حضارة على العالم منذ الاكديين وحتى الكلدانيين البابليين ومعاصريهم الاشوريين لذلك نحن نرجح بان هذه المفردات الغريبة ، وهذه الاوزان اللغوية التي وجدت في لغتنا العربية ، انما هي ليست بالتاكيد اقتباسا اصيلا عن العبرانية (الاسرائيلية) ، انما هي اقتباس وتأثير وتفاعل باللغات السامية في ارض الرافدين ، وباللغة الاكدية بالذات واخواتها البابليات والاشورية فيما بعد والتي لعبت دورا عظيما في تلقيح اللغة العبرانية الاصلية للتجاور القطري من ناحية ، ولان الاكديين اسمى حضارة واعرق في سلم التطور من كل الشعوب السامية ، وهم اول الموجات التي تدفقت من باطن الجزيرة العربية ، اذ كان ذلك في حدود ٣٥٠٠ ق.م؛ بينما العبرانيون قد وصلوا الى اوج حضارتهم التي لم تضاه اي حضارة من حضارات الساميين التي سبقتهم او عاصرتهم ، في منتصف الالف الثاني قبل الميلاد (١٥٠٠ ق.م) ، وفي الحين الذي لابد وان تؤثر اللغة الاكدية على جاراتها ، وعلى الشعوب المجاورة للشعب الاكدي انذاك ، وتاكيدا لقولنا تروى لنا الاحداث التاريخية على انه في الحروب الاسرائيلية ، كان احد قادة الجيش الاشوري يكلم اليهود باللغة الاشورية (الارامية) التي كان يعرفها اليهود آنئذ ، ويرد عليه القائد اليهودى ، وهو وملكهم «حزقيا» يلقيان التشجيع من نبيهم «اشعيا» لذلك والحالة هذه ولقدم الاكديين ولغتهم ، فلابد ان يكون هذا الاقتباس اصلا عن اللغة السامية ، التي نشأت في العراق الا وهي اللغة الاكدية ، بل ان المفردات الموجودة في اللغة الاكدية ، والتي لها مشابهات او مقلوبات او مبدلات او محذوفات ومضافات ، لاشك قد انتقلت من اللغة الاكدية الى كل من اللغتين ؛ العربية بصفة كون العرب مجاورين لارض العراق ، وان العرب وكل الشعوب في تلك الازمان كانت تمارس الزراعة والرعي ، وهذا يستدعي بالضرورة السفر والترحال تبعا لاختلاف المناخ وسقوط الامطار وكثرة موارد المياه والمراعى.

وفي تلك العصور الخوالي كانت ارض الرافدين اخصب بقعة من الارض وتزخر بالمراعى وبموارد المياه ، لذلك اصبحت قبلة انظار الموجات السامية للاستيطان من ناحية ان توفرت لها سبل القوة للتغلب على الشعب المقيم فيها ، او الاستفادة موسميا من تلك المراعي ، وان تقع الحرب وتهجر القبائل القادمة من باطن الجزيرة العربية . ولهذه الاسباب وغيرها نجد ان الاصالة والعراقة تكمنان في اللغة الاكدية التي اثرت في تلك اللغات المجاورة سواء كانت العربية او العبرانية ، فان الشهور التي نطلق عليها الان اسم الشهور الغربية (الشمسية) انما هي في الحقيقة شهور اكدية بالذات ، وقد وردت بهذه الصيغ اللفظية في كتابات الاثاريين الذين درسوا اللغات السامية في ارض العراق وبالاخص اللغة الاكدية ؛ ولكن ترتيب هذه الشهور يختلف عما هو عليه في الوقت الحاضر ، اذ تبدأ السنة الفلكية عند الاكديين بفصل الربيع (منتصفه) ويبدأ بالشهر الرابع (نيسان) وهو الاول عند الاكديين ، وفي هذا الشهر كما هو معروف تاريخيا عن حضارة وادي الرافدين ، كانت تقام الاحتفالات السنوية بمقدم الربيع ؛ وهو عيد ديني يراسه الملك للتقرب من الالهة . وهذه الشهور هي :

الاكدي	العربي	ترتيبه
نيسانو	نيسان	الاول
ايارو	ايار (مايس)	الثاني
سيمانو	حزيران	الثالث
دوموزو	تموز	الرابع
آبــو	آب	الخامس
اولولو	ايلول	السادس
تشريتو	تشرين الاول	السابع
ارخسانو	تشرين الثاني	الثامن
كيسليمو	كانون الاول	التاسع
طيبتو	كانون الثاني	العاشر
شباطو	شباط	الحادي عشر
ادارو	آذار (مارت)	الثاني عشر

وللتأكيد على هـذا الاقتباس ، نستعرض قليلا من المفردات الاكدية والتي لها مـا يقابلها لفظا ومعنى بالعبرانية ؛ لنخلص الى راي يسند اقوالنا في ان الاصل هو اللغة الاكدية لانها الاقدم فيكون التأثير لها في اللغة العربية وليس للغة العبرانية التي يحسب جماعة بانها ، اي العبرانية ، هي التي اثرت في العربية ، بل ان هذا يسهل لنا القول بان اللغة العبرانية قد اشتقت تلك المفردات وغيرها من لغات وادي الرافدين بحكم الجوار والاتصال عن طريق التجارة والحروب والسيطرة والاخضاع ثم السبي وكتابة التلمود والمشنا في ارض العراق الذي صار منطلق روح الانتقام من الساميين ردا على تلك الهزيمة التي لاقتها اسرائيل والاسرائيليون :

اكـدي	عبـراني	عـربي
تينورو	تنور	تنـور
ارصيتو — اريصتو	أرص	ارض
بتولتو	بتوله	بتول
كامونو	كمون	كمون (نبات)
ايشرو	عسريم	عشرين
زمارو	زمـر	يزمر (يعزف بالمزمار)
لا	لا	لا
ليلاتي	ليل	ليـلة
لابوسو	لبوس — لبوسه	لباس
مارتو	مرات	بنت (امراة)
ميتو	ميت	ميت

اكـدي	عبـراني	عـربي
مالكو	مالك	ملك (امير)
مانو ؟ !	من ؟ !	من ؟ !
انبو	عينب	عنب
اناكو	آني	انـا
انپ — انپو	انف	انف
كمالو	جمل	جمل
شمشي	شمش	شمس
اشرو — اسيرتو	عسره	عشرة
طابو	طابا	يطيب
موشكينو	مسكين	مسكين
كلبو	كلب	كلب
امتو	امـة	خادم (امة)
اوزنو	ازن	اذن
شياقل	شيقل	—
اخو	اح	اخ
اختو	احوت	اخ
اكالو	اكل	ياكل
ايكالو	هيكل	هيكل (قصر)
ايلي	على	على
كيما	كمو	كما (مثل)
كلا	كله	كل (جميع)
اربيتو	اربـع	اربعـة
شيبو	شبعه	سبعة
تيشو	تشـع	تسعة

فعلى هذا لا يمكن ان يدعي مدع بان وجود القليل من المفردات العبرانية التي هي على وزن فعلوت مثل ملكوت وجبروت وعلى وزن فالوت مثل طاغوت وجالوت ولاهوت وناسوت قد دخلت اللغة العربية من اللغة العبرانية ، لكن ان اعطت العبرانية مثل هذه الكلمات الى العربية ، فان العبرانية قد اخذت من اللغات السامية الاخرى اعتبارا من اللغة الاكدية وامتدادا باللغات الارامية والاشورية ، وهذه الامثلة التي سقناها في الجدول المار الذكر تؤيد لنا بان الاصل القديم للغة هو اللسان الاكدي وليس الاصل البابلي (الارامي والاشوري) حسب، حينما كان اليهود في السبي البابلي الشهير ، وكتبوا في ظلال اسوار بابل وجدران هياكلها التلمود والمشنا .

لكننا يمكننا ان ندعي بان قرابة العرب من اشقائهم الساميين الاخرين الذين كانوا يعيشون جيرانا لهم في العراق وسوريا ، هي التي لعبت الدور الاكبر في هذا النقل والاقتباس اللغوي والتلاقح الذي لاشك قد حدث بفعل التماس والاتصال . وان

الهجرات التي خرجت من باطن الجزيرة العربية على هيئة موجات ، لايعني انها دائما تسير نحو الشمال ، بل قد تلجأ جماعات من هؤلاء الى العودة الى باطن الجزيرة العربية ، كما حدث بالفعل لموجة سامية قد تكون عربية ايضا . ولقد كان اصل هذه الموجة الاول هو باطن الجزيرة العربية ، ثم تقدمت نحو الشمال فسكنت العراق ، ومن ثم ، ولظروف سياسية وفكرية نزحت من طرف الهلال الخصيب الشرقي (العراق) نحو طرف الهلال الخصيب الغربي (سوريا) . وما تلك الموجة السامية او العربية الا موجة ابراهيم الخليل النبي الذي كان يسكن اور الكلدانيين كما ورد في كل من التوراة والقرآن ، ثم انتقل هذا وجماعة من اهله وعشيرته الى فلسطين (ارض الكنعانيين) وهناك لم يجد ايضا ما كان يروم وجدانه ؛ فاضطر تحت تاثيرات قاسية ايضا الى الهجرة ثالثة الى باطن الجزيرة العربية ، حيث سكن في واد غير ذي زرع (مكة الحجاز) وبنى هناك هيكل العبادة (الكعبة) بيت الله الحرام ، بعد ان انكر شرك اليهود ، وبعد ان انكر اليهود هؤلاء العبرانيين (جماعة النبى ابراهيم الخليل) . ويمثل هذا الانتقال لاشك ان ابراهيم الخليل (الموجة السامية) المهاجرة ، قد نقلت مع ما نقلت من امتعة نقلت ايضا حضارة ولغة ومفردات لغوية ، تطعمت باللغة الاكدية الاولى ، ثم هاجرت عن طريق فلسطين (ارض الكنعانيين) الى باطن الجزيرة العربية (الحجاز) . وهذه امثلة كثيرة على هذه القربى اللغوية بين العربية والعبرانية الحقيقية ، وليست عبرانية اليهود ، ولا يهودية بني اسرائيل التي هاجرت من ارض مصر الفراعنة الى ارض الكنعانيين (فلسطين) ، انما عبرانية (ابراهيم الخليل الكلداني) الذي تكلم الكلدانية حفيدة اللغة الاكدية :

اكدي	عربي
تينورو	تنور
نبيلو	نبيل
سوقو	سوق
سوقاقو	زقاق
شيبيتو	سبعة
ايشرو ـ ايشيرتو	عشرة
شينا	اثنين
صانو	الثاني
شلاشا	ثلاثون
شلالتو	ثلاثة
اربا	اربعون
خامشو ـ خانشو	خمسة
خانشا	خمسون
شوشو	ستون
اربيتو	اربعة
شيشو	ستة
شمانو	ثمانية
اشرا	عشرين
ميا ـ مياتو	مائة
سيرو	صحراء
صيفرو	يصفر
صيفير	صفير
صيفيرتو	صفيرة
ريشو	راس
ركابو	يركب
مراصو	يمرض
ديانو	يحكم (حاكم ـ ديان)
دينو	حكم (ادانة)
كرارو	يجري
اميرو	يأسر
طابو	يطيب
ايلياو	يتلألا
اكالو	ياكل
مرصو	مرض
سلامو	يسلم (يسالم)
ساليمو	سلام
ارصيتو ـ اريصتو	ارض
كيبالو	يستقبل
بتولتو	بتول
كينونو	كانون (موقد)
كامونو	كمون (نبات)
امنو	يمين (انجاه)
شامو	سماء
ابلو	حبل
دارو ـ داراتي	دوران
دارو	مستدير (دائرة)
زكرو	اسم

اكـــدي	عـــربي
زكارو	ذكر (رجل)
زمارو	يزمر (يعزف بالمزمار)
لا !	لا !
ليلاتي	ليلة
لابـــو	اسد (لبوة)
لبينو	بنـــاء
لبيتو	لبنة(اجرة غير مفخورة)
لابوسو	لباس
مـــو	مـــاء
مارتو	بنت (امراة)
ميتو	يموت
موتو	ميت
مالكو	ملك (امير)
مانو ؟	من ؟
مينو ؟	ماذا ؟
موشو	مساء
اليپتو	الف (حرف)
امتو	امـــة
امـــو	حمو
اميتو	حماة
اومو	ام
انبو	عنب
اناكو	انا
اياشو	اياي
انپ ـ انپو	انف
آسو	الآسي (الطبيب)
اسوتو	سوقية (قحبة)
اتونو	اتون (موقد)
بابو	باب
بيتو	بيت
بابيلو	بابل
نجرو	داخن (بالبخار)
بالو	بلى !
بانـــو	بين (واضح)
بانـــو	خالق (من البناء) ·
كوخلو	كحول
كمالو	جمل
اسيرو	اسير
شمشي	شمس
اسورو	عصفور
اسور أپاري	عصفور بحري (طائر البحر)

اكـــدي	عـــربي
اقرابو	عقرب
شوميلو	شمال
شوميرو	سومر (الظاهر ان الاصل شومر وليس سومر)
خاروبو	خرنوب
كاكابو	كوكب
طابو ـ طابتو	طوبى
موشكينو	مسكين
كيرو	تنور (كير)
كلبو	كلب
كلباتو	كلبة
الپو	يلعب
امتو	امة (خادم)
امارو	حمار
يـــوم	أم (وهي قريبة من المظهر الصوتي العامي العراقي)
أبـــو	اب
آكرو	آجر (حجر ـ طابوق)
ايدو	يـــد
اسو	المؤاساة (الطب)
ايقلو	حقل
اريشو	عنب (عريشة)
ازاميلو	كيس (زمبيل)
اوزنو	اذن
ازوبيرو ـ ازوبيرانو	زعفران
اخو	اخ
اختو	اخت
اكادو	اكدي
ايكالو	هيكل (قصر ـ معبد)
ايلو	عـــلو
ايلو	عالي
ايلي	على
ايلينو	عالي
خصبو	خصب (خصوبة)
كيما	كما (مثل)
كلا	كل (جميع)
كرام	كرم (عنب)
خرابو	صحراء (خرابة)
بيرقو	برق
كالمات	قملة

ولكن قد نجد الفاظا جديدة وغريبة عن اللغة العربية او مختلفة الاستعمال فيها ، او قد تكون مرادفة لبعض الكلمات العربية مثل مدية وسكين اذ قد تكون السكينة (السكين) عربية او مدية غير عربية لعلاقتها بالسكينة (المخففة) وموقع الراس من الرقبة في الجسم . وقد يحتج بوجود هذه النفظة ومثيلاتها في اللغة العربية للدلالة على ان العربية قد استقت من اللغة العبرانية . ونحن مثلما لم ننكر ان ترد في اللغة ، اي لغة ، واللغة العربية من بين اللغات ايضا ، كذلك لاننكر ان تستقي اللغة العربية الجديد ، مثلما استقت الجبروت والملكوت من العبرانية والسندس والاستبرق من الفارسية، وغير هاتين وتلك ، ولكننا نود ان نؤكد اخيرا على ان اللغة العربية هي اقرب اتصالا جغرافيا وهجرويا من الاقوام السامية (الاكديين والبابليين والاراميين والكلدانيين والاشوريين)الذين سكنوا العراق ، وهم قريبون ايضا من الاقوام السامية العبرانيين وفي مقدمتهم قوم ابراهيم الخليل الكلداني العبراني؛ الذين نزحوا من فلسطين (ارض الكنعانيين) الى (الحجاز) . ولان اليهود وبني اسرائيل شكوك في اصولهم البشرية والعرقية من ناحية ، ونزوحاتهم المتعددة وهجراتهم المتكررة ما بين مصر الفراعنة وسيناء وفلسطين والعراق من ناحية ثانية ، تؤكد لنا على ان هؤلاء القوم ، وحتى العبرانيين (قوم ابراهيم الخليل) ليسوا اصولا ولا مصادر نقية ، يستقى منها الا ماندر ، خاصة تلك لالفاظ الجامدة غير الاشتقاقية ، اما الالفاظ الاشتقاقية في لغتنا العربية والتيلها مشابهاتها فياللغة العبرانية، فنحن لاشك نسلم جدلا بانها عربية اصيلة، ولا يمكن ان تردنا من لغة اخرى ، بل وقد نقول ان الاقوام السامية المهاجرة من باطن الجزيرة العربية ، لايمكن ولا يعقل ان يهاجروا في حدود منتصف الالف الرابع قبل الميلاد دون ان تكون لديهم لغة ، مهما كانت مفردات تلك اللغة قليلة ، في الحين الذي عرفت الكتابة في وادي الرافدين في حدود اول الالف الرابع قبل الميلاد ، وبداوا يدونون قضايا البيع والشراء ، وبداوا يحسبون ويعدون ويحصون. لاشك ان مثل هذا الامر الذي حدث في سهل شنعار ، لن يكون فريدا من نوعه، ولكنه يمتاز بصفة السبقالحضاري على غيره من السهول والبقاع التي اخذت تنبع فيها الحضارة .وان الانسان السامي الذي هجر ارضه في الجزيرة العربية متوجها نحو ارض الخصب من وادي الرافدين ، لابد ان يكون انسانا قد وصل مرحلة فكرية عالية ، لكن وسائله الانتاجية كانت آنئذ ما تزال بسيطة لا تمكنه من ترقية حياته ، والا لو لم يكن متفتحا ، ويمتلك ناصية لغة ، يقود بها فرد افرادا آخرين ، ويتوجه بهم جماعة عبر تلك الصحراء والمفازات المجدبة ، نحو العراق ، لا شك انه كان قد مات جوعا وهلك عطشا وصار فريسة للحيوانات الضارية .

ويمكننا ايضاح ان الكلمة التي تنتقل من لغة الى لغة ؛ كأن تنتقل من اللغة الاكدية الى اللغة العربية لا تبقى على معناها ، بل تخرج عن ذلك المعنى . وقد يختلف شكلها اللفظي جزئيا ، كأن يحدث القلب او الابدال او الحذف او الاضافة او الامالة او التحريك ايضا ، فان (تبولتو) في الاكدية لا تعني العذراء كما في العربية ، انما تعنى المراهقة . لذلك يوجد في الاكدية المراهق ايضا (تبولو) بينما لايوجد هذا اللفظ في العربية ، وهذا هو سبب وجود الترادف النام في اللغة العربية ، وقد يكون في غيرها ايضا مثل سكين ومدية ، وسفر وكتاب ، وعنان وسحاب .

ان الانتقال كما قلنا اما ان يؤدى الى ظهور ترادف تام في اللغة ، واما ان يخرج بها عن معناها الاصلي كما اشرنا ايضا . وللتدليل على هذا ، نقول انه قد حدث في اللغة العربية حديثا مثل هذا ، اذ اطلقت كلمة (الخام) على النوع الابيض القطني من القماش ، المعروف ان كلمة (خام) في الاصل معناها المادة الطبيعية قبل ان تصنع او تحسن ؛ فقيل مثلا عن القماش غير الملون وغير المرقش بانه قماش خام، فحذفت كلمة قماش وبقيت (الخام) وحدها فصارت اسما علما لدينا ، ومثيلها قيل هذا بطيخ رقي (لان هذا البطيخ كان يؤتي به من الرقة في سوريا) فحذف العراقيون كلمة ابطيخ وبقيت (الرقي) فاصبحت علما ، كما يقال (الحموي) ويقصدون به المشمش الحموي (من حماة) . وفي اللهجة العراقية الشعبية ورد مثل هذه الانماط الكثير ، اذ ان كلمة ململة (عبرانية) ومعناها القماش الرقيق ، ولان اليهود هم الذين كانوا يتعاطون تجارة الاقمشة صاروا يقولون هذا قماش (ململة) اي قماش رقيق ، ثم صار العراقيونيقولون (ململ) على نوع من القماش القطني الرقيق الابيض وهو معروف لدينا ، كما انتقلت ايضا كلمة (لام) من اليهود العراقيين وهي تعني في العبرانية (الجمع الغفير) فصار لفظها لدينا (لمه) ومنين (العبرانية) وهي من اين ؟ ! ظلت على لفظها في شعبيتنا (منين ؟ !) .

ان كلمة دين بالعبرانية ، تعني شريعة ، وهي في العربية ذات نفس المعنى ، ولكن ليست هذهالكلمة

مأخوذة من العبرانية ولا العكس ؛ بل انها اشتقت في كلتا اللغتين من كلمة « ديانو » الاكدية ، وهي بمعنى الحاكم ، ومنها في العربية (الديان) وهو الله) . وان كلمة (زمارو) الاكدية خرج منها اللفظ (يزمر) العربي والمزمار ، والمزمور والمزامير العبرانيان وهو يعني (النشيد) . وشين الارقام الحسابية في الكلمات الاكدية هو نفسه (شين) في العبرانية ، و (سين) في العربية مثل شوشو (ستون) وتيشو (تسع) وشمشي (شمس) وشامو (سماء) وريشو (راس) وموشو (مساء) . وقد لا نبالغ اذا قلنا أن كلمة (بتول) العربية و (بتوله) العبرانية هما من مصدر واحد ؛ الا وهو الاكدية اذ وردت فيها مفردتان هما (بتولتو وبتولو) . والظاهر ان تاء التانيث العربية قد اخذت من اللغة الاكدية وما بعدها البابلية ؛ اذ ان كل كلمة تنتهي بتاء مضمومة او ملحوقة بواو ؛ فهي مؤنث ، وان خلت من التاء وبقي الحرف الاخير مضموما او ملحوقا بواو . فهي مذكر فأن (اماتو ، اميتو ، ليلاتو ، بيتو ، مارتو ، صفيرتو) هي الفاظ تدل على المؤنث ؛ بينما (بتولو ؛ صفيرو ؛ امو ، اخو ، كاكابو) انما هي الفاظ تدل على مذكر . واذا امعنا النظر ؛ فاننا سنرى ان للاسماء الاكدية مذكرا ومؤنثا مثل (بتولو وبتولتو ، امو واميتو ، كلبو وكلباتو ، اخو واختو) ، ومثيل هذا في العربية قليل مثل (نمر ونمرة ، ذئب وذئبة ، غزال وغزالة) وهذا يقودنا الى القول بان هذا النمط قد وردنا من اللغة الاكدية ؛لان اكثر الاسماء او اغلبها ليس لها مذكر او مؤنث من اشتقاقها مثل (رجل وامرأة ، ولد وبنت ، جمل وناقة ، خروف ونعجة) ولا نقول (رجل ورجلة ، ولد وولدة ، جمل وجملة ، خروف وخروفة) الا الصفات ، وهذا عام في جميع اللغات .

وقد نتجرأ ؛ فنقول ان جميع الاسماء الاكدية تنتهي بالضمة ؛ سواء كانت مؤنثة او مذكرة مثل كلبو وكلباتو وامو واميتو ، وهذا ما عكس حركة الضمة على كل كلمة اسمية مجردة ، فاصبحت هي اول حركة اعرابية ثم تطورت في اللغة العربيةونشات الحركات الاخرى بعد اتساعها وتعقدها .

المراجع

١ ـ بالفرنسية

Manuel D'epigraphie **Akkadienne**
Par : René Labat

٢ ـ تاريخ اللغات السامية : اسرائيل ولفنسون .
٣ ـ مختصر تاريخ سوريا ولبنان : فيليب حتي
٤ ـ فقه اللغة : الثعالبي
٥ ـ فقه اللغة : محمد المبارك
٦ ـ فقه اللغة المقارن : د. ابراهيم السامرائي
٧ ـ علم اللغة : د. علي عبدالواحد وافي
٨ ـ دراسات في فقه اللغة : د . صبحي الصالح
٩ ـ القاموس المحيط : الفيروز اباذي
١٠ـ القاموس العبري : محمد التونجي
١١ـ اللغة العبرية وادابها : ربحي كمال

شرح مشكلات ديوان ابى الطيب المتنبي أو الفتح على فتح ابى الفتح ردا على ابن جني

تأليف

ابى علي بن فورجة البروجردي

تحقيق الدكتور
محسن غياض
كلية الاداب ـ جامعة بغداد

القسم الاول

المقـــدمة

باسمه تعالى ولـه الحمـد وصلى اللـه على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه أجمعين .

وبعد ، فلا خلاف في أن ابا الطيب احمد بن الحسين المتنبي هو اعظم شعراء العربية نبوغـا واكثرهم شهرة واشغلهم للناس في عصره والى يومنا هذا . واذا كانت بعض الامم تنازع العربية في بعض شعرائها ، فلا ريب ان ابا الطيب هو شاعر العربيـة الذي لا ينازعها فيه منازع ، وكفاها ذاك فخرا وغنى عمن سواه .

ولا نعرف اديبا نال من اهتمام الامـة ورعايتها ما ناله ابو الطيب وشعره . فقد ظفر ديوانه بما لم يظفر به ديوان آخر من كثرة الشـارحين والدارسين. وقد بلغت شروح الديوان حتى القرن الهجـري السابع وهو زمن ابن خلكان اكثر من اربعين شرحا ما بين مطولات ومختصرات (ولم يفعل هذا بديوان غيره ؛ ولا شك انه كان رجلا مسعودا ورزق في شعره السعادة التامة) (١) .

ثم زادت الشروح اضعاف ما ذكر ابن خلكان ، وقد ذكر قسما منها الشيخ يوسف البـديعي (٢) وصاحب كشف الظنون(٣) .

وقد ضاع قسم من هذه الشروح وبقي القسم الاعظم مخطوطا ولم ينشر منها غير بضعة شـروح فقط (٤) .

واقدم تلك الشروح كلها مخطوطها ومطبوعها شرحا الامام ابن جني ، الكبير الموسوم بالفسر (٥) والصغير الموسوم بالفتح الوهبي على مشكلات شعر

---

(١) وفيات الاعيان ١/١٠٣

(٢) الصبح المتنبي ١٦١ .

(٣) كشف الظنون ١/٨٠٩ـ٨١٠ .

(٤) نشر شرح العكبري في القاهرة سنة ١٩٣٦ وشرح الواحدي في برلين سنة ١٨٦١ .

(٥) نشر الدكتور صفاء خلوصي الجزء الاول منـه ببغـداد سنة ١٩٧٠ .

المتنبي(٦) ، وكل الشراح بعد ذلك عيال على ابن جني في شرحيه السابقين . وقد كثرت ردود الادباء على الشرح الصغير خاصة ولقي من الاهتمام اكثر مما لقي الشرح الكبير ، وسبب ذلك ان ابن جني تناول فيه ابيات معاني المتنبي خاصة ، وهي اكثر شعره غموضا واشده ابهاما . فكانت لاجل ذلك مادة صالحة للخصومة فيها والجدل في تفسيرها .

وممن رد على ابن جني في شرحه الصغير ، الشريف المرتضى علم الهدى في كتابه (تتبع ابيات المعاني التي تكلم عليها ابن جني)(٧) وابن القاسم عبدالله بن عبدالرحمن الاصفهاني في كتابه (الواضح في مشكلات شعر المتنبي)(٨) وابو جعفر القزاز(٩) وابن الحاجب(١٠) وابن فورجة البروجردي في كتابيه (الفتح على فتح ابي الفتح)(١١) وهو هذا الكتاب . و(التجني على ابن جني)(١٢) وقد ضاع فيما ضاع من كتب التراث ونفائسه .

مؤلف الكتاب

هو ابن فورجة البروجردي ، لم تترجم له الا قلة من مصادرنا ، ترجمة موجزة مقتضبة لا غناء فيها . وهي على ذلك كله مختلفة في اسم الرجل اهو ابو علي محمد بن حمد ام حمد بن محمد . وهي مختلفة في سنة وفاته امات سنة ٣٨٠ أم بقي حيا الى سنة ٤٣٧ ام عمر حتى ادرك سنة ٤٥٥(١٣) ولا قيمة لذلك كله ، وما هو بضائر في نسبة هذا الكتاب اليه وما كشفه من فضله وعلمه وقد تتلمذ ابن فورجة لابي العلاء المعري وقرأ عليه ديوان المتنبي خاصة ، عند زيارة المعري لبغداد .

وفي كتابنا هذا كثير من النصوص التي تدل على تلك التلمذة وتؤكدها ، فمن ذلك قوله (أنشدني الشيخ ابو العلاء لنفسه) وقوله (التفسير الاول فائدتي من الشيخ ابي العلاء وليس مما استنبطته) .

وكتابه هذا يكشف عن غزارة علمه وعلو كعبه في علوم العربية ونقد الشعر ، كما يكشف عن تواضع نبيل وخلق دمث ونفس حلوة لينة . واسمعه يقول في خاتمة رد له على ابن جني والقاضي ابي الحسن علي بن عبدالعزيز الجرجاني (واذا زل الشيخ ابو الفتح عذرناه لكونه عن صناعة الشعر بمعزل . فاما القاضي ابو الحسن فلا عذر له . وانما جناية العجلة ، وحاشا لله ان ادعي الفضل على تلامذتهما ، فكيف عليهما ، ولعل السهو ان يتفق علي في كثير مما اظنني احرزت اطرافه في هذا الكتاب فضلا عما سواه) هذا ادب التلميذ وتواضع العالم وخلق السلف الصالح وكريم تربيته . وهو بعد ان انتهى في كتابه هذا من تتبع ابن جني والرد عليه وتفنيد آراءه وحججه ، ختم كتابه باجمل ما يختم به كتاب في الرد والمناقضة والاستدراك ، فقال (وما توخينا الفضل علي ابي الفتح بن جني ولا سمت هممنا الى مباراته ، وبودنا لو ادركنا القراءة عليه والاستفادة منه) فدل بذلك على نفس كريمة وشمائل خيرة وبعد عن الهوى . وانه ما قصد بكتابه هذا غير العلم وخدمته .

وقد كان ابن فورجة فيما يبدو من تلك النخبة المباركة من علماء العربية وائمة الاسلام ، التي لا تتقرب الى السلطان ولا تجعل من علمها وسيلة لكسب ولا سلما لطمع في مال او جاه ، وترى الخير كله في الابتعاد عن السلاطين والزهد بما في ايديهم ، وقد كشف ابن فورجة عن رايه هذا في نص نادر من هذا الكتاب فقال في معرض رده على ابن جني (ولا معنى لحياء المتنبي من الله سبحانه اذا فارق دار عضد الدولة واصطفاءه ، بل يجب ان يتقرب الى الله عز وجل بتلك المفارقة والزهد في داره ، اذ كان ملكا ظالما) .

ولعل تعفف ابن فورجة عن الاتصال بالسلاطين وزهده في بلاطاتهم ؛ وانصرافه ، شان النخبة الخيرة من العلماء ، الى تآليفه وتلامذته ؛ هو الذي اخمل ذكره وجعل الذين ترجموا له يختلفون حتى في اسمه وسنة وفاته . ولو كان ممن تزينت بهم بلاطات الملوك ، لاستفاضت اخباره وكثر عارفوه .

هـذا الكتاب

وهذا كتاب في تفسير الشعر ونقده ، وهو احد كتابين لا ثالث لهما ؛ الفهما ابن فورجة في الرد على ابن جني فيما فسر به ديوان المتنبي . احدهما (الفتح على فتح ابي الفتح) وثانيهما (التجني على ابن جني) وقد اشارت اليهما المصادر القديمة ماترجم منها لابن فورجة وما تحدث منها عن المتنبي وشروح

---

(٦) انجزنا تحقيقه وسيصدر قريبا عن وزارة الاعلام العراقية.
(٧) معجم الادباء ١٧٤/٥ .
(٨) حققه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ونشره بتونس سنة ١٩٦٨ .
(٩) معجم الادباء ٤٧١/٦ .
(١٠) فهرست المخطوطات المصورة بجامعة الدول العربية ٤٢٨/١
(١١) كشف الظنون ١٢٣٣/٢ .
(١٢) معجم الادباء ٤/٧ .
(١٣) انظر في ترجمة ابن فورجة والخلاف حوله معجم الادباء ٤/٧ وفوات الوفيات ٣٩٧/٢ وبغية الوعاة ٩٦/١-٩٧ قال ياقوت (ابن فورجة . بضم الفاء وسكون الواو وتشديد الراء المفتوحة وفتح الجيم) .

ديوانه(١٤) وفي عصرنا هذا الحديث ذكر الاستاذ بروكلمن وجود احد الكتابين في مكتبة الاسكوريال برقم ٣٠٧٠ وقال انه كتاب (التجني على ابن جني)(١٥) وتابعه في ذلك الاستاذ بلاشير(١٦) ثم صور معهد المخطوطات في جامعة الدول العربيةذلك الكتاب ، واتاح لنا فرصة الاطلاع عليه وقراءته وتحقيقه . وقد ظهر لي ان الاستاذين بروكلمن وبلاشير كانا واهمين في اسم الكتاب ولم يقراه احد منهما ولا اطلع عليه . وقد وقع بمثل هذا الوهم كل من تابعهما من الادباء والمحققين ، فكتابنا هذا هو نفسه (الفتح على فتح ابي الفتح) وليس كتاب (التجني على ابن جني) .

ولنا على ذلك ادلة لا نشك في قوتها ، أولها : ان ابن فورجة يشير في كتابه هذا الى كتاب التجني ويستدرك في هذا الكتاب بعض ما فاته في ذاك ، وهو الاسبق تاليفا ، فيقول (قد كنت ذكرت هذا البيت في كتابي الموسوم بالتجني على ابن جني وحضرني الان ما لم اورده سالفا) ويقول ايضا (هذا البيت قد ذكرناه في كتاب التجني) . وثانيها : ان ابن المرشد سليمان بن علي المعري ذكر نصوصا من هذا الكتاب ، في مختصره الموسوم ب (مختصر تفسير ابيات المعاني من شعر ابي الطيب المتنبي)(١٧) وقال ان ابن فورجة ذكر هذا في كتابه (الفتح على فتح ابي الفتح)(١٨) وثالثها : ان ليس لابن فورجة غير ذينك الكتابين ، التجني والفتح .

واذا كان قد ذكر التجني في هذا الكتاب واشار اليه كمؤلف سابق ، فمما لا جدل فيه ان ثانيهما وهو الفتح ، كتابنا هذا بعينه ، ولعل العنوان الذي كتب على صفحته الاولى وهو (شرح مشكلات ديوان شعر ابي الطيب المتنبي) من عمل بعض المتاخرين الذين لم يهتدوا الى عنوانه الحقيقي .

والكتاب يقع في خمس وخمسين ورقة متوسطة الحجم (١٦ × ٢٣سم) في كل ورقة تسعة وعشرون سطرا . وكتب على صفحته الاولى (بقلم نسخ حسن من القرن السابع) وعلى تلك الصفحة ايضا صورتان لختمي تملك الكتاب الاولى (ملكه العبد الفقير يحيى بن محمد الملاح) والثانية (دخل في سلك ملك الفقير الى الغني الصمد علي بن أمر الله بن محمد بدمشق سنة ٩٧١) . وكتب على الورقة الاخيرة منه (تم الكتاب والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وعترته وسلامه وكان الفراغ من تعليقه يوم الثلاثاء) وكتب على جانب تلك الورقة ما صورته (قابلته بالاصل المنقول منه والحمد لله حمد الشاكرين) ولم نجد اية اشارة الى سنة كتابته او الى مكان الاصل المنقول عنه او الى اسم الناسخ الذي نسخ الكتاب وقابله باصله .

موضوع الكتاب ومنهجه :

يشير ابن فورجة في مقدمة الكتاب الى انه الفه استجابة لرغبة شخص ساله ان يتتبع الابيات الغامضة في شعر المتنبي ويشرح غريبها ويكشف غوامضها . لكنه لم يصرح باسم ذلك الشخص الذي طلب اليه تاليف الكتاب ، وكانت المقدمة دراسة نقدية ممتازة حاول ابن فورجة فيها ان يضع يده على مفاتيح الغموض والابهام في بعض الشعر العربي . نجعل ذلك انواعا ثلاثة وقسم الاول منها ثلاثة اقسام والثاني اربعة اقسام اما النوع الثالث فلا اقسام له . وهي محاولة قيمة حصر فيها المؤلف مصادر الغموض والابهام الذي قد يجده المرء في الشعر العربي ، ومن المؤسف ان تسقط من المقدمة بضع ورقات سقط معها القسمان الثاني والثالث من النوع الاول كما سقط النوع الثاني وثلاثة من اقسامه . ولم يبق منه الا القسم الرابع ، وبقي ايضا النوع الثالث الذي لا اقسام له . وقد مثل المؤلف لكل قسم ولكل نوع بامثلة من الشعر العربي وبما يماثله من شعر ابي الطيب المتنبي .

ثم بدا كتابه مرتبا الابيات موضع الدراسة ترتيبا هجائيا ، وان كان لم يشر الى ذلك ، فبدأ الكتاب بحرف الهمزة وختمه بحرف الياء وجاءت بقية الحروف بينهما ، وهو لم يستوف كل قوافي الديوان . وقد فعل ذلك قبله ابو الفتح ابن جني في كتابه (الفتح الوهبي) ولما كان هذا الكتاب ردا على كتاب الفتح الوهبي وتعقبا لابن جني فيه فقد لزم ابن فورجة منهجه وطريقة تبويبه . والكتاب وان كان في معظمه ردا على ابن جني الا انه لا يخلو من بعض الردود على القاضي الجرجاني في وساطته وابي علي الحاتمي في رسالته الحاتمية والصاحب بن عباد في كشفه عن مساوىء شعر المتنبي . وهو في ردوده تلك لا يخرج عما قررناه له من لين الجانب ودماثة الخلق وتجلته للذين يرد عليهم واكباره لهم . ولكنه اذا عرض للرد على الصاحب بن عباد خرج عن طوره وعما الفناه منه ؛ فكان عنيفا قاسيا غليظا واسمعه

---

(١٤) معجم الادباء ٤/٧ وفوات الوفيات ٢٩٧/٢ وكشف الظنون ٨٠٩/١ .
(١٥) تاريخ الادب العربي ٨٩/٢ .
(١٦) ديوان المتنبي في العالم العربي وعند المستشرقين ٢١ .
(١٧) عثرنا على نسخته النادرة في مكتبة الحرم المكي الشريف وانجزنا تحقيقها بالاشتراك مع الدكتور مجاهد الصواف وستنشر قريبا ان شاء الله .
(١٨) مختصر المعري ٢٤ .

يقول في بعض ردوده عليه (وما شهدت احدا من الفضلاء وذوي العقول يذمه غير هذا الظالم فان كان لا يرتضيه هو من بينهم وحده وليس بأفضلهم ولا اعقلهم فلعلة ما ذاك) .

وهناك ابيات ثم يفسرها ابن جني وفيها من الغموض والابهام ما يحتاج الى شرح وابانة فاستخرجها هو وفسرها لكي لا يشذ عما شرطه على نفسه في كتابه هذا من تتبع غريب شعر المتنبي وغامضه .

وهناك غير هذا وذاك ابيات لا يرفض تفسير ابن جني لها ولا يرد عليه فيها وانما يوافقه فيما ذهب اليه ثم يقترح لها تفسيرا آخر يراه اقرب من الاول واحسن منه (قد فسر هذا البيت ابو الفتح فجود ولم يبق ما يزاد اليه ونحن نتكلم فيه لئلا يشذ عن هذا الكتاب بيت مما له معنى غلق الا وناتي به) وقال في مكان اخر (وجود ولم يقصر غير ان عندي معنى اسهل من هذا وان كان ما قاله غير ممتنع) .

وهو ينظر للقصيدة كوحدة متماسكة ويربط في تفسير المعنى بين البيت وما بعده وما قبله ، وقد اتاح له هذا ، الكشف عن معاني لم يتوصل اليها ابن جني ولا ادركها . وهو قوي الحجة والعارضة متقن للجدل المنطقي ولا يكتفي بالرد وتفنيد ما يعترض عليه . وانما يفترض وجود من يحاجج عن الرأي المردود ويدافع عنه ثم يفترض له وجوها من الاقوال والادلة ويسارع الى الرد عليها وتفنيدها مقتدرا متمكنا . وقارىء الكتاب يلحظ دون شك تلك الامانة العلمية الصادقة التي يتحلى بها المؤلف في ذكره لاراء خصومه واقوالهم كاملة غير منقوصة قبل رده عليها . وهو امر جدير بالحمد والاعجاب . كما يلحظ شدة اهتمامه برواية الشعر ودقته في توثيق البيت المختلف عليه (وقد قرات هذا الديوان تصحيحا ورواية بالعراق على علماء عدة ورواة ذات كثرة) وهو بالوقت الذي لا يقتنع فيه بقراءة الديوان على عالم واحد او رواية واحد كما يفعل الكثيرون من الناس . فانه لا يكتفي بنسخة واحدة من الديوان لتوثيق الرواية وانما يرجع الى نسخ عدة (ووقعت الي نسخ غير واحدة شاميات في كلها كروا) قال ذلك ردا على رواية ابن جني في فتح كاف الكلمة[19] .

وهو مع شدة اهتمامه بالرواية وتوثيقها من مصادر مختلفة فانه لا يرى حرجا من الاجتهاد برايه مخالفا الروايات المتفقة (هكذا رواه الشيخ ابوالفتح وكذا رويته ايضا عن عدة مشائخ الا ان الصواب عندي ان يروى سبقنها بالنون لما انا ذاكره) .

ولابن فورجة ملاحظات نقدية قيمة على شعر المتنبي عامة وهي ملاحظات توصل اليها بطول صحبته لديوان الشاعر وكثرة تدارسه وعنايته به . ومن ذلك قوله :

(فكيف يوطي وهو يتجنب في شعره تكرير اللفظة الواحدة في حشو البيت فضلا عن القافية فلا تكاد تجد له لفظة مكررة في بيتين في قصيدة واحدة . الا القليل النزر بل لا يتجنب مثل ذلك الطائيان ومن له تمرس بالشعر تمرسه . فدواوين جميع الفحولة مملوءة من التكرير ما خلا هذا الديوان الواحد) .

وقال في ملاحظة ثانية (الا ان له عادة في قطع الكلام الاول قبل استيفاء الفائدة واتمام الخبر ، وقد فعل ذلك في كثير من شعره) .

وملاحظة ثالثة لا تقل قيمة واصالة عن سابقتها (وقد استقريت شعره كله فوجدته لا ينزل عن هذا المذهب في كل ما مدح به فاذا اورد ضميرا في ذم رده الى الكلام الاول تفاديا ان يخاطب به مواجها او يرده الى نفسه مخبرا ؛ وهذا من ادق ما في شعره من الحسن وادله على حكمته واستيلائه على قصب السبق) هذه الملاحظات القيمة الممتزة التي لم نجد مثلها عند احد من دارسي المتنبي في القديم والحديث، تدل بلا شك على طول تدارس المؤلف للديوان وقراءته الواعية المستأنية له وعلى ما وهبه الله من حس نقدي موفور واصالة في البحث والتتبع والاستقصاء.

وبقيت الاشارة الى ما قد يلفت نظر القارىء للكتاب ، وهو تكذيب المؤلف الصريح لابي الفتح ابن جني في احد ردوده عليه فيما زعم سماعه عن المتنبي (وانا أحلف بالله العلي ان كان ابو الطيب قط سئل عن هذا البيت فاجاب بهذا الجواب الذي حكاه ابن جني وان كان الا مزيدا مبطلا فيما يدعيه) وابن فورجة ليس اول من اتهم ابن جني بالكذب على المتنبي ، فقد سبقه الى ذلك ابو القاسم عبدالله بن عبدالرحمن الاصفهاني الذي قال في كتابه الواضح (لابي الفتح ثلاث علل اتخذها قواعد في شعر المتنبي اذا ضاق به الامر احداها انه يحيل بالمعنى على الفسر الكبير والثانية ان يقول بهذا اجابني المتنبي عند الاجتماع . والثالثة ان يقرن بالبيت مسالة في النحو يستهلك البيت واللفظ والمعنى)[20] .

ونحن لا نشك في صدق ابن جني وامانته ومن

---

(19) الكلمة موضع الخلاف في بيت المتنبي (العكبري ٢/٢١٤)

اتى خبر الامير فقيل كروا ... فقلت نعم ولو لحقوا بشاش

(20) الواضح ٣٦ .

قرأ على المتنبي حجة على من لم يقرأ ومن سمع عنه حجة على من لم يسمع .

ولكننا نعتقد ان المتنبي لم يكن امينا ولاصادقا في بعض ما فسره من شعره لابن جني وانه ضلله في بعض ما قاله له ولم يشأ ان يفصح له عن كل غوامضه وشوارده التي كان يفخر بها ويطربه اختلاف الناس فيها وخصومتهم حولها وهو امر يدل على تعمد المتنبي لذلك تعمدا وقصدا :

أنام ملء جفوني عن شواردها
ويسهر الخلق جراها ويختصم

وقد احس ابن فورجة بشيء من ذلك ولم يحققه يقينا (واظنه كان يتعمد ذلك) وهناك نص نادر نقله ابن جني عن علي بن حمزة البصري وهو احد رواة المتنبي استضافه عند مروره ببغداد ورافقه في رحلته الى بلاد فارس ، فقد ذكر ان المتنبي قال له بعد ان انشد احد ابياته المعقدة التي اختصم فيها الناس طويلا ، (أتظن هذا الشعر لهؤلاء الممدوحين هؤلاء يكفيهم اليسير وانما أعمله لك لتستحسنه ، اي لك ، ولامثالك)(٢١) كان المتنبي اذن يعمد الى الغموض والتعقيد في بعض شعره عمدا ليشغل به الادباء والعلماء والرواة وليجد في خصومتهم وجدلهم لذته وسعادته . وهو امر يجعله دائما موضع اهتمام الناس ومحاوراتهم واحاديثهم . رجل كهذا لا يمكن ان يفصح بسهولة عن كل معانيه الغامضة لابن جني الذي يضعها بين ايدي الناس ويقطع بذلك جدلهم وخصومتهم واهتمامهم بشعر الشاعر . من هنا كان تضليله لابن جني ومن هنا تعرض الرجل الى التكذيب والمطاعن .

قيمة الكتاب

ولم يسلم الناس لابن فورجة بصحة كل ما ذهب اليه من ردود على ابي الفتح ولم يتفقوا على صواب كل ما قال . فقد ذكر ابو المرشد سليمان المعري في مختصره ان رد ابن فورجة على ابن جني لا يخلو (من الفاظ غير مفيدة ومقاصد في الرد عليه ليست بالرشيدة)(٢٢) وقال الواحدي في مقدمته لشرح الديوان ونقل صاحب كشف الظنون قوله هذا (اما ابن فورجة فانه كسر مجلدتين لطيفتين على شرح معاني هذا الديوان سمى احداهما (التجني على ابن جني) والاخرى (الفتح على ابي الفتح) افاد بالكثير منها غائصا على الدرر وفائزا بالغرر ثم لم يخل من ضعف البنية البشرية والسهو الذي قلما يخلو عنه احد من البرية ، ولقد تصفحت كتابيه واعلمت على مواضع الزلل)(٢٣) .

ومع ذلك فان كتابي ابن فورجة كانا ككتابي ابن جني مصدرا اساسيا لكل الذين شرحوا شعر المتنبي بعدهما ، وقد اكثر العكبري والواحدي وسليمان المعري من النقل عنه والاستشهاد باقواله يشيرون اليه احيانا ويغفلون ذكره احيانا اخرى وقد تتبعنا ذلك كله واثبتناه في حواشي الكتاب توثيقا لنصوصه من جهة واظهارا لفضل ابن فورجة وسبقه وتقدمه من جهة اخرى . فاذا اضفنا الى ذلك كله ما سبقت الاشارة اليه من الملاحظات النقدية المهمة على شعر الشاعر ومن الاهتمام بضبط رواية الشعر وتوثيقه، تبين لنا مزية هذا الكتاب وقيمته واهميته بين شروح الديوان الاخرى .

عملي في الكتاب

وقد كان الله سبحانه وفقني للعثور على النسخة النادرة من كتاب ابن جني (الفتح الوهبي) ويسر لي امر تحقيقها ونشرها ، ولما كان كتاب ابن فورجة هذا ردا على ذلك الكتاب ، فقد رأيت في تحقيقه اكمالا لعملي الاول وتتمة له . وقد حاولت جهد العاجز المقصر ان اضبط نص الكتاب على احسن صورة مستطاعة وان اوثق نصوصه وشواهده الشعرية والنثرية وما تضمنه من اقوال الذين رد عليهم بالاشارة الى مصادرها الاولى منبها على الخلاف في الرواية ومشيرا اليه . وقد شذت عني بعض شواهد لم اهتد الى قائليها ولم اعثر عليها في المصادر التي اطلعت عليها ، وقد نبهت الى ذلك في حواشي الكتاب لعل احدا من فضلاء الباحثين يعثر عليها أو على بعض منها فينبهنا عليها ويرشدنا اليها .

وقد قال مؤلف هذا الكتاب رحمه الله (ولعل السهو ان يتفق علي في كثير مما اظنني احرزت اطرافه في هذا الكتاب فضلا عما سواه) .

وانا اقول مثل قوله هذا ، واستغفر الله لي وله . ولله الحمد والمنة والفضل جميعا ، والشكر جزيلا مضاعفا لكل الاخوة الزملاء الذين ساعدوني في عملي هذا وفي مقدمتهم الاستاذ الدكتور حسين نصار والاستاذ قاسم الخطاط معاون مدير معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية والاستاذ مصطفى عبداللطيف المدرس بجامعة البصرة والاستاذ علي عباس علوان المدرس بجامعة بغداد .

(٢١) الفتح الوهبي ٤٧ ، اما البيت الذي انشده قبل ذلك . فقوله :

وكان ابنا عدو كاثراه ... له ياءي حروف انيسيان

(انظر العكبري ٢٦١/٤) .

(٢٢) مختصر تفسير ابيات معاني المتنبي (المقدمة) .

(٢٣) شرح الواحدي ٤ وكشف الظنون ٨١٠/١ .

مقدمة المؤلف

بســـــم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمد المقر له بالقصور عن حـــق حمده العائذ به من التقصير دون بلوغ جهده الراغب من فضله في المزيد المستجير به من التنكير والتنكيد وصلواته على الصادع بما امر القامع لمن كفر محمد المختار وآله الابرار .

سألت ــ اتاك الله سؤلك وبسر لك مامولك ــ ان اتتبع شعر ابي الطيب المتنبي فاستخرج منـه الابيات الغامضة واشرحها لك شرحا يأتي على اغرابه واعرابه حتى تكون لمعانيها متصورا وعلى حل عقدها مقتدرا ، وها انا قد شمرت لاسعافك بما سألت ان كان ظنك بعلمي صادقا والقدر على ما ارومه موافقا وبالله استعين وعليه اتوكل وهو حسبي ونعم الوكيل .

فاقول : ان ما يستبهم معانيه على الاذهان من الشعر ثلاثة اضرب وفي كلها يضرب هذا الديـــوان بسهم ويأخذ منه بقسم ، وانا اضع في كتابي هذا لكل نوع منها مثالا تعرفه وادلك على مثله من شعر هذا الفاضل لتدرج به الى ما ترومه وتتخذه سلما الى ما تعطو له ويكون لك عونا على ما تتوخاه وتلتمسه فلا شيء افتق للخواطر في استنباط المعاني مـــن مهاجستها ولا ابعث للقرائح على استشارتها مـن مكامنها من طول مراسها وعد انفاسها ، والله موفقك وهاديك ومرشدك .

فاول نوع منه هو الذي صدك جهل غريبه عن تصور غرضه وهذا النوع مقسم ثلاثة اقسام :

احدها ما لا يتضمن غير كلام مهجور ولفـظ مستشنع ، وهو كقول الراجز .

امـــا تريني في الوقـــار والعله
قاربت امشي القعولى والفنجله
وتــارة انبث نبشـــا نقثلـــه
خزعلة الضبعان راح الهنبله(١)

يخاطب امراة ازدرته وعيرته شيبه والعلـــه التحير والتبلد يقال : عله يعله علها والقعولي نـــوع من المشي يقلب الرجل فيه رجليه كأنه من عرج ، يقال : مر يقعول . والفنجلة : مشي فيه تقـــارب والنقثلة اثارة التراب كأنه لضعفه لا يملك رجليـــه فهو يجرهما جرا ويثير بهما التراب ، ومثلها النعثلة وبه سمي الرجل نعثلا . والخزعلة والخذعلة بالذال ايضا هما نوع من المشي شر ما فيه التراب ومنه ناقة

(١) الاصمعيات ٢٣٥ـ٢٣٦ لصخير بن عمير .

خزعال اذا كانت تثير التراب اذا سارت ، وليس في كلام العرب فعلال عينه غير لامه غير هذه الكلمة . يقال : مر بخزعل وبخذعل والهنبله نوع من المشي في توادة ، فهذا وامثاله لا يفيد الا معرفة الغـريب فاذا عرف انكشف عن معنى ظاهر وعليه شـــعر ابي حرام العكلي من هذا الجنس ولا تكاد تجد من هذا (٢) . تعالى وبه الثقة .

وهذا القسم تجد منه الكثير في شعر ابي تمام كقولــــه :

احمد بن سعيد اذخر الاسى
فيها رواء الحر يوم ظمائه (٣)

يقول اجعل الاسى وهو من التاسي التعـزي ذخرك واصبر في هذه الرزية فان الحر يـروى يوم عطشه اي يصبر على محنته حتى يحصل له الثواب والشاذ في هذا البيت من الشعر ان الالف واللام في الاسى هي التي بمعنى الذي وتحتاج الى صلة ، يعني ادخر الاسى التي فيها رواء الحر ، وهـــذا كقولك : ضربت الرجل ضربك ، يعني الذي ضربك ومثل ذلك ايضا من شعره قوله (٤) :

أتت النواى دون الهوى فاتى الاسى
دون الاســـى بحرارة لم تبـــرد (٥)

اي حالت النوى بيني وبين من اهواه واتـــى الحزن دون العزاء ، اي حال دونه بحرارة وجد لـــم تبرد ، وقوله (دون الهوى) يريد من اهواه ، يقال : فلان هواي ، يريد من اهواه كانه سمى بالمصدر ، اي هو ذو هو اي ، كما يقال : فلان معرفتي وودي ، اي ذو معرفتي وذو ودى ، فاما في شـــعر ابـــي الطيب ، فهذا القسم ايضا موجود واظنه كـــان يتعمد الى ذلك تصديقا لقوله :

انام ملء جفوني عن شواردهـــا
ويســـهر الخلق جراها ويختصم (٦)

فمن ذلك قوله :

احـــاد ام ســــــداس في احـــاد
لييلتنـــــا المنوطـــة بالتنـــاد (٧)

(٢) الكلام هنا منقطع غير متصل مما يدل على وقوع بعـــض صفحات من المخطوطة .
(٣) ديوان ابي تمام ٣١٣ بيروت ١٨٨٩ وفيه (ان اسى الفتى).
(٤) أي ابي تمام .
(٥) ديوان ابي تمام بشرح التبريزي ٢/٤٤ .
(٦) ديوان المتنبي بشرح العكبري ٣/٢٦٧ .
(٧) المصدر السابق ١/٣٥٣ .

احاد وسداس معدولتان عن واحد وستة ، وقوله (ليبلتنا) تصغير ليلة ، اراد بذلك تصغير التنظيم ، كقول لبيد :

دويهية تصفر منها الانامل (٨)

وقوله (في احاد) في بمعنى التوعيه وليس يعني بها ضرب ستة في احد ، كقول القائل : كم ستة في خمسة . بل هو كقولك خمسة دراهم في الكيس ، يريد واحدة هذه الليلة ام ستة جمعن في واحدة ، وخص ستة ولم يقل عشرة وهي اكثر لانه اراد الاسبوع لان ستة اذا جمعت في واحدة صارت سبعة وهي ليالي الاسبوع ؛ وكان ذلك اولى لانه زمان معلوم كالشهر والسنة وما شاكل ذلك ؛ ولو قال عشرة لقال المتعنت فهلا قال : مائة وهي اكثر ، وادى ذلك الى ما لانهاية له .

وقد ذكر الشيخ ابو الفتح في كتاب له فسر فيه ابياتا انتزعها من جملة ديوانه (٩) ، فقال : خص ستة لان الله تعالى خلق السموات والارض في ستة ايام فكان ذكرها اولى لانها العدد الذي فرغ الله تعالى فيه من هذا الخلق العظيم وليس ذلك بممتنع الا ان تلك الستة ايضا اذا جمعت واحدة صارت سبعة ، فان قال قائل : ان قوله (في احاد) حينئذ يكون بمعنى الضرب وستة في واحدة ستة فهولعمري كذلك ويكون فيه تعسف غير مفيد ، وستاتي اخوات هذا البيت وما يجرى مجراه من عويص معانيه في مواضعها من هذا الكتاب ان شاء الله وبه الثقة .

القسم الرابع (١٠) : هو الالغاز الصريح ، كقول الشاعر :

وصادرة معا والورد شتى
على ادبارها اصلا حدوت
وعاربة لها ذنب طويل
رددت بمضغة مماشتهيت(١١)

معنى قوله (وصادرة معا والورد شتى) سهاما رماها فوردت متفرقة ، يعني وردت الرمية فلما التقطها من مساقطها ، صدرت عن مواردها مجتمعة ، وحدا على ادبارها يعني ارتجز حين رماها على عادتهم في الحروب ، وعارية لها ذنب طويل يعني نارا لا تكون الا عارية وردها بمضغة يعني كب عليها مضغة مما اشتهى من اللحوم فكانه رد المضغة على وجهها وهذا الجنس في اشعارهم اكثر من ان يحصى ، وفي شعر ابي الطيب من هذا الباب قوله :

لا ناقتي تقبل الرديف ولا
بالسوط يوم الرهان اجهدها
شراكها كورها ومشفرها
زمامها والشسوع مقودها
اشد عصف الرياح يسبقه
تحتي من خطوها تايدها (١٢)

يعني نعله ، وهي ناقته التي يمتطيها وقد كرر هذا المعنى في شعره فقال في قصيدة اخرى :

وحبيت من خوص الركاب باسود
من دارش فغدوت امشي راكبا (١٣)

يعني خفه او تمشكه المتخذ من الدارش الاسود وهو من الجلود غير الادم كالارندج ، فهو راكبه وهو مع ذلك ماش وشبه الشراك بالكور لانه فوق النعل كما ان الكور فوق الناقة ، ومشفر النعل كالزمام لانه يستمسك باصابع الرجل وشسعه بالمقود لانه يشد الى الشراك من مشفر النعل فكانه مقود يقاد به ، وزعم ان تأيده فيها يسبق اشد عصف الرياح ، يريد بذلك قول الناس : فلان يباري الريح جودا ، اي يسابقها الى الجود ، لا انه يسبق الريح على الحقيقة ، ومثله قوله :

وقد طرقت فتاة الحي مرتديا
بصاحب غير عزهاة ولا غزل (١٤)

العزهاة : الذي لا يحب اللهو ولا النساء ، والغزل الذي يحب ذلك ، يعني سيفه الذي ارتداه ، وهو قليل في شعره .

النوع الثالث : ولا اقسام له وهو ما عماه اعرابه لمجاز فيه او حذف من اللفظ او تقديم وتأخير سوغه الاعراب ، وذلك كابيات الالقاء التي منها :

محمد زيدا واقتل ابني فانه
أحب الى قلبي من السمع والبصر(١٥)

---

(٨) شرح ديوان لبيد ٢٥٦ .

(٩) يقصد كتاب ابن جني الموسوم بالفتح الوهبي على مشكلات شعر المتنبي وقد فرغنا من تحقيقه وسيصدر عن وزارة الاعلام العراقية .

(١٠) هذا دليل اخر على سقوط صفحات المخطوطة اذ لم يتقدم هذا القسم الرابع ثلاثة اقسام . ولعلها اقسام النوع الثاني .

(١١) لعمرو بن قعاس في الطرائف الادبية ٧٣ .

(١٢) العكبري ٣٠١/١ .

(١٣) العكبري ١٢٥/١ .

(١٤) العكبري ٧٨/٣ .

(١٥) لم نعثر عليه في مكان اخر .

هكذا ينشده من يغالط فلا تفهم كيف امربقتل ابنه وهو احب اليه من سمعه وبصره ولم يجرمحمدا وهو منادى مفرد علم وانما يريد اقت لابني،اي اخدم له والقتو الخدمة ، والمقتوي الخادم ، من قول الشاعر :

متى كنا لامك مقتوينا (١٦)

ومحم منادي مرخم ثم قال : دزيدا من الديه ومنه قول ذي الرمة :

كانما عينها منها وقد ضمرت
وضمها السير ضمها في الاضاميم(١٧)

الاضا : جمع اضاه غدير الماء . وميم هذا الحرف المكتوب موضعه الرفع لانه خبر كانما، ومثله للفرزدق :

معلق ها من لم تنله سيوفنا
بأسيافنا هام الملوك الخضارم (١٨)

يريد (ها) للتنبيه من الذي لم تنله سيوفنا، وهام الثانية مفعول معلق . ومثله :

عافت الماء في الشتاء فقلنا
برديه تضاد فيه سخينا(١٩)

---

(١٦) لعمرو بن كلثوم من معلقته في شرح القصائد السبع لابن الانباري ٤٠٢ وصدره : تهددنا وتوعدنا رويدا .
(١٧) ديوان ذي الرمة ٥٨٠. وفيه (واحتثها السير في بعض الاضاميم) .
(١٨) لا يوجد في ديوان الفرزدق .
(١٩) في معجم الادباء ٢٧٢/٦ .

هكذا ينشده المغالط ، وانما يريد بل رديه فادغم اللام في الراء لقرب مخرجيهما ، يريد قلنا لابلناردي قد مضى الشتاء وسخن الماء ، وهذا باب متسع وتكثر شعبه ، وفي شعر ابي الطيب منه قوله :

حملت اليه من لساني حديقة
سقاهاالحجى سقي الرياض السحائب(٢٠)

فرق بين المضاف والمضاف اليه بلفظ الرياض، يريد سقى السحائب الرياض وهذا كثير في شعر العرب ، فمنه قول الطرماح :

يصفن بحوزي المراتع لم يرع
بواديه من قرع القسي الكنائن(٢١)

يريد من قرع الكنائن القسي ، ومثله لذي الرمة

كأن اصوات من ايغالهن بنا
اواخر الميس اصوات الفراريج (٢٢)

يريد كان اصوات اواخر الميس ، ومثله :

لما رات ساتيدما استعبرت
لله در اليوم من لامها (٢٣)

يريد در من لامها اليوم ، وسيمر بك من باب الاعراب في شعره مواضع .

---

(٢٠) العكبري ١٥٨/١ .
(٢١) ديوان الطرماح ٤٨٦ .
(٢٢) ديوان ذي الرمة ٧٦ .
(٢٣) الوساطة ٤٦٤ والفسر ٣٥٢/١ .

أول الكتاب

وهذا اول ما نبدأ به من ابيات ابي الطيب المتناصة ، قوله :

قلق المليحة وهي مسك هتكها
ومسيرها في الليل وهي ذكاء(٢٤)

قلقها : يعني حركتها في مشيتها ، وهتكها مصدر هتك فلان الستر هتكا ، وهو مصدر فعل متعد ، ولو اتى بمصدر لازم كان اقرب الى الفهم : كانه لو قال : انهتاكا كان أجود من حيث الصنعة واقرب الى المفهوم الا انه تبع الوزن ، وقوله : ومسيرها ، مبتدأ وخبره محذوف لعلم المخاطب : وكانه يقول : ومسيرها في الليل هتك لها ايضا اذ كانت ذكاء ، وذكاء اسم للشمس علم لا ينصرف ؛ ومثل هذا كثير في اشعار القدماء والمحدثين الا ان قوله (وهي مسك) زيادة على كثير من الشعراء ممن تقدمه اذ كان لم يجعل هتكها من قبل الطيب الذي تستعمله ، وكانه الم بقول امريء القيس :

الم ترياني كلما جئت طارقا
وجدت بها طيبا وان لم تطيب (٢٥)

ويقول الاخر :

درة كيفما اديرت اضاءت
ومشم من حيثما شم فاحا (٢٦)

فاما المعنى المتداول ان الطيب يهتك من استعمله اذا اراد كتمان امره ، فكثير ، ومن ذلك قول بشار :

رب قول من سعاد لنا
قد حفظناه فما رفعا
املي لا تات في قمر
لحديث واتق الدرعا
وتوق الطيب ليلتنا
انه واش اذا سطعا (٢٧)

واجود منه قول اخر محدث تقدم ابا الطيب :

ثلاثة منعتها من زيارتنا
وقد دجا الليل فوق الكاشح الحنق
ضوء الجبين ووسواس الحلي وما
يطيب اردانها من عنبر عبق

هب الجبين بفضل الثوب تستره
والحلي تنزعه ما الشأن في العرق(٢٨)

قوله : ومسيرها في الليل وهي ذكاء ، يشبه قوله ايضا :

رات وجه من اهوى بليل عواذلي
فقلن نرى شمسا وما طلع الفجر (٢٩)

والاصل في ذلك قول القائل :

عجبت لمسراها واني تخلصت
الي وباب السجن دوني مغلق
عجبت لمسراها وسرب سرت به
تكاد له الارض البسيطة تشرق(٣٠)

انما تعجب من كتمان الليل معضوئهاوحسنها، ولولا ذلك لم يكن لتعجبه وجه .

وقوله :

مثلت عينك في حشاي جراحة
فتشابها كلتاهما نجلاء (٣١)

هذا البيت ظاهر المعنى الا اني شاهدت كثيرا من الفضلاء يغلطون في معنى قوله (مثلت عينك في حشاي جراحة) ويظنون ان معناه : خيلتها الي وصورتها عندي جراحة .

ويقولون : هذا كما تقول فلان غصة في صدري وشجى في حلقي ، وان لم يكن ذلك حقيقة يراد به هو يحل محل الغصة من الصدر والشجى من الحلق، وكذلك هذه العين تحل محل الجراحة في حشاي ، وهذا كقوله في شعره ايضا :

ممثلة حتى كأن لم تفارقي
وحتى كان الياس من وصلك الوعد(٣٢)

وقوله ايضا :

كانت من الحسناء سولي انما
اجلي تمثل في فؤادي سولا (٣٣)

اي تخيل ، وهذا خطأ فاحش ، اذ كان اخر البيت ينقض هذا القول بقوله : فتشابها ، اذ هي عين

---

(٢٤) العكبري ١٣/١ .
(٢٥) ديوان امريء القيس ٦٦ .
(٢٦) في العكبري ١٣/١ دون نسبة .
(٢٧) ديوان بشار ١٠٦/٤ والمختار من شعره ٩٧ .

(٢٨) لابي المطاع بن ناصر الدولة في العكبري ١٤/١ ورواية عجز البيت الثاني فيه (وما يفوح من عرق كالعنبر العبق) وكذلك ذكره الواحدي .
(٢٩) العكبري ١٢٢/٢ .
(٣٠) دون نسبة في الزهرة ٢٦٢/١ مع اختلاف يسير في الرواية وهو لجعفر بن علبة الحارثي في شرح الحماسة للمرزوقي ٥٢/١ .
(٣١) العكبري ١٤/١ .
(٣٢) العكبري ٢/٢ .
(٣٣) العكبري ٢٣٢/٣ .

واحدة وتشابها فعل اثنين ، ومعنى البيت : مثلت اي احدثت لعينك مثالا في حشاي ، اي جرحته جراحة واسعة مثل عينك وهذا كما تقول : مثلت للغلام خطا حسنا ، اي جعلت له مثلا للحروف يكتب مثلها ، ولعمري ان اشتقاق البابين جميعا من المثال والمثل ، ولكن اختلف المعنيان من حيث اختلاف الوضع ، فيقول : ان عينك والجراحة التي اجدها في قلبي تشابها في النجل وهو سعة العين وسعة الطعنة ..

وقولـــه :

نفذت علي الســـابري وربمـــا
تنـــدق فيه الصعدة السمراء (٣٤)

السابري : يحتمل معنيين احدهما ان يعني الثوب الرقيق واصله ان صاحب البز يعرض من ثيابه رقيقه وما لا يؤبه له قبل الجيد ، فصار كل من يعرض شيئا لا يريد العفاء به ، يقال له : عرض علي عرضا سابريا ، وقد قال الشاعر :

تجـافى عن المأثور بيني وبينهـــا
وبدي علينا السابري المضـلعا (٣٥)

يريد ثوبا رقيقا او درعا والثاني انه يريد الدرع وانما سميت بذلك لما فيها من الخروق ، وقد تكون السابري ايضا الذي يسبر الجرح في قول الاعشى :

ترد على السابري السبارا (٣٦)

والسبار الفتيلة التي يسبر بها الجرح فاذا عني به الثوب الرقيق فانما يريد نفذت عينك السابري الى قلبي ، ويكون قوله (تندق فيه الصعدة السمراء) حينئذ يريد به ان قميصي شديد على الرمح نفوذه لهيبتي في القلوب ولان الشجاع موقى ، ويكون المعنى كقوله ايضا :

طوال الردينيات يقصـفها دمـــي
وبيض السريجيات يقطعها لحمي (٣٧)

واذا عنى الدرع فلا تحتاج الى ذا التاول وانما يريد ان عينك وصلت الى قلبي فجرحته ولم تحرق الدرع او القميص كما قال هو ايضا :

راميات بأســـهم ريشـــها الهدب
تشق القلـــوب قبل الجلود (٣٨)

---

(٢٤) العكبري ١/١٥ .
(٣٥) لامريء القيس في المعاني الكبير لابن قتيبة ٢/١٠٧٠٦ .
(٣٦) دون نسبة في لسان العرب ٦/٣ ولم نجده في ديوان الاعشى طبعة الدكتور محمد حسين .
(٣٧) العكبري ٤/٥٠ .
(٣٨) العكبري ١/٢١٤ .

وانما معنى هذين البيتين من قول جميل بن معمـــر :

وما صـــائب من نابل قذفت بنـــه
يـد وممـر العقـــدتين وثيـــق
على نبعـــة زوراء ايمـــا خطامهـــا
فمتـــن وايمـــا عودهـــا فعتيـــق
بأوشك قتـــلا منـــك يـــوم رميتنـــي
نوافذ لـــم يعلم لهـــن خـــروق (٣٩)

والذي اتى باغرب من هذا في هـــذا البـــاب القـــائل :

رمتني بطـرف لو كميا رمته بـــه
لبل نجيعا نحـره وبنائقـــه (٤٠)

فانه وان لم يذكر حرق جلده فقد عرض بـان مثل رميها ما يبل الكمي نجيعا غير اني لم ادم لانـه لم يجرح يدي وانما وصل الى قلبي قبل جســـمي ، وقولـــه :

انا صخرة الوادي اذا ما زوحمـــت
فاذا نطقت فانتـــي الجـــوزاء (٤١)

صخرة الوادي هي اتان الضحل وهي صخرة تكون في الوادي قد بل الماء اسفلها فازدادت رسوخا في الارض .

....
(٤٢) ....

فلولا خوف خالقها لقلعتها حسدا ، فهذا يغار على حبيبه من عينه لمباشرتها اياه بالنظر ، كما ان قلب ابي الطيب يحسد عينه على مباشرتها للممدوح بالنظـــر .

وقوله : ولاقى دون ثايهم طعـــانا
يلاقي عنده الـــذئب الغـــراب (٤٣)

الثاي جمع ثأيه وهي الحجارة حول البيـوت تبني فيأوي اليها الراعي ، قال الراجز .

اصبحـت بـين سـمعة وسـمع
صرعن ثاياتي اشـد الصـرع (٤٤)

وقوله (يلاقي عنده الـــذئب الغـــراب) اي يجتمعان عليه لاكل الموتى ، اي لاقى طعانا شـديدا

---

(٣٩) ديوان جميل ١٥١ .
(٤٠) لابن الدمينة في لسان العرب ١١/٢١٠ .
(٤١) العكبري ١/١٥ .
(٤٢) بياض في الاصل . وقد سقط فيه البيت الذي ذكر شرحه بعد ذلــك .
(٤٣) العكبري ١/٨٣ .
(٤٤) الفســـر ١/٢٠٠ .

لابد فيه من القتل . والاصرمان الذئب والغراب ؛ سميا بذلك لانهما انقطعا عن الناس ، قال المرار :

علــى صرمــاء فيهــا اصرماهــا
وخريت الفـلاة بها مليـــل (٤٥)

وقيل سميا بذلك لان احدهما انصرم عـــن صاحبه فلا يلتقيان الا عند ميتة ثم يصرم احدهما وصال صاحبه ، وصرماء ارض بعيدة عن الماء ، فهذا ما عناه ابو الطيب .

وقولـــه :

ولـــم تـــرد حيـــاة بعد توليـــة
ولم تغث داعيا بالويل والحرب (٤٦)

هذا البيت ظاهر المعنى وانما ذكرناه خشيــة ان يظن ظان ان قوله (بالويل والحرب) متعلق (تغث) فانه يكون حينئذ ذما وهجوا ، بل كيف تكون الاغاثة بالويل والحرب وانما يغاث الانسان بما يزيل الويل والحرب ، كما قال ايضا :

ومنفعة الغوث قبل العطب (٤٧)

وليس يعني هذا وانما الباء متعلقةبقوله(داعيا) يقـــال :

دعوت الويل ودعوت شجني ودعوت ثبوري .

كما قال تعالى (لا تدعوا اليوم ثبورا واحــدا وادعوا ثبورا كثيرا) (٤٨) وقال الشاعر :

واذا دعـت قمريــة شجنا لهــا
يوما على فنن دعوت صباحــي(٤٩)

وقد يقال : دعوت فلانا ودعوت بفلان ودعوت باسم فلان ، كما قال الاخر :

دعا باســم ليلـى غيرهـا فكانمـا
اطار بليلى طائرا كان في صدري(٥٠)

وقال اخـر :

تداعين باســم الشيب في متثلـم
جوانبــه من بصــرة وســلام (٥١)

وقال آخر :

فمن يرتجيكم بعـــد نائلة التـــي
دعت ويلهــا لما رأت ثار غالب (٥٢)

(٤٥) لسان العرب ٢٣١/١ .
(٤٦) العكبري ٨٨/١ .
(٤٧) العكبري ١٠٢/١ وصدره (سبقت اليهم مناياهم) .
(٤٨) الآية ١٤ من الفرقان .
(٤٩) لم نعثر عليـه .
(٥٠) ديوان مجنون ليلى ١٦٣ .
(٥١) لذي الرمة في ديوانه ٦٠٩ .
(٥٢) لعمارة بن عقيل في خماسة ابي تمام ٢٥٦/٢ .

وقوله :

جزاك ربك بالاحـــزان مغفـــرة
فحزن كل اخي حزن اخو الغضب (٥٣)

يقول : جزاك الله مغفرة بهذا الحزن الـذي اصابك فقد اثمت به ، قال الله تعالى (لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم)(٥٤) والحزن اخـــو الغضب لاسباب كثيرة فمنها ان الحزن غضب في الحقيقة لانه يغضب لما نال منه الدهر فيحزن ، ومنها ان الرجل يأثم بالحزن ويأثم بالغضب قال الله تعالى (وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين . الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيـظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين)(٥٥) .

ومنها ان الحزن ينال من الانسان ويخلط عليه كما ان الغضب ينال منه ويخلط عليه امره ، وقـد دل على ذلك بقوله ايضا في عضد الدولة :

آخـــر ما الملك معـــزى بـــه
هـــذا الـــذي اثـــر في قلبـــه
لا جزعـــا بـــل انفـــا شابـــه
ان يقـــدر الدهر على غصبـــه (٥٦)

الا تراه فرق بينهما وجعل تاثيره في قلبه لا للجزع ولكن للغضب والانف والحمية ان يقدر الدهر على غصبه ، وكما فسر هذين البيتين فقد فسر قوله (فحزن كل اخي حزن اخو الغضب) بالبيت الذي يليه وهو قوله :

وانتم معشــر تسخو نفوسكم
بما يهبن ولا يسخون في السلب (٥٧)

الا تراه قد دل على ان الحزن اخو الغضب لانه يحزن كيف قدر الدهر عليه ، والحزن والغضب عند المتكلمين شيء واحد وانما تستعمل الغضب على من هو دونك والحزن على فعل من فوقك ، الا ترى ان السلطان اذا غضب رجلا على مال فانه يحزن عليه، ولو سرقه سارق لغضب عليه .

وقولـــه :

وما قضـــى احـــد منهـــا لبانتـــه
ولا انتهـى ارب الا الى ارب (٥٨)

هذا بيت فلسفي البغية وذاك ان كل طالب

(٥٣) العكبري ٩٤/١ .
(٥٤) الاية ١٥٣ من آل عمران .
(٥٥) الاية ١٣٤ من آل عمران .
(٥٦) العكبري ٢١٠/١ .
(٥٧) العكبري ٩٤/١ .
(٥٨) العكبري ٩٥/١ .

حاجة فانه اذا ادركها احدثت في قلبه اربا اخر ، مثال ذلك انك اذا تمنيت ثوبا حسنا فوجدته تمنيت رداء مثله في الحسن تلبسه معه ، فاذا وجدت الرداء تمنى فرسا تركبها فاذا وجدتها تتمنى سلاحا تتجمل به او تستعين به على الاعداء فاذا وجدته تتمنى غلمانا واصحابا فاذا وجدتهم تتمنى ضيعة تعود بفضلها على عيالك واصحابك وتستديم بها تجملك فاذا وجدتها طلبت منزلة من السلطان تحفظ بها نعمتك فاذا وجدتها طلبت الفضل على اضرابك من اصحابه فاذا بلغت الفضل على جميعهم طلبت الملك فاذا نلته طلبت الخلود ، فهذا متعالم واياه عني القائل :

والنفس راغبة اذا رغبتها
واذا ترد الى قليل تقنع (٥٩)

والقائل :

تموت مع المرء حاجاته
وتبقى له حاجة ما بقي (٦٠)

وابو الطيب حيث يقول :

ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته
ما فاته وفضول العيش اشغال (٦١)

ومن هذا قول الحجاج بن يوسف على منبره (ايها الناس اقدعوا هذه الانفس فانها اسأل شيء اذا اعطيت وامنع شيء اذا سئلت فرحم الله امرأ جعل لنفسه خطاما وزماما فقادها بخطامها الى طاعة الله وعطفها بزمامها عن معصية الله ، فاني رايت الصبر عن محارم الله أيسر الصبر على عذابه)(٦٢) .

وقوله :

دار الملم لها طيف تهددني
ليلا فما صدقت عيني ولا كذبا (٦٣)

الالف واللام في (الملم) بمعنى التي ، يريد دار التي ألم لها طيف تهددني . وتهددني الطيف على عادة المحبوب في كثرة الدلال والصلف والايعاد بالهجران والتجنب ، فقال : ما صدقت عيني لانها ارتني ما لم يكن حقيقة ، وما كذب الطيف في التهدد فانه قال : لاهجرنك وقد هجر ، ولابعدن عنك وقد بعد ، ولاعذبنك وقد عذب ، وما اشبه ذلك وقوله (ما صدقت عيني) معنى قول جران العود :

سقيا لزورك من زور أتاك به
حديث نفسك عنه وهو مشغول (٦٤)

واظهر من ذلك قول ذي الرمة :

اراني اذا هومت يامي زرتني
فيانعمتا لو ان رؤياي تصدق (٦٥)

وقد قال البحتري :

سرى من اعالي الشام يجلبه الكرى
هبوب نسيم الريح تجلبه الصبا
ولو كان حقا ما اتته لاطفأت
غليلا ولافتكت اسيرا معذبا (٦٦)

وقد ملح بعض المحدثين في هذا المعنى مع اكثارهم فيه :

قد جاد طيفك لي بوعدك
وادالني من طول صدك
ودنا الي معانقا ومصافحا خدي بخدك
وظفرت منك بما هويت بحمد طيفك لا بحمدك
وحللت عقد ازاره
حل الخيانة عقد ودك (٦٧)

وانما اوردنا هذا البيت ومعناه ظاهر لان من الناس من يظن ان (عيني) في قوله (فما صدقت عيني) مفعول وفاعل صدقت الطيف انثه لانه يعني امرأة وهذا كما تقول :

صدقت زيدا الحديث ، وصدقتك سن بكري في المثل الجاري فان هذا التاويل لا يغير المعنى ولكنه رديء في صناعة الشعر ان يكون ضمير شيء واحد مذكرا ومؤنثا يؤتى به في بيت واحد .

وقوله :

ادمنا طعنهم والقتل حتى
خلطنا في عظامهم الكعوبا (٦٨)

كعب الانسان جمعه كعوب وكذلك كعب الرمح جمعه كعوب .

قال الشاعر :

وكنت اذا غمزت قناة قوم
كسرت كعوبها او تستقيما (٦٩)

وانما اوردنا هذا البيت ليعلم انه يعني كعوب الرمح لا كعوب الرجل لان الكعب ايضا من العظام ، وانما اراد ان كعوب الرماح كسرناها فيهم لكثرة

(٥٩) لابي ذؤيب الهذلي في جمهرة أشعار العرب ١٢٩ .
(٦٠) دون عزو في العكبري ٩٥/١ والفسر ٢٢٦/١ .
(٦١) العكبري ٢٨٨/٣ .
(٦٢) في جمهرة خطب العرب ٢٨٨/٢ وعيون الاخبار ٢٤٧/٢ .
(٦٣) العكبري ١١٠/١ .
(٦٤) ديوان جران العود ٥٥ .
(٦٥) ديوان ذي الرمة ٣٩٠ .
(٦٦) ديوان البحتري ٥١/١ .
(٦٧) لم نعثر عليه .
(٦٨) العكبري ١٢٨/١ .
(٦٩) لزياد الاعجم في الفسر ٣٠٦/١ .

طعنهم حتى اختلطت بعظامهم ، ولقائل ان يقول : يعني قطعنا الارجل وكسرنا الاذرع والاسوق حتى صارت الكعوب مخالطة غيرها من العظام ، وحسن ذلك لما كان الكعب لا يسمى به غير تلك الهنة الناتئة في الرجل ، وغيرها عظم ، ويكون هذا كقوله :

حتى تتلاقى الفهاق والاقدام (٧٠)

يعني قطعت الرؤوس والارجل فاختلطت الفهاق وهي مواصل الرؤوس في الاعناق بالاقدام ؛ الا ان المتنبي ما اراد غير المعنى الاول اذ كانت الصنعة فيه ، والغرض تشبيه كعوب الرمح بمفاصل العظام وجمعه بينهما في الحرب وفي الشعر .

وقال الشيخ ابو الفتح : ادمنا اي خلطنا وجمعنا ويدعى للمتزوجين فيقال ادم الله بينكما وانشد :

اذا ما الخبز تادمه بسمن
فذاك امانة الله الثريد (٧١)

وهذا جيد ولا يمتنع ان يكون (ادمنا) من الادامة بل الادامة احسن اذ كان يعني انا لم نترك طعنهم حتى اختلطت العظام بكعوب الرماح وخلط الطعن بالقتل لا فائدة فيه كثيرة لذكره فانهما مختلطان وان لم يقله ابو الطيب .

وقوله :

كان نجومه حلي عليه
وقد حذيت قوائمه الجبوبا (٧٢)

شبه النجوم بالحلي على الليل واراد ان يصفه بالسبوغ فقال :

وقد حذيت قوائمه الجبوبا ، والجبوب الارض ، يعني كان الليل جعل الارض له حذاء فهو من السماء متصل بالارض ويجوز ان يعني بذلك طول الليل يريد ان الارض اذا كانت له نعلا فما يقدر على خلعها لانه يريد المشي فيها ، وكانه نوى ان يشبه الليل بفرس ادهم عليه جلي من ذهب او فضة وقوائمه منعلة بالارض ، وكانه نظر في هذا البيت الى قول امريء القيس يصف فرسا اغر :

كان الثريا علقت في مصامه
بامراس كتان الى صم جندل (٧٣)

يريد بصم الجندل صلابة حوافره الا ان المتنبي لم يفصح بهذا ولقائل ان يقول : هذه دعوى لا حجة عليها ، فلعمري ان هذا لكما يقول الا ان الشعر

(٧٠) العكبري ٢٤٧/٣ وصدره (والذي يضرب الكتائب حتى) .
(٧١) الفسر ٣٠٦/١ دون نسبة .
(٧٢) العكبري ١٣٩/١ .
(٧٣) في شرح القصائد السبع لابن الانباري ٧٩ قال : وفي البيت تفسيران ان يكون وصفا لليل او وصفا للفرس .

يحمل معناه على احسن ما يقدر عليه تحقيقا او مجازا .

وقوله :

اعيدوا صباحي فهو عند الكواعب
وردوا رقادي فهو لحظ الحبائب (٧٤)

يريد : ردوا الكواعب حتى يعود صباحي ، اي دهري ليل كله ولا صباح لي الا وجوههن وحقق ذلك بقوله :

فان نهاري ليلة مدلهمة (٧٥)

ويجوز ان يعني ليلي طويل فلو اعدتم الي الكواعب لقصر ليلي وعاد صبحي ، وهذا تمحل ، والمعنى ما قد مر ذكره ، وقوله (وردوا رقادي فهو لحظ الحبائب) .

اللحظ هاهنا مصدر لحظته الحظ لحظا وليس باللحظ الذي يعني به العين او الجفن وانما قلت هذا لئلا يتوهم ذلك متوهم فيفسد المعنى وذاك ان اكثر ما يستعمل اللحظ في معنى العين ، وهذا كقوله ايضا في مكان اخر :

فبلحظها نكرت قناتي راحتي (٧٦)

يعني مصدر لحظت ايضا اي بنظري اليها ومثله اللمح والرمق ، يقال : لمحته بعيني المحه ورمقته ارمقه رمقا ، ومثل هذا ايضا قوله :

ينثني عنك آخر اليوم منه
ناظر انت طرفه ورقاده (٧٧)

وهو معنى البيت الاول كرره .

وقوله :

أتاني وعيد الادعياء وانهم
اعدوا لي السودان في كفر عاقب (٧٨)

كفر عاقب قرية بالشام وهي كفور كثيرة مثل كفرطاب وكفر اليهود وكفر توثي وكفر سابا وكفر سلام . والسودان جمع اسود سالخ يجمع على اساود وعلى السودان ولا تجمع سالخ كما قالوا : ابارص ، في سام ابرص ، قال الراجز :

والله لو كنت لهذا خالصا
لكنت عبدا ياكل الابارصا (٧٩)

فجمعوا الاسم الثاني وقد يقال : سوام ابرص بجمع الاسم الاول وقد جمعت سام ابرص على البرصة ، وقالوا : ليس في كلام العرب جمع افعل

(٧٤) العكبري ١٤٧/١ .
(٧٥) في العكبري ١٤٧/١ وعجزه (على مقلة من فقدكم في غياهب) .
(٧٦) في العكبري ١٦٣/٢ وبقيته (ضعفا وانكر خاتماي الخنصرا) .
(٧٧) العكبري ٤٧/٢ .
(٧٨) العكبري ١٥١/١ .
(٧٩) الفسر ٢٨٨/١ ولسان العرب ٥/٧ .

على فعلة الا هذه الكلمة ، يريد أعدوا لي الداهي ومكروا بي ، ثم قال :

ولو صدقوا في جدهم لحذرتهم
فهل في وحدي قولهم غير كاذب(٨٠)

فبين بهذا البيت انهم اعدوا له وشايات وكلاما وادعى انهم ادعياء الى جدهم وليسوا بمحققين في انسابهم بل هم كاذبون فقال : لو كانوا صادقين في انتسابهم لحق لي حذرهم والتوقي منهم ، فاما الان وقد شاع كذبهم فكل ما وشوا به علي معلوم انه كذب ، يقول فهل يجوز ان يكون قولهم في وحدي صادقا وقد علم انهم كاذبون .

وقوله :

اناس اذا لاقوا عدى فكانما
سلاح الذي لاقوا غبار السلاهب(٨١)

يريد اذا لاقوا اعداءهم كان سلاحهم عندهم ما لا يعبأ به كالغبار الذي تثيره خيلهم السلاهب وهذه الالف واللام التي مر ذكرها في شرح قوله (وكذا الكريم اذا اقام ببلدة)(٨٢) يريد : فكان سلاح اعدائهم غبار الخيل التي ركبوها الطوال ، لقلة احتفالهم به، ولولا هذا التأويل لكان تخصيصه السلاهب نافرا مستهجنا ، فقد علم ان الفارس اذا قال : الفرس سلهب فانما يعني فرسه الذي هو راكبه ، الا ترى الى قول حندج بن البكاء قاتل زهير بن جذيمة (ضربته والسيف حديد والساعد شديد)(٨٣) كيف يسبق الى وهمك انه يريد سيف نفسه وساعده .

وقد قال الشيخ ابو الفتح : خص السلاهب لانها اسرع فغبارها اخف والطف ، وهذا التمحل لاخفاء به وباضطرابه ، وقوله :

يقولون تاثير الكواكب في الورى
فما باله تاثيره في الكواكب(٨٤)

تاثيره في الكواكب : اثارته الغبار حتى لاتظهر ليلا وحتى يزول ضوء الشمس بالنهار وحتى تطلع الكواكب بالنهار . قال الشيخ ابو الفتح : وذاك انه يبلغ من الامور ما اراد فكأن الكواكب تبع له وليس تبعا لها .

وهذا وجه في تفسير هذا البيت غير ظاهر ، ولقائل ان يقول : هذه دعوى من تفسيرك ولا يظهر لاحد تاثير في الكواكب اذا بلغ هو ما اراد مخالفا لما ارادت الكواكب بل يظن ان بلوغه ما اراد كان مما ارادت الكواكب ، وما ذكرناه اظهر وابعد من العنت.

وقوله :

لا تجزني بضنى بي بعدها بقر
تجزي دموعي مسكوبا بمسكوب(٨٥)

كنى بالبقر عن النساء (ولا تجزني) دعاء ولفظه لفظ الامر كما تقول : لا تمت زيد ، اذا دعوت له ولو كان خبرا لقال لا تجزيني ولا تموت زيد ، يريد : لا ضنيت كما ضنيت بعدها وان كن قد جرت دموعهن كما جرت دموعي وهذا كقوله :

ابديت مثل الذي ابديت من جزع
ولم تجني الذي اجننت من الم (٨٦)

وقوله ايضا :

تشتكي ما اشتكيت من الم الشو
ق اليها والشوق حيث النحول(٨٧)

وهذا الدعاء كقول الآخر :

فلا يبعد الله الديار واهلها
وان اصبحت منهم برغمي تخلت(٨٨)

لا يبعد جزم لانه دعاء ولو كان خبرا لكان رفعا.

وقوله :

قالوا هجرت اليه الغيث قلت لهم
الى غيوث يديه والشآبيب(٨٩)

يعني ان مصر لا تمطر واذا مطرت خرب كثير منها واهلها يدعون الله ويسالونه كف المطر لان انفسهم متضايقة وبعضها فوق بعض ولا مسيل لمياهها . فهو يقول : لا مني الناس في هجري بلاد الغيث فقلت : تعوضت عنها بغيوث يديه وشآبيبهما. قال الشيخ ابو الفتح : يقول تركت القليل من يدي غيره الى الكثير من نداه(٩٠) .

وليس في قوله (هجرت الغيث) ما يدل على انه هجر القليل من ندى الناس بل يدل على انه هجر الكثير الى الكثير(٩١) . وما قاله الشيخ ابو الفتح بعيد من المحتمل الجيد الا انه لم يتثبت ولو فكر لما عزب عنه هذا القدر ولو عددنا مثل هذا زلة لكان كتابنا الموسوم بالتجني على ابن جني مفرطا في الكبر .

---

(٨٠) العكبري ١/١٥١ .
(٨١) العكبري ١/١٥٣ .
(٨٢) لم يتقدم شرح هذا البيت كما ذكر المؤلف وربما كان ذلك بما سقط من صفحات المخطوطة . والبيت في العكبري١/١٩ وعجزه (سال النضار بها وقام الماء) .
(٨٣) الاغاني ١٠/١٤ وفيه خبر مقتل زهير بن جذيمة .
(٨٤) العكبري ١/١٥٦ .

(٨٥) العكبري ١/١٦٠ .
(٨٦) العكبري ٤/٣٨ .
(٨٧) العكبري ٣/١٤٩ .
(٨٨) لم نعثر عليه .
(٨٩) العكبري ١/١٧٣ .
(٩٠) الفسر ١/٣٧١ .
(٩١) في العكبري ١/١٧٣ والواحدي ٦٣٨ .

المخبّل السعديّ

حياته وما تبقّى من شعره

صنعة

حاتم الضامن

الاعدادية المركزية ـ بغداد

حيــــاته

المخبل لقب لشاعر مخضرم ، اختلف المؤرخون القدامى في تحديد اسمه ، فهو ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عوف(1) ، وهو الربيع بن ربيعة ، او كعب بن ربيعة(2) . ولكنهم يتفقون على فحولته بين مخضرمي الجاهلية والاسلام(3) . ويصرح الشــاعر باسمه (ربيع) في احد ابياته فيقول :

اذا قال صحبي ياربيــع الا تــرى
اری الشخص كالشــخصين وهو قريب

ويذكر اسم والده وجده في بيت آخر فيقول مخاطبـا الزبرقان :

وابوك بـدر كان مشــترط الخصـى
وابي الجـواد ربيعــة بـن قتــال

ومن حصيلة هذين البيتين نستطيع ان نحدد اسمه فنقول هو ربيع بن ربيعة وينتهي نسبه بعوف بن قتال الذي ذكره في البيت الثاني ، ولم نجد اشارة الى ان اسمه كعب . ولم ينفرد الشاعر بهذا اللقب ، وانما هنالك اكثر من شاعر لقب به منهم المخبل بن شرحبيل ، والمخبل الثمالي(4) والمخبل القيسي(5) . ولكنهم لم يبلغوا في الشهرة ما بلغه المخبل السعدي . ويكنى ابا يزيد(6) واياه عنى الفرزدق بقوله(7) :

وهب القصائـد لي النوابـغ اذ مضـوا
وابو يزيـد وذو القــروح وجــرول

(1) ابن قتيبة ـ الشعر والشعراء ٣٢٣/١ نقلا عن ابي عمرو. وابو الفرج : الاغاني ٤٠/١٢ نقلا عن ابي عمرو وابن حبيب والبكري : السـمط ٨٥٧/٢ .

(2) ابو الفرج ـ الاغاني ٤٠/١٢ والآمدي : الموتلف والمختلف /٢٧٠ والسـمط ٨٥٧/٢ .

(3) ابن سلام ـ طبقات فحول الشعراء/١٢٤ والاغاني ٤٠/١٢ والسـمط /٨٥٧ .

(4) الآمدي : المؤتلف والمختلف ٢٧٠ .

(5) الاغاني ٢٦٤/٢٠ .

(6) كنى الشعراء (نوادر المخطوطات) ٢٩١/٢ .

(7) ديوان الفرزدق ٦١٣ .

ولم نجد مصدرا يكشف لنا من اسباب هذه الكنية ، ولم نعرف له ولدا بهذا الاسم . وكل الاخبار التي بين أيدينا تدل على ان له ولدا هو شيبان الذي خرج مع سعد بن ابي وقاص لحرب الفرس ، فجزع عليه جزعا شديدا ومضى الى عمر بن الخطاب رضوان الله عليه وانشده قصيدته التي يخاطبه فيها فيقول(8) :

اشيبان مـا ادراك ان كـل ليـــلة
فبتتـك فيهـــا والغبوق حبيـــب
اشيبان ان تـابى الجيوش بحـدهم
يقاســون ايامـا لهـن خطــوب

وولدا آخر هو زرارة الذي اخذ بحجر وضرب راس رجل فقتله ، فطلب له المخبل الدية من بغيض بن عامر فتحملها عنه فمدحه بقصيدة(9) ، وتؤيد الاخبار ان زرارة هذا كان شـاعرا ، اورد له ابو الفرج ابياتا يفخر بها(10) ، ويقول ابن قتيبــة : وولده كثير بالاحساء ، وهم شعراء(11) ، وتسكت المصادر عن ذكر غير هذين الولدين .

والمخبل من الشعراء المعمرين ، فقـد عمـر في الجاهليـة والاسلام عمرا كبيرا ، وامتدت بحياته الاحداث امتدادا طويلا ، وقد اشار الشاعر الى بعض مظاهر الكبر التي لازمتـه ، ففـي قصيدته التي يخاطب فيها ابنه شيبان يقول :

فاءن يـك غصني اصبح اليـوم ذاويـا
وغصنك من مــاء الشــباب رطيب
فاءني حنت ظهـري خطوب تتابعـت
فمشـيي ضعيـف في الرجـال دبيـب

وفي قصيدة اخرى يقول :

فلئن رايت الشـيب خـوص لمتـي
من طـول ليـل كائــب ونهــــار

(8) ابو الفرج : الاغاني ٤٠/١٢ .

(9) ابو الفرج : الاغاني ٤٢/١٢ .

(10) ابو الفرج : الاغاني ٤٣/١٢ .

(11) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٣٢٣/١ .

وتتجلى مظاهر ضعفه وكبره من خلال حرصه الشديد ، وجزعه المضني على ولده . ولابد ان يكون هذا الحرص والجزع نتيجة طبيعية لكبر سنه ، وضعف قواه . ولهذا كانت حاجته لابنه كبيرة ، فلم يستطع الصبر عنه حتى كاد ان يغلب على عقله فعمد الى ابله وسائر ماله فعرضه ليبيعه ويلحق بابنه ، وكان به ضنينا ، واخيرا كتب عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الى سعد يامره ان يقفل شيبان ويرده الى ابيه ، ولم يزل شيبان عنده حتى مات .. ومن خلال هذه الاخبار يبدو انه كان كبير السن وانه مات في نهاية خلافة عمر او بداية خلافة عثمان .

ويذكر ابو الفرج[١٢] في خبر عن الاصمعي ان المخبل مر بخليدة بنت بدر اخت الزبرقان بن بدر بعدما اسن وضعف بصره فانزلته وقربته واكرمته ووهبت له وليدة وقالت له : اني آثرتك بها يا ابا يزيد فاحتفظ بها فقال : ومن انت حتى اعرفك واشكرك قالت : لاعليك . قال : بلى والله اسالك . قالت : انا بعض من هتكت بشعرك ظلما ، انا خليدة بنت بدر ، فقال : واسوأتاه منك ، فاني استغفر الله عز وجل واستقيلك واعتذر اليك ثم قال :

لقد ضل حلمي في خليدة انني
ساعتب نفسي بعدها واتوب
فاقسم بالرحمن اني ظلمتها
وجرت عليها والهجاء كذوب

علاقته بخليدة :

تكاد اخبار خليدة تملأ جانبا كبيرا من حياة المخبل ، لما صحبها من اخبار ، وتعلق بها من مسائل ، واثير حولها من مشاكل ، فالاخبار تروي ان المخبل خطب الى الزبرقان بن بدر اخته خليدة ، فمنعه اياها ، ورده لشيء كان في عقله ، وزوجها رجلا من بني جشم . وقد اثار هذا الرد حفيظة الشاعر ، واعتبره انتقاصا لشخصه ، ولهذا كانت آثاره واضحة في شعره ، وقد حمله هذا الشعور على مهاجاة الزبرقان ، وقد لج الهجاء بينهما حتى تواقفا للمهاجاة واجتمع الناس عليهما .

وربما يكون من اسباب المهاجاة الاخرى ، والتي ساهمت في تسعير نار الهجاء انتصار المخبل لبغيض بن عامر بن شماس الذي كان ينازع الزبرقان الشرف ، للصلة التي تربطه ببغيض من حيث النسب ، او الصلات التي كان يقدمها له .

ومهما اختلفت الاسباب التي ادت الى هذه الخصومة ، فانها كانت مجالا من مجالات الفخر ، وميدانا من ميادين الانتصار التي سجل فيها المخبل تقدما على الزبرقان في الهجاء ، والذي نال من اخته فهتكت بشعر المخبل ظلما ، مع اعترافه بضلال حلمه فيها وظلمه لها وكذبه عليها .

شعره وطبقته :

الشعر الموجود بين آيدينا من شعر المخبل يمثل قلة قليلة ، وان كثيرا من ابياته المفردة تدل على انها بدايات لقصائد لم نستطع الحصول عليها ، او الوصول اليها ، او مقاطع من قصائد طويلة لم تحتفظ منها كتب الادب غيرها . اما القصائد الطويلة ، وهي ثلاث فتدل على التزام شعري كامل بنظام القصيدة العربية ، ومواصلة صادقة للنهج الذي سلكه الشعراء القدامى من وقوف على طلل ، الى سؤال عن اهل ، الى حديث عن ناقة قوية . تتبعها صور متلاحقة للحمار الوحشي الذي ينتحي باتانه جانبا بعيدا من الصحراء ، بحثا عن ماء القلات التي لم تبق فيها الا بقية ماء آجن ، ممهدا بذلك لصورة الصياد العجلي الازرق ، الباري لقداحه ، والصانع لاوتاره ، تحسبا للصيد ، ولكنه يخطيء فيلهف امه ، ـ وهي عادة التزم بها الشعراء في بناء قصائدهم ـ منتهيا الى ابيات المديح الذي قدمه لعلقمة بن هوذة .

وكذلك يبدو التزامه في لاميته التي هجا فيها الزبرقان والتي يسلك فيها المسلك نفسه ، ويتابع النقلات الشعرية عينها ، ويلتزم باشكال البناء الهيكلي الذي تعارف عليه الشعراء ، واصبح تقليدا شعريا معروفا ، نهجه الشعراء في كثير من قصائدهم ، وخرجوا عنه في بعض الاحيان لاسباب فنية او موضوعية .

وفي هذا الالتزام تبدو مكانة الشاعر بين اقرانه . وفي ظل هذا المنهج الشعري الواضح اكتسب الشهرة التي حملت ابن سلام على وضعه في الطبقة الخامسة ، وفرضت على الاخرين من النقاد ان يمنحوه هذه الثقة في الاستشهاد .

ان لوحات الشاعر ومعانيه التي بثها في ثنايا قصائده ترسم الخطوات الذاتية التي اعترضت مسيرته فهو يتحدث فيها عن قومه وايامهم ، وفخره بامجادهم ، وخصومته للزبرقان ، وهجائه للحطيئة ، ومديحه لبغيض بن شماس ، وتشوقه لابنه شيبان ، وتصويره لشيخوخته ، واعتذاره لخليدة . وهي علامات بارزة اكتنفت حياته ، واثرت فيها ، وعكست ظواهرها بشكل متميز .

وقد حددنا ـ ونحن نتابع اشعاره ـ ان ظاهرة اخرى واضحة تلوح من خلال هذا التتابع ، وهي ضياع شعره ، وقد اتضحت هذه الظاهرة من خلال الابيات المفردة ، والافكار المتباعدة التي تحملها هذه الابيات ، والفجوات التي يتلمسها المتابع من ثنايا المعاني المتناثرة في مقطعاته ، وخلو الكثير منها من الترابط الفني الذي الفناه في قصائده الكاملة ، وهي ظاهرة ترتبط بظاهرة اخبار ديوانه المضطربة ، لان الاشارات التي ورد ذكره فيها اشارات عرضية ، وقف عندها البكري[١٣] مرة واحدة في حديثه عن بيتين انشدهما ابو علي القالي[١٤] وعلق عليهما .. « هكذا انشدهما غيره ، ولم ينسبهما احد . وقد رايت في بعض حواشي الامهات انهما للمخبل ولم يقعا في ديوان شعره » .

ومن المؤكد ان ديوانه وقع بين يدي محمد بن المبارك صاحب منتهى الطلب الذي اختار له ثلاث قصائد طويلة ، وهي القصائد الوحيدة التي عثرنا عليها كاملة ، لان صاحب المنتهى قال في مقدمة كتابه « ولم اخل بذكر احد من شعراء الجاهلية والاسلاميين الذين يستشهد بشعرهم الا من لم اقف على مجموع شعره ، ولم اره في خزانة وقف[١٥] . وهذا يعني انه استخرج القصائد من مجموع شعره الذي وقف عليه . وفي بلدان ياقوت اشارتان الى مجموع شعره ، الاولى ذكرها في اعقاب ابيات للمخبل قال بعدها[١٦] قال ابو خليفة الفضل بن الحباب حدثني المازني قال : حدثني الاصمعي قال : قرات علي ابي عمرو بن العلاء شعر المخبل السعدي » . والاشارة الثانية ذكرها في حديثه عن المضيقة[١٧] فقال : موضع في شعر المخبل السعدي »

---

(١٢) الاغاني : ١٢/٤٣-٤٤ .

(١٣) السمط /٧١١ .
(١٤) الامالي ٢/٧٧ .
(١٥) المقدمة ـ الورقة ٢ آ من المخطوط .
(١٦) ياقوت ـ معجم البلدان (الاغدرة) .
(١٧) ياقوت ـ معجم البلدان (المضيقة) .

.. وبعد هذا تختفي اخبار الديوان وتضيع مع اختفائه كثير من اخبار الشاعر التي أهلته لان يتبوأ مكانا مرموقا بين المعاصرين له . فابن سلام عده من فحول الشعراء . وجعله في الطبقة الخامسة وقرنه بخداش بن زهير والاسود بن يعفر وتميم بن أبي ابن مقبل(١٨) ، ويبدو ان قدرته الشعرية ، وتفوقه في النظم جعلاه في مكانة شعرية رفيعة بحيث انه كان في مصاف النوابغ وامريء القيس والحطيئة ، فقد اورد ابو الفرج اخبارا عن اجتماعه بالزبرقان وعبدة بن الطبيب وعمرو بن الاهتم يتناشدون الشعر ، وان ربيعة بن حذار الاسدي قال في شعر المخبل : ان شعره شهب من نار الله يلقيها على من يشاء(١٩) .

ان شهرة المخبل وفحولته جعلته في مكان مرموق بين الشعراء الذين استشهد لهم على الرغم من قلة هذا الشعر ، ولم يقتصر الاستشهاد على جانب واحد فقط ، وانما شمل عدة جوانب ، فقد استشهد بشعره اللغويون واصحاب المعاجم كابن دريد والجوهري وابن منظور ، كما استشهد بشعره البلدانيون كالبكري وياقوت .

ولابد لنا ان نعرض في ختام حديثنا عن شعره الى تفاوت احاديث النقاد القدامى عن مقدار شعره فابن سلام يقول عنه وله شعر كثير(٢٠) وابو الفرج يقول : وهو من المقلين(٢١) ، ونحن نذهب الى تاييد ابن سلام في قوله ، لان القصائد الطويلة الموجودة والابيات المفردة التي تدل على انها من قصائد طويلة والمقطعات الشعرية التي تبدو اجزاء من قصائد تثبت ما ذهب اليه ابن سلام .

---

١٨) طبقات فحول الشعراء / ١٢٤ .
١٩) ابو الفرج ـ الاغاني ١٢/٤٤ .
(٢٠) طبقات فحول الشعراء / ١٢٤ .
(٢١) الاغاني ١٢/٤٠ .

***

ما تبقى من شعره

(١)

التخريج :

الاغاني ١٣/١٩٠ عدا الابيات ٩ ، ١١ ، ١٢ نهي في الشعر والشعراء ٤٢٠ مع الابيات ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ١ـ٢ في المقاصد النحوية ٣/٢٣٥ ، ٤ ، ٦ في السمط ٨٦٩ ، ٦ في الكنز اللغوي ١٠ والجمهرة ١/٢٧٢ و ٣/٢١١ والمختار من شعر بشار ٥٨ وبلا عزو في أمالي القالي ٢/٢٤٣ ، ١٣ ، ١٤ في السمط ٩٠٠ ، ١٤ في الفاخر ١٨١ وامالي القالي ٢/٢٦٢ واللسان (حوب) .

هاجر شيبان بن المخبل السعدي ، وخرج مع سعد بن أبي وقاص لحرب الفرس ، فجزع عليه المخبل جزعا شديدا ، وكان قد اسن وضعف فقال :
[من الطويل]

١ ـ أيهلكني شيبان في كل ليلة
لقلبي من خوف الفراق وجيب
٢ ـ أشيبان ما ادراك أن كل ليلة
غبقتك فيها والغبوق حبيب
٣ ـ غبقتك عظماها سناما أو انبرى
برزقك براق المتون أريب
٤ ـ أشيبان ان تأبى الجيوش بجدهم
يقاسون أياما لهن خطوب
٥ ـ ولا هم الا البز أو كل سابح
عليه فتى شاكي السلاح نجيب
٦ ـ يذودون جند الهرمزان كانما
يذودون أوراد الكلاب تلوب
٧ ـ فان يك غصني أصبح اليوم ذاويا
وغصنك من ماء الشباب رطيب
٨ ـ فاني حنت ظهري خطوب تتابعت
فمشيي ضعيف في الرجال دبيب
٩ ـ وما للعظام الراجفات من البلى
دواء وما للركبتين طبيب
١٠ـ اذا قال صحبي يا ربيع الا ترى
ارى الشخص كالشخصين وهو قريب
١١ـ فلا يعجبنك المرء ان كان ذا غنى
ستتركه الايام وهو حريب
١٢ـ وكائن ترى في الناس من ذي بشاشة
ومن شانه الاقتار وهو نجيب
١٣ـ ويخبرني شيبان ان لن يعقني
تعق اذا فارقتني وتحوب
١٤ـ فلا تدخلن الدهر قبرك حوبة
يقوم بها يوما عليك حسيب
١٥ـ اذا قلت ترعى قال سوف تريحني
من الرعي مذعان العشي خبوب

---

١ ـ المقاصد : وأيهلكني شيبان في كل شتوة .
٢ ـ المقاصد : ... أن رب ليلة .
٦ ـ المختار : يقاسون جيش الهرمزان كأنهم تــوارب أحواض

(٢)

التخريج :

الشعر والشعراء ٤٢٠ والاغاني ١٩٦/١٣ والمخصص ١٢/٤ وشرح ديوان الحماسة ٨٦/٤ والخزانة ٥٣٦/٢ والبارع ٩٤ وتهذيب اللغة ٤٠٦/٦ واللسان (رها) .

[من الطويل]

١ ــ لقد ضل حلمي في خليدة ضلة
ساعتب قومي بعدها واتوب

٢ ــ واشهد والمستغفر الله انني
كذبت عليها والهجاء كذوب

---

١ ــ الاغاني انني ساعتب نفسي .. واموت
شرح الحماسة : ضللت لعمري في خليدة انني . المخصص
والبارع واللسان : لقد زل
٢ ــ الاغاني
فاقسم بالرحمن اني ظلمتها وجرت عليها ..

(٣)

التخريج :

المقاصد النحوية ٢٣٥/٣ ، الاول في الخصائص ٣٨٤/٢ وايضاح شواهد الايضاح ق ٤٦ وتحصيل عين الذهب ١٠٨/١ واللسان (حبب) وينسب للمجنون أو لأعشى همدان كما ذكر العيني ٢٣٥/٣ وهو في الصبح المنير ٣١٢ وتخريجه ٣٠٦ وهو بلا عزو في المقتضب ٣٧/٣ والجمل ٢٤٦ والانتصار ٣٢ والاصول ١٦٧/١ وابن عقيل ٦٧٠/١ والايضاح العضدي ٢٠٣ وشرح المفصل ٧٤/٢ واسرارالعربية ١٩٧ والانصاف ٤٠٣ وعجزه في شرح ديوان الحماسة ٢٨٠/٣ بلا عزو وحاشية الصبان ٢٠١/٢

[من الطويل]

١ ــ اتهجر ليلى للفراق حبيبها
وما كان نفسا بالفراق تطيب

٢ ــ اذا قيل من ماء الفرات وطيبه
تعرض لي منها اغن غضوب

---

١ ــ شرح المفصل واسرار العربية : سلمى .... وما كاد

(٤)

التخريج :

اصلاح المنطق ١٤٣ .

[من الطويل]

سيكفيك ضرب القوم لحم معرض
وماء قدور في القصاع مشيب

(٥)

التخريج :

شروح سقط الزند ١١٤٣ وهو بلا عزو في امالي ابن الشجري ١٦٤/١ .

[من الطويل]

نقلت لها فيئي اليك فانني
حرام واني بعد ذاك لبيب

(٦)

التخريج :

فصل المقال ١٣٤ .

[من الطويل]

وقد انهب المعزى فبرت يمينه
وما ضر سعدا ماله المتنهب

(٧)

التخريج :

المعاني الكبير ٤٧٩ واللسان (عصب) .

[من الطويل]

١ ــ رايتك هرّيت العمامة بعدما
اراك زمانا فاصعا لم تعصب

٢ ــ ليالي سعد في عكاظ يسوقها
له كل شرق من عكاظ ومغرب

---

١ ــ اللسان : حاسرا .

(٨)

التخريج :

معجم البلدان (المضيقة) ومراصد الاطلاع ١٢٨٢/٣ .

[من الطويل]

١ ــ فان تك نالتنا كلاب بغزة
فيومك منهم بالمضيقة ابرد

٢ ــ همو قتلوا يوم المضيقة مالكا
وشاط بأيديهم لقيط ومعبد

(٩)

التخريج :

الاغاني ١٩٨/١٣ .

[مجزوء الكامل]

١ ــ ادوا الى روح بن حسان بن حارثة بن منذر
٢ ــ كوماء مدفأة كأن ضروعها حماء اجفر
٣ ــ تأبى الى بصص تسح المحض باللبن الغضنفر

(١٠)

التخريج :

الاغاني ١٩٦/١٣ ، الرابع في معجم ما استعجم ١٢٣٣ .

[من الطويل]

١ - تدارك حزن بالقنا آل عامر
قفا حضن والسكر بالخيل اعسر
٢ - فاني بدا الجار الخفاجي واثق
وقلبي من الجار العبادي أوجر
٣ - اذا ما عقيلي اقام بذمة
شريكين فيها فالعبادي أوجر
٤ - لعمري لقد خارت خفاجة عامرا
كما خير بيت بالعراق المشقر
٥ - وانك لو تعطي العبادي مشقصا
لراشى كما راشى على الطبع ابخر

(١١)

التخريج :

شرح المفصل ٥١/٢ والخزانة ٥٣٥/٢ الاول في كتاب سيبويه ١٥١/١ وتحصيل عين الذهب ١٥١/١ وشرح المفصل ١٢١/١ والتبيان للطرسي ١١٤/١ وفي المؤتلف والمختلف ٢٧٢ للمتنخل السعدي ؟

[من السريع]

١ - يازبرقان اخا بني خلف
ما انت ويب ابيك والفخر
٢ - هل انت الا في بني خلف
كالاسكتين علاهما البظر

---

١ - شرح المفصل : ويل بدل ويب .

(١٢)

التخريج :

اللسان (شرق)

[من السريع]

والزعفران على ترائبها
شرقا به اللبات والنحر

(١٣)

التخريج :

١-٤ في الخزانة ٤٢٧/٣ - ٤٢٨ ، ١-٣ في شرح ادب الكاتب ٣١٣ ، الاول في اللسان (حجج) ، ١-٢ في اللسان ايضا (زبرق) ، الثاني في المعاني الكبير ٤٧٨ وكنز الحفاظ ٥٦٣ واصلاح المنطق ٤١ وجمهرة الامثال ٤٢٧/١ والمستقصى ١١٠/١٠ وتفسير القرطبي ١٨١/٢ والمغرب في ترتيب المعرب ١٠٧/١ ، الثالث في نعلت وافعلت ١٧ والصحاح واللسان والتاج (قهر) والغريب المصنف ٣٤٢ وبلا عزو في ادب الكاتب ٣٤٤ واضداد ابن الانباري ٢٣٥، الرابع في كتاب سيبويه ١٩١/٢ وتحصيل عين الذهب ١٩١/٢ واللسان (أهل) والخزانه ٤٢٧/٣ ، وفي جمهرة اللغة بيت مركب من صدر الرابع وعجز الثاني ١٣١/١ و ٤٣٤/٣ وهو بلا عزو في الاشتقاق ٢٥٤ ، الثاني بلا عزو في الصاحبي ٨١ والبيان والتبيين ٩٧/٣ وعجزه بلا عزو في شرح المرزوقي ٨١١ .

[من الطويل]

١ - الم تعلمي يا ام عمرة انني
تخاطاني ريب الزمان لاكبرا
٢ - واشهد من عوف حلولا كثيرة
يحجون سب الزبرقان المزعفرا
٣ - تمنى حصين ان يسود جداعه
فامسى حصين قد اذل واقهرا

***

٤ - وهم اهلات حول قيس بن عاصم
اذا ادلجوا بالليل يدعون كوثرا

(١٤)

التخريج

[من الطويل]

اساس البلاغة واللسان (غبر) .

فانزلهم دار الضياع فاصبحوا
على مقعد من موطن العز اغبرا

(١٥)

التخريج :

معجم ما استعجم ١٣٧٢ .

[من الطويل]

قال يهجو بني عبشمس من بني تميم :

ابا شرحي بين اجبال طيىء
وبين الوحاف السود من سرو حميرا

(١٦)

التخريج :

الاغاني ١٩٥/١٣ .

[من الطويل]

١ - ان قشيرا من لقاح ابن حازم
كراحضة حيضا وليست بطاهر
٢ - فلا ياكلنها الباهلي وتقعدوا
لدى غرض ارميكم بالنواقر
٣ - اغرك ان نالوا لعزة شاعر
فناك اباه من خفير وشاعر

التخريج :

منتهى الطلب ق ٣٩–٤٠ ، الاول في معجم ما استعجم ٨٢٥ وفي ١٣٢٨ (بين مخفق ومطار) ، ٢ ، ٣ في الموازنة ١/٤٧٩ .

١٣ في معجم ما استعجم ٨٤١ ومعجم البلدان (روضة الاحفار) ، ٤١ في الرسالة الموضحة ١٤٨ ، ٤٢–٤٦ في الاغاني ١٣/١٩٧ .

[من الكامل]

١ ـ اعرفت من سلمى رسوم ديار
بالشط بين مخفق وصحار

٢ ـ وكانما اثر النعاج بهوها
بمدافع الركنين ودع جواري

٣ ـ وسألتها عن اهلها فوجدتها
عمياء جافية عن الاخبار

٤ ـ وكأن عيني غرب ادهم داجن
متعود الاقبال والادبار

٥ ـ تئق يقسم زارع انهاره
بالمر يقسمهن بين دبار

٦ ـ حتى اذا مال النهار وانزفت
عيني الدموع وقلت اي مزار

٧ ـ قربت حادرة المناكب حسرة
خلقت مطية رحلة وسفار

٨ ـ اجدا مداخلة كأن فروجها
بلق الموارد من خلال عفار

٩ ـ ويلي بياض الارض من اخفافها
سمر الطباق غليظة الاصبار

١٠ـ وكانما رفعت يدي نواحة
شمطاء قامت غير ذات خمار

١١ـ وكانها لما غدت ببروية
مسعودة باللحم ام جوار

١٢ـ وكانما علقت. ولية كورها
وقتودها بمصدر عيار

١٣ـ غرد تربع في ربيع ذي ندى
بين الصليب فصبوة الاحفار

١٤ـ فرعى بصوته ثلاثة اشهر
وهراق ماء البقل في الاسآر

١٥ـ حتى اذا اخذ المراغ نسيله
من مدع من خلقه وشوار

١٦ـ ورمى انابيش الشفا ارساغه
من كل ظاهرة وكل قرار

١٧ـ وتجنب القربان واختار الصوى
يعدو بهن كفارس المضمار

١٨ـ ذكر العيون وعارضته سمحج
حملت له شهرين بعد نزار

١٩ـ يرضى بصحبتها اذا برزت له
واشذ عنها الف كل حمار

٢٠ـ فأقالها بقرارة فيها السفا
ظمأى وطل كأنه باسار

٢١ـ وتفقدا ماء القلات فلم يجد
الا بقية آجن اصفار

٢٢ـ فأدارها اصلا وكلف نفسه
تقريب صادقة النجاء نوار

٢٣ـ يغشى كريهتها على ما قد يرى
في نفسها من بغضة ونفار

٢٤ـ ترمي ذراعيه وبلدة نحره
بحصى يطير فضاضه وغبار

٢٥ـ وتفوته نشزا فيلحق معجلا
ربض اليدين كفائض الأيسار

٢٦ـ يعلو فروع قطاتها من اتنه
بملاحل كرحالة النجار

٢٧ـ فتذكرا عينا بطير بعوضها
زرقاء خالية من الحضار

٢٨ـ طرقا من المفدى طريقا صافيا
فيه الضفادع شائع الانهار

٢٩ـ والازرق العجلي في ناموسه
باري القداح وصانع الاوتار

٣٠ـ من عيشه القترات احسن صنعها
بحصا بيد القصباء والجبار

٣١ـ فدنت له حتى اذا ما امكنت
ارساغه من معظم السيار

٣٢ـ واحس حسهما فيسر قبضة
صفراء راش نضيها بظهار

٣٣ـ فرمى فاخطاها ولهف امه
ولكل ما وقي المنية صاري

٣٤ـ فتوليا يتنازعان بينناطع
متقطع كملاءة الانبار

٣٥ـ يتعاوران الشوط حتى اصبحا
بالجزع بين مثقب ومطار

٣٦ـ فبتلك افضي الهم اذ وهمت به
نفسي ولست ... ناء عوار

٣٧ـ وقبيلة جنب اذا لاقيتهم
نظروا الي باوجه انكار

٣٨ـ حييت بعضهم لارجع ودهم
بخلائق معروفة وجوار

٣٩ـ والجار اومن سرحه ومحله
حتى يبين لنية المختار

---

١٠ ـ معجم ما استعجم : ... وبين ذي احفار

٤٠ـ فلئن رأيت الشيب خوص لمتي
من طول ليل كائب ونهار

٤١ـ اني لتـرزاني النوائب في الغنى
واعف عند مشحة الاقتار

٤٢ـ فجزى الاله سراة قومي نصرة
وسقاهم بمشارب الابرار

٤٣ـ قوم اذا خافوا عثار اخيهم
لا يسلمون اخاهم لعثار

٤٤ـ امثال علقمة بن هوذة اذ سعى
يخشى علي متالف الامصار

٤٥ـ اثنوا علي فاحسنوا فترافدوا
لي بالمخاض البزل والابكار

٤٦ـ والشول يتبعها بنات لبونها
شرقا حناجرها من الجرجار

٤٧ـ حتى تاوى حول بيتي هجمة
ابكارها كنواعم الجبار

٤٨ـ وكان خلفتها عطيفة شوحط
عطل براها من خزاعة بـاري

٤٩ـ وبغى بها ماء النطاف فلم يجد
ماء بتنهية ولا بغمار

(١٨)

التخريج :

١ـ٥ في الاغاني ١٣/١٩٤ ؛ ٥ـ٦ في فصل المقال ٣٥٢ ؛ ٦ في معجم ما استعجم ١٢ و ١٧ ؛ ٣٦١ في اللسان (عضض) ٥ في جمهرة الامثال ١/٥٢٠ ومجمع الامثال ١/٣٩٢ وامثال العرب ٧٢ والمستقصي ٢/١١٧ .

قال يمدح بغيض بن عامر بن شماس :

[من الوافر]

١ ـ لعمر ابيك لا القى ابن عم
على الحدثان خيرا من بغيض

٢ ـ اقل ملامة واعز نصرا
اذا ما جئت بالأمر المريض

٣ ـ كساني حلة وحبا بعنس
ابس بها اذا اضطربت غروضي

٤ ـ غداة جنى بني علي جرما
وكيف يداي بالحرب العضوض

٥ ـ فقد سد السبيل ابو حميد
كما سد المخاطبة ابن بيض

٦ ـ فان تمنع سهول الارض مني
فاني سالك سبل العروض

(١٩)

التخريج :

اللسان (نعر)

[من المتقارب]

اذا ما هم اصلحوا امرهم
نعرت كما ينعر الاخدع

(٢٠)

التخريج :

١ـ٣ في الحيوان ٧/١٧٤ ، ١ـ٤ في شرح المفضليات ٣٧٠ ؛ الثاني في اللسان (دهرس) الرابع في النقائض ١٠٦٤ والمحبر ٣٣٨ والمعاني الكبير ٢١١ و ١٢١٤ والجمهرة ٢/١٤٤ والسمط ٣٦٧ ومعجم ما استعجم ١٣٥ وفصل المقال ١٣٣ ومجمع الامثال ٢/١٨٠ والمستقصي ٢/١٩٣

[من الطويل]

قال في تعظيم شان الفيل :

١ ـ اتهزا مني ام عمرة ان رات
نهارا وليلا بلياني فاسرعا

٢ ـ فان اك لا قيت الدهاريس منهما
فقد افنيا النعمان قبلي وتبعا

٣ ـ ولا يلبث الدهر المفرق بينه
على الفيل حتى يستدير فيصرعا

٤ ـ كما قال سعد اذ يقود به ابنه
كبرت فجنبني الارانب صعصعا

---

٢ ـ شرح المفضليات : .... لثمان قبلي . اللسان : فان ابل .... قبل

٣ ـ شرح المفضليات : ولا ينتمي الدهر المواصل بينه عن الفل ... ويصرعا

٤ ـ الجمهرة : واذ قال سعد لابنه اذ يقوده .

(٢١)

التخريج :

الابيات [١ ـ ١٠] في تاريخ الطبري ١/٦٢٥ والابيات [٣ ، ٤ ، ٥] في معجم ما استعجم /٥٦٤ والسادس /١٧٥ في معجم ما استعجم .

قال المخبل ، وهو ربيعة بن عوف السعدي :

[من الكامل]

١ ـ ياعمرو اني قد هويت جماعكم
ولكل من يهوى الجماع فراق

٢ ـ بل كم رايت الدهر زايل بينه
من لا يزايل بينه الاخلاق

٣ ـ طابت به الزبا وقد جعلت لها
دورا ومشربة لها انفاق

٤ ـ حملت لها عمرا ولا بخشونة
من آل دومة رسلة معناق

٥ ـ حتى تفرعها بأبيض صارم
عضب يلوح كأنه مخراق

٦ ـ وابو حذيفة يوم ضاق بجمعه
شعب الغبيط فحومة فأفاق

٧ ـ وله معد والعباد وطيىء
ومن الجنود كتائب ورفاق

٨ ـ يهب النجائب والنزائع حوله
جردا كأن متونها الاطلاق

٩ ـ فاتت عليه ساعة ما ان له
مما افاء ولا افاد عتاق

١٠ ـ فكأن ذلك يوم حم قضاؤه
رفد أميل اناؤه مهراق

(٢٢)

التخريج :

قال البكري في اللآليء ٧١١ : « وقد رأيت في بعض حواشي الامهات انهما للمخبل ولم يقعا في ديوان شعره . وهما بلا عزو في امالي القالي ٢/٧٧

[من الوافر]

١ ـ كسوناها من الريط اليماني
مسوحا في بنائقها فضول

٢ ـ وهدمنا صوامع شيدتها
لها حبب مخالطها نجيل

(٢٣)

التخريج :

حماسة البحتري ١٣٥ .

[من الطويل]

وقد تزدري العين الفتى وهو عاقل
ويجمل بعض القوم وهو جهول

(٢٤)

التخريج :

معجم البلدان (دارة الخرج) .

[من الطويل]

محبسة في دارة الخرج لم تذق
بلالا ولم يسمخ لها بنجيل

(٢٥)

التخريج :

معجم ما استعجم ٤٦١ ؛ الاول في اللسان (حلب) .

قال يفخر بنصرتهم ابرهة بن الصباح ملك اليمن وكانت خندف حاشيته :

[من الكامل]

١ ـ ضربوا لابرهة الامور محلها
حلبان فانطلقوا مع الاقوال

٢ ـ ومحرق والحارثان كلاهما
شركاؤنا في الصهر والاموال

---

١ ـ حلبان : مدينة باليمن . وفي اللسان : مرموا

(٢٦)

التخريج :

الاغاني ١٣/١٩٣ ؛ الثالث في الصناعتين ١٩٥ و ٤٦٣ .

[من الكامل]

قال في الزبرقان بن بدر :

١ ـ انبئت ان الزبرقان يسبني
سفها وبكره ذو الحربن خصالي

٢ ـ أفلا يفاخرني ليعلم اينا
أدنى لاكرم سؤدد وفعال

٣ ـ وابوك بدر كان مشترط الخصى
وأبي الجواد ربيعة بن قتال

---

٣ ـ الصناعتين : ... ينتهي الخصى ... بن قبال

(٢٧)

التخريج :

معجم ما استعجم ١٠٧٠ .

[من السريع]

١ ـ ان اليمامة شر ساكنها
اهل القرية من بني ذهل

٢ ـ قوم أبار الله سادتهم
فشريدهم كالقمل الطحل

(٢٨)

التخريج :

منتهى الطلب ق ٤٠ـ٤١ عدا الابيات ٤٢ـ٤٤ فهي في طبقات فحول الشعراء ٩٩ مع الابيات ٣١ (ثم الابيات ٤٢ ـ ٤٤) ، ٣٦ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧ ؛ الابيات ٣١ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ في الاغاني ١٣/١٩٢ ؛ الثاني في معجم ما استعجم ٢٧٧ والثامن فيه ايضا ١٧٦ ؛ ١٦ في معجم ما استعجم ٤٤٥ ؛ ١٩ في اساس البلاغة (حلق) ؛ ٢٦ في اللسان واساس البلاغة (فتك) ؛ ٣٥ في المعاني الكبير ١٢١٧ وجمهرة اللغة ٢/٤١٩ وامالي القالي ١/١٦٠ والمعجم في بقية

الاشياء ٨٣ والسمط ٤١٨ ؛ ٣٧ في الصناعتين ٤٠٠ ؛ ٣٩ ، ٤٠ في معجم ما استعجم ٧٧٩ ؛ ٣٩ ، ١٢٣٩ ، ٤١ في اللسان (عين) . ٣٩ في التنبيهات ٣٠٦ وكنايات الجرجاني ٨٤ ؛ ٣٩ ، ٤١ ، ٤٠ في شرح ديوان الحماسة ٤/٨٥ ؛ ٤١ في المخصص ١٢/٤ والبارع ٩٤ ؛ الاول في معجم البلدان (روضة بطن عنان) ؛ الثالث فيه أيضا (روضة عرينات) .

[من الطويل]

١ – عفا العرض بعدي من سليمى فحائله
فبطن عنان ريبه فافاكله

٢ – فروض القطا بعد الساكن حقبة
فبلو عفت باحاته فمسايله

٣ – فميث عرينات بها كل منزل
كوشم العذارى ما يكلم سائله

٤ – تمشى بها عوذ النعاج كأنها
فريق يوافي الحج حانت منازله

٥ – ذكرت بها سلمى وكتمان حاجة
لنفسي وما لا يعلم الناس داخله

٦ – يظل يؤتيني صحابي كأنني
صريع مدام باكرته نواطله

٧ – وما كان محقوقا فؤادك بالصبى
ولا طرب في إثر من تواصله

٨ – وما ذكره سلمى وقد حال دونها
مصاريع حجر دوره ومجادله

٩ – وإن لم يورعني الشباب ولم يلح
برأسي شيب انكرته غواسله

١٠ – وفيت فلم اعدر ولم يلق غبطة
مساجل بؤسي قمت يوما اساجله

١١ – وقد رابني من بعض قومي منطق
له جلب تروى على بواطله

١٢ – ومن يبر عزا في تربع فانه
تراث أبيها مجده ونواضله

١٣ – نقلنا له أثمانه من بيوتنا
وحلت الينا يوم حلت رواحله

١٤ – وكائن لنا من ارث مجد وسودد
موارده معلومة ومناهله

١٥ – ومنا الذي ردء المغيرة بعدما
بدا جامل كاللوب تبدو شواكله

١٦ – اتاح لها ما بين أسفل ذي حسا
فحزم اللوى وادي الرسيس فعاقله

١٧ – هزبر هريت الشدق رئبال غابة
إذا سار عزته يداه وكاهله

١٨ – شتيم المحيا لا يفارق قرنه
ولكنه بالصحصحان ينازله

١٩ – واعطي منا الحلق أبيض ماجد
نديم ملوك ما تغب نوافله

٢٠ – وجاعل برد العصب فوق جبينه
يقي حاجبيه ما تثير قنابله

٢١ – وليلة نجرى يعتري العي أهلها
كفينا وقاضي الامر منا وفاصله

٢٢ – ويوم الرحى سندنا وجيش مخرم
ضربناه حتى اتكأته شمائله

٢٣ – ويوم أبي يكسوم والناس حضر
على جلبان إذ تقضى محاصله

٢٤ – فتحنا له باب الحضير وربه
عزيز تمشى بالحراب اراجله

٢٥ – عليه معد حولنا بين حاسد
وذي حنق تغلي علينا مراجله

٢٦ – وإذ فتك النعمان بالناس محرما
فملىء من عوف بن كعب سلاسله

٢٧ – فككنا حديد الغل عنهم فسرحوا
جميعا واحظى الناس بالخير فاعله

٢٨ – وقلنا له لا تنس صهرك عندنا
ولا تنس من أخلاقنا ما نجامله

٢٩ – فما عيرتنا بعد من سوء جرعة
ولا شيمة ما بوا الخلق حابله

٣٠ – فتلك مساعينا وبدر مخلف
على كتفيه ربقه وحبائله

٣١ – لعمرك ان الزبرقان لدائم
على الناس يغدو نوكه ومجاثله

٣٢ – شرى محمرا يوما بذود فخاله
نماه الى أعلى اليفاع أوائله

٣٣ – راى مجد اقوام صرى في حياضهم
وهدم حوض الزبرقان غوائله

٣٤ – اتيت امرا أحمى على الناس عرضه
فمازلت حتى انت مقع تناضله

٣٥ – فاقع كما اقعى أبوك على استه
راى ان ريما فوقه لا يعادله

٣٦ – فقبلك بدر عاش حتى رايته
يدب ومولاه عن المجد شاغله

٣٧ – وبنفس مما ورثتني أوائلي
ويرغب عما أورثته أوائله

٣٨ – فان كنت لم تصبح كحظك راضيا
فدع عنك حظي انني عنك شاغله

---

٢ – معجم ما استعجم : ناحاته

١٦ – معجم ما استعجم : اباح لها ... نوادي اللوى بطن ...

٣١ – ابن سلام : ... لدائب على الناس يغدو

٣٩ـ وانكحت هزءً الا خليـــــدة بدمـــا
زعمت براس العين انك قـــاتله
٤٠ـ يلاعبها تحت الخبـــــاء وجـــارُكم
بذي شُبرمان لم تزَيل مفاصله
٤١ـ وانكحته رهــوى كأن عجانهـــــا
مَشَق إهابِ اوسعَ السلخ ناجله

***

٤٢ـ ولما رأيت العــزَّ في دار اهـــله
تمنيت بعد الشيب انك ناقله
٤٣ـ ولما نرَ الاخفاف تمشــي على الذرى
ولما يكن أعلى العضــاه اسافله
٤٤ـ ولما يزل عن رأس صهـوة عصمهـا
ولما يدع ورد العراق منــاهله

---

٤١ ـ اللسان والبارع : وانكحتم رهوا .

(٢٩)

التخريج :

الابيات [١ ، ٢ ، ٣] في ديوان المعاني ٦٣/٢ والاول في اساس البلاغة (عرى) .

[من الطويل]

١ ـ وساقطة كـــور الخمـــار حبيبـــة
على ظهر عريٍ زل عنهـــا جلالها
٢ ـ تشــد يديها بالســـنام وقـــد رأت
مسومة يأوي اليهـا رعالهـــا
٣ ـ نزلنا فسـاقينا الكمــاة دماءَهــا
سجال المنايا حيث تسقى سجالها

(٣٠)

التخريج :

التحصيف والتحريف ٢٣٨ .

[من الطويل]

مددت برحم عنـد حنظل ابتغي
بها الود والقربى فضل ضلالهـــا

(٣١)

التخريج :

الجمهرة ٦٧/٢ واللسان (جدل) وبلا عزو في شجر الدر ٦٧ وعجز البيت بلا عـــزو في مجالس ثعلب ٤٨٣ .

[من الطويل]

وسارت الى يبرين خمســا فاصبحت
تخر على أيدي الســقاة جدالهـــا

(٣٢)

التخريج :

المفضليات ١١٣ ، شرح المفضليـــات ٢٠٧ ، منتهى الطلب ق ٣٤ ـ ٣٥ ، شرح اختيارات المفضل ٥٣١/١ ؛ ١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٣٩ في معجم البلدان (الأغدرة) .

الابيات ١ـ٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٣٩ في رسالة الغفران ٢٢٤ ـ ٢٢٥ ؛ ٢ ، ٣ في اللسان (سجر) والثاني في الفاضل ٨٢ والتصحيف والتحريف ١٣٦ والمصون ١٩٢ والتنبيه على حدوث التصحيف ٦٩ وشرح القصائد السبع الطوال ١٩٠ والخصـــائص ٢٨٧/٣ والمزهر ٣٧١/٢ ؛ ٣ في الغريب المصنـف ٦٦٧ ؛ ٤ ، ٥ في امـــالي المرتضـــى ٣١/٢ ؛ ٨٨ ؛ ١٢ ، ١٦ ، ١٧ في الجمان ٢٤٣ ؛ ١٢ في الواضح في مشكلات شعر المتنبي ٣٢ واساس البلاغة (جهم) واللســان (ظمأ وخلج) ؛ ١٥ في اللســان (لخــم) ؛ ١٧ في شرح القصائد السبع الطوال ٧٢ واللســـان (ترك) ؛ ١٩ في معجم ما استعجم ٦٤٧ و ٦٩٥ ؛ ٢٠ في المحاضرات ٣٠١/٣ ؛ ٢١ في المعاني الكبير ٨٦٩ ؛ ٢٣ في اللســان (نقر) ؛ ٢٩ في الفاخر ١٢٤ ؛ عجز ٣٠ في اللســـان (عقم) ؛ ٣٥ ـ ٣٩ في حماســـة البحتري ٩٨ ؛ ٣٨ في الفصول والغايـــات ٢٤٧ واللسان (شكر) مع البيت ٣٩ ؛ ٣٥ ـ ٤٠ فـــي تذكرة ابن حمدون ١٩ .

[من السريع]

١ ـ ذكر الرَّبـــاب وذكرُهـــا سُـــقمُ
فصبا وليس لمن صبـــا حِلمُ
٢ ـ وإذا ألــمَّ خيالهـــا طرَقــتْ
عيني فماءُ شؤونها سَجمُ
٣ ـ كاللؤلؤ المســجور أغفِــلَ في
سِلكِ النظامِ فخانَهُ النظمُ
٤ ـ وأرى لهـــا داراً بأغــــدرة الـ
ــسِّيدان لم يدرس لهـــا رسم
٥ ـ الا رمـــاداً هامـــداً دفعـــت
عنه الرياح خوالــدٌ سُحمُ
٦ ـ وبقية النؤي الــذي رفعـــت
أعضادُهُ فثـوى لـه جـذم
٧ ـ فكأن مـا ابقـى البـوارحُ والـ
أمطار من عرصاتهـــا الوشـــم
٨ ـ تقرو بها البقـر المســارب واخـ
تلطـت بهـــا الآرامُ والأُدم
٩ ـ وكأن اطـــلاء الجـــآذر والـ
ـغزلان حـول رسومها البَهمُ

١٠ـ ولقد تحل بهـــا الرباب لهـــا
سَلَفٌ يفل عدوهــا فخــم
١١ـ بردية ســـبق النعيــم بهـــا
اقرانها وغـــلا بهـا عظــم
١٢ـ وتريك وجهـــا كالصحيفـــة لا
ظمـــآن مختــلج ولا جهــم
١٣ـ كعقيلة الــدر اســـتضاء بهـــا
محراب عرش عزيزهـا العجـم
١٤ـ اغلى بها ثمنـــا وجـــاء بهـــا
شخت العظام كانـــه ســـهم
١٥ـ بلبانــه زيـــت واخرجهـــا
من ذي غوارب وسـطه اللخم
١٦ـ او بيضة الدعص التـــي وضعــت
في الأرض ليس لمســها حجم
١٧ـ سبقت قرائنهـــا وادفاهـــا
قرد الجناح كانـــه هِـــدمُ
١٨ـ ويضمها دون الجنـــاح بدفئـــه
وتحفهنّ قـــوادم قتـــم
١٩ـ لم تعتـــدر منهـــا مدافـــع ذي
ضال ولا عقب ولا الزخـــم
٢٠ـ وتضل مدراهـــا المواشـــط في
جعدٍ اغـــم كانـــه كـــرم
٢١ـ هلا تســـلي حاجـــة علقـــت
علق القرينة حبلهـــا جذم
٢٢ـ ومعبد قـــلق المجـــاز كبـــا
ريّ الصنـــاع إكامنـــه درم
٢٣ـ للقاريات مـــن القطــــا نقـــرٌ
في حافتيـــه كانهـــا الرقـم
٢٤ـ عارضته مَلْثَ الظـــلام بمـــذ
عان العشيّ كانهـــا قـــرم
٢٥ـ تذر الحصى فلقـــاً اذا عصفــت
وجرى بحـد ســرابها الاكم
٢٦ـ تلقت إذا انحـــدر الطريق لهـــا
قلق المحـــالة ضمهـا الدعـم
٢٧ـ لحقت لهـــا عجـــزٌ مؤيـــدةٌ
عقد الفقـار وكاهـل ضخـم
٢٨ـ وقوائمٌ عـــــوجٌ كاغمـــدة الـ
بُنيان عوليَ فوقهـــا اللحـم

٢٩ـ واذا رفعت الســـوط أفزعهـــا
تحت الضلوع مـروع شـــهم
٣٠ـ وتسد حاذيهـــا بـــذي خُصَـل
عقمت فناعم نبتـــه العقـــم
٣١ـ ولها منـاســمُ كالمواقـــع لا
معرٌ اشـــاعرها ولا درم
٣٢ـ وتقيل في ظـــل الخبـــاء كمـــا
يخشى كِناسَ الضـــالة الرئم
٣٣ـ كتريكة الســـيل التـــي تركـــت
بشفا المسيل ودونهـا الرضـم
٣٤ـ بليتهـــا حتـــى أؤديهـــا
رِمٌ العظام ويذهب اللحـــم
٣٥ـ وتقول عـاذلتي وليـــس لهـــا
بغدٍ ولا ما بعـــده عـــلم
٣٦ـ ان الثـــــراء هـــو الخـــلود وا
نّ المرء يكرب يومه العـــدمُ
٣٧ـ إني وجـــدّكِ مـا تخـــلدني
مائةٌ يطيـــر عفاؤهـــا ادم
٣٨ـ ولئن بنيـــتِ لـــي المشـــقر في
هضبٍ تقصر دونـــه العصـم
٣٩ـ لتنقبن عنـــي المنيـــــة إ
نّ الله ليس كحكمـــه حكم
٤٠ـ إني وجـدت الأمـــر أرشـــدَهُ
تقوى الالـــهِ وشـــرهُ الاثم

(٣٣)

التخريج :

١ـ٤ في أمالي القالي ٢/٢٣٣ ؛ ٥ في حماسة البحتري ٢٣٦ والموازنة ١/١١٩ ؛ الاول في البيان والتبيين ٤/٧٦ والسمط ٨٥٧ ؛ السادس في اللسان (غيث) .

[من الطويل]

١ ـ اذا انت عاديت الرجالَ فلاقهـــم
وعِرضُكَ عن غيبٍ الامور ســـليمُ
٢ ـ وإن مقادير الحمـــام الى الفتـــى
لســـواقة مـــا لا يخـــاف همـــوم
٣ ـ وقد يسبق الجهل النُهى ثم انهـــا
تريعُ لاصحاب العقـــول حُـــلوم

٤ ــ وقد تزدري النفس الفتى وهو عاقل
ويؤتى بعد القوم وهو حزيم

*

٥ ــ ولا يعدم الغاوي على الغي لائماً
وإن هو لم يشفق عليه يلوم

*

٦ ــ لها لجب حول الحياض كأنه
تجاوب أغياث لهن هزيم

(٣٤)

التخريج :

اللسان (ظلم) .

[من الطويل]

تعامس حتى يحسب الناس انها
اذا ما استحقت بالسيوف ظلوم

(٣٥)

التخريج :

أخبا رابي تمام ٤٧ .

[من الوافر]

١ ــ إذا ذكروا الحطيئة لم يعدوا
حديثاً عند ذاك ولا قديما

٢ ــ وما كان الحطيئة غير كلب
رماه الله ان تبح النجوما

(٣٦)

التخريج :

حماسة البحتري ١٥٦ .

[من الطويل]

١ ــ وقالوا اخانا لا تضعضع لظالم
عزيز ولا ذا حق قومك تظلم

٢ ــ رأوا انني لا حقتهم انا ظالم
ولا ناصري ان جاوز الحق مسلمي

(٣٧)

التخريج :

حماسة البحتري ١٥٦ والثاني في اضداد الاصمعي ٥٣ واضداد ابن الانباري ١٩١ واضداد قطرب ٢٦٨ ومجموعة المعاني / ٧٨ .

[من الطويل]

١ ــ وانا اناس تعرف الخيل زجرنا
اذا مطرت سحب الصوارم بالدم

٢ ــ وانا لنعطي النصف من لو نضيمه
اقرّ ونابى نخوة المتظلم

---

٢ ــ الاصمعي : نعطي الحق . اللسان : نقر

(٣٨)

التخريج :

الحيوان ٣/٤٩٠ واللسان (ضلل) .

[من الطويل]

اضلت بنو قيس بن سعد عميدها
وفارسها في الدهر قيس بن عاصم

(٣٩)

التخريج :

المعاني الكبير ٤٧٥ والتصحيف والتحريف ٣٣٧ والمقاييس ٦/١٥٧ وهو في اللسان (حلم ووده وقيه ونقه ويقه) .

[من الطويل]

وردوا صدور الخيل حتى تنهنهت
الى ذي النهى واستيقهوا للمحلم

اللسان : عدة روايات هي : حتى تنهنهوا واستيقهوا
وفي رواية اخرى : واستنقهت واستيدهوا واستيقهت .

(٤٠)

التخريج :

معجم ما استعجم ٢٧٢ .

[من الطويل]

غشيت ليلى دمنة لم تكلم
ببلبول فالاجراع اجراع تروءم

(٤١)

التخريج :

اللسان (عدن) .

[من الطويل]

خوامس تنشق العصا عن رؤوسها
كما صدع الصخر الثقال المعدن

(٤٢)

التخريج :

اللسان (خبن) .

[من الطويل]

وكان لها من حوض سيحان فرصة
اراغ لها نجم من القيظ خابن

(٤٣)

التخريج :

معجم ما استعجم ١١٠٤ .

[من الطويل]

لقد شاقني لولا الحياء من الصبا
بذي الرمث أو وادي قسوي ظعائن

(٤٤)

التخريج :

معجم ما استعجم ٩٢٠ .

[من الطويل]

ارى ابلي حلت دبّا بعدما يرى
لها وطنا جنبا عتود نزابن

(٤٥)

التخريج :

معجم ما استعجم ١٤٦ ومراصد الاطلاع ١١٣٦/٣ .

[من الطويل]

تحملن من ذات الازاء كما انبرى
ببز التجار من أوال سفائن

(٤٦)

التخريج :

التصحيف والتحريف ٢٧٠ .

[من الطويل]

وكنا كريمي معشر جمّ بيننا
تصاف فصناه بحسن صيان

(٤٧)

التخريج :

اللسان (قطم) .

[من الطويل]

ولما رات قطمان من عن شمالها
رات بعض ما تهوى وقرت عيونها

(٤٨)

التخريج :

الجمهرة ٤٣٣/٣ والحور العين ١٢٧ واللسان (افن وحين) وبلا عزو في الفاخر ١٣٧ والمعجم في بقية الاشياء ٨٠ والغريب المصنف ٣٧٠ .

[من الطويل]

اذا افنت اروى عيالك افنها
وان حينت اربى على الوطب حينها

المعجم : ثان .

(٤٩)

التخريج :

اللسان (حقن) .

[من الطويل]

وفي ابل ستين حسب ظعينة
يروح عليها مخضها وحقينها

ما نسب له ولغيره من الشعراء

(١)

التخريج :

خزانة الأدب ٥٣٧/١ والابيات ٧ ، ٩ ، ٦ مع آخر لرجل من بني قريع في شرح ديوان الحماسة ١١٤٨ وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ١٤٩/٣ والسابع مع آخر للمعلوط السعدي في عيون الاخبار ١٨٩/٣ .

١ ــ الا يالقومي للرســـوم تبيـــد
وعهدك ممــن حلهـــن جديـــد

٢ ــ وللدار بعد الحي يبكيك رسمها
وما الـــدار الا دمنـــة وصعيـــد

٣ ــ لقد زاد نفسي بابن ورد كرامة
عليَّ رجـــالٌ في الرجـــال عبيـــد

٤ ــ يسوقون اموالا وما سعدوا بها
وهم عند مثنـــاة القيام قعـــود

٥ ــ ولا سود المال اللئيم ولا دنـــا
لذاك ولـــكن الـــكريم يســـود

٦ ــ وكائن رأينا من غني مسلّم
وصعلوك قـــوم مـــات وهـــو حميـــد

٧ ــ وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى
ولــكن احـــاظ قســـمت وجـــدود

٨ ــ وما يكسب المال الفتى بجلاده
لديه ولـــكن خائـــب وســـعيد

٩ ــ اذا المرء أعيته المـــروءة ناشـــئا
فمطلبها كهـــلا عليـــه شـــديد

(٢)

التخريج :

اللسان (سدف) وهو لنا شرة بن مالك يرد على المخبل في مادة (خصف) .

اذا ما الخصيف العوبثـــاني ســـاءنا
تركنـــاه واخترنـــا السديف المرهدا

(٣)

التخريج :

عيون الاخبار ١٩٢/٢ وبلاعزو في نور القبس ٢١٦ وهو لمهلهل في شرح ديوان الحماسة ١٥٢/٢ .

يبكى علينـــا ولا نبـــكي على احـــد
إنـــا لاغلظ اكبـــاداً مـــن الابـــل

(٤)

التخريج :

نقد الشعر ٢٠٥ وهو للفرزدق في بديع ابن المعتز ٣٥ .

ليغمز عزاً قدعسا عظم راســـه
قراسية كالفحـــل يصـــرف بازلـــه

(٥)

التخريج :

الاصابة ٤٦٤/٣ . وهما لابن الدمينـــة في ديوانه ٣١ وانظر تخريجهما في ص ٢٢١ ــ ٢٢٢ من ديوان ابن الدمينة .

١ ــ من الناس انسانان دَيْني عليهما
مليّان لو شـــاءا لقرقضيـــاني

٢ ــ خليلي أمّا أمُّ عمـــرو فمنهمـــا
وأمّا عن الأخـــرى فـــلا تســـلاني

المصـــادر

اخبار ابي تمام ـ للصولي ، تحقيق عساكر وعزام والهندي ، مصر ١٩٣٧ .

ادب الكاتب ـ لابن قتيبة ، نشر محمد محيي الدين عبدالحميد ، السعادة بمصر ١٩٦٣ .

اساس البلاغة ـ للزمخشري ، مطبعة دارالكتب المصرية ١٣٤١هـ.

اسرار العربية ـ لابي البركات الانباري ، تحقيـــق محمـــد بهجت البيطار ، دمشق ١٩٥٧ .

الاشتقاق ـ لابن دريد ، تحقيق عبدالسلام هارون ، القاهرة ١٩٥٨ .

الاصابة ـ لابن حجر ، القاهرة ١٣٢٨ هـ .

اصلاح المنطق ـ لابن السكيت ، تحقيق شاكر وهارون ، دار المعارف بمصر .

الاصول ـ لابن السراج ، تحقيق عبدالحسين الفتلي .

الاضداد ـ للاصمعي (ضمن ثلاثة كتب في الاضداد) .

الاضداد ـ لابي بكر بن الانبـاري ، تحقيـــق ابـو الفضـل ابراهيم ، الكويت .

الاضداد ـ لقطرب (طبع في مجلة اسلاميكا المجلد الخامس سنة ١٩٣١) .

الاغاني ـ لابي الفرج الاصبهاني ، طبع دار الكتب المصرية .

امالي ابن الشجري ـ طبع حيدر آباد الدكن ١٣٤٩ هـ .

امالي القالي ـ طبع دار الكتب المصرية ١٩٢٦ .

امالي المرتضى ـ تحقيق ابو الفضل ابراهيم ، مصر ١٩٥٤ .

الانتصار ـ لابن ولاد ، مصورة بحوزة الدكتور مهدي المخزومي .

الانصاف ـ لابي البركات الانباري ، نشر محمد محيي الديـــن عبدالحميد ، السعادة بمصر ١٩٦١ .

ايضاح شواهد الايضاح ـ للقيسي ، مخطوطة الاسكوريال رقم ٥) (انظر الايضاح العضدي) .

الايضاح العضدي ـ لابي علي الفارسي ، تحقيق حسن شاذلي فرهود ، مصر ١٩٦٩ .

البارع ـ لابي علي القالي ، تحقيق هاشم الطعان .

البديع ـ لابن المعتز ، طبع الحلبي بمصر ١٩٤٥ .

البديع في نقد الشعر ـ لاسامة بن منقذ ، تحقيق بدوي وعبد المجيد ، مصر ١٩٦٠ .

البيان والتبيين ـ للجاحظ ، تحقيق عبدالســلام هـارون ، القاهرة ١٩٤٨ .

التاج ـ للزبيدي ، مصر ١٣٠٦ ـ ١٣٠٧ .

تاريخ الطبري ـ للطبري ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف بمصر .

التبيان ـ للطوسي ـ طبعة النجف .

التبيان في شرح الديوان ـ المنسوب للعكبري ، تحقيق السـقا وآخرين ، مصر ١٩٥٦ .

تحصيل عين الذهب ـ للاعلم الشنتمري ، على هامش الكتاب لسيبويه .

تذكرة ابن حمدون ـ لابن حمدون ، مطبعة النهضة بمصر ١٩٢٧ .

التصحيف والتحريف ـ لابي احمدالعسكري ، تحقيق عبدالعزيز احمد ، الحلبي بمصر ١٩٦٣ .

تفسير القرطبي ـ للقرطبي ، دار الكاتب العربي ١٩٦٧ .

التنبيه على حدوث التصحيف ـ لحمزة الاصفهاني ، تحقيـــق محمد اسعد طلس ، مطبوعات مجمع دمشق .

التنبيهات على اغاليط الرواة ـ لعلي بن حمزة ، تحقيق الميمني ، دار المعارف بمصر .

تهذيب اللغة ـ للازهري ، نشر الدار المصرية للتاليف والترجمة ١٩٦٤ ـ ١٩٦٧ .

ثلاثة كتب في الاضداد ـ تحقيق هفنر ، بيروت ١٩١٢ .

الجمان في تشبيهات القرآن ـ لابن ناقيا ، تحقيق احمد مطلوب وخديجة الحديثي بغداد ١٩٦٨ .

الجمل ـ للزجاجي ، تحقيق ابن ابي شنب ، باريس ١٩٥٧ .

الجمهرة ـ لابن دريد : تحقيق كرنكو ، حيدر آبـاد الركن ١٩٢٥ ـ ١٩٢٦ .

جمهرة الامثال ـ لابن هلال العسكري ، تحقيق ابو الفضـــل وقطامش ، مصر ١٩٦٤ .

حاشية الصبان ـ طبع البابي الحلبي بمصر .

حماسة البحتري ـ للبحتري ، تحقيق شيخو ، بيروت ١٩١٠ .

الحيوان ـ للجاحظ ، تحقيق عبدالسلام هارون الحلبي ١٩٣٨ .

خزانة الادب ـ البغدادي ، بولاق ١٢٩٩ .

الخصائص ـ لابن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتب بمصر ١٩٥٢ .

ديوان ابن الدمينة ـ تحقيق احمد راتب النفاخ ، مصر ١٣٧٩ .

ديوان طرفة ـ بشرح الشنتمري ، باريس ١٩٠١ .

ديوان الفرزدق ـ تحقيق الصاوي ، مصر ١٩٣٦ .

ديوان المعاني ـ لابن هلال العسكري ، طبع القدسي ١٣٥٢ هـ .

رسالة الحور العين ـ لنشوان الحميري ، تحقيق كمال مصطفى ، مصر ١٩٤٨ .

رسالة الغفران ـ تحقيق بنت الشاطيء ، دار المعارف بمصر ١٩٦٤ .

سمط اللآلي ـ للبكري ، تحقيق الميمني ، دار الكتب المصرية .

شجر الدر ـ لابي الطيب اللغوي ، تحقيق محمد عبدالجـواد الاصمعي ، دار المعارف بمصر .

شرح اختيارات المفضل ـ للتبريزي ، تحقيق قباوة ، مطبوعات المجمع العلمي بدمشق .

شرح ادب الكاتب ـ للجواليقي ، نشر مكتبة القدسي ، القاهرة ١٣٥٠ .

شرح ديوان الحماسة (ت) ـ للتبريزي ، نشر محمد محي الدين عبدالحميد ، مطبعة حجازي بالقاهرة .

شرح ديوان الحماسة (م) ـ للمرزوقي ، تحقيق عبدالســلام هارون ، القاهرة ١٩٥١ .

شرح القصائد السبع الطوال ـ لابي بكر بن الانباري ، تحقيـق عبدالسلام هارون ، دار المعارف بمصر .

شرح المفصل ـ لابن يعيش ، ادارة الطباعة المنيرية بمصر .

شرح المفضليات ـ لابي محمد القاسم الانباري ، تحقيق لايل ، بيروت ١٩٢٠ .

شروح سقط الزند ـ للتبريزي والبطليوسي والخوارزمي ، طبعة دار الكتب المصرية .

الشعر والشعراء ـ لابن قتيبة ، تحقيق احمد محمد شاكر ، دار المعارف بمصر .

الصاحبي ـ لابن فارس ، تحقيق مصطفى الشويمي ، بيروت ١٩٦٣ .

الصبح المنير ـ تحقيق جاير ، لندن ١٩٢٨ .

الصحاح ـ للجوهري ، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ، القاهرة ١٩٥٦ .

الصناعتين ـ لابن هلال العسكري ، تحقيق البجاوي وابو الفضل ، القاهرة ١٩٥٢ .

طبقات فحول الشعراء ـ لابن سلام ، تحقيق محمود شاكر ، دار المعارف بمصر ١٩٥٢ .

عيون الاخبار ـ لابن قتيبة ، دار الكتب المصرية ١٩٢٥ .

الغريب المصنف ـ لابي عبيد القاسم بن سلام مخطوطة المتحف .

الفاخر ـ للمفضل بن سلمة ، تحقيق عبدالعليم الطحاوي ، مصر ١٩٦٠ .

الفاضل ـ للمبرد ، تحقيق الميمني ، دار الكتب المصرية ١٩٥٦ .

فصل المقال ـ للبكري ، تحقيق عباس وعابدين ، بيروت ١٩٧١ .

الفصول والغايات ـ للمعري ، مطبعة حجازي بالقاهرة ١٩٣٨ .

فعلت وافعلت ـ للزجاج (ضمن كتاب فصيح ثعلب نشر خفاجي، مصر ١٩٤٩)

الكتاب ـ لسيبويه ، بولاق ١٣١٦ ـ ١٣١٧ .

الكنايات ـ للجرجاني ، نشر محمد بدر الدين النعساني ، القاهرة ١٩٠٨ .

كنز الحفاظ ـ للتبريزي ، تحقيق شيخو ، بيروت ١٨٩٥ .

الكنز اللغوي ـ تحقيق هفنر ، بيروت ١٩٠٣ .

لسان العرب ـ لابن منظور ، دار صادر ، بيروت .

المؤتلف والمختلف ـ للآمدي ، تحقيق عبدالستار احمد فراج ، الحلبي بمصر ١٩٦١ .

مجالس ثعلب ـ لثعلب ، تحقيق عبدالسلام هارون ، دارالمعارف بمصر .

مجمع الامثال ـ للميداني ، نشر محمد محي الدين عبدالحميد ، السعادة بمصر ١٩٥٩ .

مجموعة المعاني ـ لمجهول ، الجوائب ١٣٠١ هـ .

محاضرات الادباء ـ للراغب الاصفهاني ، بيروت .

المحبر ـ لابن حبيب ، حيدر آباد الركن ١٩٤٢ .

المختار من شعر بشار ـ للتجيبي ، تحقيق محمد بدرالدين ، مطبعة الاعتماد بمصر

المخصص ـ لابن سيدة ، بولاق ١٣١٨ .

مراصد الاطلاع ـ لصفي الدين عبدالمؤمن البغدادي ، تحقيق البجاوي ، مصر ١٩٥٤ .

المزهر ـ للسيوطي ، تحقيق جاد المولى وابو الفضل والبجاوي، مصر ١٩٥٨ .

المستقصي ـ للزمخشري ، حيدر آباد الدكن ١٩٦٢ .

المصون ـ لابي احمد العسكري ، تحقيق عبدالسلام هارون ، الكويت ١٩٦٠ .

المعاني الكبير ـ لابن قتيبة ، حيدر آباد الدكن ١٩٤٩ .

معجم البلدان ـ لياقوت الحموي ، نشر وستنفلد ، لايبزك ١٨٦٦ ـ ١٨٧٠ .

المعجم في بقية الاشياء ـ لابي هلال العسكري ، تحقيق الابياري وشلبي ، دار المكتب المصرية ١٩٣٤ .

معجم ما استعجم ـ للبكري ، تحقيق السقا ، مصر ١٩٤٥ .

المغرب في ترتيب المعرب ـ للمطرزي ، حيدر آباد الدكن ١٣٢٨هـ

المفضليات ـ للمفضل الضبي ، تحقيق شاكر وهارون ، دار المعارف بمصر .

المقاصد النحوية ـ للعيني ، على هامش خزانة الادب .

مقاييس اللغة ـ لابن فارس ، تحقيق عبدالسلام هارون ، مصر ١٣٧١ .

المقتضب ـ للمبرد ، تحقيق عبدالخالق عضيمة ، منشورات المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية .

منتهى الطلب ـ لابن ميمون ، مصورة بحوزة الدكتور نوري القيسي .

الموازنة ـ للآمدي ، تحقيق احمد صقر ، دار المعارف بمصر .

النقائض ـ لابي عبيدة ، نشر بيفن ، ليدن ١٩٠٥ ـ ١٩١٢ .

نقد الشعر ـ لقدامة بن جعفر ، تحقيق كمال مصطفى ، ١٩٦٣

نوادر المخطوطات ـ تحقيق عبدالسلام هارون ، القاهرة ١٩٥١ـ ١٩٥٤ .

نور القبس ـ لليغموري ، تحقيق زلهايم ، بيروت ١٩٦٤ .

الواضح في مشكلات شعر المتنبي ـ لابي القاسم عبدالله بن عبد الرحمن الاصفهاني ، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور ، تونس ١٩٦٨ .

مقدمة في كلمات اتفقت فيها الدال والذال خطاً واختلفت معنى

تأليف

ابن أم قاسم المرادي

تحقيق

طه محسن

كلية الاداب ـ جامعة الموصل

تقديم

ـ ١ ـ

مؤلف الرسالة هو بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المراكشي المغربي فالمصري ثم المالكي(١) .

كنيته (ابو محمد)(٢) . ولا نعرف عن شخصية (محمد) هذا شيئا . اذ لم يذكر المؤرخون ان المرادي تزوج او نجل ولدا بهذا الاسم . وكني في كشف الظنون بـ(ابي علي)(٣) . ومن المحتمل ان يكون ذا كنيتين ، وانهما اطلقتا عليه كما هو المعتاد بين الناس الذين يكتنون قبل زواجهم .

اشتهر المرادي بـ(ابن ام قاسم) ، وذلك لامرأة تبنته اسمها (زهراء) كانت من بيت السلطان(٤) . وذكروا ان (ام قاسم) هذه كانت جدته ام أبيه ، جاءت من المغرب فعرفت بالشيخة(٥) ، فكانت شهرته تابعة لشهرتها .

ولد المرادي بمصر(٦) ، فعرف بالمصري . ولم نقف على تاريخ يحدد سنة ولادته ، كما ان المصادر لم تسعفنا باخبار شافية عن هذا الرجل ، فنحن لا نعرف شيئا عن طفولته ونشاته شانه ذلك شان كثير من كبار علمائنا القدامى ، وكذلك لم نجد في المصادر التي بين ايدينا ما يشير الى اسرته غير الخبر الذي ذكرناه آنفا ، وهو تبني (ام قاسم) ورعايتها له في طفولته بسبب جاهها ومكانتها .

واذا ما رحنا نتلمس نشاطه في فترة الشباب فلا نجد ما يعيننا على الحديث ، اذ لم نصادف في المراجع التي تناولته ما يتيح لنا التعرف الى حياته بالتفصيل . واذا كان قد ترجم له عدة من أصحاب الطبقات ، وكان له ذكر بين النحويين واللغويين والقراء ، فان الذي ذكروه قليل ومعاد ، ينقل فيه بعضهم عن بعض .

عاش المرادي في النصف اول من القرن الثامن الهجري بمصر ، وكانت حينذاك تحت ظل المماليك البحرية الذين استطاعوا ان يردوا هجمات المغول عن مصر والشام ، وينشئوا دولة ضمت اليها علماء الاقطار الاسلامية الذين رحلوا اليها تخلصا من هجمات المغول والصليبيين ، وشجعتهم على مواصلة الدرس والبحث بما فرضت لهم من رواتب هيات لهم الفراغ للتاليف والتدريس .

في هذه البيئة استمر المرادي ينتقل في مساجد القاهرة ومدارسها ويتردد على حلقات العلم والادب والوعظ ، متصلا بعلماء افادوه في اللغة والنحو والاصول والقراءات والوعظ . وقد تتبعت اسماء العلماء الذين ذكروا شيوخا له ، فوجدتهم قلة لا يتجاوزون اصابع اليدين عددا ، وهم(٧) : ابو عبدالله الطنجي(٨) ، وابو زكريا يحيى بن ابي بكر بن عبدالله الغماري التونسي النحوي (ت ٧٢٤هـ)(٩) ، وشرف الدين عيسى بن مخلاف بن عيسى المغيلي (ت ٧٤٦هـ)(١٠) ، وسراج الدين عمر بن محمد بن علي الدمنهوري (ت ٧٥٢هـ)(١١) ، ومجد الدين اسماعيل بن محمد بن عبدالله التستري النحوي المقرىء (ت ٧٤٨هـ)(١٢) ، وشمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد بن عبدالمؤمن المشهور بابن اللبان (ت ٧٤٩هـ)(١٣) ، واثير

---

(١) الدرر الكامنة ٣٢/٢ . غاية النهاية في طبقات القراء ٢٢٧/١ .

(٢) غاية النهاية ٢٢٧/١ .

(٣) كشف الظنون ٤٠٦/١ .

(٤) الدرر الكامنة ٣٢/٢ .

(٥) الدرر الكامنة ٣٢/٢ . بغية الوعاة ٥١٧/١ .

(٦) حسن المحاضرة ٥٣٦/١ .

(٧) براجع : الدرر الكامنة ٣٣/٢ . غاية النهاية ٢٢٧/١ . بغية الوعاة ٥١٧/١ . شذرات الذهب ١٦٠/٦ .

(٨) ترجمته في بغية الوعاة ٧٠/٢ .

(٩) ترجمته في بغية الوعاة ٣٣١/٢ .

(١٠) ترجمته في الديباج المذهب ص١٨٤ ، وحسن المحاضرة ٤٦٠/١ .

(١١) ترجمته في غاية النهاية ٥٩٧/١ ، وشذرات الذهب ١٧٢/٦ .

(١٢) ترجمته في غاية النهاية ١٦٨/١ ، وبغية الوعاة ٤٥٥/١ .

(١٣) طبقات الشافعية الكبرى ٥١٢/٥ . الوافي بالوفيات ١٦٨/٢ .

الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان ، ابو حيان الاندلسي (ت ٧٤٥هـ)(١٤) .

استفاد المرادي من هؤلاء الشيوخ ، ونهل من علوم عصره، واخذ يتابع الدرس والتحصيل ، حتى اصبح ذا اهلية للتدريس والتصدر في حلقات العلم ، فظل في مصر يعلم ويصنف حتى وافاه الاجل في يوم عيد الفطر سنة (٧٤٩هـ) ودفن بسرياقوص(١٥) بعد ما خلف كتبا ومصنفات تزيد على الثلاثين في التفسير والعروض والقراءات ، الى جانب ما خلفه في اللغة والنحو ، واهم مصنفاته :

١ ـ ارجوزة في قراءة ابي عمرو .
٢ ـ ارجوزة في مخارج الحروف وصفاتها ، وله شرح عليها
٣ ـ اعراب البسملة .
٤ ـ تفسير القرآن الكريم . في عشر مجلدات .
٥ ـ تلخيص شرح ابي حيان على تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد .
٦ ـ توضيح مقاصد الالفية . وهو شرح على الفية ابن مالك .
٧ ـ جمل الاعراب .
٨ ـ الجنى الداني في حروف المعاني .
٩ ـ رسالة في (الالف) .
١٠ ـ رسالة في (كلا وبلى) .
١١ ـ رسالة في (لو) .
١٢ ـ شرح الاستعاذة والبسملة .
١٣ ـ شرح باب وقف حمزة وهشام على الهمز من الشاطبية .
١٤ ـ شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ـ لابن مالك .
١٥ ـ شرح الجزولية ـ لابي موسى الجزولي .
١٦ ـ شرح القصيدة الشاطبية ـ للشاطبي .
١٧ ـ شرح الفصول النحوية ـ لابن معط .
١٨ ـ شرح الكافية في النحو ـ لابن الحاجب .
١٩ ـ شرح الكافية الشافية ـ لابن مالك .
٢٠ ـ شرح المفصل ـ للزمخشري .
٢١ ـ شرح المقصد الجليل في علم الخليل ـ لابن الحاجب.
٢٢ ـ شرح الواضحة في تجويد الفاتحة ـ لبرهان الدين الجعبري .
٢٣ ـ منظومة في الدال والذال مع شرحها . وهي الرسالة التي بين يدي القارىء ، وسنتكلم عليها مفصلا .
٢٤ ـ منظومة في الظاء والضاد .
٢٥ ـ المفيد في شرح عمدة المجيد في النظم والتجويد ـ لعلم الدين السخاوي .

ـ ٢ ـ

والرسالة التي ننشرها عبارة عن قصيدة (بائية) من البحر البسيط ، تشتمل على خمسة وعشرين بيتا ، ضمنها المرادي جملة من الكلمات التي اتفقت في رسم الدال والذال ، واختلفت في المعنى ، مع شرح مختصر لهذه القصيدة يخلو من مقدمة يبين فيها المؤلف سبب التاليف وطريقة البحث .

اتبع المرادي في عرضه الموضوع الطريقة الاعتيادية في شرح المتون ، وهي تقوم على ذكر البيت من القصيدة ثم شرحه ، وذلك بسرد الكلمات المتشابهة في رسم الحروف ، والتي تشتمل على الدال والذال وبيان المعنى اللغوي لهذه الكلمات مع الاستشهاد لما يذكر بآيات من الذكر الحكيم ، وباحاديث نبوية او ابيات من الشعر العربي ، وقد يستانس براي عالم لغوي ، امثال الجوهري وابي عبيدة وغيرهما .

رجعنا في تحقيق هذه الرسالة الى نسختين خطيتين : الاولى ـ تضم القصيدة وحدها . والثانية ـ تشتمل على القصيدة وشرحها . وهي نسخة وحيدة لم اقف على غيرها في مكتبات العالم . واسم المرادي مثبت على هاتين المخطوطتين ، ففي الاولى وردت العبارة : (هذه القصيدة للامام العلامة بدر الدين بن قاسم المرادي رحمه الله ...) . وعلى صفحة عنوان المخطوطة الثانية كتبت العبارة : (مقدمة في كلمات اتفقت فيها الدال والذال خطا واختلفا معنى للعلامة ابن ام قاسم المرادي). وهذا يجعلنا نطمئن الى نسبة الرسالة الى المرادي ، اذ ليس ثمة ما يقدح في هذه النسبة ، كما ان سكوت كتب الطبقات لا ينهض دليلا على عدم صحة نسبتها الى صاحبنا ، لان هذه الكتب لم تلتزم باستقصاء مؤلفات الاقدمين كلها ، وحسبنا ان المرادي نفسه ذكر في كتابه (الجنى الداني) رسائل لم نجد لها ذكرا في غيره من الكتب ، وهي : رسالته في (الالف) ، ورسالته في (لو)، ورسالته في (كلا وبلى) و (اعراب البسملة) .

اما المخطوطتان اللتان رجعنا اليهما في التحقيق فهما :

اولا ـ النسخة (أ) : وتشتمل على القصيدة فقط ، وهي مكتوبة بخط مغربي متاخر على ظهر الورقة الرابعة من كتاب (زهر الاكم في الامثال والحكم) ـ لابي علي الحسن بن مسعود التونسي . والكتاب من مخطوطات مكتبة (فاتح) باستانبول تحت رقم (٣٩٤٥) ، وتم نسخه على يد احمد بن محمد بن قاسم ذاكور ضحوة الخميس السابع عشر من شعبان عام (١١٢٤هـ)(١٦) .

ثانيا ـ النسخة (ب) : وهي من مخطوطات مكتبة (قليج علي) باستانبول ضمن مجموع رقمه (١٠٢٤) في مجلد سقط غلافه الاول ، ويقع في (٢٩) ورقة ، قياس (١٦×٢١سم) ويشتمل على حوالي (٤٧) رسالة كلها مكتوبة بخط النسخ الواضح في اوائل القرن الحادي عشر الهجري(١٧) . وفيما ياتي وصف موجز لهذه الرسائل :

---

(١٤) لتفصيل ترجمته في كتاب : أبو حيان النحوي ـ للدكتورة خديجة الحديثي . ويراجع : طبقات الشافعية ٣١/٦ ، والدرر الكامنة ٣٠٢/٤ .

(١٥) غاية النهاية ٢٢٨/١ . وسرياقوص : بليدة في نواحي القاهرة . يراجع : مراصد الاطلاع ٢٩/٢ ، ومعجم البلدان ٢١٨/٣ .

(١٦) وفي مكتبة الرباط نسخة من القصيدة بشرح محمد الحاج بن محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن المالكي البيتوري الشرشولي (ت ١٢٧١هـ/١٨٥٤م) ، ذكرها بروكلمان في تاريخ الادب العربي (الملحق ١٦/٢) .

(١٧) اثبت على بعض الرسائل سنة (١٠١٦هـ)تاريخا للنسخ . وقد اضيفت الى اول المجموع رسالة بعنوان (تحقيق تعريب الكلمة الاعجمية) لابن كمال باشا ، قوامها عشر ورقات كتبت في يوم الخميس من شهر صفر سنة (١٠٢٥هـ) ، وخطها يختلف عن خط سائر النسخ .

١ ـ تفسير سورة الملك ـ لابن كمال باشا (الورقة ١ ـ ٧).

٢ ـ تحرير على سورة الملك ـ لمولانا سنان افندي (الورقة ٧ ـ ١٢) .

٣ ـ تفسير سورة الملك ـ لابي السعود العمادي (٢٢ ـ ٣٠) .

٤ ـ تفسير سورة الفاتحة ـ لجلال الدين الدواني (٣٢ ـ ٣٤) .

٥ ـ رسالة لمحمد الخفاجي على البيضاوي في قوله تعالى : (ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم ...) .

٦ ـ رسالة على تفسير البيضاوي تعالى : (أو لم يروا الى الارض كم انبتنا فيها ..) للمولى المدعو بطورسون زاده (٣٥ ـ ٣٩) .

٧ ـ رسالة على آيات قرآنية متعلقة بغرق فرعون (٣٩ ـ ٥١) .

٨ ـ المقالة الياقوتية ـ للسيوطي (٥٢ ـ ٥٨) .

٩ ـ در الكلم وغرر الحكم ـ للسيوطي (٥٨ ـ ٦٠) .

١٠ ـ مقامة الرياحين ـ للسيوطي (٦٩ ـ ٧٧) .

١٢ ـ المقامة الفستقية ـ للسيوطي (٧٨ ـ ٨٦) .

١٣ ـ شرح الشيخ ابن العماد الافقهسي الشافعي على المنظومة في الاداب التي مطلعها (٩٢ ـ ١٣٢) :

الحمد الله مني لربي مسبغ النعم والشكرتم الثنا للمانح النحل (كذا) .

١٤ ـ وصول الاماني باصول التهاني ـ للسيوطي (١٣٢ ـ ١٣٦) أول الرسالة : (الحمد لله والسلام على عباده الذين اصطفى . وبعد فقد طال السؤال عما اعتاده الناس من التهنئة بالعيد والعام والشهور والولايات ...) .

١٥ ـ ما جاء في التراويح من الآثار والاحاديث ـ للسيوطي (١٢٧ ـ ١٤٠) .

١٦ ـ رسالة في تعبد النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ـ لعلي بن محمد المشتهر بليشي زاوة (١٤٢ ـ ١٥٩) . وهو جواب عن سؤال وجهه عبدالكريم بن الشيخ حسين . تم تاليف الرسالة في أواخر شوال سنة (٩٧٩هـ) ونسخت صبيحة نهار الثلاثاء (١٢) ربيع الاول سنة (١٠١٦هـ) .

١٧ـ مباحث في التفسير ـ لاحمد بن محمد الغنيمي الخزرجي . كتبه مؤلفه في أواخر ذي القعدة سنة (١٠٠٤ هـ) .

١٨ـ رسالة في التفسير ـ لاحمد بن محمد الغنيمي (١٦٨ـ١٩٥).

١٩ـ رسالة على بيتين من الشعر نظمها علي جلبي بن امر الله جلبي . مؤلفها : احمد بن محمد بن ابي الفتح البرنسي الشافعي السعودي (١٩٦ ـ ٢٠٠) .

٢٠ ـ ابحاث في تفسير سورة الفاتحة ـ « ؟ » (٢٠٢ ـ ٢٠٩) .

٢١ ـ رسالة في اقسام المجاز ـ لابن كمال باشا (٢١٢ ـ ٢١٤) .

٢٢ ـ رسالة في المجاز ـ « ؟ » (٢١٥ ـ ٢١٦) .

٢٣ ـ رسالة في « كاو » ـ لابن كمال باشا (٢١٦ ـ ٢٢٠).

٢٤ ـ رسالة في التضمين ـ لابن كمال باشا (٢٢٠ ـ ٢٢٤).

٢٥ ـ رسالة في التغلب ـ لابن كمال باشا (٢٢٦ ـ ٢٣٠) . ـ ٢٣٠) .

٢٦ ـ نور الاصفياء في بيان عصمة الانبياء ـ لشرف الدين بن عبدالقادر (٢٣٤ ـ ٢٤٢) .

٢٧ ـ تحرير البيان في تقرير شعب الايمان ـ «؟» (٢٤٤ ـ ٢٥٣) .

٢٨ ـ عقلة المستوفز ـ لمحمد بن العربي الطائي (٢٥٤ ـ ٢٧١) .

٢٩ ـ تفسير قوله تعالى : (الله نور السماوات والارض) لابي حامد الغزالي (٢٧٣ ـ ٢٩٢) .

٣٠ ـ الاعلام بحكم عيسى عليه السلام ـ للسيوطي (٢٩٣ ـ ٣٠٥) .

٣١ ـ السؤالات البديعة والاجوبة الرفيعة ـ « ؟ » (٣٠٥ ـ ٣١٤) .

٣٢ ـ بلغة المحتاج في مناسك الحاج ـ للسيوطي (٣١٤ ـ ٣١٩) ، الفها في ليلة ثاني عشر جمادي الاخرة سنة (٨٧١هـ) .

٣٣ ـ مقدمة في كلمات اتفقت فيها الدال والذال خطا واختلفت معنى ـ للمرادي .

٣٤ ـ المورد في الكلام على المولد ـ لتاج الدين عمر بن علي بن سالم المالكي الاسكندري الشهير بابن الفاكهاني (٣٢٢ ـ ٣٢٣) .

٣٥ ـ الشماريخ في علم التاريخ ـ للسيوطي (٣٢٤ـ٣٣١).

٣٦ ـ مسائل كتبها احمد بن محمد الغنيمي الخزرجي (٣٣٢ ـ ٣٣٨) .

٣٧ ـ رسالة الحاصل بالمصدر ـ لعلي بن الامير بير محمد الشهير بليشي زاده . الفها سنة (٩٧٨هـ) ، ونسخت صبيحة نهار الثلاثاء (٤ محرم ١٠١٦هـ) .

٣٨ ـ رسالة في قولهم : (رابع عشري شهر رمضان) ـ لاحمد الغنيمي .

٣٩ ـ رسالة في مسالة الكحل ـ « ؟ » (٣٤٢ ـ ٣٤٨) .

٤٠ ـ فضل الجلد لفقد الولد ـ للسيوطي . كتبت سنة (١٠١٦هـ) .

٤١ ـ مزيل الترح عن منظومة ابن فرح ـ لابي عبدالله عز الدين بن جماعة الكناني (٣٥٩ ـ ٣٦٣) واول المنظومة :

غرامي صحيح والرجا فيك معضل
وحزني ودمعي مرسل ومسلسل

٤٢ ـ العجاجة الزرنبية في السلالة الزينبية ـ للسيوطي (٣٦٤ ـ ٣٦٩) .

٤٣ ـ بغية الاريب في حديث بدعة المحاريب ـ للسيوطي (٣٧٠ ـ ٣٧١) .

٤٤ ـ منظومة في الاعتقاد ـ للاقفاصي (٣٧٢ ـ ٣٧٨) مطلعها : الحمد لله العزيز الفرد ذي الطول ذي الاحسان اي ذي الايدي .

٤٥ ـ رسالتان في بيان الاستعارة ـ للمولى الفاضل الشهير بعصام الدين (٣٩٩ ـ ٤١٠) .

٤٦ ـ شرح القصيدة الخمرية ـ لابن كمال باشا (٤١٩ ـ ٤٢٩) .

***

هذا وتقع رسالة المرادي في (٧ صفحات) من هذا المجموع في كل صفحة (٢١) سطرا ، تبدأ بوجه الورقة (٣١٩) وتنتهي بوجه الورقة (٣٢٢) تشتمل الصفحة الاولى على العبارة الاتية : (مقدمة في كلمات اتفقت فيها الدال والذال خطا واختلفا معنى ، للعلامة ابن ام قاسم المرادي رحمة الله عليه)(١٨) .

اتخذت هذه النسخة أصلا في التحقيق ، واستفدت من النسخة (ا) ، فاشرت الى مخالفتها لقصيدة الاصل في الحواشي ، الا حين يكون ما في الاصل خطا فاني اثبت الصواب في الاعلى واشير الى خطا الاصل في الحاشية ، مهملا ما لا فائدة في ذكره : كسقوط نقط وغيره . وحرصت على الاشارة الى بدء كل صفحة من الاصل ، فوضعت ارقاما تدل على ذلك ورمزت لوجه الورقة بالرقم مقرونا بالحرف (أ) ولظهرها بالرقم مقرونا بالحرف (ب) .

وكتبت النص على ما نعرفه اليوم من قواعد الاملاء ، وكانت جملة من كلماته على خلاف ذلك ، لا سيما في كتابة الهمزة مثل : (جات=جاءت . الغدا= الغداء . العشا= العشاء . القراة=القراءة) . وحاولت التقيد بالنص الاصلي، ومع ذلك اضطررت الى تصحيح الفاظ وردت مخالفة للقواعد الصحيحة ، واضفت كلمات اقتضاها السياق ، واشرت الى كل تغيير في الحاشية ، ووضعت ما اضفته بين معقوفتين [ ] مستعينا على التصحيح والاضافة بكتب اللغة وغيرها . والذي يسر لي هذا التدخل ان ناسخ الرسالة غير مؤلفها ، ولو كان الناسخ هو المؤلف نفسه لما سمحت لنفسي بمثل هذا التدخل ، لان المخطوط انذاك صورة لثقافة المؤلف .

(١٨) استندت في اثبات عنوان الرسالة الى هذه العبارة بعد تصحيح لفظة (اختلفا) الى (اختلفت) ، لعود الضمير الى (كلمات) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى

وبعد ، فهذه مقدمة لضبط الكلمات التي جاءت الدال والذال فيها ، اتفقت في الشكل ، واختلفت في المعنى ، للعلامة ابن أم قاسم المرادي رحمة الله عليه (١) :

(ص) اسمع هديت(٢) لالفاظ مهذبة
في الدال(٣) تنفع من يتلو ومن كتبا

(ش) هذه الالفاظ تتفق مادة حروفها في الدال والذال .

(ص) فذاك دب على رجليـــه مهملة
وذب عن نفسه اعجامها وجبـــا

(ش) من المهمل : (والله خلق كل دابة من ماء ...)(٤) ، وهو(٥) كل ما يدب ، و (الا دابة الارض)(٦) ، يعنى(٧) الارضة ، ونحـــو ذلك : (مذبذبين بين ذلك ...)(٨) ، أي مترددين ، وأصله من « الذب » وهو الطرد ، فكرر فيه الذال(٩) ، واصله « ذبب » ، ومنه ذباب السيف : طرفه الذي يضرب به . ومنه الذباب : لانه يذب ، اي يطرد ، واشباه ذلك .

(ص) ويدرأ الشيء بالاهمال يدفعه
ويذرأ الخلق للاعجـام قـد نسبا

(ش) من المهمل : (ويدرأ عنها العذاب ..)(١٠) اي يدفع . (ويدرؤون بالحسنة السيئة)(١١) . ومن المعجم : (يذرؤكم فيـــه)(١٢) والذريـــة ، الا انها تشرك همزتها . وقيل : هي فعلية(١٣) من « الذر » أو نحو ذلك .

(ص) وداخر اي ذليل مهمـــل واذا
اردت ذخرا فاعجمه تنـــل أدبا

(ش) من المهملة : (وهم داخرون)(١٤) ، اي صاغرون اذلاء . و (ويدخلون جهنم داخرين)(١٥) يقال : دخر الرجل بالفتح [دخورا ، ودخـــر بالكسر](١٦) دخرا ، وادخره غيره . ومن المعجم : الذخيرة والذخائر ، يقال : ذخرت(١٧) الشيء اذخره ذخرا ، ومنه :

[٢أ] واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد
ذخرا يكون كصالح الاعمـــال(١٨)

واما الادخار بالمهملة ، وهو الانتقاد فمن الذخر(١٩) :

---

(١) قبل القصيدة في ا : (الحمد لله ، هذه القصيدة للامام العلامة بدر الدين بن قاسم المرادي رحمـــه الله ، مشتملة على بيان الدال والمهملة والمعجمة متفقي المبنى مختلفي المعنى ، وهي هذه ...) .
(٢) في ب (هديت (بالبناء للمعلوم ، وما اثبتناه عن أ .
(٣) أ : في الدال .
(٤) النور ٤٥/٢٤ .
(٥) في حاشية ب (وهي ط) اشارة الى ان ظاهر الكلمة (وهي) .
(٦) سبأ ١٤/٣٤ : (فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته ...) .
(٧) في ب : نعني . (وهو تصحيف) .
(٨) النساء ١٤٣/٤ .
(٩) في ب (فكرر فيه ذبذب) . والمعنى يستقيم بما اثبتناه .
(١٠) النور ٨/٢٤ .
(١١) الرعد ٢٢/١٣ : (والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة و انفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤون بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار) .
(١٢) الشورى ١١/٤٢ : (فاطر السماوات والارض جعل لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) .
(١٣) في ب : (فعيلة) وهو تحريف ؛ جاء في تهذيب اللغة « ذرا » ٤/١٥ (وذهب جماعة من اهل العربية الى ان « ذرية » اصلها الهمز ، روى ذلك ابو عبيد عن اصحابه، منهم ابو عبيدة ويونس وغيرهما من البصريين . وذهب غيرهم الى ان أصل « الذريـــة » فعلية من الذر) . ويراجع : لسان العرب «ذرر» ٣٩١/٥ و « ذرا » ٢١٢/١٨ - ٢١٣ .
(١٤) النحل ٤٨/١٦ : (او لم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا وهـــم داخرون) .
(١٥) غافر ٦٠/٤٠ : (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) .
(١٦) زيادة يقتضيها السياق ، جاء في اللسان « دخر » ٣٦٤/٥ : (دخر الرجل بالفتح يدخر دخورا فهو داخر، ودخر دخرا ذل) .
(١٧) في ب : (اذخرت) وما اثبتناه عن تهذيب اللغة «ذخر» ٣٢١/٧ والصحاح « ذخر » ٦٦٢/٢ .
(١٨) لم اقف على قائل البيت .
(١٩) في ب : (الدخر) بالدال المهملة ، والصواب ما اثبتناه، جاء في لسان العرب « ذخر » ٣٨٩/٥ : (واصـــل الادخار اذتخار وهو افتعال من الذخر . ويقال : اذتخر يذتخر فهو مذتخر ، فلما ارادوا أن يدغموا ليخف النطق قلبوا التاء الى ما يقاربها من الحروف وهـــو

(ص) والدر يهمل وهو الخير أو لبن
والذر يعجم جمعا فاعرف السببا

(ش) من المهمل قولهم : لله دره ، اي خيره ، وقيل : لبنه الذي ارتضعه . وفي الذم : لادر دره ، اي لاكثر خيره . ويقال : در اللبن بدر درورا . والذر — المعجم — جمع ذرة . قال الجوهري(٢٠) : (وهي اصغر النمل)(٢١) ، ومنه : (مثقال ذرة)(٢٢) .

(ص) ودبر الامر أهمله وقد ذبر الـ
كتاب خف مع الاعجام اي كتبا

(ش) من المهمل : (يدبر الامر)(٢٣) . (فالمدبرات امرا)(٢٤) ويقال : ذبرت الكتاب — بذال معجمة مخففا — اذبره . قال الجوهري : (والذبر : الكتابة ، مثل الزبر)(٢٥) . الهروي(٢٦) : ذبرت الكتاب : قرأته ، وزبرته : كتبته .

(ص) وافتحواهمل دمار الهالكين وقل
حامي(٢٧) الذمار بكسر معجما غلبا

(ش) الدمار — بفتح الدال المهملة — الهلاك ، ومنه : (فدمرناهم تدميرا)(٢٨) و (دمر الله عليهم)(٢٩) ، يقال : دمره ودمر عليه بمعنى . قال الجوهري : والذمار — بكسر الذال المعجمة — ما رواء الرجل مما يحق ان يحميه ، ومنه قولهم : حامي الذمار(٣٠) ، واذمر الشجاع .

(ص) وقل اداء اليه مهمل واذى
بالقصر يعجم فافهم حكمه عجبا(٣١)

(ش) الاداء — بالمهملة ممدود — دفع ماوجب ، [و] منه : (واداء اليه باحسان)(٣٢) ، والاداء بمعنى القضاء(٣٣) . والاذى — بالمعجمة والقصر — ما تأذي به ، ومنه : (لن يضروكم الا اذى ..)(٣٤) .

(ص) [٢ب] ودمة الضان بالاهمال مربضها
والذمة العهد بالاعجام قد عذبا

(ش) قال الهروي في حديث ابراهيم(٣٥) : لا بأس بالصلاة في دمة الغنم(٣٦) : قيل : دمتها

الدال المهملة ، لانهما من مخرج واحد . فصارت اللفظة مذدخر بذال ودال ، ولهم فيه حينئذ مذهبان : احدهما وهو الاكثر ان تقلب الذال المعجمة دالا مشدودة . والثاني وهو الاقل ، ان تقلب الدال المهملة ذالا وتدغم فيهما فتصير ذالا مشددة معجمة) .

(٢٠) اسماعيل بن حماد ، ابو نصر الفارابي ، صاحب كتاب (الصحاح) . توفي سنة ١٩٣هـ . براجع : معجم الادباء ٢٦٦/٢ . انباه الرواة ١٩٤/١ . بغية الوعاة ٤٤٦/١ .

(٢١) الصحاح « ذرر » ٦٦٣/٢ .

(٢٢) النساء ٤٠/٤ : (ان الله لا يظلم مثقال ذرة وأن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما) وتكرر الشاهد في يونس ٦١/١٠ . سبأ ٣/٣٤ و ٢٢ . الزلزلة ٧/٩٩ — ٨ .

(٢٣) يونس ٣/١٠ : (ان ربكم الله الذي خلق السماوات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر ...) . وتكرر الشاهد في : يونس ٣١/١٠ . الرعد ٢/١٣ . السجدة ٥/٣٢ .

(٢٤) النازعات ٥/٧٩ .

(٢٥) الصحاح « ذبر » ٦٦٢/٢ .

(٢٦) ابو عبيد القاسم بن سلام الهروي (١٥٤ — ٢٢٤هـ) . من مصنفاته : الغريب المصنف ، وغريب الحديث ، وغيرهما . براجع : مراتب النحويين ص ٩٣ . طبقات النحويين واللغويين ص ٢١٧ . الفهرست ص٧١ .

(٢٧) في ا : وقد حمى .

(٢٨) الفرقان ٣٦/٢٥ : (فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا) .

(٢٩) محمد ١٠/٤٧ : (أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين امثالها) .

(٣٠) في الصحاح « ذمر » ٦٦٥/٢ : (ويقال : الذمار ما وراء الرجل مما يحق عليه أن يحميه ، لانهم قالوا : حامي الذمار كما قالوا : حامي الحقيقة) .

(٣١) ورد البيت في ب مصحفا كما يأتي :

وقل ادا مهمل اليه واذا بالقصر معجم فافهم حكمه عجبا

(٣٢) البقرة ١٧٨/٢ : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ...) .

(٣٣) في ب : (والادا خلاف القضا) والصواب ما ابتناه ، جاء في الصحاح « قضى » ٢٤٦٣/٦ : (وقضى فلان نحبه قضاه ، اي مات . وقد يكون بمعنى الاداء والانهاء) . وفي اللسان « ادا » ٢٧/١٨ : (وادى دينه تأديه اي قضاه ، والاسم الاداء) . ويراجع : تهذيب اللغة « قضى » ٢١٢/٩ .

(٣٤) آل عمران ١١١/٣ .

(٣٥) ابراهيم بن يزيد بن قيس بن الاسود ، ابو عمران النخعي . من أهل الكوفة (٤٦ — ٩٦هـ) ، من اكابر التابعين صلاحا وصدق رواية وحفظا للحديث . يراجع: طبقات ابن سعد ٢٧/٦ . تهذيب التهذيب ١٧٧/١ . حلية الاولياء ٢١٩/٤ .

(٣٦) في غريب الحديث — للهروي ٤٣٢/٤ — ٤٣٣ : (قال ابو عبيد في حديث ابراهيم انه كان لا يرى بأسا بالصلاة في دمة الغنم ، هكذا يروى الحديث .. قال ابو عبيد : وانما هو دمنة الغنم ، بالنون في الكلام ، والدمنة ما دمنت الابل والغنم وما سودت من آثار البقر والابوال ، وجمعها دمن) .

مربضها ، كأنه دم بالبول والبعـــر ، أي البس وطلي(٣٧) . وقال بعضهم : أراد دمنة ، فحـذف النون وشدد الميم(٣٨) . والذمة ـ بالمعجمة ـ العهد ويقال : الذمة ما يجب أن يحفظ . وقـال أبـو عبيدة(٣٩) . والذمة تذمم من لا عهد له(٤٠) ، وهو أن يلزم الانسـان نفسـه ذماما ، أي حقا يوجبه عليه ويجري مجرى المعاهدة من غير معاهدة ولا مخالفة.

(ص) واقرا هداي بدال غير معجمة
بعكس زيد هدى في القول اي صخبا(٤١)

(ش) هدى : بمعنى أرشد ؛ بدال مهملة ، ومنه : (فمن اتبع هداي)(٤٢) ، و (اهدنـــا الصراط)(٤٣) ، وانك لتهذي ـ بدال معجمـة ـ من الهذيان .

(ص) وعاد اي صار اهمله وعاذ بـه
أعجم(٤٤) وكن لسوى ماصح مجتنبا

(ش) عاد يعود بمعنى رجع وصار ، اهمله ، ومنه : (وان تعودوا نعد)(٤٥) . وعاذ يعـوذ بالله عوذا ومعاذا وعاذا : أعتصم ، ومنه : اعوذ باللــه ، ومعاذ الله ، واستعذنا بالله .

(ص) وشـد شدة أو شدا بمهملـة
وشذ هذا شذوذا معجما عربـــا

(ش) شد الرجل يشد شدة : اذا كان قويا . والاشد : جمع شدة ، مثل نعمة وانعم . وشده ـ أيضـا ـ شدا : اوثقه ، ومنه : (اشدد به أزري)(٤٦) و (اشدد على قلوبهـم)(٤٧) ، و شـذ الشيء ـ بالمعجمة ـ فهو شاذ من الشذوذ .

(ص) [٣ أ] :

والنار موقودة بالدال(٤٨) مهملـة
بعكس موقوذة اي نالت العطبـــا

(ش) وقدت النار ـ بالمهملة ـ تقد وقـودا فهي موقودة . [و] وقذ الشاة ـ بالمعجمة ـ يقذها فهي موقوذة ؛ وهي التي تقتل بعصا او حجارة لا حد لها فتموت بلا ذكاة ، ومنه : (المنخنقـــة والموقوذة)(٤٩) .

[ص] وان تقل نفدت فيه بصائركم
اعجمه لا نفد الشيء الذي ذهبـــا

(ش) يقال : نفذ ـ بالمعجمة ـ من النفوذ في الشيء ، ومنه : (ان تنفذوا من اقطار(٥٠) السماوات والارض)(٥١) ، وفي الحديث : (ينفذهم البصر)(٥٢) ونفد الشيء ـ بالمهملة ـ يعني نفد وذهب(٥٣) ومنه:

---

(٣٧) عبارة ب : (كانه دم بالنور اي اللبس) ، وهو تحريف صوبناه من النهاية في غريب الحديث ١٣٤/٢ واللسان « دمم » ٩٧/١٥ .

(٣٨) وردت بعد هذه الكلمة عبارة : (والدال في ذلك) ، وقد حذفناها لزيادتها . جاء في اللسان « دمم » ٩٧/١٥ : (قال بعضهم : أراد في دمنة الغنم فحذف النون وشدد الميم) .

(٣٩) أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي (١١٤ ـ ٢٠٨هـ) صنف مجاز القرآن وغيره . يراجع : اخبار النحويين البصريين ص ٥٢ . طبقات النحويين واللغويين ص١٩٢. الفهرست ص٥٣ .

(٤٠) في اللسان « ذمم » ١١٢/١٥ : (أبو عبيدة : الذمة ، التذمم ممن لا عهد له) .

(٤١) في ب : (اذ صخبا) . وما اثبتناه عن ا .

(٤٢) طه ١٢٣/٢٠ : (قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى) .

(٤٣) الفاتحة ٦/١ : (اهدنا الصراط المستقيم) .

(٤٤) في ب : واعجم .

(٤٥) الانفال ١٩/٨ : (أن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد ...) .

(٤٦) طه ٣١/٢٠ .

(٤٧) يونس ٨٨/١٠ : (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعـون وملأه زينة واموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عـن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) .

(٤٨) في ب : بالنار (وهو تحريف) .

(٤٩) المائدة ٣/٥ : (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمترديـة والنطيحة وما اكل السبع ...) .

(٥٠) أقطار : مكررة في ب .

(٥١) الرحمن ٣٣/٥٥ : (يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من اقطار السماوات والارض فانفـــذوا لا تنفذون الا بسلطان) .

(٥٢) في صحيح البخاري ١٠٥/٦ : (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : اتي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوما بلحم فقال : ان الله يجمع يوم القيامة الاولين والاخرين في صعيد واحد ، فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس منهم ...) . ويراجع : صحيح مسلم ٥١/٤ . الفائق في غريب الحديث ١١٧/١ . النهاية في غريب الحديث ٩١/٥ . اللسان « نفذ » ٥٢/٥ .

(٥٣) كذا في ب ، ولعلها : فني وذهب .

(ما عندكم كم ينفد وما عند الله باق ..)(٥٤) و (لنفد البحر)(٥٥) .

(ص) ونحو يستنقذواه ثم انقـــذه

اعجمه لا نقـــد المال الذي طلبـــا

(ش)(٥٦) انقذه واستنقذه ــ بالمعجمة ــ اي انجاه وخلصه ، ومنه : (لا يستنقذوه منه)(٥٧) . ونقد المال ــ بالمهملة ــ عجله وانتقده ، ومنه :

ولما رايت الناس دور محلـــة

تيقنت ان الدهر للناس ناقـــد(٥٨)

(ص) وان تقل «قدر» الاهمال يلزمه

والضم والكسر للاعجام قد نسـبا

(ش) يقال : قدر الشيء ، على قدره ، ومنه : (ما قدروا الله حق قدره ...)(٥٩) . اي ما عرفوه حق معرفته ، وقدر عليه رزقه : ضيق ، وقــدر بمعنى قدر من التقدير ، وقدر من القدرة ، كله بفتح الدال المهملة . وقذر ــ بالضم ــ وقذرته أنا ، اي تقذرته ، بالمعجمة .

(ص) جد الثمار وجد السير مهمل لا

ان قلت جذ بمعنى القطع فاجتنبا

(ش) جد الثمرة يجدها جدا ، اي صرمها ، وجد في الامر بالمهملة وجذ الشيء ، بالمعجمـــة ــ قطعه ، ومنه : (عطاء غير مجذوذ)(٦٠) .

[٣ ب] اي غير مقطوع .

(ص) وفي الدليل من الارشاد يهمل لا

من ذلة دمت للافضال منتدبـــا

(ش) الدليل ــ بالمهملة ــ المرشد ، واحــد الادلة ، وبالمعجمة من الذل ، ومنه : (اذلة علـى المؤمنين اعزة على الكافرين)(٦١) . قال طرفة يجمع بينهما(٦٢) :

واعلم علما ليس بالظـــن انـــه

اذا ذل مولى المرء فهو ذليـــل

وان لسان المرء ــ انلم تكنله(٦٣)

حصاة ــ على عوراته لدليـــل

(ص) والنذر يعجم(٦٤) والانذار اجمع لا

ما قل او كان للاســقاط منتسبا

(ش) نذر ينذر وينذر ايضا نذرا : واحــد النذور ، بالمعجمة وانذر انذارا فهو منــذور(٦٥) ونذير : ابلغ واعلم ، ولا يكون الا في التحذيـــر ، بالمعجمة . وندر الشيء يندر فهو نادر ، اي قليل ، بالمهملة . وكذلك ندر يندر ويندر(٦٦) ايضا ندرا : يسقط . واندره غيره اندارا : اسقطه .

(ص) وان ذكرت غداء فهي مهملـــة

وان ذكرت الغذا اعجم وقد قربـا

(ش) الغداء ــ بالمد والفتح والمهملة ــ خلاف العشاء ، وهو ما يؤكل غدوة . والغذاء ــ بالكسر والمعجمة ــ ما يتغذى به البدن .

(ص) والجذب يعجم لكن(٦٧)ان اردت به

عيبا وذمـــا فاهمله وقــل : جدبـا

(ش) جذب الشيء جذبا : اماله اليه ، وجبذه ايضا ، بالمعجمة وجدب الشيء ــ بالمهملة ــ اي ذمه وعابه ، وكل عائب : جادب ، وفي حديث عمر انــه جدب السمر بعد العشاء(٦٨) .

---

(٥٤) النحل ٩٦/١٦ .

(٥٥) الكهف ١٠٩/١٨ : (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا) .

(٥٦) في ب : ص (وهو تحريف) .

(٥٧) الحج ٥٣/٢٢ : (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له، ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوا منه ضعف الطالب والمطلوب) .

(٥٨) لم اقف على قائل البيت .

(٥٩) الحج ٧٤/٢٢ .

(٦٠) هود ١٠٨/١١ : (واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ) .

(٦١) المائدة ٥٤/٥ : (يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين ...).

(٦٢) ديوان طرفة بن العبد ص٨٠ .

(٦٣) في ديوان طرفة : ما لم تكن له .

(٦٤) في ب : يجمع . وما أثبتناه عن أ .

(٦٥) في ب : فهو مندور . والصواب ما أثبتناه .

(٦٦) لم اقف على رواية الكسر أو الفتح في هذا الفعل .

(٦٧) في ب : لكن اذا . وما أثبتناه عن أ .

(٦٨) الحديث في الفائق ــ للزمخشري ١٧٥/١ بلفظ : (عمر رضي الله عنه ــ جدب السمر بعد العتمة) . وكلمة =

(ص) والدفر يهمل وهو لنتن لا ذفر
أي كل ريح ذكي فاتبع العربـــا

(ش) الدفر ــ بالمهملة واسكان الفاء ــ النتن خاصة [٤ أ] ويقال : دفرا له ، اي نتنا ، ومنه قيل: الدنيا [أ م](٦٩) دفر . والذفر ــ بالتحريـــك والمعجمة ــ كل الريح ذكية من طيب(٧٠) ، ويقال : مسك اذفر ، وروضة ذفرة .

(ص) والهد في المنطق الاعجام يلزمه
وما سواه باهمال فطب(٧١) ادبـــا

(ش) هد الشيء : اذا هدمه ــ بالمهملـــة ــ معروف . وهذ في القراءة هذا : اسرع . والهذ : السرعة(٧٢) .

(ص) وقولهم مدر اهمل سوى مذر(٧٣)
وهكـذا شـذر المعروف للادبـــا

(ش) المدر : جمع مدرة ، بالمهملة . وقولهم : شذر مذر ، بالمعجمة ، يقال : تفرقوا شـذر مذر ، اي في كل وجه .

فوائد العلم يحويهـا ويجمعهـا
من لم يكن همه أن يجمع الذهبـا

تمت بحمد الله وعونه وحسـن توفيقـه
والحمد لله وحـده ، وصلى الله
على من لا نبي بعـده
واللـــه
اعلم

ـ (الثمر) على ما يظهر تحريف لكلمة (السمر) الواردة في غريب الحديث ٣٠٨/٢ : (في حديث عمر رضي اللـه عنه أنه جدب السمر بعد عتمة) وفي اللسان « جدب » ٢٥٠/١ : (وفي الحديث : جدب لنا عمر السمر بعـد عتمة) وفي سنن ابن ماجة ٢٣٠/١ : (عن عبداللـه بن مسعود قال : جدب لنا رسول الله صلى الله عليـه وسلم السمر بعد العشاء) ومثله في مسند الامام احمد ٣٨٩/١ و ٤١٠ بلفظ « السمر » .

(٦٩) زيادة عن الصحاح « دفر » ٦٥٨/٢ وفيه نص عبـارة المرادي . وقال ابو عبيد في غريب الحديث ٥٤/٣ : (وزعم الاصمعي ان العرب تسمي الدنيا ام دفر) . ويراجع ايضا ٢٣٦/٣ .

(٧٠) عبارة الصحاح « ذفر » ٦٦٣/٢ : (كل ريح ذكية مـن طيب أو نتن) .

(٧١) في أ : فصب .

(٧٢) في ب : ولهذا السرعة . (وهو تحريف) .

(٧٣) صحف الشطر الاول في ب كما يأتي : (مدرا اهمله سوى مذر) . وما اثبتناه عن أ .

المصـادر

١ ــ أبو حيان النحوي ، الدكتورة خديجة الحديثي ، بغداد ١٩٦٦ .
٢ ــ اخبار النحويين البصريين ، السيرافي ، تحقيق طه محمد الزيني ومحمد عبدالمنعم خفاجي ، القاهرة ١٩٥٥ .
٣ ــ انباه الرواة على انباه النحاة ، القفطي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٥٠ وما بعدها .
٤ ــ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، السيوطي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهـرة ١٩٦٤ ــ ١٩٦٥ .
٥ ــ تهذيب التهذيب ، ابن حجر العسقلاني ، حيدر آ بـاد الدكن ١٣٢٥هـ .
٦ ــ تهذيب اللغة ، أبو منصور الازهري ، تحقيق عبدالسلام هارون وغيره ، القاهرة ١٩٦٤ وما بعدها .
٧ ــ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، السيوطي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٦٧ ومـا بعدها .
٨ ــ حلية الاولياء وطبقات الاصفياء ، ابو نعيم الاصفهاني ، مطبعة السعادة بمصر ١٩٣٥ .
٩ ــ الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة ، ابن حجر العسقلاني حيدر آباد الدكن ١٣٤٩هـ .
١٠ــ الديباج المذهب في معرفة اعيان المذهب ، ابن فرحون ، مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٩هـ .
١١ــ ديوان طرفة بن العبد ، مع شرح الاعلم ، تصحيح مكس سلفسون ، برطرند ١٩٠٠ .
١٢ــ سنن ابن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، القاهرة ١٩٥٢ .
١٣ــ شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، ابن العماد الحنبلي ، مكتبة القدسي ١٣٥١ هـ .
١٤ــ الصحاح ، الجوهري ، تحقيق احمد عبدالغفور عطار ، مطابع الكتاب العربي بمصر .
١٥ــ صحيح البخاري ، مطبعة البابي الحلبي ١٣٧٧هـ .
١٦ــ صحيح مسلم بن الحجاج ، القاهرة ١٩٦٠ .

١٧ـ طبقات الشافعية الكبرى ، تاج الدين السبكي ، القاهرة ١٣٢٤هـ .
١٨ـ الطبقات الكبرى ، ابن سعد ، بيروت ١٩٥٧ .
١٩ـ طبقات النحويين واللغويين ، أبو بكر الزبيدي ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٥٤ .
٢٠ـ غاية النهاية في طبقات القراء ، ابن الجزري ، نشره برجستراسر . مطبعة السعادة بمصر ١٩٣٢ .
٢١ـ غريب الحديث ، أبو عبيد القاسم بن سلام ، حيدر آباد الدكن ١٩٦٤ وما بعدها .
٢٢ـ الفائق في غريب الحديث ، الزمخشري ، تصحيح علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٤٥ .
٢٣ـ الفهرست ـ ابن النديم ، مكتبة خياط ، بيروت ١٩٦٤ .
٢٤ـ كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، الحاج خليفة ، الطبعة الثالثة ، طهران ١٩٦٧ .
٢٥ـ لسان العرب ، ابن منظور ، طبعة بولاق .
٢٦ـ مراتب النحويين ، أبو الطيب اللغوي ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٥٥ .
٢٧ـ مراصد الاطلاع في الامكنة والبقاع ، ابن عبدالحق ، ليدن .
٢٨ـ المسند ، احمد بن حنبل ، بيروت
٢٩ـ معجم الادباء ، ياقوت الحموي ، بعناية مرجليوث ، الطبعة الثانية ١٩٢٣ وما بعدها .
٣٠ـ معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، بيروت ١٩٥٧ .
٣١ـ النهاية في غريب الحديث ، ابن الاثير الجزري ، تحقيق محمود الطناحي وطاهر احمد الزاوي ، دار أحياء الكتب العربية ١٩٦٣ .
٣٢ـ الوافي بالوفيات ، صلاح الدين الصفدي ، بعناية ديرنبرغ وجماعته ، سنة ١٩٤٩ وما بعدها .
٣٣ـ Geschichte der Arabischen literature, Von, Carl Brockelmann, S. II, Leiden 1938.

فهرست وصفي لمخطوطات مكتبة كلية البنات
جامعة بغداد

اعداد الدكتور

زرزوق فرج رزوق

جامعة بغداد ـ كلية الاداب ـ (قسم اللغة العربية)

تأسست هذه المكتبة سنة ١٩٤٦ وهي السنة التي تأسست فيها كلية البنات ، لتؤدي واجبها التثقيفي والتعليمي نحو الطالبات خاصة ، فتعينهن على اعداد دروسهن ، وكتابة بحوثهن ، وتهيء لهن سبيل الاستزادة من الثقافة العامة .

وقد نمت هذه المكتبة بفضل استمرار العناية بها ، فناهز عدد كتبها العربية والانكليزية اربعة عشر الفا ، فضلا عن مجموعة صغيرة من المخطوطات ، ومجموعة من المجلات العلمية والادبية والفنية . وتعد المكتبة اليوم واحدة من مكتبات جامعة بغداد الكبيرة . وللمكتبة فهارس منظمة وفقا لطريقة التصنيف العشري المعروفة بطريقة ديوي مع تعديلات اقتضتها طبيعة الكتب العربية ، وتحتوي المكتبة على طائفة من نوادر الكتب ونفائسها ، جلها طبع في اوربا خلال القرن التاسع عشر ؛ وتضم اربعة عشر مخطوطا ، هي :

أ ـ اربع نسخ من القرآن الكريم . ارقامها ١ ـ ٤ .

ب ـ ستة دواوين شعرية ، هي : ـ

١ ـ ديوان ابي الطيب المتنبي (ـ٣٥٤هـ) . رقمه ٥ ب

٢ ـ ديوان الشريف الرضي (ـ ٤٠٦ هـ) . رقمه ٦

٣ ـ ديوان سبط ابن التعاويذي (ـ٥٨٣هـ). رقمه ٧

٤ ـ ديوان ابن الفارض (ـ ٦٣٢ هـ) . رقمه ٥ أ

٥ ـ ديوان عبدالغفار الاخرس (ـ١٢٩٠هـ). رقمه ٩

٦ ـ اشعار في التصوف لحسين السعداني البرزنجي (ـ١٢٩٢ هـ) . رقمه ١٠

ج ـ اربعة كتب ادبية هي : ـ

١ ـ المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر لابن الاثير (ـ٦٣٧هـ) . رقمه ١١

٢ ـ سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة (ـ٧٦٨هـ) . رقمه ١٢

٣ ـ حلبة الكميت لشمس الدين النواجي (ـ٨٥٩هـ) . رقمه ١٣

٤ ـ معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لعبدالرحيم العباسي (ـ٩٦٣هـ) . رقمه ١٤

وقد قمت بتصنيفها ثم بفهرستها فهرسة وصفية فعرفت بالشعراء والادباء اصحاب هذه الدواوين والكتب ، وذكرت اول كل مخطوط وآخره ، واسم ناسخه وتاريخ نسخه ، وعدد اوراقه وعدد سطور كل صفحة ؛ رامزا بالحرفين (ق) و (س) الى الكلمتين (ورقة) و (سطر) .

المخطوط (رقم ١)

القرآن الكريم

اسم الناسخ ـ الحاج اسماعيل النافع الماغوسوي من تلاميذ سليمان بناه الموروي .
تاريخ النسخ ـ سنة ١٢٠٢ هـ .
وصف الاوراق ـ ٤٠٣ ورقة ، ١٣ سطراً ، ١٥×١٠ سم .

المخطوط (رقم ٢)

القرآن الكريم

اسم الناسخ ـ محمد مراد بن ادريس من من تلاميذ محمد خلوصي .

تاريخ النسخ – سنة ١٢٧٥ هـ .

وصف الاوراق – ٣٧٨ ورقة ، ١٥ سطرا ، ١٧٫٥ × ١٢ سم .

المخطوط (رقم ٣)

القرآن الكريم

وصف الاوراق – ٣٠٨ ورقات ، ١٥ سطرا، ١٢٫٥ × ٨ سم .

ملحوظات اخرى – مكتوب بخط نسخي دقيق . وفي ورقتيه الاوليين زخرفة جميلة . وفي آخر المخطوط دعاء هذا اوله : « اللهم بلغ واوصل ثواب ما قرأناه وتلوناه ... »

المخطوط (رقم ٤)

القرآن الكريم

وصف الأوراق – ٣٢٣ ورقة ، ١٥ سطرا ؛ ١٧ × ١١ سم .

ملحوظات اخرى – مكتوب بخط نسخي جيد . في أوله وآخره زخرفة جميلة . وفي آخر المخطوط دعاء هذا أوله : « اللهم ربنا تقبل منا ختم القرآن ... »

المجموع الخطي (رقم ٥)

(أ) ديوان ابن الفارض

الشاعر – أبو حفص عمر بن علي بن مرشد المعروف بابن الفارض (– ٦٣٢ هـ) . حموي الاصل ، مصري المولد والوفاة . نشأ في بيت علم وورع ؛ وسلك طريق الصوفية ، وذهب الى مكة ومكث بها خمسة عشر عاما ، وعاد الى القاهرة فاقام بالازهر . وهو أشعر المتصوفين . وديوان شعره هذا جمعه سبطه علي . وقد طبع مرارا ، وشرحه كثيرون .

اول المخطوط – الشيخ والده ولم يفته منه سوى قصيدة كان نظمها بالحجاز الشريف ....

(الورقة ١ أ)

آخره – نادى بنفسج عارضيه معارضا
يا عاشقين تزودوا من قربه

تم الديوان المبارك بحمد الله وحسن توفيقه ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين والحمد لله رب العالمين . (الورقة ٥٨ أ) .

نوع الخط – نسخي جيد .

اسم الناسخ – عبدالله بن محمد علي البغدادي .

تاريخ النسخ – جمادى الاولى سنة ١١٠٠هـ

وصف الاوراق – ٥٨ ورقة ، ٢١ سطرا ؛ ٢٩ × ١٩ سم .

ملحوظات اخرى – المخطوط مخروم من اوله، ينقصه جزء من مقدمة الديوان النثرية الطويلة ، أما شعر الديوان فيبدأ في أواخر الورقة (١٠ أ) بالقصيدة اليائية التي مطلعها :

سائق الاظعان يطوي البيد طي
منعما ، عرج على كثبان طي

(ب) ديوان ابي الطيب المتنبي

الشاعر – أبو الطيب احمد بن الحسين الكندي (– ٣٥٤ هـ) . كوفي المولد ، شامي النشأة . وفد على سيف الدولة بحلب ومدحه بما خلد اسمه ابد الدهر ، ثم مضى الى مصر ومدح اميرها كافورا الاخشيدي ، ولكنه لم ينل عنده ما كان يؤمله من تقلد امارة او ولاية فتركه مغضبا وهجاه . وقصد العراق ففارس ، ثم عاد الى العراق فخرج عليه اعراب كان قد هجا بعضهم فقتلوه . والمتنبي من أشعر شعراء العربية ان لم يكن اشعرهم ، وديوان شعره مشهور ، وقد طبع مرارا .

اول المخطوط – قال ابو الطيب احمد بن الحسين بن الحسن المتنبي الكندي ، ولد سنة ثلاث وثلاثمائة، وتوفي سنةاربع وخمسين وثلاثمائة، وقد سأله سيف الدولة اجازة أبيات وقال (عفي عنه) مرتجلا : ..

عذل العواذل حول قلبي التائه
وهوى الاحبة منه في سودائه

(الورقة ٥٩ ب)

آخره – فكر راجعا حتى قتل وقتل معه ولده المحسد . وهذا ما وجدناه . والله اعلم ...

(الورقة ١٩٦ ب)

نوع الخط – نسخي جيد .

اسم الناسخ – عبدالله بن محمدعلي البغدادي

تاريخ النسخ – جمادى الاولى سنة ١١٠١هـ.

وصف الاوراق – ١٣٧ ورقة ، ٢١ سطرا ، ٢٩ × ١٩ سم .

ملحوظات اخرى – على الحواشي الجانبية شروح موجزة . وبين الورقة (١٩٥) والورقة (١٩٦) – وهي الورقة الاخيرة – خرم .

المخطوط (رقم ٦)

ديوان الشريف الرضي

الشاعر – أبو الحسن محمد بن الحسين بن

موسى الرضي العلوي الموسوي (ـ ٤٠٦ هـ) . مولده ووفاته ببغداد . وهو اشعر الطالبيين ، وقد طبع ديوان شعره غير مرة . وله مؤلفات تدل على ادبه وتضلعه عن العلوم اللسانية والعقلية منها « اعجاز القرآن » و « المجازات النبوية » ومجموعة ما دار بينه وبين ابي اسحاق الصابي من الرسائل .

اول المخطوط ـ هذا ما الفه وصنفه الرضي (رضي الله عنه) من الشعر ، ويبدأ في كل قافية بالمدائح والتهاني ، ثم بالافتخار وشكوى الزمان ، ثم بالمراثي والزهد ، ثم بالنسيب وذكر المشيب ، ثم بالاغراض المختلفة ، ثم بزيادات وجدت بعد موت الرضي (رضي الله عنه) بخطه خارجة عن ديوان شعره ، فاثبتت في آخر كل قافية منفردة لتتميز عنها . . . (الورقة ١ ب) .

آخره ـ كالذي يخبط الظلام وقد اق
حر من خلفه النهار المضي

هذا آخر ديوان شعر الشريف السيد الرضي على الكمال والتمام . نفع الله به ، وغفر لقائله وكاتبه ولوالديه ولمن استغفر ولجميع المسلمين . والحمد لله حق حمده وصلى على خيرته من خلقه محمد المصطفى وعلى آله وسلم تسليما كثيرا . (الورقة ٥٢٤ ب) .

نوع الخط ـ رقعي واضح .

اسم الناسخ ـ ابن ابراهيم بن حاجي صالح محمد .

تاريخ النسخ ـ غير مذكور .

وصف الاوراق ـ ٥٢٤ ورقة ، ١٥ سطراً ، ٢١×١٦ سم .

ملحوظات اخرى ـ مقدمات القصائد مكتوبة بالحمرة . والديوان مؤلف من جزاين ينتهي اولهما بالورقة ٢٦٤ ا . واولى قصائد الديوان همزية ، مطلعها :

جزاء امير المؤمنين ثنائي
على نعم ما تنقضي وعطاء
(الورقة ٢ أ)

المخطوط (رقم ٧)

ديوان سبط ابن التعاويذي

الشاعر ـ ابو الفتح محمد بن عبيدالله المعروف بسبط ابن التعاويذي وبابن التعاويذي (ـ٥٨٣هـ). مولده ووفاته ببغداد ، وكان يتولى بها الكتابة في ديوان المقاطعات. هو شاعر العراق في عصره ،وقد طبع ديوان شعره في القاهرة سنة ١٩٠٣ . له ايضا « كتاب الحجبة والحجاب » .

أول المخطوط ـ اجل واحيانا اتعلل بكثرة اشفالي ، وآونة اعتذر اليهم باضطراب احوالي . .

آخره ـ منطوعة مطلعها :

وليلة مظلمة
مثل وجوه الكفره

نوع الخط ـ اعتيادي . ولم يرد اسم الناسخ وتاريخ النسخ .

وصف الاوراق ـ ١٨٩ ورقة ، ٢٠ ـ ٢١ سطرا ، ٥ر٢٩×٥ر٢٠ سم .

ملحوظات اخرى ـ المخطوط مخروم من اوله وآخره . وعليه تمليكان هما : « السيد علي علاء الدين بن السيد نعمان خير الدين آلوسي زاده البغدادي سنة ١٣٠٢ » و« حسن بن الحاج محمود باجهجي . . محرم ١٣٠٦ » .

المخطوط (رقم ٨)

ديوان عبد الغفار الاخرس

الشاعر ـ عبد الغفار بن عبد الواحد بن وهب (ـ ١٢٩٠ هـ) . لقب الاخرس لحبسة كانت في لسانه. ولد في الموصل وسكن بغداد وتوفي بالبصرة. يعد من ابرز شعراء زمانه . ومن آثاره ديوان شعره، وقد جمعه احمد عزة العمري وسماه « الطراز الانفس في شعر الاخرس » . واكثره في المديح والاخوانيات ، وقد طبع .

اول المخطوط ـ حرف الالف . قال يمدح الآفاق بالاتفاق ، مفتي قطر العراق محمود الوسي زاده تغمده الله برحمته ورزقه بحسنى وزياده .

اتراك تعرف علتي وشفائي
يا داء قلبي في الهوى ودوائي
(الورقة ١ أ)

آخره ـ

تجمتان في سرور وهنا
دائم بالوصل لم ينفصل
وبحمد الله قد نال المنى
وظفرنا منكم بالامل

نوع الخط ـ فارسي . ولم يرد اسم الناسخ وتاريخ النسخ .

وصف الاوراق ـ ١٨٨ ورقة ، ٢٥ سطراً ، ٢٠×١٢ سم .

ملحوظات اخرى ـ يبدو الديوان تاماً ولكن في اوراقه الاخيرة قصائد يظهر ان الناسخ غفل عن كتابتها في مواضعها من الديوان المرتب وفقا للسياق الهجائي للقوافي فكتبها في آخره . وهي قصائد في مدح بندر شيخ المنتفك ، وحسام الدين الحلبي قائمقام علي باشا الحلبي ، وعبد القادر افندي قائمقام العمارة (الورقة ١٧٨ ب ـ ١٨٨ ب) .

المخطوط (رقم ٩)

اشعار في التصــوف

الشاعر ـ السيد حسين السعداني البرزنجي الحسيني . انظر التعريف به في « اول المخطوط ».

أول المخطوط ـ « هو السيد العالم الفاضل المعدود من الاكابر والاماثل، بل من الاولياء الاكامل، السيد حسين السعداني البرزنجي الحسيني (قدس سره) . ولد كما بخط والده سنة ١٢٢٥ ، وتوفي سنة ١٢٩٢ . وله كراماتظاهرة وخوارق متواترة، واشــعار رقيقة وتآليف بالقبول حقيقة ، وكان (قدس سره) معتدل القامة ، غزير العلم ، وافر الحلم ؛ يحبه كل من يرآه ، وقبره قرب بلدة سليمانية ... »

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لواهب العقول
والشكر لبارىء الاصول
فياض كرائم المبادى
وهاب عظائم الايادى
المبدع في الهوى قبابا
الفاتح باسمه الكتابا

(الورقة ١ أ)

آخره ـ

في الليل كهائم اناجي محنا
في البيت اطوف ثم اشكوشجنا
في جانب دارها اذا البرق بدا
اني انا ابكي كغمام حزنا

نوع الخط ـ اعتيادي

اسم الناسخ ـ « كتبه مصطفى لاجل اخيه الاعظم والافخم علي رضا افندي الباشي العسكري المحترم حفظه الله تعالى ... »

(الورقة ١ ٤ أ)

تاريخ النسخ ـ ٢٢ ذو الحجة سنة ١٣٢٣ هـ

وصف الاوراق ـ ٤١ ورقة ، ١٢ ـ ١٤ سطراً ، ٢١×٥ر١٥ سم .

ملحوظات اخرى ـ ليس كل شعر هذه المجموعة في التصوف ـ كما جاء في عنوانها ـ فهناك قصيدة في مدح الرسول (ص) الورقة (٣ب ـ٤ب) وقصائد في مدح السلطان عبد المجيد ، والوزير مصطفى رشيد باشا الصدر الاعظم ، وشيخ المسلمين السيداحمدالحاج عارف حكمةبك ومحمد منيب باشا (الورقة ٤ ب ـ ١٢ ب) ، وقصيدة ذكر الناظم فيها تاريخ اسرته ، وجعل عنوانها ما يأتي : « مبحث في احوال الناظم السيد حسين الحسيني وخروجهم من المدينة وانتشارهم في البلاد وتوطنهم في بلاد الاكراد بقرية برزنجة » (الورقة ٩ ب) وعدد من القصائد في « حكاية ليلى ومجنون » (الورقة ١٣ ب ـ ٤١ أ) .

المخطوط (رقم ١٠)

كتاب المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر

المؤلف ـ ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد الشيباني الجزري (ـ ٦٣٧ هـ) احد اخوة ثلاثة عرف كل منهم بابن الاثير، مولده بجزيرة ابن عمر ووفاته ببغداد . نشأ وتفقه بالموصل . و « المثل السائر » من اشهر كتب البلاغة والنقد الادبي ، وقد طبع مرارا . ولابن الاثير تآليفاخرى منها :

« المعاني المخترعة » و « الوشي المرقوم في حل المنظوم » وديوان رسائل ...

اول المخطوط ـ نسال الله ربنا ان يبلغ بنا من الحمد ما هو اهله ...

(الورقة ١ ب)

آخره ـ العربية على اتساعها وتشعب فنونها واغراضها ، وعلى ان لغة العجم بالنسبة اليها كقطرة من بحر .

نوع الخط ـ نسخي واضح . ولم يرد اسم الناسخ .

تاريخ النسخ ـ ٥ شعبان سنة ١١٤٢ هـ .

وصف الاوراق ـ ٢٥٧ ورقة ، ٢٧ سطراً ، ٥ر٢٠×١٥ سم .

المخطوط (رقم ١١)

سرح العيون [في] شرح رسالة ابن زيدون

المؤلف ـ ابو بكر جمال الدين محمد بن محمد ابن نباتة المصري (ـ٧٦٨ هـ) . مولده ووفاته بالقاهرة . كان ابرز شعراء عصره ، ويتميز شعره بالسهولة والطرافة . له رسائل احتذى فيها طريقة القاضي الفاضل . وله تآليف كثيرة منها : « سجع المطوق » و « مطالع الفوائد » و « الفاضل من شعر الفاضل » و « المختار من شعر ابن الرومي » .

اول المخطوط ـ الحمد لله الذي لايجب الحمد الا له .

آخره ـ ولا اخلى ابواب علمه ونعمه على كلا الحالين من طالب (الورقة ١٨٧ ب) .

نوع الخط ـ اعتيادي .

اسم الناسخ ـ عبد الرزاق بن محمد امين بن الملا رجب الافغاني .

تاريخ النسخ ـ سنة ١٢٧١ هـ .

وصف الاوراق ـ ١٨٧ ورقة ؛ ٢١ سطراً ، ٢٢×١٥ سم .

ملحوظات اخرى ـ العبارات التي تقدم القصائد مكتوبة بالحمرة .

المخطوط (رقم ١٢)

حلبة الكميت

المؤلف ـ شمس الدين محمد بن حسن بن علي النواجي (ـ ٨٥٩ هـ) . مولده ووفاته بالقاهرة . اديب شاعر له مؤلفات كثيرة ، منها « حلبة الكميت » هذا . وهو في الخمر والندماء وما يتعلق بهما ؛ وقد طبع . ومنها « مراتع الغزلان » و « تحفة الاديب » و « التذكرة » و « روضة المجالسة » .

اول المخطوط ـ سقط شيء من اوله . وهو يبدأ بـ « فقالوا الحقنا به ، فسقاهم حتى انتهوا الى حاله ، فانتبه ابو الهندي فرآهم ...

ندامى بعد عاشرة تلاقوا
تعمهم الفتوة والسماح »

(الورقة ١ أ)

آخره ـ سقط شيء من الاخر ايضا . وجاء في الورقة الاخيرة : وتلطف البديع الهمداني بقوله :

وفتيان صدق(١) كاقران الثريا
على طرف من العيش الرخيم

(الورقة ٢٣٦ ب)

نوع الخط ـ نسخي واضح ، ولم يرد اسم الناسخ وتاريخ النسخ .

(١) كذا . والصواب حذف كلمة (صدق) .

وصف الاوراق ـ ٢٣٦ ورقة ، ١٧ سطراً ، ١٩×١٤ سم .

المخطوط (رقم ١٣)

معاهد التنصيص على شواهد التلخيص

المؤلف ـ زين الدين ابو الفتح عبدالرحيم بن عبدالرحمن العباسي (٩٦٣ هـ) . ولد بالقاهرة . ووفد الى القسطنطينية زمن السلطان بايزيد بن محمد الفاتح فاكرمه ، وعاد الى القاهرة ، ثم قصد القسطنطينية ثانية واستقر بها . كان منشئاً بليغاً ، عارفا بالحديث ، عالما بالتاريخ . وكتابه « معاهد التنصيص » جعله كالشرح لابيات « تلخيص المفتاح » للقزويني ، وتكلم فيه على معاني ابيات الشواهد وتراجم قائليها . وقد طبع .

اول المخطوط ـ الحمد لله الذي اطلع في سماء البيان اهلة المعاني ...

آخره

ومن يناوئه يعش بائساً
يسحب ذيل الخاسىء الخاسر

وقد يسر الله تعالى الكريم باتمامه ويكتمل نظامه بحوله وقوته ...

(الورقة ٣٢٣ أ)

نوع الخط ـ نسخي جيد .

اسم الناسخ ـ لم يذكر الناسخ اسمه ، ولكنه ذكر انه نسخ هذا المخطوط عن نسخة بخط المؤلف .

تاريخ النسخ ـ غير مذكور .

وصف الاوراق ـ ٣٢٣ ورقة ، ٢٨ سطراً ، ٢٦×١٥،٥ سم .

فهرست مخطوطات دير الآباء الكرمليين ببغداد

اعداد

حكمت رحماني

مديرية الوقاية الصحية العامة ـ بغداد

المقدمة

منذ سنوات وانا اتردد الى خزانة كتب دير الآباء الكرمليين في بغداد . وفي كل زيارة من هذه الزيارات للدير كان يقع امام ناظري مختلف التصانيف العلمية والتاريخية والادبية ، واغلب هذه النفائس مما جمعه العلامة الخالد الذكر الاب انستاس ماري الكرملي المتوفى في ٧ كانون الثاني سنة ١٩٤٧ وفي الفترة الاخيرة لفت نظري عند اعداد بعض ابحاثي(١) مجموعة من المخطوطات المختلفة ، منها ما هو من مؤلفات الاب انستاس ماري الكرملي وبخط يده ومنها ما هو غير ذلك من المخطوطات العربية التي جمعها الاب المذكور . فرغبت في الاطلاع على جميع ما يحويه الدير من مخطوطات ففاتحت الاب الفاضل روبرت الكرملي ، المسؤول عن المكتبة ومخطوطاتها ، برغبتي هذه فلبى طلبي مشكورا ووضع تحت تصرفي جميع المخطوطات التي يملكها الدير وهي التي قمت بفهرستها في هذا الكتاب .

فبلغ مجموع المخطوطات (٥٥) مخطوطا في مختلف العلوم والفنون .

وهذه المخطوطات قسمتها الى قسمين : ــ

١ ــ المخطوطات الباقية من مؤلفات الاب انستاس ماري الكرملي والتي هي بخط يده ، ويحتوي هذا القسم على (٢٨) مخطوطا .

٢ ــ المخطوطات العربية والاجنبية التي ليست من مؤلفات الآب الكرملي ، وعددها (٢٧) مخطوطا(٢) .

اما خطة العمل في هذا الفهرست فهي : ــ

١ ــ تدوين اسم المخطوط كاملا حسبما ورد في اصل الكتاب .

٢ ــ ذكر اسم مؤلفه وسنة وفاته اذا كانت معروفة بالتاريخين الهجري والميلادي .

٣ ــ طول المخطوط وعرضه بالسنتمتر مع ذكر عدد اوراقه او صفحاته وعدد سطوره .

٤ ــ ايراد عبارة اول المخطوط وآخره ما امكن .

٥ ــ ذكر نوع الخط ونوع الورق المكتوب عليه .

٦ ــ تاريخ كتابة المخطوط واسم ناسخه اذا كان مذكورا او معروفا .

٧ ــ بيان نوع جلد المخطوط وفيما اذا كان ذا ميزة خاصة .

٨ ــ هل المخطوط قد طبع ام لا ؟ .

٩ ــ التعريف الموجز بالمخطوط كلما دعت الحاجة الى ذلك .

١٠ ــ واخيرا فقد سرنا على طريقة علمية مستحسنة وهي ادراج اهم عناوين او مضامين الكتاب كما وردت في صفحات المخطوط وطبقنا هذه الطريقة على القسم الاول ، اي مؤلفات الاب انستاس ماري الكرملي وذلك لاتاحة الفرصة لمعرفة محتوياتها من قبل الباحثين والدارسين وما تحويه من فوائد نفيسة قيمة .

فهارس الكتاب الهجائية :

وقد الحقنا في نهاية الكتاب فهرسين هجائيين الاول باسماء المخطوطات من كتب ورسائل . والثاني

(١) لقد انصرفت منذ عدة سنوات الى وضع كتاب بعنوان (المستفاد من انساب نصارى بغداد) وهذه الابحاث والتنقيبات تخص كتابي المنوه به اعلاه .

(٢) تبلغ المخطوطات العربية من هذه المجموعة ٢٠ مخطوطا ــ واما البقية فهي : اثنان بالفارسية وخمسة باللغات الاوربية كما سيرد بيانه في تضاعيف الكتاب .

فهرس اعلام الناس وهو يتضمن اسماء المؤلفين والناسخين وغيرهم ممن ورد ذكرهم في تضاعيف هذا الكتاب .

واخيرا لا يسعني الا ان اقدم جزيل شكري للاباء الكرمليين كافة لما لمسته منهم من حفاوة وتشجيع حين اتاحوا لي الفرصة لدراسة مخطوطات الدير وتقديمها للقراء بهذا الشكل الذي آمل ان يسد فراغا في المكتبة العربية في العراق والعالم العربي .

وختاما وانا اضع بين يدي القارىء الكريم هذا الفهرس آملا ان اكون قد اديت بعض ما علي من واجب في هذا المجال مستميحا القراء عذرا ان لم اكن موفقا فيما عرضت تمام التوفيق سائلا المولى تعالى ان يسدد خطى الجميع الى ما فيه الحق والصواب انه نعم المولى والمجيب .

الرموز المستعملة في هذا الفهرست

لقد استعملت الرموز الآتية التماسا للاختصار :ـ

سم : سنتمتر
ص : صفحة
و : ورقة
س : سطر
هـ : هجري
م : ميلادي

القسم الاول

ان جميع ما سيرد من مخطوطات في هذا القسم هو من مؤلفات العلامة المرحوم الاب أنستاس ماري الكرملي المتوفى في ٧ كانون الثاني سنة ١٩٤٧(١) .

١
اديان العرب وخرافاتهم

ابتدأ به الاب الكرملي في ٧ شباط سنة ١٨٩٦ ، ولم يطبع .

اوله : « قال ابن الكلبي : حدثني ابي ان حجرا كان في بني اسد وكانت له عليهم اتاوة ... » .

اما موضوعات الكتاب فهي : ـ

١ ـ اديان العرب في الجاهلية .
٢ ـ عبادة الشمس .
٣ ـ مجوس العرب وزنادقتهم .
٤ ـ نصارى العرب في الجاهلية .
٥ ـ معبودات اليونان عربية الاصل .

وفي تضاعيف الكتاب اوراق بيض غير مكتوبة . والكتاب مجلد تجليدا حديثا .

٢٢×١٧ سم ؛ ٣٤٤ ص ؛ ٢٢ س .

٢
اسرار الموازين او خصائص الاوزان والحروف

ابتدأ به الاب الكرملي في ٧ شباط سنة ١٨٩٦ . ولم يطبع .

اوله : « النقيب في اللغة كالامين والكفيل ... » .

وهذه اهم موضوعات الكتاب : ـ

١ ـ حاجتنا الى معجم عصري وان يكون متقن التصوير .
٢ ـ الفاظ عربية الاصل عادت الينا عن طريق اجنبي .
٣ ـ خصائص الحروف في مواقعها المختلفة .
٤ ـ عربيات لها مقابلات في الساميات ومنها في اليافثيات .
٥ ـ افعال مجهولة البناء متعدية المعنى .
٦ ـ الكسرة في الاسماء ومدلولاتها .
٧ ـ الضمة ومدلولاتها في الاسماء .
٨ ـ الفتحة ومدلولاتها في الاسماء .
٩ ـ الافعال المحولة من الفاعلية الى المفعولية ومن اللزوم الى التعدية .

نسخة مجلدة تجليدا حديثا على ورق اسمر عادي .

٢١×١٦ سم ؛ ٥١٨ ص ؛ ٢٣ س .

٣
اسرار الموازين والجموع

ابتدأ به الاب الكرملي في ٥ شباط سنة ١٨٩٦ . ولم يطبع .

اوله : « اوزان اغفلها الصرفيون ... » .

واهم موضوعات الكتاب هي : ـ

١ ـ اوزان اغفل ذكرها الصرفيون : الاسماء ، الافعال .
٢ ـ الفاظ مفردها بدون هاء وجمعها بالهاء .
٣ ـ موازين الاسماء والمصادر والنعوت .
٤ ـ كيف نشأت اللغة العربية .

(١) للوقوف على اسماء مؤلفات الاب انستاس الكرملي فليراجع كتابي كوركيس عواد « الاب انستاس ماري الكرملي ، حياته ومؤلفاته » و « معجم المؤلفين العراقيين » .

٥ ــ جموع الخماسي وما فوقه وغرائب الجموع .
٦ ــ صيغة منتهى الجموع .
٧ ــ الجموع في الاسماء .
٨ ــ فضل اللغة العربية على جميع لغات العالم .

والكتاب مجلد بجلد حديث يتخلل صفحاته اوراق بيض .

٥ر٢١ × ٥ر١٦ سم ؛ ٧٦٧ ص ؛ ٢٢ س .

٤
الانباء التاريخية

للاب انستاس ماري الكرملي . قال في مقدمة الكتاب : هي تعليقات شرعت بجمعها في رحلتي الى مصر والشام واستانبول وديار الافرنج في اول ايلول سنة ١٩٠٤ . وهو باللغتين العربية والفرنسية ، ولم يطبع .

اولـه : « الابدال : في النهاية لابن الاثير (في حديث علي (رض) الابدال بالشام هم الاولياء والعباد ... » .

وهذه اهم مواد الكتاب : ــ

١ ــ الياس والخضر وفنحاص .
٢ ــ الزرازرة والزراورة والزرادرة والسراسرة .
٣ ــ ياجوج وماجوج .
٤ ــ الكتب النادرة في مكتبة كوبرلي في استانبول .
٥ ــ الجرامقة .

٢٢ × ١٧ سم ؛ ١٥٨ ص ؛ ١٩ س .

٥
الرغائب

ابتدأ به الاب الكرملي في ٧ شباط سنة ١٨٩٧ . ولم يطبع .

اولـه : « فوائد مجملة في اللغة العربية ... » .

والكتاب مجلد تجليدا حديثا وبورق اعتيادي .

واهم ابواب الكتاب هي : ــ

١ ــ قواعد في الوضع .
٢ ــ خصائص الحروف والتراكيب العربية .
٣ ــ غرائب الجمع .
٤ ــ اللغة العامية عند العرب .
٥ ــ منقرضات اللغة العربية .
٦ ــ الفرائد الشعرية .
٧ ــ غرائب المصادر .
٨ ــ اغلاط الشعراء واكابر الكتاب .
٩ ــ الاشتقاق والمجاز وقواعد في الوضع .
١٠ــ خصائص لغة العرب .

٢١ × ٥ر١٦ سم ؛ ٤٧٢ ص ؛ ٢٤ س .

٦
السحائب

ابتدأ به الاب الكرملي في ٧ شباط سنة ١٨٩٧ . ولم يطبع .

اوله : « فوائد التوكيد والتكرير والتطويل وهو من باب اضافة الشيء الى نفسه ... » .

الكتاب مجلد ومغلف بالجلد يتخلل صفحاته اوراق بيض غير مكتوبة .

اهم مواده كما وردت في ثبت الكتاب الصفحة ٣ ، هي : ــ

١ ــ الفاظ لا مفرد لها .
٢ ــ التقييد بعد التصميم وبالعكس .
٣ ــ المعربات وذكر اصلها .
٤ ــ الفاظ مشتركة في جميع اللغات .
٥ ــ الاضداد .
٦ ــ الحركات المجهولة .
٧ ــ معاني الصيغ العربية .
٨ ــ الفاظ عربية يجهلها المعربون .

٢١ × ١٦ سم ؛ ٣٥٦ ص ؛ ٢٣ س .

٧
الشوارد اللغوية في الاشعار البدوية

جمعها الاب انستاس ماري الكرملي في سنة ١٨٨٦ . ولم يطبع (١) .

(ماورد هنا من ص (١) الى ص (٩٩) منسوخ عن اوراق كانت عائدة الى المسيو آشيل مراد وكان ترجمان القنصل الفرنسي في بغداد) (٢) .

اوله : « رسالة من فتح‌الله [خياط] الى آشيل مراد ترجمان القنصلية الفرنسية في بغداد ... » .

الكتاب يحوي أشعارا بدوية وحكايات شعرية جمعها الاب انستاس من مختلف المصادر وسمعها من بعض المارة .

١٩ × ١٤ سم ؛ ٢٦٠ ص ؛ ١٦ س .

---

(١) عنينا بتحقيق هذا الكتاب ، وسننشره هنا قريب .
(٢) توفي المسيو آشيل مراد في شباط سنة ١٨٩٥م .

٨

بـدوات الخاطـر

ابتدأ بـه الاب الكرملي في دير المحرقة في جبل الكرمل في ١٩ آذار سنة ١٩٢٥ ، ولم يطبـع .

يبدأ بايراد شيء من اغلاط « اقرب الموارد »[١] للشرتوني .

واهم موضوعات الكتاب هـي : ــ

١ ــ اداة التعريـف .
٢ ــ توضيـح التعريـف .
٣ ــ تأصيـل التنويـن .
٤ ــ حـل معقـدات .
٥ ــ اسماء تدل على طائفة معدودة .
٦ ــ تعريـف الالفـاظ .
٧ ــ اعجميـات ولهـا مقابل في العربيـــة مـع تصحيفاتهـا .
٨ ــ تعريب الكلمة الدخيلة الواحـدة .
٩ ــ المعربات واحوالها وتحويلها .

نسخة مجلدة تجليدا حديثا مكتوبة على ورق ابيـض حـديث .

٢٠ر٥×١٦ر٥ سم ؛ ٤٤٤ ص ؛ ٢٢ س .

٩

جمهـرة اللغـات

ابتـدأ بـــه الاب الكرملـي في ٧ شـــباط سنة ١٨٩٧ ، ولم يطبـع .

اوله : « اصل اللغـة العربيـة ... » .

وهذه اهم موضوعات الكتاب : ــ

١ ــ لغات قبائل العـرب .
٢ ــ اسرار تراكيب الحـروف .
٣ ــ فصيح كلام العرب ودرجاته في ديارهم .
٤ ــ اطوار اللغـة العربيـة .
٥ ــ ســر الحـروف العربيـة .
٦ ــ الحـروف المعقودة او المركبة .

نسخة مجلـدة تجليدا حـديثا .

٢١ر٥×١٦ر٥ سم ؛ ٣٨٨ ص ؛ ٢٣ س .

١٠

الخطـرات المقيـدة

ابتـدأ بـه الاب الكرملـي في ديـر المحرقـة في ٩ آذار سنة ١٩٢٥ ، ولم يطبع .

(١) معجم لغوي تأليف سعيد الشرتوني ، المتوفى سنة ١٩١٢ ، طبع في بيروت (١ــ٢ عام ١٨٨٩) .

اوله : « الشعر والغناء والتمثيل ... » . [١]

وهذه اهم محتويات الكتـاب : ــ

١ ــ العربيـة مفتاح اللغـات . [٢]
٢ ــ اداة التعريـف في التاريـخ . [٣]
٣ ــ أعربيات : قريش والخليفة والادب . [٤]
٤ ــ غرائـب لغويـة عجيبة .
٥ ــ العبهل والعيهـل والعاهـل .
٦ ــ اا لمابـمر ام السماوة . [٥]
٧ ــ العبـقـري واصلهـا .

نسخة مجلدة تجليدا حديثا مكتوبة على ورق ابيـض صقيـل .

٢١×١٤ سم ؛ ٨٥٠ ص ؛ ٢٣ س .

١١

خواطر علميـة وسوانح دينيـة ومنثورات ادبية ولغويـة وتاريخيـة

ابتـدأ بـــه الاب الكرملـي في ١٠ تمـــوز سنة ١٨٩٥ ، وهو باللغتين العربية والفرنسية ، ولم يطبــــع .

اهم موضوعات الكتاب هـي : ــ

١ ــ حكايات عاميـة شعبية .
٢ ــ الحضـر .
٣ ــ صحف ابراهيم عليه السلام .
٤ ــ فوائد في البابيـة .
٥ ــ الصابئـة في العـرب .
٦ ــ قصة مار اوقيمس .

٢٢ر٥×١٧ سم ؛ ٦١٣ ص ؛ ٢٢ س .

١٢

العجائـب اللغويـة

ابتـدأ بـه الاب الكرملـي في سـنة ١٨٩٧ ، ولم يطبـع .

اوله : « قراه وقرا به : بزيادة الباء ... » .

اما اهم مواد الكتاب فهـي : ــ

١ ــ شواذ المصدر ومقيساتها .

(١) عنوان مقالة ارسلت الى الدكتور احمد زكي ابو شـادي اجابة لاقتراحه على الاب سنة ١٩٢٧ .
(٢) مقالة نشرت في الهلال ٣٧ : ص ٢٠٦ ــ ٢١٥ .
(٣) نشرت في المقتطف ٧٤ : ص ١٦٠ .
(٤) عنوان مقالة ادرجت في المقتطف ٧٥ [١٩٢٩] ص ١٩٧ ــ ٢٠٢ .
(٥) عنوان مقالة نشرت في مجلة لغة العرب ٧ : ص ٣٣١ ــ ٣٣٣ .

٢ ــ تصرف العرب بالمعربات .
٣ ــ التسمية بالمصدر .
٤ ــ فارسيات الاصل وتركية وهندية .
٥ ــ اغلاط العرب في اصل المعربات .
٦ ــ غرائب الاشتقاق وتاصيل الزائد .
٧ ــ معاني الاوزان الفعلية ومعانيها ونوادرها .
٨ ــ القلب والابدال .
٩ ــ المؤتلف في الخط والمختلف في النقط .
١٠ــ قصر المدود ومد المقصور .
١١ــ لغات العرب في الاعراب والقواعد العامة .
١٢ــ غرائب صيغ اسم الالة .
١٣ــ اصول بعض الالفاظ العربية .

٢١ر٥ × ١٦ر٥ سم ؛ ٣٨٤ ص ؛ ٢٤ س .

١٣

الغرائب

ابتدا به الاب الكرملي في ٧ شباط سنة ١٨٩٧ ، ولم يطبع .

اوله : « اوجه الاعراب او اللحن : قال ابو عثمان عمرو بن بحر حدثنا عتام ابو يحي عن الاعمش عن عمارة بن عمير قال (كان ابو معمر يحدثنا فيلحن ...) » .

وهذه اهم موضوعات الكتاب : ــ

١ ــ اللحن .
٢ ــ الحمل على الضد أو على النظير .
٣ ــ غرائب الجمع في العربية .
٤ ــ مفاعيل الوقف على آخر الالفاظ .
٥ ــ تصحيح الاجوف والناقص
٦ ــ الفاظ لم تفسر .
٧ ــ العرب البائدة واصلهم ولغتهم .
٨ ــ اعراب الاسماء الخمسة .

٢١ر٥ × ١٦ر٥ سم ؛ ٤٠٨ ص ؛ ٢٢ س .

١٤

الفرر النواصر والبدور الزواهر

ابتدا به الاب الكرملي في ٥ شباط سنة ١٨٩٤ ، ولم يطبع .

اوله : « تاريخ آداب اللغة العربية : هي احدى اللغات السامية وارقاها ... » .

اما اهم موضوعات الكتاب فهي : ــ

١ ــ الالوسي ترجمته : نعمان الالوسي .
٢ ــ بغداد : نظرة في احوالها وجوامعها وتكياتها ومساجدها وخاناتها ومبانيها ومحلاتها ... الخ .
٣ ــ اوجه الاعراب عند العرب والاعراب .
٤ ــ الصابئة والصابئون .
٥ ــ الصليب (١) .
٦ ــ طيور البصرة .
٧ ــ لغات جزيرة العرب .
٨ ــ اصنام العرب .
٩ ــ الديانة عند العرب .
١٠ــ معادن بلاد العرب .

٢١ × ١٦ر٥ سم ؛ ٦٦٥ ص ؛ ٢٢ س .

١٥

فوائد الشرائد او الشوارد

ابتدا به الاب الكرملي في دير المجرقة في ١٩ آذار سنة ١٩٢٥ ، ولم يطبع .

اهم محتويات هذا الكتاب هي : ــ

١ ــ الحرب بين الكلم وقتلها(٢) .
٢ ــ خصائص العامية المصرية .
٣ ــ عيسى وموسى في القرآن .
٤ ــ فضل العربية على اللغات الافرنجية .
٥ ــ العربية تجلي الغوامض .
٦ ــ اغلاط المستشرقين(٣) .
٧ ــ الفرع والاصل .
٨ ــ غنى العربية عن الاعجمية .

٢٠ر٥ × ١٦ سم ؛ ٤٤٨ ص ؛ ٢٢ س .

١٦

كشكول المحققين من المؤرخين واللغويين

ابتدا به الاب الكرملي في ٧ أيار سنة ١٨٩٦ ، ولم يطبع .

أوله : « النصارى في عهد بني أمية ... » .

وأهم ما في الكتاب من موضوعات هي : ــ

١ ــ النصارى في عهد بني أمية .
٢ ــ من حوادث داود باشا الوزير .
٣ ــ الشبك .
٤ ــ العرب واخبارها في التاريخ .
٥ ــ زيادات على المعاجم العربية .

---

(١) مقال نشر في المشرق ١ [بيروت ١٨٩٨] ص ٦٧٣–٦٨١ .
(٢) وقد نشره في جريدة « الاهرام » المصرية بتاريخ ١٩٣٧/٩/٢٧ .
(٣) وقد نشره في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ١٤ [١٩٣٦] ص ٢٣٥ – ٢٤٧ .

٦ ـ معنى العراق .
٧ ـ مظاهر النهضة الحديثة .
٨ ـ استيقاظ الاسلام .

والكتاب باللغتين العربية والفرنسية ومجلد تجليدا حديثا .

٢٠,٥×١٦,٥ سم ؛ ٨٠٠ ص ؛ ٢٠ س .

١٧

اللمع التاريخية والعلمية

الجزء الاول ـ وقد بدأ به الاب الكرملي في سنة ١٨٩٥ ، ولم يطبع .

اوله : « تاريخ بعض ابنية بغداد ... » .

واهم موضوعات الكتاب كما وردت في الصفحة ٦٨٠ من المخطوط هي :ـ

١ ـ تاريخ بعض ابنية بغداد .
٢ ـ ذكر المذابح التي حدثت في بلاد الارمن سنة ١٨٩٥ .
٣ ـ من كتاب الجلوة لليزيدية .
٤ ـ سلاطين مسقط وزنجبار .
٥ ـ جسر بغداد في سنة ١٩٠٢ .
٦ ـ الحروف المتدائية واصلها .
٧ ـ لمعة تاريخية عن اليزيدية .
٨ ـ فوائد عن الصبة .
٩ ـ فوائد عن كردستان .
١٠ـ طرف تاريخية في جوامع بغداد .
١١ـ سكان اذربيجان الكلدان والنساطرة .
١٢ـ المنتفك وثورتهم .
١٣ـ زبيد ونسبهم وقبائلهم المختلفة .
١٤ـ تصحيح كتاب الاغاني للاصبهاني .
١٥ـ نصارى العرب .
١٦ـ اصل كلمة كعبة ومكة وكربلاء . (١)

٢٠,٥×١٥ سم ؛ ٧٠٧ ص ؛ ١٩ س .

١٨

اللمع التاريخية والعلمية

الجزء الثاني ـ ابتدأ به الاب الكرملي في سنة ١٩٠٧ ، ولم يطبع .

اوله : « هذا السفر فيه جميع ما شاق وراق من كلام عموم بلغاء الكتاب المحدثين والمشهورين بحسن الاسلوب ... » .

(١) مقالة نشرت في مجلة المقتبس ٢ : ص ٣١٥ ـ ٣١٩ .

اهم موضوعات الكتاب هي :ـ

١ ـ مطاردات ومسابقات في بغداد .
٢ ـ الطاعون في بغداد عام ١٩٠٨ .
٣ ـ حال العراق واعمال ناظم باشا في بغداد .
٤ ـ جغرافيو العرب .
٥ ـ غرق بغداد . (١)
٦ ـ مشاهير علماء نجد في النهضة الاخيرة .
٧ ـ الكويت والمحمرة .
٨ ـ الكويت والدولة العلية .
٩ ـ اليزيدية والاتراك .

والكتاب مجلدا تجليدا حديثا مكتوب على ورق اسمر عادي .

٢٠,٥×١٥ سم ؛ ٨٦٩ ص ؛ ٢٠ س .

١٩

المجموعة الذهبية

شرع الاب الكرملي بجمعها في اول كانون الثاني سنة ١٩١٥ حينما كان منفيا في قيصرية في الاناضول من سنة ١٩١٤ الى سنة ١٩١٦ على ماورد في صدر الكتاب ، ولم يطبع .

والكتاب مكتوب بثلاث لغات هي العربية والفرنسية والتركية . وجملة الكتاب عبارة عن خواطر وآراء وابحاث سجلها الاب انستاس عندما كان في منفاه في قيصرية كما اشار الى ذلك في الورقة الاولى من المخطوط .

واهم ماورد من موضوعات هذا الكتاب ، هي :ـ

١ ـ القلب والابدال .
٢ ـ فتك الترك بالارمن .
٣ ـ امثال تركية مع ترجمتها .
٤ ـ مقابلة العربية للسكسونية .
٥ ـ مستدركات عربية على المعاجم .

هذه النسخة مجلدة تجليدا حديثا ومكتوبة على ورق اعتيادي .

٢٣,٥×١٥,٥ سم ؛ ٤٣٤ ص ؛ ٢٢ س .

٢٠

مختارات المفيد

ابتدأ به الاب الكرملي في ٧ ايلول سنة ١٨٩٤ وهو باللغات العربية والانكليزية والفرنسية والاخيرة هي الغالبة عليه ، ولم يطبع .

(١) عنوان مقال ادرج في مجلة المشرق «بيروت» ١٠ : ص٦٥١ .

أما أهم موضوعات الكتاب فهي : ـ

١ ـ رحلة الاب انستاس ماري الكرملي (المعلم بطرس ميخائيل مازيني) (١) ، وتبدأ من صفحة ٤٠٦ ـ ٤١٨ .
٢ ـ مجموع الالفاظ الموجودة في الامثلة .
٣ ـ عالم الحيوان ومراتب الحيوانات .
٤ ـ سياحة ابن بطوطة الى بغداد .

٥ر٢١×١٧ سم ؛ ٤٨٠ ص ؛ ٢٤ س .

٢١

معين المحقق ومعين المدقق

الجزء الثاني ـ بدأ به الاب الكرملي في سنة ١٩٠٨ ، ولم يطبع .

(اما المجلد الاول فقد سرق عند سقوط بغداد سنة ١٩١٧)(٢) .

اوله : « السيلى او السلى او بلاد السرق ... » .

وهذه اهم مضامين الكتاب : ـ

١ ـ السيلى او السلى او بلاد السرق(٣) .
٢ ـ معاهد بغداد العمومية عند سقوطها الاول(٤) .
٣ ـ استئصال شأفة الاشقياء في بغداد .
٤ ـ فتنة بني لام في العمارة .
٥ ـ الفرمان السلطاني بحق المرسلين الكرمليين .
٦ ـ النهضة الادبية في العراق(٥) .
٧ ـ القرامطة .
٨ ـ هرم تمدن الشرق وشباب تمدن الغرب . } ادرجت في مجلة المقتطف باسم امكح
٩ ـ اللغة العامية توأمة اللغة الفصحى .
١٠ ـ اول من وضع كلمة (مجلة او وضيمة) .
١١ ـ مغامز المعاجم العربية .
١٢ ـ اسماء معبودات العرب المجهولة .

٥ر٢٠×١٥ سم ؛ ٨٨٠ ؛ ٢١ س .

(١) هذا اسم الاب انستاس الكرملي قبل دخوله في سلك الرهبانية .
(٢) راجع حادثة تلف وسرقة خزانة الاب انستاس الكرملي ، في جريدة العرب البغدادية الصادرة عام ١٩١٧ . الاعداد (٤٧ ، ٥٢ ، ٥٣) .
(٣) نشرت في المشرق ١١ [١٩٠٨] ص ٢٥٤ ـ ٢٥٧ .
(٤) نشر في المشرق ايضا ١١ [١٩٠٨] ص ٣٦٦ ـ ٣٦٧ .
(٥) نشر في مجلة الزهور المصرية ١ : ص ١٨٥ ـ ١٩٣ .

٢٢

المساعد (١)

المجلد الاول ـ بدأ به الاب الكرملي في سنة ١٨٨٣ ، واليك وصفه : في الصفحة الاولى من المجلد الاول يقول الاب الكرملي ما نصه : « بملك الفقير لمولاه بطرس ميخائيل مازيني »(٢) . ثم هذه الملاحظة : « اطالع محيط المحيط مرة كل خمس سنوات واعلق عليه مايبدو لي ، وذلك منذ سنة ١٨٨٣ وانا الفقير اليه تعالى الاب انستاس ماري الكرملي .

ولم تفتني مادة من مواده لاني طالعته كلمة فكلمة ، فطالعته احدى عشرة مرة الى سنة ١٩٣٨ » (٣) .

والمساعد عبارة عن معجم (محيط المحيط) (٤) وقد وضع الاب الكرملي ورقة بيضاء بعد كل ورقة منه يدون فيها ما يعن له وما استدركه عليه .

يبدأ المجلد الاول من المساعد بالحرف (ا) وينتهي بانتهاء حرف الحاء .

وبعده يأتي ملحق يتكون من ٤٨٠ صفحة مدون فيها زيادات على ما جاء في المتن .

وهو مجلد تجليدا حديثا ومغلف بالقماش .

٢٦×٥ر١٦ سم ؛ ٧٤٦ ص؛ السطور مختلفة .

٢٣

المساعد

المجلد الثاني ـ ويبدأ بحرف الخاء وينتهي بنهاية حرف الراء . وبعده يأتي ملحق يتكون من١٩٦ صفحة كتب منها ٤٥ صفحة فقط .

٢٦×٥ر١٦ سم ؛ ٣٩٨ ص؛ السطور مختلفة .

(١) عهدت مؤخرا وزارة الاعلام الى صديقنا العلامة الاستاذ كوركيس عواد والاستاذ عبدالحميد العلوجي بتحقيق هذا المعجم الفريد وقد تم انجاز الجزء الاول منه ، وفي نشره خدمة جليلة لابناء الضاد .
(٢) هذا اسم الاب انستاس الكرملي قبل ترهبه وانخراطه في سلك الرهبان على ما سبقت الاشارة اليه .
(٣) من اراد التوسع في وصف هذا المعجم النفيس فليراجع كتاب كوركيس عواد « الاب انستاس ماري الكرملي ، حياته ومؤلفاته » . ص (٢٣ ـ ٢٦) مطبعة العاني ١٩٦٦ .
(٤) هو معجم « محيط المحيط » لمؤلفه المعلم بطرس البستاني ، المتوفى سنة ١٨٨٣م ، وقد طبع في مجلدين ضخمين ببيروت سنة ١٨٧٠ .

٢٤

المساعد

المجلد الثالث ــ ويبدأ بحرف الزاي وينتهي بنهاية حرف الصاد . وبعده ياتي ملحق يتكون من ٢٨١ صفحة كتب منها ١٩٠ صفحة .

٢٦ × ٥ر١٦ سم ؛ ٥٦٩ ص؛ السطور مختلفة .

٢٥

المساعد

المجلد الرابع ــ ويبدأ بحرف الضاد وينتهي بنهاية حرف القاف . وبعده ياتي ملحق يتكون من ٣٢٤ صفحة كتب منها ٢٥٣ صفحة .

٢٦ × ٥ر١٦ سم ؛ ٨٠٦ ص؛ السطور مختلفة .

٢٦

المساعد

المجلد الخامس ــ ويبدأ بحرف الكاف وينتهي بنهاية حرف الياء . ثم ياتي ملحق عدد صفحاته ٢٣٢ صفحة كتب منها ١٥٤ صفحة وبنهاية هذا الملحق يتم هذا المعجم بمجلداته الخمسة . (١)

ان صفحات هذا المعجم الضخم ملئت كلها بشتى الاصطلاحات والمعاني والاشتقاقات العربية فهو بحق اعظم تاليف الاب انستاس الكرملي واغناها واوسعها .

٢٦ × ٥ر١٦ سم ؛ ٦٧٩ ص؛ السطور مختلفة .

٢٧

نفثات يراعة الكرملي او التحقيقات العصرية

الجزء الاول ــ للاب انستاس ماري الكرملي ، لم يطبع .

اوله : « الاوهام العائرة هي من قولهم عارت القصيدة اي سارت بين الناس » .

أهم موضوعات الكتاب هي : ــ

(١) وصف الاب انستاس ماري الكرملي معجمه هذا في مجلته « لغة العرب » وصفا شاملا فلتراجع . (٧ [١٩٢٩] ص ٨٣٢ ــ ٨٤٢) .

١ ــ الاوهام العائرة ــ (نظر لغوي) ــ . (١)
٢ ــ الحيوان في كتاب الامتاع والمؤانسة . (٢)
٣ ــ هل عرف العرب البلهارزية . (٣)
٤ ــ المدخل الى علم الحيوان . (٤)
٥ ــ الالحاد : أصل هذه اللفظة لغة واصطلاحا . (٥)

نسخة مجلدة تجليدا حديثا ومكتوبة على ورق اسمر اللون .

٢٣ × ١٧ سم ؛ ٥٩٥ ص ؛ ٢٢ س .

٢٨

نفثات يراعة الكرملي

الجزء الثاني ــ يحوي الجزء الثاني مقالات ومراسلات بين الاب الكرملي وجماعة من العلماء والادباء بين سنة ١٩٣٧ وسنة ١٩٤٤ .

والكتاب مجلد تجليدا حديثا ونقش في ظهره عبارة (نفثات يراعة الكرملي) .

أهم ما فيه من موضوعات : ــ

١ ــ الكامخ والشطيرة(٦) .
٢ ــ مي ومية(٧) .
٣ ــ اول لغة عمومية وضعها عربي لا غربي(٨) .
٤ ــ فضل العرب على علم الحيوان(٩) .

٢٠ × ٥ر١٤ سم ؛ ٥٦٦ ص ؛ ٢٢ س .

(١) نشره فيما بعد في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ١٧ : (ص ١٠٦ ــ ١١٢) .

(٢) نشره فيما بعد في مجلة المقتطف (١٠٠ [القاهرة ١٩٤٢] ص ٢٤٥ ــ ٢٥٠) .

(٣) مقالة نشرت في مجلة المجمع العربي بدمشق (١٦ : ص ١١٥ ــ ١١٩) . وفي مجلة الكلية الطبية العراقية (٦ : ص ٢٣٩ ــ ٢٤٤) .

(٤) مقالة ادرجت في المقتطف (١٠١ [القاهرة ١٩٤٢] ص ٥٠٠ ــ ٥١٢) .

(٥) مقال نشر في مجلة الزهراء البغدادية (٢ : ص ٦ ــ ٧) .

(٦) مقال نشر في جريدة الاهرام المصرية في العدد ١٨٧٠٢ في ١٩٣٧/١/١٩ .

(٧) مقالة ادرجت في جريدة الاهرام بتاريخ ١٩٣٧/٨/١٦ .

(٨) مقال ادرج في جريدة الاهرام العادرة في يوم ١٩٣٧/١١/٢٢ بالعدد ١٩١٠٧ .

(٩) مقال ادرج في مجلة المجمع العلمي العربي (١٩ [دمشق ١٩٤٤] ص ٢١٥ ــ ٢٢١) .

القسم الثاني

المخطوطات الاخـــرى

لقد رجعت اثناء فهرسة هذه المخطوطات الى مراجع شتى ولا سيما فهارس الكتب والمخطوطات كما استندت الى الكتب والمصنفات الآتية :ـ

١ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : لحاجي خليفة. (مجلدان طبعة وزارة المعارف التركية الاولى ـ استانبول ١٣١١ هـ) .
٢ ـ ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون : لاسماعيل باشا البغدادي . (مجلدان طبعة وزارة المعارف التركية ـ استانبول ١٩٤٥ ـ ١٩٤٧) .
٣ ـ هدية العارفين اسماء المؤلفين وآثار المصنفين : لاسماعيل باشا البغدادي . (مجلدان . طبعـة وزارة المعـارف التركية . استانبول ١٩٥١ ـ ١٩٥٥) .
٤ ـ معجم المطبوعات العربية والمعربة : ليوسف آليان سركيس. (القاهرة ١٩٢٨) .
٥ ـ الاعلام : لخيرالدين الزركلي (الطبعة الثانية : ١٠ مجلدات ـ القاهرة ١٩٥٤ ـ ١٩٥٩) .
٦ ـ معجم المؤلفين : لعمر رضا كحالة (١٥ مجلدا . دمشـق ١٩٥٧ ـ ١٩٦١) .
٧ ـ اكتفاء القنوع بما هو مطبوع : تاليف ادورد فانديـك . (القاهرة ١٨٩٦) .
٨ ـ تاريخ علم الفلك في العراق : لعباس العزاوي . (بغداد ١٩٥٨) .
٩ ـ التقويمان الهجري والميلادي : تاليف فريمان ـ جرنفيل : ترجمة الدكتور حسام محي الدين الالوسي . (بغـداد ١٩٧٠) .
١٠ـ تاريخ الادب العربي لبروكلمان وعنوانه :

Brockelmann (Carl), Geschichte der Arabischen Litteratur.
(2nd Edition, 2 Vols., Leiden 1943-1949).

وذيله :

Supplementband. (3 Vols., Leiden 1937-1942).

٢٩

القـرآن الكريـم

نسخة نفيسة مزوقـة ومذهبـة في جميع صفحاتها مكتوبة بخط الثلث الجيد وباللون الاسود وتحت كل آية من الآيات ترجمتها بالفارسية بخط فارسي وبالحبر الاحمر . تعود هـذه النسخة الى القرن العاشر الهجري (القرن ١٦ م) .

غلاف وجلد هذه النسخة مزخرف بزخارف نباتية لطيفة وبطريقة الكبس بالحرارة . في آخرها ختم احد مالكيها وهو الحاج علي الحسيني .

٢٧ر٥×١٧ ؛ ٢٧٢ و ؛ ١٥ س .

٣٠

القـرآن الكريـم

نسخة كبيرة الحجم مزوقة ومذهبة مكتوبـة بخـط الثلث وتحت كل سطر من الآيـات ترجمـة بالفارسية مع تعليقات فارسية ايضا . وهي مجلدة بجلد عادي وعلى ورق صقيل جيد .

جاء في آخـرها قول الناسخ : « قـد فرغت بحمـد الله تعالـى في ٨ صفـر سـنة ٩٠٩ هـ » ، (١٥٠٣ م) .

في ظهر الورقة الاولى ما يلي : « هذا القرآن كان في حوزة النواب اشرف الدولة شريف الملك ناصر جنك رمضان علي خان وزيـر ملك اودة . ووصل الـي بالارث وانا اقـل الطـلاب محمـد بن علـي الحسيني » . وقـد اقتناها الاب انستاس مـاري الكرملي في سـنة ١٩٠٩ كمـا هو مدون في صـدر الصفحـة الاولـى .

٣٠ر٥×١٧ سم ؛ ٤٦٠ و ؛ ١٢ س .

٣١

الوافـــي

تاليف محمـد بن مرتضى المعـروف بمحسن الكاشي المتوفي سنة ١٠٩٠ هـ (١٦٧٩ م) .

وقد رتبه بخمسة عشر كتابا كل كتاب يختص بموضوع وهذا المجلد يضم الكتب الخمسة الاخيرة وهـــي :ـ

١ ـ الكتاب الحادي عشر : كتاب المطاعم والمشارب والتجملات .
٢ ـ الكتاب الثاني عشر : كتاب النكاح والطـلاق والـولادات .
٣ ـ الكتاب الثالث عشر : كتاب الجنايز والفرايض والوصيـــات .
٤ ـ الكتاب الرابع عشر : كتاب الروضة .
٥ ـ الكتاب الخامس عشر : كتاب في المشيخة .

اولـه : « الحمـد لله رب العالمـين والصلوة والسلام على محمد واله الطاهرين ، اما بعد فهـذا فهرس ما في هذا المجلد كتبته لتسهيل الاطلاع على موضع كل باب ولله الحمد » .

نسخة نفيسة مجلدة ومفلفة بجلد احمر وبخط نسخي جميـل منقولة عن نسخة المؤلف التي كانت عند ابنه محمد المدعو بعلم الهدى وقد قـرا هـذا الكتاب بكامله على ولده المؤلف فاجاز لـه ان يروي عنه ما جاء في هذا الكتاب .

جاء في اخره ماياتي : « وقد وقع الفراغ من تنميقه بيدي الفقير الحقير الراجي الى الله الملك العلام سلام الله ابن عبدالسلام ابن عبدالقادر ابن عبدالسلام الجابري في سابع شهر ربيع المولود من شهور سنة عشر ومائة والف من الهجرة المباركة » ، (١٦٩٨ م) .

در٣٢×٥ر١٨ سم ؛ ٨٤٣ ص ؛ ٣١ س .

٣٢

القانون في الطب

لابي علي الحسين بن عبدالله بن الحسن بن علي بن سينا المعروف بالشيخ الرئيس المتوفى سنة ٤٢٨ هـ (١٠٣٦ م) .

اوله : « الحمد لله حمدا يستحقه بعلو شانه » ، وقد طبع غير مرة .

نسخة كاملة جيدة بخط نسخي واضح مجلدة بجلد اعتيادي .

جاء في آخر المخطوط « تم الكتاب الاول من القانون والحمد لله رب العالمين ، حرره اضعف عباد الله تعالى وهو الضعيف حسين بن علي بن محمد الموسى ، سنة سبعمائة» . الموافق سنة ١٣٠٠م.

در٢٠×٥ر١٤ سم ؛ ٣٦٢ ص ؛ ٢١ س .

٣٣

مجرباب الشيخ ابن سينا

وهي ارجوزة طبية في ١٤٦ بيتا ، لابي علي الحسين بن عبدالله بن الحسن بن علي بن سينا ، المعروف بالشيخ الرئيس ، المتوفى سنة ٤٢٨ هـ (١٠٣٦ م) ، وقد طبعت غير مرة .

اولها :

بدات باسم الله في نظم حسن
اذكر ما جربته طول الزمن

نسخة حديثة مكتوبة بخط النسخ على ورق اعتيادي وهي غفل من اسم ناسخها وتاريخ نسخها .

آخرها :

والحمد لله على انعامه
ثم صلاة الله مع سلامه
على النبي المصطفى التهاني
وآله وصحبه الكرام

در١٩×٥ر١٤ سم ؛ ١٧ ص ؛ ١١ س .

٣٤

ديوان البحتري

لأبي عبادة الوليد بن عبدالله بن يحي الطائي المعروف بالبحتري المتوفى سنة ٢٨٤ هـ (٨٩٧ م) ، وقد طبع غير مرة .

نسخة مكتوبة بخط الثلث الجيد ناقصة الاول والآخر وكل صفحة من الديوان تقسم الى قسمين مستطيلين مذهبين وفي بداية كل قصيدة تبدا الكتابة بالحبر الاحمر مكتوبة على ورق صقيل جيد .

اولها :

بالخا الازد ماحفظت الاخاء
لمحب ولا ذكرت الوفاء

اما قوافي الاشعار فهي مرتبة على النحو التالي :

١ – قافية الهمزة .
٢ – قافية الباء .
٣ – قافية التاء .
٤ – قافية الجيم .
٥ – قافية الحاء .
٦ – قافية الدال .
٧ – قافية الراء .
٨ – قافية الزاء .
٩ – قافية السين .
١٠ – قافية الصاد .
١١ – قافية الظاء .
١٢ – قافية الطاء .
١٣ – قافية العين .
١٤ – قافية الغين .
١٥ – قافية الفاء .
١٦ – قافية القاف .
١٧ – قافية الكاف .
١٨ – قافية اللام .
١٩ – قافية الميم .

وآخر الديوان هذه الابيات :

ايما حله ووصل قديم
صرمته مناظبا الصريم
نافرات من المشيب وقد كن
سكونا الى الشباب المقيم

در٢٢×١٥ سم ؛ ٥١٦ ص ؛ ٢١ س .

٣٥

شرح ديوان المتنبي

لأبي الحسن علي بن احمد الواحدي ، المتوفى سنة ٤٦٨ هـ ، (١٠٧٥ م) ، وقد طبع .

نسخة قديمة جدا تعود الى القرن السادس الهجرة بخط نسخي معتاد وبعض الصفحات لاتقرا لقدمها . يتخلل النسخة خروم استكملت باوراق مكتوبة بخط متاخر . والديوان ناقص الاول والآخر

فقد سقط من اوله ٢٣ صفحة ، يبدأ الموجود منه بهذا البيت :

أحاذر أن يشق على المطايا
فلا يمشي بنا الا سواكا

وينتهي بهذين البيتين :

اروح وقد ختمت على فؤادي
بحبك ان يحل به سواكا
وقد حملتني به شكرا طويلا
ثقيلا لا اطيق به حراكا

٢٦ر٥ × ١٧ر٥ سم ؛ ٣٩٩ ص ؛ ٢٠ س .

٣٦

شرح ديوان المتنبي

لأبي الحسن علي بن احمد الواحدي .

نسخة ثانية جيدة بخط نسخي جميل واضح وابياته مكتوبة بالحبر الاحمر والشرح بالحبر الاسود . وقد طبع هذا الشرح في برلين سنة ١٨٦١ بعناية المستشرق الالماني فريدريخ دابتريصي .

وقد سقطت الورقة الاولى من الديوان حيث يبدأ الموجود منه بقوله :

« من ناناة الاسلام الى ايام ظهور دولة العباسية » .

وآخره :

« اخترت دهمائين يا مطر
ومن له في الفضائل الخير »

نسخة مكتوبة في القرن التاسع للهجرة .

٢٢ر٥ × ١٧ر٥ سم ؛ ٤٩٠ ص ؛ ١٩ س .

٣٧

شرح قصيدة بانت سعاد

القصيدة لكعب بن زهير المتوفى سنة ٢٤ هـ (٦٤٤ م) ، مدح بها النبي (ص) ، مطلعها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول
متيم اثرها لم يفد مكبول

نسخة كاملة من هذه القصيدة وشرحها بخط عادي وتجليد بسيط .

جاء في آخر المخطوط : « تمت على يد الفقير المعترف بالتقصير علي بن احمد ... (١) الشافعي ، غفر الله له ولوالديه والمسلمين اجمعين في ثالث صفر عام ستة وثماني مائة ٨٠٦ هـ » (١٤٠٣ م) .

وممن تملكها : الشيخ سليمان العاملي .

٢٢ × ١٤ر٥ سم ؛ ١٥٠ ص ؛ ٢١ س .

٣٨

تحرير اقليدس الصوري

لنصير الدين محمد بن محمد الطوسي المتوفى سنة ٦٧٢ هـ (١٢٧٣ م) ، وقد طبع .

نسخة نفيسة تامة من هذا الكتاب مزينة بـ (٤٦٨) شكلا هندسيا بخط نسخي جميل وعليه تعليقات كثيرة بخط فارسي . مجلد تجليدا بسيطا . وهو مقسم الى خمس عشرة مقالة . اوله :

« الحمد لله الذي منه الابتداء واليه الانتهاء » .

والمخطوط غير مؤرخ الا انه يعود الى القرن التاسع او العاشر للهجرة .

جاء في آخره : « تمت الكتاب بعون الله الملك الوهاب » .

١٩ × ١٢ سم ؛ ٢٣٢ ص ؛ ٢٠ س .

٣٩

شرح المجسطي

والمجسطي لبطليموس الاسكندري اما الشرح فلا نعلم واضعه لسقوط اوراق من اول الكتاب ، وهو ناقص الاول والآخر .

يبدأ الموجود منه بقوله : « القدر الرابع بين الجنوبي من الاربعة المصطنعة وبينه نحو ثلثا ذراع في راي الصين » .

نسخة غير مؤرخة من القرن الثامن للهجرة على ورق حريري قديم بخط النسخ وقد تلفت بعض حواشي المخطوطة فاصلحت بورق حديث .

آخره : « جدول كوكبة الكلب الاكبر ... » .

٢٥ر٥ × ١٦ سم ؛ ٢٠٤ ص ؛ ١٥ س .

٤٠

اكر مـولاناوس

وهو كتاب في الاشكال الكروية لميلاوس او منلاوس الهندسي الفلكي الاسكندراني الاصل الذي كان قد رصد النجوم في مدينة رومة سنة ٩٨ م ، وقد طبع .

اوله : « اقول بعد حمد الله والثناء عليه بما يليق به والصلوة على محمد واله ... » .

نسخة نفيسة من الكتاب ناقصة الآخر ، وقد اتلفت الارضة بعض اوراقها فاصلحت بورق حديث . يحتوي الكتاب على اشكال ورسوم

(١) ثلاث كلمات لا تقرأ .

هندسية متقنة بخط فارسي مع تعليقات كثيرة في الحواشي . ولم نجد ما يشير الى مؤلف هذه النسخة . وقد تملكه عدة اشخاص منهم سليمان وجدي سنة ١١٥٨ هـ وآخر سنة ١١٨١ هـ ثم انتقل الى لطف‌الله دفتر زادة سنة ١٢٦٧ هـ واخيرا تملكه الاب انستاس ماري الكرملي سنة ١٩١٩ .

٢٢ر٥ × ١٣ر٥ سم ؛ ١٢٥ ص ؛ ١٩ س .

٤١

الاكــر

لثاوودوسيوس وهو ثلاث مقالات و٥٩ شكلا .

اوله : « الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلم على محمد واله وصحبه اجمعين كتاب الاكر لثاوذوسيوس وهو ثلث مقالات وتسعة وخمسون شكلا » .

نسخة تامة بخط فارسي جميل على ورق صقيل ومجلدة تجليدا بسيطا .

آخره : « تمت المقالة الثالثة وبها تمت الكتاب بعون الله الوهاب سنة ١٠٨٣ ، كتبه العبد الاقل محمد زمان معلم » .

لهذا الكتاب نسخ عديدة في مكتبات الشرق والغرب .

١٨ر٥ × ٩ر٥ سم ؛ ٨٧ ص ؛ ١٤ س .

٤٢

ذيل تاريخ بغداد

لمحب‌الدين محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادي المتوفى سنة ٦٤٣هـ (١٢٤٥م) ، ولم يطبع .

قطعة منه بخط الثلث الجيد على ورق ابيض صقيل .

اوله : « ابراهيم بن احمد ابي المفاخر الازجي ابو اسحق الخياط المنعوت بالبرهان ... » .

وآخره : « حرف الذال المعجمة : ذوالفقار بن محمد اشرف بن ابي جعفر محمد ابن الصمصام بن الحسن ... » .

٢١ × ١٤ سم ؛ ٢٠ ص ؛ ٢٠ س .

٤٣

الدر المنظوم في اخبار ملوك الروم

الفه باللغة اليونانية متي جيفالا رئيس اساقفة قبرص . ونقله الى العربية البطريرك مكاريوس بن زعيم الحلبي المتوفى سنة ١٦٧٢ . وهو يتناول تاريخ دولة الروم من عهد الملك قسطنطين الى زمن السلطان العثماني مراد الرابع . ولم يطبع . وهو ناقص الاول والآخر .

يبدا الموجود منه : « الثاني عشر ايواكيم الرجل الفاضل نفي بأمر السلطان » .

النسخة الاصلية المنقول عنها هذه النسخة موجودة في خزانة المتحف العراقي ببغداد برقم ٨٢٠ مخطوط .

٢٩ × ٢١ سم ؛ ١٩٧ ص ؛ ٢٧ س .

٤٤

مطالع السعود بطيب اخبار الوالي داود

تاليف عثمان بن سند البصري ، المتوفى سنة ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦) ، وقد طبع .

اوله : « الحمد لله الذي نور مطالع السعود من التراجم بالبدور السافرة ... » .

نسخة منقولة عن الاصل المحفوظ في خزانة المتحف العراقي ببغداد ، بخط نسخي واضح على ورق ابيض صقيل والنسخة ناقصة الآخر حيث وصل ناسخها الى الصفحة ١٢٨ ولم يتمها .

٢٩ × ٢٠ر٥ سم ؛ ١٢٨ ص ؛ ٢٨ س .

٤٥

مجموعة في الآلات الروحانية وغيرها (١)

فيهـــا :

١ – الاستيعاب للوجوه الممكنة في صنعة الاسطرلاب : لابي الريحان البيروني المتوفى سنة ٤٣٠ هـ (١٠٣٨) .

ويبدا من اول المجلد الى صفحة (١١٦) وقد اتلفت الارضة منه (٧٠) صفحة وسلم الباقي . فيه عدة رسوم هندسية وفي نهايته يقول ناسخه : « تم كتاب الوجوه الممكنة في صنعة الاسطرلاب للبيروني ، وقد وقع الفراغ من تعليق هذه النسخة اللطيفة في يوم السبت سادس عشر شهر جمادى الثاني سنة ١٠٩٤ من الهجرة النبوية المحمدية . كتبه العبد

---

(١) أدرج وصف هذا المخطوط النفيس في مجلة الهلال جـ ٢ [١٩٢٢] صفحة ١٤٩ – ٢٠٠) بعنوان : مخطوط وحيد في الصناعات الرياضية .

الاقل ابن مرحوم حاج برخور دار محمد ربيع اصفهاني المشهور بالرئيس » . تمت .

٢ – وصف الاحراق بضوء الشمس المنعكس عن مرآة قريبة :

ويبدا من الصفحة (١٢٤) وينتهي بصفحة (١٧٣) مع رسوم توضيحية هندسية مختلفة ولم نجد اسم مؤلفه ولا ناسخه . اوله بعد البسملة :

« من حق الملك صمصام الدولة وشمس الملة على من عرف قدر النعمة في عنايته باظهار العلوم حتى يشيع في الناس ذكره ... » .

٣ – كتاب لعطارد بن محمد الحاسب في المرايا المحرقة : يبدأ من الصفحة (١٧٦) وينتهي بصفحة (٢٠٤) وهو شرح لكتابين قديمين احدهما لايثمس والآخر لثاسوس الفيلسوف . في المرايا المحرقة كما قال المؤلف في المقدمة . اوله بعد البسملة : « قال عطارد بن محمد الحاسب : ان علوم الاوائل فرط اعجاب منه مال الى علومهم » .

وآخره : « هذا آخر كتاب محمد بن خلف والحمد لله على محمد سيدنا واله وصحبه الطاهرين » .

٤ – كتاب عمل الساعات المائية التي ترمي بالبنادق : مجهول المؤلف يبدأ من الصفحة (٢١٨) وينتهي بصفحة (٢٤٥) ويحتوي على عدة رسوم . اوله : « اذا اردت ذلك ان شاء الله فاعمد الى نحاس فاتخذ منه خزانة للماء يكون ارتفاعها ثلثة اشبار في قطر شبرين » .

٥ – كتاب دوائر الدواليب المتحركة من ذواتها وفيه دوالي عجيبة : تأليف كامل النجار ؛ والاصل لهرتل اليوناني . ويبدأ من الصفحة (٢٤٦) وينتهي بصفحة (٢٦٤) . يحتوي على عدة رسوم توضيحية لعمل الدواليب .

جاء في صفحة (٢٥٩) عند نهاية الكلام على الدوالي : « تم كتاب كامل النجار في الدواليب والحمد لله رب العالمين » .

٦ – كتاب الحق القمري : كتبه محمد علي التبريزي الانصاري سنة ١٠٩٣ هـ . ويبدا من صفحة (٢٦٤) وينتهي بالصفحة (٢٧٥) .

اوله : « اذا اردت ان تضع الحق القمري فاضرب لنا صفيحة صبر » .

٧ – ومن صفحة (٢٧٨) الى نهاية صفحة (٣٠٠) عدة فوائد منقولة عن كتب وهي : –

آ – فائدة نقلت عن كتاب شرح المقاصد .

ب – انواع الادوية ووصفها .

جـ – فائدة من كتاب ميزان الحكمة للحكيم عبدالرحمن الخازني .

٨ – كتاب قسطا بن لوقا في الوزن والكيل ، الى ابي بكر بن عبدالرحمن القاضي . ويبدا من صفحة (٣٠٢) وينتهي بصفحة (٣١٢) وهوتام الاول والآخر رتبه على ثمانية ابواب هي : –

١ – الباب الاول : في حد الوزن والكيل .

٢ – الباب الثاني : في الاصول المستعملة في الوزن وعلة اختلافها .

٣ – الباب الثالث : في الاوزان المستعملة في صناعة الطب .

٤ – الباب الرابع : في الاوزان التي يستعمل في الاكيال .

٥ – الباب الخامس : في عمل جدول فيه اوزان الرطوبات وما بينها من الاختلاف .

٦ – الباب السادس : في الاوزان المستفيضة الاستعمال ويختلف باختلاف البلدان التي يستعمل فيها .

٧ – الباب السابع : في المقادير التي يذكر في كتب الطب غير محدودة .

٨ – الباب الثامن : في ذكر الاوزان كلها ما ذكر منها فيما تقدم وما لم يذكر على ترتيب احرف الف باء تاء في لغة اليونانيين ليسهل وجود اي وزن قصد منها .

١٩ × ١٢٫٥ سم ؛ ٣١٣ ص ؛ ٢٣ س .

٤٦
معجم العمراني

العمراني : هو ابو الحسن الخوارزمي المتوفى سنة ٥٤٠ هـ (١١٤٥) .

اوله : « اقط مثال ابل واقط بالتحريك ... » .

نسخة ناقصة الاول والآخر حديثة نقلت عام ١٩٣٨ عن نسخة ناقصة في خزانة عباس العزاوي بخط الثلث الجيد مجلدة تجليدا حديثا .

آخره : « قطية قريبة في طريق مصر قرب الشرمي » .

٢٤ × ١٦ سم ؛ ٤١٢ ص ؛ ١٣ س .

٤٧

العـيـن (١)

للخليل بن احمد الفراهيدي البصري المتوفي سنة ١٧٥ هـ (٧٩١) .

اوله : « بحمد الله نبتدي ، ونستهدي وعليه نتق كل وهو حسبنا ونعم الوكيل ، هذا ما الفه الخليل بن احمد البصري رحمة الله عليه ... » .

نسخة حديثة من هذا الكتاب خطت بنوعين من الخط الاول خط النسخ ويبدأ من اول الكتاب وينتهي الى صفحة (١٤٦) والباقي بخط الثلث حتى نهاية الكتاب في صفحة (٦١٥) على ورق صقيل عسلي اللون . وهو مجلد تجليدا حديثا .

اخره : « تم حرف العين بحمد الله ومنه . وصلى الله على محمد واله وسلم تسليما . وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم الهادي ونعم الدليل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم » .

ثم ياتي مايلي : (قوبلت هذه النسخة على النسخة المحفوظة في النجف وهي نسخة سقيمة وعلى نسخة شكري الفضلي وهي تامة وجيدة) .

٢٨×٥ر٢٠ سم ؛ ٦١٥ ص ؛ ٢١ س .

٤٨

الصلوات الطقسية

اصل هذا الكتاب مترجم من اللاتينية عربه الآباء الكرمليون الايطاليون في سابق العهد وقد اجتمع على نقله الى العربية عدة آباء في اوقات مختلفة .

اوله : « رتبة طقس المزامير التي تتلى من بعد التطهير ... » .

نسخة نقلها سنة (١٩١٠) توفيق ابراهيم ، احد النساخ الذين كانوا ينسجون الكتب للاب انستاس ماري الكرملي ، عن نسخة مؤرخة سنة (١٨٦٥) كتبها الكونت جبرائيل اصفر المتوفى ببغداد سنة ١٩٢٣ .

والنسخة الموصوفة ذات خط نسخي جميل على ورق ابيض صقيل ورؤوس ابواب الكتاب بالحبر الاحمر ، وفي نهايته فهرس صغير بالصلوات المذكورة في الكتاب .

٥ر١٩×١٣ سم ؛ ٣١٢ ص ؛ ١٧ س .

(١) نشر الاب انستاس ماري الكرملي قطعة من هذا الكتاب بـ (١٤٤) صفحة سنة ١٩١٤ وقد حالت الحرب العالمية الاولى دون اكمال طبعه .

٤٩

مثنوي يوسف وزليخا(١)

ديوان شعر بالفارسية للشاعر الفارسي عبدالرحمن بن احمد الجامي المتوفى سنة ٨٩٨ هـ (١٤٩٢) . وهو من مثنويات هفت اورنك .

اوله : « بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين » :

الهي غنچة اميد بگشاى
گلى از روضة جاويد بنماى

نسخة نفيسة مزوقة ومطعمة بالميناء بخط فارسي دقيق جميل على ورق عادي ثخين يتخلل هذا الديوان صور جميلة متقنة في الصفحات (١١٣ ، ١١٩ ، ١٧٧ ، ٢٠٠) تشرح قصة يوسف وزليخا .

آخره : « تمت الكتاب بعون الملك الوهاب في تاريخ شهر ذي قعدة الحرام ١٢٠٤ در اردوى كيهان پوى بندگان سليمان نشان قيصر پاسبان خديو زمان وخسرو گيتي ستان اقا محمد خان دام اقباله وخلد الله ملكه الى يوم القيامة ... » .

٢١×٥ر١٣ سم ؛ ٢٩٩ ص ؛ ١٤ س .

٥٠

ليلى ومجنون

للشاعر مكتبي الشيرازي المتوفى سنة ٩٠٠ هـ (١٤٩٤ م) .

وقد سقطت منه الورقة الاولى فخفي اسم الكتاب .

اول الموجود :

« اي قطرة ابر وذرة ريح
در حلقة طاعتت به تسبيح »

نسخة نفيسة مزوقة ، مجلدة ومطعمة بالميناء بخط فارسي دقيق وعلى ورق ترمذي ، يتخلل الكتاب ثلاث صور ملونة جميلة في الصفحات (٢٠ و ١٠٩ و ١٦٥) . والنسخة كتبها احمد الحسيني للحاج محمد باقر التاجر الاصفهاني على ماورد في آخر الكتاب .

آخره : « بتاريخ بيست وششم شهر رمضان المبارك سنة ١٢٤٦ سمت اتمام يذ يرفت اميدكة مطبوع افتد ... » .

٥ر١٥×٩ سم ؛ ١٨٤ ص ؛ ١٢ س .

(١) لقد افادنا بعنوان هذا الكتاب والكتاب الذي بعده الدكتور حسين علي محفوظ فله منا الشكر الجزيل .

٥١

آلام يسوع المسيح والمزامير وفرض العذراء

تأليف الاب ماري يوسف ليسوع ، رئيس رسالة بغداد للآباء الكرمليين المتوفى سنة ١٨٩٨ . ولم يطبع الكتاب .

نسخة حديثة باللغة الفرنسية ، مجلدة ذات ورق ابيض وخط جيد .

٥ر١٦سم × ٥ر١١ سم ، ١٩٠ س .

٥٢

آلام يسوع المسيح

تأليف الراهبة كاترينه امريك Catherine Emmerich وتعريب الاب ماري يوسف ليسوع رئيس رسالة بغداد الى المار ذكره . ولم يطبع .

والكتاب وان كان بالعربية الا انه بحروف لاتينية ، وهو مجلد تجليدا بسيطا وبورق اعتيادي .

٥ر١٦ سم × ٥ر١١ سم ٢٦٩ ص ١٩س .

٥٣

رحلة حول العالم

هذه الرحلة لشخص مجهول دون فيها باللغة الفرنسية ما شاهده من بلدان زارها في مختلف انحاء العالم ،ولا نعلم متى قام بهذه الرحلة ولا متى انتهى منها لسقوط ورقة من اولها .

ويؤخذ من عبارة وردت في صدر الصفحة الاولى ان هذا المخطوط قد سرق من مكتبة الاباء الكرمليين سنة ١٩١٧ ،ثم اشتراه الاب انستاس عام ١٩١٨ واعاده الى تلك المكتبة .

زار المؤلف دولا كثيرة منها ، فرنسا ، المانيا، اسبانيا ، ايطاليا ، مصر ، تركيا ، ايران ، الهند .

نسخة حديثة مكتوبة على ورق اسمر ومجلدة تجليدا بسيطا .

٥ر١٥سم × ٥ر٩ سم ١٦٨ ص ١٧س.

٥٤

مجموع تاريخ

باللغة الفرنسية كتب في اواخر القرن التاسع عشر لا نعرف كاتبه ، ويبدو انه لم يطبع .

نسخة حديثة غير مجلدة مكتوبة على ورق اصفر عادي ، ويتضمن :

ا ــ نظرة اجمالية عن نوح واولاده سام وحام ويافث (ص ١ ــ ٣٦) .

ب ــ نبذة صغيرة في تاريخ السريان (في ثلاث صفحات) .

جـ ــ نبذة في تاريخ العرب (في سبع صفحات) .

٥ر١٩x١٤سم ٧٢ ص ٢٩ س .

٥٥

مختصر فلسفة القديس توما الاكويني

الفه باللاتينية الاب انستاس ماري الكرملي المتوفى عام ١٩٤٧ م .

ابتدا به في ٢٠ ايلول سنة ١٨٨٩م وضمنه تعليقات وشروح باللغة العربية . ولم يطبع . وجعله ابوابا وهي :ــ

١ ــ المنطق .

٢ ــ الطبيعيات .

٣ ــ الاخلاق .

٤ ــ ما وراء الطبيعة .

والكتاب مجلد تجليدا بسيطاعلى ورقاسمر قديم ثخين .

٢٣x٥ر١٨ سم ٣٢١ ص س مختلفة.

المساعد

للأب انستاس ماري الكرملي

تحقيق الاستاذين كوركيس عواد وعبدالحميد العلوجي

نقد الدكتور

ابراهيم السامرائي

جامعة بغداد ـ كلية الاداب
قسم اللغة العربية

المساعد معجم من المعجمات الحديثةوصاحبه الأب انستاس ماري الكرملي وهو من أعلام اللغويين العرب في عصرنا وقد حققه وعلق عليه وقدم لـه الاستاذان الفاضلان مقدمة ضافية بذلا فيها جهدا مشكورا اشتملت على سيرة الأب وعلمه وتصانيفه وما كتب عنه لبيان منزلته الرفيعة في التاليف اللغوي ثم تكلما على المعجم المساعد فجاءت هذه المقدمة مشتملة على فوائد جمة . ثم ان الجهد الـذي بذلاه كبير جدا في نص الكتاب واثبات حواشيه ومراجعة اصوله . ومن عرف الاصل والطريقة التي اتبعها المصنف في الكتاب ادرك مبلغ الجهد الذي بذله الزميلان الكريمان .

وكان لي ان قرات « المساعد » قراءة مستطلع مستفيد فوجدتني مدركا العلم الجم الذي اودعه فيه مصنفه الفاضل كما اعجبت بجهد المحققين الفاضلين . غير انى وجدت ان من خدمة العلم أن اسجل تعليقاتي على نص الكتاب .

ويحسن بي ان اثبت شيئا مما قاله الاب انستاس الكرملي في صفة معجمة هذا كما فعل المحققان الفاضلان .

قال الاب في بحثه الموسوم بـ « معجمنا ؛ او ذيل لسان العرب » ص ٦٧ :

« منذ اخذنا نفهم العربية حق الفهم ، وجدنا في ما كنا نطالع فيـه من كتب الاقدمين والمولدين والعصريين ، الفاظا جمة ومناحي متعددة لا اثر لها في دواوين اللغة ، بخلاف ماكنا نتعلمه من اللغات الغربية . فاننا كنا كلما جهلنا معنى كلمة ونقرنا عنها في معاجمهم(1) وجدناها مع معانيها المتفرعة منها . ولهذا راينا في مصنفات السلف اللغوية نقصا بينا ، فاخذنا منذ ذلك الحين بسدتلك الثغرة مدونين ما لا نجده في كتب لساننا . فاشترينا في سنة ١٨٨٣ محيط المحيط للبستاني ووضعنا

(1) عرف عن الاب الكرملي انه كان ينقر عن فصاح العربية ويستعمل اللفظ الغريب ويترك الشائع المانوس حرصا على احياء ذلك الغريب المهجور كان يستعمل « نجار » ويترك « اصل » فهو يقول ص ٦٧ : « وقد ذكرنا في جانب كل لفظة نجارها ... » اقول : لما كانت هذه صفة الاب العلامة فمن حقنا ان ننقر عن كل مايستعمله . فالمعاجم لدى الاب جمع « معجم » ولا نعرف في العربية « مفعل » بضم الميم وفتح العين يجمع على « مفاعل » والفصيح فيه « مفاعيل » فيقال على هذا « معاجيم » ولما كانت هذه غير مستعملة يعدل عنها الى الجمع المؤنث « معجمات » . والمعاجيم مثل المسانيد جمع مسند .

.. ولكن ابن منظور ذكر في لسان العرب (مادة : دنق) ان كل جمع جاء على فواعل ومفاعل يجوز أن يمد بياء . وعلى هذا ايضا صاحب المصباح المنير . وورد في تاج العروس (مادة : سند) : « وحديث مسند ، واحاديث مساند ومسانيد بزيادة التحتية اشباعا . وقد قيل انه لغة ، وحكى بعضهم في مثله القياس ايضا . كذا قاله شيخنا » . وفي العربية مما جاء على مفعل ويجمع على مفاعل : مصحف (مصاحف) ، ومخدع (مخادع) ، ومجسد (مجاسد) ، ومطرف (مطارف) ، ومضجر (مضاجر) .

[رئيس تحرير المورد]

ورقة بيضاء بعد كل ورقة مطبوعة فتضاعف حجم الكتاب حالا(٢) ، واخذنا نقيد فيه كل ما نعثر عليه ، ثم لاحظنا ان الذي يفوتنا اكثر مما نحرص على التمسك به ، وكنا نعلل النفس بان يتم هذا المجموع عن قريب فنطبعه وسميناه منذ ذلك الحين « ذيل اللسان » لأننا وجدنا معجم ابن مكرم اوفى كتب اللغة التي بايدينا . ومن الغريب ان صاحب « تاج العروس » الذي نقل شيئا كثيرا من لسان العرب ، فاته قدر عظيم مما جاء في «اللسان» مع ان السيد مرتضى الزبيدي استدرك الفاظا كثيرة جمعها من طائفة من المؤلفين وهي ليست في « اللسان » وذهل عما في هذا السفر الجليل » .

ثم يقول بعد ان عرض لطريقته في صنع معجمه:

وفي بعض الاحيان نبهنا(٣) الى الاغلاط التي انسلت الى لغتنا بما دسه بعض الوراقين او النساخين ، او دسه فيها بعض ضعفاء النظر من اللغويين او من الاجانب المتعربين(٤) الذين افسدوا لغتنا في حين ارادتهم الحسنى لها ، ولا يخفى على القارىء ان ما جمعناه هو « المستدرك على اللسان» ولهذا اسميناه « ذيل اللسان » . اما الالفاظ التى تروى في هذا الديوان النفيس فاننا « لم نتعرض لذكرها » على اننا تعرضنا في بعض الاحيان لاشياء ذكرها ابن منظور ذكرا ناقصا ، فجئنا نحن واشرنا الى هذا النقص . وكل مرة ذكرنا « ايضا » فهو اشارة الى تتمة ما جاء في اللسان عن تلك اللفظة بعينها » .

في هذا الذي ذكره المصنف العلامة عرض للطريقة التي اتبعها في تصنيف « معجمه » وهو انه وضع ورقة بيضاء بعد كل ورقة مطبوعة من «محيط المحيط » ، ولكنه لم يشر الى انه حرر على صفحات « محيط المحيط» تعليقاته واستدراكاته وتصحيحاته ثم زاد عليها بوضع الاوراق البيض . وهذا يعني انه لم يتبع طريقة الجزازات وافراد جزازة او أكثر الى كل مادة من المواد . ونتج عن هذا ان المادة الواحدة توزعت في عدة امكنة وهذا ماوقف عليه المحققان الفاضلان فلقيا منه نصبا .

وقد ذكر في هذا الذى اثبته فاستغرب كيف ان صاحب « تاج العروس » الذي نقل شيئا كثيرا من « لسان العرب » فاته قدر عظيم مما جاء في « اللسان » .

اقول : وليس من داع الى هذا الاستغراب وذلك لان الزبيدي صاحب «التاج» شرح «القاموس المحيط » وسمى معجمه « تاج العروس من جواهر القاموس » ، وفي هذا الشرح استدراك على ما في القاموس وزيادة عليه . فلم يجعل من منهجه استيفاء ما في « اللسان » ذلك ان موضوعه شيء آخر . وصاحب التاج كما نقل من « اللسان » نقل من « الصحاح » ومن « مفردات الراغب»وغيره من الكتب ؛ فلم يكن ثمة ذهول منه كما اشار الكرملى .

كاني احس ان المصنف كان في حيرة من امر هذه المواد المجموعة التى دعيت اخر الامر ب « المساعد » ، ذلك انه كان يريد ان تكون « المستدرك على اللسان » الذى اسماه « ذيل اللسان » . وكان هذه التسمية لم يجدها مناسبة لانها لا تنطبق على الكتاب في صورته النهائية فسماه « المساعد ».

اقول : حاولت ان التمس سببا علميا او فنيا حدا المصنف الجليل الى هذه التسمية فلم اجد . لم يكن الكتاب ذيل « اللسان » ذلك ان مواد كثيرة من مواد اللسان نقلها المصنف في « مساعده » ، فهو ليس استدراكا على «اللسان»

---

(٢) كانه اراد ما نستعمله في عاميتنا الدارجة اي تضاعف حجم الكتاب بسرعة والا فما اظن الظرف الدال على الحالية مقصودا في هذا الاستعمال .

(٣) قلت لابد من التنقير ونحن نقرا ما كتبه العلامة اللغوي ، ذلك اننا نتطلب منه الفصيح والافصح . المعروف ان « التنبيه » يعدى بحرف الجر « على » كما استعملها المصنف نفسه في غير هذا المكان اما ان يعدى ب « الى » فخطا .

والمعروف ان الفعل « نبّه » قد يستغرق مفعوله بلا حرف وقد يعدى ب « على » كما ذكر الدكتور ابراهيم السامرائي ، وقد يعدى بالباء في قولهم « نبه باسمه » اي جعله مذكوراً (اللسان : نبه) وقد يعدى ب « الى » (اقرب الموارد والمنجد : نبه) .

[رئيس تحرير المورد]

(٤) وصف الاجانب بالمتعربين غير سديد فهم المستعربون . قال الازهري : المستعربة عندي قوم من العجم دخلوا في العرب ، فتكلموا بلسانهم ، وحكوا هيئاتهم ، وليسوا بصرحاء فيهم . وقال الازهري : ويكون التعرب ان يرجع الى البادية ، بعدما كان مقيما بالحضر، فيلحق بالاعراب. ويكون التعرب المقام بالبادية . هذا هو المشهور الفصيح قال الشاعر :

تعرب آبائي ، فهلا وقاهم من الموت رَمْلا عالج وزرود

الا ان الليث قال : تعربوا مثل استعربوا (كذا) فقط .

ويبدو أن الاب الكرملي هنا على مذهب الليث، وليس في ذلك ما يبعده عن السداد وقديما رسخ أبو زيد الانصاري على أن يقال : أعرب الاعجمي وتعرب واستعرب .

[رئيس تحرير المورد]

كما سنتبين ذلك من مراجعة المواد . وهو ليس استدراكا على المعجمات الاخرى كذلك كما سنرى. وهو ليس معجما عاما بحيث انك تفتحه فتلتمس المادة التى تريدها باتباع نظامه ، فقد توجد فيه المادة التى تريدها وقد يخلو منها . فانت لا تستطيع ان تجد فيه مادة « ائم » . وهو يكتفي من مادة « اتم » بـ « المأتم » ويتركه ما عدا ذلك . وهذا ليس لانه مستدركا فقد يستوفى مواد اخرى كل الاستيفاء .

ثم اني لم المح شيئا من خطة ومنهج اتبعهما في تصنيفه فهو مثلا يذكر المواد المعربة الغريبة ولا يذكر اين وجدها احيانا ثم لا يذكر كيف استعملت احيانا في حين انه يورد احيانا المادة المعربة وهي مستعملة في نص من النصوص . وقد يورد اللفظ العامي الدارج ولكنه لا يستوفى هذه الالفاظ العامية بحيث يكون ادخالها في المعجم من منهجه ، كان يذكر « آجغ » فيقول : « هي عند اهل بغداد من العامة كالفاهي وكلتاهما بمعنى الواضح غير المشبع من الالوان .. »

يذكر هذا ولا يذكر ما جاء من العامي الدارج مبدوءا بالهمزة غير هذه الكلمة مثل « آيري » . ثم ان قول « عند اهل بغداد من العامة » قيد في استعمال هذا اللفظ فهو معروف مستعمل في عامية حواضر عراقية اخرى .

ولا ادري كيف يستخدم الاب وهو اللغوي الضليع من العربية لفظ « الفاهي » وهو من العامية العراقية ولا يعرفه غير العراقيين من العرب(*) . ان « الفاهي » في لغة عامة العراقيين لناقص الملح من الاطعمة المطبوخة او للالوان غير الفاقعة اي ما ندعوها في ايامنا فاتحة . وما اظن ان شيئا من هذا يصح ان يدخل في معجم علمي وذلك لجهل غير العراقيين من العرب بهذه الكلمة فضلا عن انها عامية فهي ليست من مادة « فها » الفصيحة التي هي مقلوب « هفا » ، كما انها ليست من « فهه » لأن الفهاهة شيء غير هذا(**) .

(*) لم يكن الأب الكرملي نسيج وحده في هذا المضمار ، فقد سبقه الى هذا الاستخدام السيد مرتضى الزبيدي في تاج العروس .. عندما ذكر الفاظا عامية مصرية لا يعرفها غير المصريين من العرب .

[رئيس تحرير المورد]

(**) ان مادة (فهه) في (لسان العرب) لاتؤيد =

وهو ينقل معربات كثيرة وردت في معجم آخر هو « مفردات ابن البيطار » وهو كتاب مطبوع، فكان ينبغي له ان يشير الى هذا الكتاب(*) فاذا وجد زيادة في التعريف ذكرها مؤيدة بالنص . ان « المستدرك على لسان العرب » او « ذيل لسان العرب » لا فائدة يه اذا كانت هذه المواد المستدركة واردة في معجم قديم كمفردات ابن البيطار او المعرب للجواليقي . وينبغي ان نتخذ نموذجا من « المستدرك على المعجمات العربية » الذي صنعه دوزي المستشرق الهولندي ، ولذلك سماه « التكملة » كما سمى الصاغاني(٥) كتابه الذي اكمل به المعجمات في ايامه «التكملة» . ان المستشرق الهولندي قد صنف « ملحقه » من المواد التى وجدها في النصوص القديمة ولم يجدها في المعجمات .

ومن الحق ان اقول ان ما وجده المصنف الاب العلامة من المواد مستعملا في كتب التاريخ والادب وغيرها وضبطه واشار اليه من اجل الاعمال وهو مستدرك بحق ، وذلك لان اصحاب الدواوين اللغوية لم يشيروا الى تلك المعانى المستحدثة التى عرفت في عصر من العصور كما سنرى من مراجعتنا للمواد .

ثم ان ذكر المصنف لما يقابل تلك المعربات او المستحدثات في اللاتينية او الاغريقية من الاعمال المفيدة وان كان قد سبقه اليها المستشرقون .

ثم ان القول بان مادة من المواد العربية من اصل يونانى او لاتيني او شيء اخر ينبغي الا يلقى

= منزع الدكتور السامرائي ، فقد جاء فيها : « فهفه : اذا سقط من مرتبة عالية الى سفل » اي اخذ سبيله الى النقص ، سواء أكان هذا النقص في ملح الطعام أم في التدرج اللوني .

[رئيس تحرير المورد]

(*) هذه المعربات التي أومأ اليها الدكتور السامرائي نسبها الأب الكرملي الى ابن البيطار دون ان يذكر كتابه ، وهذه النسبة وحدها تغني عن الالماع الى مفردات ابن البيطار .

[رئيس تحرير المورد]

(٥) هو الحسن بن محمد الصغاني المتوفى سنة ٦٥٠ هـ الذي سمى كتابه « التكملة والذيل والصلة » وهو ما استدركه على « الصحاح » طبع منه جزءان (مجمع اللغة العربية في القاهرة) .

بسرعة من غير استقصاء واستقراء(*) ، لأن ذلك محتاج الى دليل ونص تاريخي ولا يتاتى ذلك بالنظر الى مشابهة اصوات كلمة ما من العربية باصوات اخرى من لغة اعجمية . لا استطيع ان ادرك ان مادة « ادب » وهي قديمة متشعبة المعانى فيها آتية من الكلمة اليونانية Édupés وهي تعني في اليونانية الطيب والعذب واللذيذ .

اظن ان تجربة « أدى شير » صاحب « الالفاظ الفارسية المعربة » وتجارب الآخرين ومنهم طائفة من الاباء النصارى غير موفقة ، لانهم جاروا على العربية ، فقد زعم غير واحد من هؤلاء الآباء الموقرين ان « كتب » و « قرأ » من المواد السريانية وهي دخيلة في العربية . ولا ادرى كيف فاتهم ان هذه المواد العربية هي سامية الاصول فوجودها في العربية والسريانية والعبرانية والاكدية الاشورية وغير هذه من اللغات السامية امر طبيعي تؤكده الحقيقة التاريخية من وجود اللغة السامية الام .

على اني لا انكر ان يكون في العربية دخيل معرب اقتبسته العربية في عصور مختلفة من لغات عدة لسبب من الاسباب . وقد اشار الى ذلك القدماء والمحدثون .

ولنرجع الى « المساعد » لاقول لم اختير هذا الاسم بعد أن تبين لنا انه ليس ذيلا للسان العرب وليس مستدركا على المعجمات العربية قديمها وحديثها لانه لا يستوفي الاستدراك . وليس

(*) المعروف ان « المساعد » هو حصيلة الدرس اللغوي الذي كابده الأب الكرملي بصبرجميل. وبعيداً عن اطار « المساعد » أضاء الكرملي للناس ما كان يعنيه بمنبت اللفظة العربية عندما تكون لها وشيجة بلفظة يونانية او لاتينية .. وذلك في اكثر مؤلفاته الاخرى ومقالاته الصحفية . وكفى بالقاريء قناعة ان اضع بين يديه ما ذكره الكرملي في ص (٤٣٠) من كتابه (اسرار الجموع والموازين ــ المخطوط) حيث قال : ان ثمانية أعشار الكلم اليونانية ماخوذة من العربية . وقال ايضاً : .. ومن اغرب ما وجدته أن اليونانيين قد ياخذون مادة كلمة من العرب ؛ ثم يعود العرب بعد زمن مديد فياخذون من تلك المادة المتيونِنة الفاظا يدخلونها في لغتهم .

[رئيس تحرير المورد]

تصحيحا لـ « محيط المحيط » لانه يصحح حينا ويهجر الموضوع صفحات طويلة من المصنف .

وليس لي ان اقول الا ان لفظ « المساعد » يعني انه « مفيد » افادة اي كتاب نرجع اليه . ثم بعد هذا العرض وبيان الفجوات في هذا المعجم من حيث عدم الاستيفاء وعدم ذكر كل شيء كما انه ليس مستدركا اجدني ميالا الى انه ليس « معجما » بل هو كتاب لغوي يصح ان اسميه « فوائد معجمية » او «تعليقات معجمية » .

على انى اعود فاقول ان هذا لا يقدح من قيمة الكتاب ومنزلته ومقدار العلم الذي اوعبه مصنفه العلامة الكبير فيه . ثم اكرر ما قلته في بداية هذا المبحث من ان المحققين الفاضلين قد اخرجا منه كتابا جم الفوائد بما بذلاه من جهد صادق في تنظيمه .

ولابد ان اعرض لمادة هذا المصنف البارع فاقول :

قال المصنف الاب انستاس الكرملي :

١ ــ الالف هي الحرف الاول من حروف المباني وحروف الجمل . ويقال بالعبرانى والسرياني اليف انتهى كلام المصنف .

أقول : قوله : « هي » الحرف الاول اشارة الى كلمة « مادة » فهو يريد : مادة الالف هي الحرف الاول . .

وقوله : يقال لها بالعبراني والسرياني أليف . احسب ان الزميلين لم يستطيما قراءة خط المصنف على الوجه الصحيح .

فالصواب ان « الالف » وهو الاسم في العربية يقابله آلِف بالعبرانية وآلَف بالسريانية وأنا واثق ان المصنَف الجليل قد اراد هذا الا ان الخط قد حجب الحقيقة(*) .

٢ ــ الأارغِيس

قال ابن البيطار : اسم بربري وهو قشر اصل شجرة البرباريس ....» انظر المفردات ٦/١ اقول لم يزد المصنف على كلام ابن البيطار شيئا فكان ينبغي ان يجتزىء بالاشارة اليه .

(*) باعتباري أحد محققي « المساعد » اقول اننا استطعنا قراءة خط الكرملي على الوجه الصحيح ، ولم نجد الرسم الذي اقترحه الدكتور السامرائي لكلمة « اليف » وانما وجدنا الكلمة كما نشرناها .

[رئيس تحرير المورد]

ومن المفيد ان اوجز فاقول : ان هنالك الفاظا كثيرة نقلها المصنف من « مفردات ابن البيطار » وزاد على مادة ابن البيطار ذكر ما يقابلها باللغة اللاتينية واللغة الفرنسية ، وهو شيء حسن لو اوجز فيما نقله واكتفى بالاشارة اليه .

٣ — الاب

علم للاقنوم الاول . . . . . » .

وقد قال ابو الفداء في تاريخه « ٩٤/١ من طبعة الاستانة : « نؤمن بالله الواحد الآب مالك كل شيء » .

وهذا من فضائل هذا المعجم اي انه يترصد مواده من النصوص المعتمدة وبذلك اضاف مادة معجمية لا نعرفها في المعجمات .

٤ — الابنوس

وهو شجر ...

اقول جمع المصنف في هذه المادة ما ذكره الفيومي في « المصباح المنير » وما ذكره البستاني في « محيط المحيط » ، وما كتبه الشرتوني في « اقرب الموارد » ونبه على ان مادة « اقرب الموارد » من « المصباح المنير » لكن الشرتوني لم يشر الى ذلك . ثم ذكر ما ورد في « البستان » ، وما ورد في « تاج العروس » وما ورد في « اللسان » .

وزاد على ذلك بان الابنوس ورد في سفر حزقيال ١٥/٢٧ كما في الترجمة البروتستانية . وبعد كل هذا ايجوز لنا ان نعد « مساعدنا » « ذيلا » للسان العرب ؟ والذي اراه ان تكون الاضافة التي جاء بها المصنف من سفر حزقيال وحدها مادة هذه الكلمة ثم يشار في الحاشية الى المادة في المصادر المختلفة التي اشرنا اليها .

٥ — آپولونيوس

اقول : اوضح المصنف اصل هذه المادة وعلاقتها بـ « بليس » كما في « اخبار الحكماء » ص ٦٥ . وفي خلال شرحه قال : (راجع معلمة الاسلام) .

وبودي ان اعلق على هذه الكلمة التي كانت موضوع مقالات عدة في مجلة لغة العرب شارك فيها الدكتور مصطفى جواد — رحمه الله — وفي هذه المقالات انكر الاب الكرملي كلمة « دائرة معارف » وكلمة « موسوعة » وشاركه في رايه الدكتور مصطفى جواد . ثم عاد الدكتور مصطفى جواد فاستحسن « دائرة معارف » في كتابه « المباحث اللغوية في العراق » .

اقول : ان « دائرة معارف » خير من «معلمة» هذه المشتقة المصنوعة الجديدة . لقد ذكر الدكتور مصطفى جواد في « كتابه » من النصوص القديمة ما يشير الى ان كلمة « دائرة » استعملت في معنى قريب من المعنى المراد في عصور سلفت .

ولكني اعود فاقول : انهما انكرا «الموسوعة» لانها تخالف الحقيقة ، فهي « واسعة » للعلوم والفنون والآداب لا « موسوعة » ، وكان ينبغي ان تكون بزنة اسم الفاعل . وهذا صحيح ، ولكن « الموسوعة » لا تعدم وجها من الصواب في العربية ، فالعلوم في « الكتاب » هي « الموسوعة » فيه ، قال تعالى : « وسع كرسيه السموات والارض »(٦) فالكرسي هو الواسع والسموات والارض موسوعة فيه .

٦ — آثوس

قال المصنف : جبل مشهور بعباده ويسميه نصارى العرب الجبل الاسود (Mont Athos)

اقول : ايجاز المصنف في هذه المادة مخل في حين انه اسهب في مواد معروفة لا تستحق اطنابا ورد في كلام الاب المصنف عليها . قال : جبل مشهور . اقول ان هذه الشهرة لا علم للقارىء العربي غير النصراني بها ، فما الجبل ؟ واين يكون ؟

٧ — الآجغ

سبق الكلام عليه في هذا المبحث .

٨ — آشي

بلاد في الجهة الشمالية من جزيرة صومطرة ...

اقول : من المفيد ان يشير الى البلدان التي لم ترد في كتب البلدان .

٩ — آتجة

كتبها المصريون ولفظوها « أتشا » وهي كلمة تركية معناها : الضارب او الضاربة الى البياض . وهي نقد صغير تركي عرف في مصر والعراق ...

اقول : حسن ان يذكر هذه الالفاظ العامية لو كان ذكر هذا النوع من الالفاظ من نهج المصنف في « معجمه » ، ولكني لم اجده يستوفي الكلمات العامية المبدوءة بهذا الحرف فاين مثات الالفاظ من ذلك .

١٠ — الآل

المعروف ان السراب هو ما تراه نصف النهار واما ما تراه في اول النهار وآخره فهو الآل .

والسراب يقابل اللفظة الفرنسية Mirage .

---

(٦) سورة البقرة ٢٥٥ .

اقول : ان الذي ذكره المصنف تلخيص وايجاز لما هو في المعجمات العربية ولم يرد المصنف الا ذكر المقابل الفرنسي الذي يجده الشداة في اي معجم صغير عربي فرنسي .

١١ — آلتون كوبرى

اي جسر الذهب ....

اقول : والمادة استغرقت نصف الصفحة . وهي مدينة عراقية واهلها يتكلمون العربية والكردية والتركمانية . وعلى ان المصنف تكلم كثيرا على هذه المادة الا انه اغفل بيان موقعها ليفيد من ذلك غير العراقي في الاقل .

اما قوله : اي جسر الذهب وهو اسم الشعبة العليا من الزاب الاصفر فغير كاف .

١٢ — الاهون

اسم امام الجامع في لغة مسلمي الصينيين وهي مأخوذة من آخند الفارسية .....

ويحتمل ان تكون الفارسية من اليونانية Arkhôn وفي العربية « اركون » « فخففت» .

اقول : ان قوله : « ويحتمل ان تكون الفارسية من اليونانية ....» حسَن ومفيد وهذا يعني ان علما اكيدا لا يشير الى هذه المقولة .

وقوله « اركون » في العربية . كلام موجز ايجازا مخلا فالكلمة غريبة مفتقرة للايضاح وبيان المصدر الذي وردت فيه . ومن المفيد ان اشير ان « اركون » من الاعلام لدى البربر من الجزائريين في عصرنا .

وكان من المتوقع ان يعرض لمادة « آهين » لنوع من المعادن بعد « آهون » ولكنه اغفل ذكرها . ومن اجل ذلك قلت انه لم يلتزم بخطة واضحة ونهج سليم(*) .

١٣ — الآيين

او الآئين وهي امور التشريفات ومراسيم الحفلات . وفي معجم الادباء لياقوت ٤٩٢/٥ كتاب يعرف بالتذكرة لابن مسيلمة ....

آيين نامه او آئين نامة قال المسعودي في « التنبيه والاشراف » تفسير آئين ناماه : كتاب الرسوم وهو عظيم ....

(*) لقد ذكر الاب الكرملي لفظة « آهين » في مادة « آهن » .. وسيراها القارىء في الجزء الثاني من « المساعد » .

[رئيس تحرير المورد]

اقول : فات المصنف ان يذكر كتاب «الآئين» لابن المقفع المتوفى ١٤٢ هـ الذي نقل عنه ابن قتيبة في « عيون الاخبار » نقولا كثيرة . وقد ذكره ابن النديم في الفهرست .

ومن المفيد جدا ان يسجل المصنف المستحدثات اللغوية ذات الدلالة الحضارية ، ولكن قوله : « امور التشريفات ومراسم الحفلات » غير سديد لان التشريفات من مصطلح عصرنا الحاضر ، وهي قد تكون غير معروفة في اقطار عربية غير العراق في حين ان الكلمة قديمة ولها حيزها القديم فينبغي ان يستعار لها من اللفظ للتعريف بها ما كان لها في العصور التاريخية .

ولا ادري ما المراسم ؟ ان كونها على « مفاعل » يشير الى انها جمع مرسم . وهي مما استعاره العثمانيون من العربية . ومن غير شك ان المؤلف يريد ان تكون جمع « مرسوم » فالاولى ان تكون « مراسيم » . ان الاستعمال التركي للمراسم هو الذي ولد الفاظ الرسمي والرسمية والرسميات . والمصطلح القديم « الرسوم » . ومن اجل ذلك كان كتاب هلال الصابي « رسوم دار الخلافة »(٧) .

١٤ — الاب

المقر الرئيسي الذي تتعلق به عدة مواطن Centre وجاء أيضا بمعنى المثال الذي يحتذى به Type ويقال في المؤنث في معنى ذلك كله الام Maison Centrale, Plante type

انتهى كلام الاب .

اقول : لولا ان المصنف العلامة قد ذكر المقابل الفرنسي لضللت المراد من النص العربي الذي اثبته ، ذلك اني ما اهتديت الى مدلول معنوي يعبر عنه بـ « الاب » او « الام » .

(٧) فاتني ان اذكر ان « الآيين » ورد في كتاب «التاج» المنسوب الى الجاحظ في الصفحات ١٩ ، ٢٣ ، ٣٠ ، ٧٧ جاء في ص ٣٠ قوله في الكلام على يزيد بن عبدالملك : واستخف بآيين المملكة واذن للندماء في الكلام ... وجاء في حاشية ص ١٩ : قال السيد صديق حسن خان في « لف القماط في تصحيح ما تستعمله العامة من المعرب والدخيل والمولد والاغلاط » ما نصه : آيين بمعنى العادة . واصل معناه السياسة المسيرة بين فرقة عظيمة . اعجمي عربه المولدون . هذا كله حاشية المحقق احمد زكي باشا . وجاء في الكشاف للزمخشري ٣٧٢/٣ في تفسير سورة النمل : « وعن الاسكندر انه اشير عليه بالبيات فقال : ليس من آيين الملوك استراق الظفر » .

ثم كان من الواجب ان يستدل على اثبات هذا المعنى بذكر مظنة واحدة ورد فيها الاستعمال في الاقل .

ومن المفيد ان اشير الى ان «المقر» يوصف بـ « الرئيس » على فعيل هو الصواب ، اذ لو كان المقر منسوبا الى الرئيس لجاز ان يوصف بـ « الرئيسى » . ان « الرئيس » في هذا التركيب الوصفي لا يتصل بمنصب رئاسة البتة ، بل يعني « الاول » و « المقر الرئيسي » كما اراد المصنف هو المقر الاول او المركزي باصطلاح عصرنا . وعلى هذا كان « الرئيس » اصوب من « الرئيسي » .

١٥ ـ الابَا

غير ممدود : القصب ....

اقول : لما كان الشكل مثبتا فالاشارة الى انه « غير ممدود » غير سديدة وذلك لان الاولى ان يقال : مهموز بدلا من « غير ممدود » . ان الشكل يدفع اللبس والوهم فلا يقرأ المهموز ممدودا .

١٦ ـ الأَبّ

الكلأ الذي تعتلفه الماشية ..

اقول : لقد استوعبت هذه المادة اكثر من نصف صفحة من المعجم اتى فيها الاب المصنف على الكلمة في اللغات السامية ، ثم عند اليونان والفرس وكانه اراد ان يقول ان الكلمة تنظر الى ما يقابلها فى هذه اللغات . لقد ابتدا هذه المادة بما ذكره الشرتوني في « اقرب الموارد » وهو من اهل هذا العصر ، ثم اتى بقول لثعلب ، ثم عقب على ذلك بما هو معروف في عدة لغات سامية .

اقول : لو انه نظر في « لسان العرب » وفي كتب التفسير لابتدا بالاية الكريمة «وفاكهةً وابًا». قال ابو حنيفة : سمى الله تعالى المرعى كله ابًا . وقال الفراء : الاب ما تاكله الانعام . وقال مجاهد : الفاكهة ما اكله الناس ، والأب ما اكلت الانعام ، فالاب من المرعى للدواب كالفاكهة للانسان . ثم ياتى كلام ثعلب الذي اجتزا به الاب المصنف من بين الاقوال القديمة جميعها وهو : كل ما اخرجت الارض من النبات . وفي حديث انس : ان عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنهما ـ قرا قوله ، عز وجل : وفاكهة وابًا ، وقال: فما الاب ، ثم قال ما كلّفنا وما امرنا بهذا .

ترك المصنف جميع هذه المادة ولم يذكر الآية وهي اقدم نص في هذه المادة ، ولم يشر ولو بالاحالة الى هذه الفوائد الموجودة فى كتب التفسير وفي « لسان العرب » .

١٧ ـ الأَباءة

الاجمة من القصب والجمع اباء (لسان العرب في : ا ب ا) .....

اقول : هذه الاحالة على لسان العرب بعد ذكر الموضوع بايجاز هو المنهج السديد الذي يتبع ، ثم يذكر بعده الفوائد الاخرى التى لم ترد في كتب اللغة القديمة وهذا ما فعله الاب المصنف .

١٨ ـ الابابة

الاشتياق الى الوطن وهي تقابل Nostalgie

اقول : ان الاب اوجز المادة القديمة ايجازا مخلا ، فالذي نعرفه ان الاب (بتشديد الباء) هو النزاع الى الوطن ؛ واب الى وطنه يؤب ابًّا وابابةً : نزع ، والمعروف عند ابن دريد الكسر ، وانشد لهشام اخى ذي الرمة .

واب ذو المحضر البادي ابابته
وقوّضت نية اطناب تخييم

ان المصنف الجليل قد اوجز هذه المادة ايما ايجاز ولم يستدرك عليها شيئا الا المقابل الفرنسي .

١٩ ـ ابَتَ

يقال ابت اليوم اشد حره ، وابتَة الغضب: شدته وسورته . وابْت مخفف حمت انتهى كلام الاب .

اقول : ان هذه المادة جاءت وافية طويلة كثيرة الفوائد في « اللسان » أما ما ذكره الاب فهو اختصار شديد لما في « اللسان » . وكان على المصنف اما ان يذكر المادة كما وردت فى «اللسان» او ان يشير الى ما فى « اللسان » ويزيد عليه ما وجده من الفوائد ليكون « المساعد » ذيلا للسان .

٢٠ ـ أَبَدَ

وفي هذه المادة جاء المصنف بـ : ابَدَ وابّده وتابّدَ الآبِد والآبدة والابَدَ الى آخره . وقد ذكر في « ابَدَ » و « تابّدَ » معاني لم نرها في المعجمات القديمة . وهذا شيء حسن ولكنه يفتقر الى ذكر النصوص التى وردت فيها هذه المعاني ، ومن حق القارىء ان يطالب المصنف بهذه الفوائد الضرورية . ولقد فعل هذا في « الآبدة » فجاء

بنصوص وردت في « نهاية الارب » و « صبح الاعشى » ، وهذا عمل معجمي نافع .

٢١ ـ ابداً

قال المصنف لا آتيك ابدا اي لا آتيك الى آخر حياتي ، ومثله عوض قال الاعشى :

عوض لا نتفرق (راجع : تاج العروس في سحم) . وابدا تأتي بعد الفعل المستقبل(المضارع) و « قط » بعد الماضي وقد يعكس .

اقول : صنع المصنف مثلا على طريقة النحاة وتخلص منه الى قاعدة في الاستعمال ، كأنه اراد ان يقول ان ابدا تأتي بعد النفي للفعل المستقبل . والذي اعرفه ان « ابدا » ظرف زمان لا يقتصر استعماله على ما ذكره الاب في معجمه .

ثم زاد الاب هذه المادة فنقل فيها عن الدكتور مصطفى جواد .

قال مصطفى جواد : وتأتي ابدا بعد الفعل الماضي المتضمن للقسم والدعاء والاستقبال كما في قول بشار (الاغاني ٨٨/٣) ، لا تعرضت لهجاء سفلة مثل هذا ابدا .

وبعد « ليس » كما في قول ابي طالب في « شرح نهج البلاغة » لابن ابي الحديد ٣٠٩/٣

فيندم بعضكم ويذل بعض
وليس بمفلح ابدا ظلوم

ولا مانع من استعمالها بدلا من « قط » كما في قول ابي الهندي :

ابا الوليد اما والله لو عملت
فيك الشمول لما حرمتها ابدا

وقال ايضا : جاء في « مختار الصحاح » : « لام التعريف ساكنة ابدا .... » .

ثم اتى بجملة من « المحاسن والاضداد » وبيتا فيه غير منسوب ، وبيت اخت عمرو بن ود ترثيه :

لو كان قاتل عمرو غير قاتله
بكيته ابدا ما دمت في الابد

انتهى كلام الدكتور مصطفى جواد .

اقول : هذا الذي ذكره مصطفى جواد لم يكن كافيا ان يصنع منه قاعدة نحوية .. لقد ذكر انه يأتي بعد الفعل الماضي المتضمن للقسم والدعاء والاستقبال . وقد جاء قول بشار شاهدا على الدعاء والاستقبال فاين القسم ؟ ثم ورد بعد « ليس » ، فكان عليه ان تقول ان «ابدا» تأتي بعد النفي للمستقبل . وهذا ما دلت عليه الشواهد التي عثر عليها .

ان القاعدة النحوية ينبغي ان تتوخى من استقراء واف لنصوص كثيرة . وما اظن من السداد ان تصنع القاعدة النحوية في «ابدا» ولا يخطر ببال هذا المستقري للقاعدة ان الكلمة وردت في ٢٨ آية من القرآن الكريم . وفي هذا القدر العظيم من النص القرآني وهو اقدم ما نعرف من النصوص واوثقها ما يعضد القاعدة التي اتى بها كل من الاب الكرملي والدكتور مصطفى جواد وما ينقضها .

قال تعالى : « ولن يتمنّوه ابدا بما قدمت ايديهم » (البقرة ٩٥) جاءت « ابدا بعد الفعل المنفي الذي خلص الى المستقبل » .

وقال تعالى : « خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم (التوبة ٢٢) جاءت « ابدا » في حشو الجملة التي تفيد المستقبل مع الدوام والاستمرار .

وقال تعالى : « ولا تصلّ على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره (التوبة ٨٤) وفي هذه الآية جاءت « ابدا » مع الماضي المنقطع وهو « مات » .

وقال تعالى : « قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا » (الكهف ٣٥) وفي هذه الآية وردت مع الفعل المستقبل .

وقال تعالى : « ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا » (النور ٢١) وفي هذه الآية جاءت « ابدا » في حشو الجملة الماضية .

وقال تعالى : « لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا » (الحشر ١١) وفي هذه الآية جاءت ابدا في جملة القسم والفعل من غير شك مستقبل . وكان على الدكتور مصطفى جواد ان يستدل بها على جملة القسم .

وقال تعالى : « وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا » (الممتحنة ٤) وفي هذه الآية جاءت ابدا مع الزمن الماضي .

وقد اجتزأت بهذا القدر من الآيات التي استعملت فيها «ابدا» استعمالات عدة لا اجترىء ان استنتج منها قاعدة نحوية لتباينها ويكفيني ان اعرضها ليستدل بها في الاستعمال .

اقول : ليس من سداد المنهج ان يكتفى بأبيات شعر وتطوى شواهدهن آيات محكمات .

٢٢ ـ الابيد

قال : وردت في لسان العرب بصورة «أُبيد» (على التصغير) والذي في تاج العروس « أيبد » اما القاموس وسائر معاجم (كذا) الاقـــدمين فبصورة « ابِيد » وهو المحيـط والاوقيـانوس . وهو نبات مثل زرع الشعير وله سنبلة ..

ثم ذكر ما يقابلها بالفرنسية واللاتينيـــة ...... » وهذا من اضافات الاب المفيدة .

اقول : ان ما جاء في تاج العروس « ايبد » هو مصحف وما اكثر التصحيف والتحريف فـي « تاج العروس » (الطبعة القديمة) .

٢٣ ـ المؤبد

المخلد .

اقول لماذا لها مادة وهي تتصل بـ « أبـد » المضعف الذى ذكره في اول المادة قبل ان يأتـي الكلام على « ابدا » الظرف .

٢٤ ـ الابريق

قال المصنف عربيته الثفال . ويراد بالابريق كل اناء يستعمل للماء وغيره ، ....

اقول : كان ينبغي ان ينص على انه معرب وقد ذكر في « المعرب » للجواليقي وغيره من الكتب وفي معجمات العربية وكان ينبغي على المصنف ان يشير الى الاضافات التـي جاء بها وحدها .

ثم انه قال : وعربيته الثفال . وكان عليـه ان يذكر الشيء بصوره المختلفة . جاء في « ثفل » من « اللسان » : والثفالة الابريق . وفي حديث ابن عمر ، رضى الله عنه : انه اكل الدجر وهو اللوبياء ثم غسل يديه بالثفالة . وهو في التهذيب الثفال ، قال ابن الاعرابي : الثفال الابريق ، وذكره ابن الاثير في النهاية بالكسر والفتح .

٢٥ ـ الابس

قال المصنف : عند اللغويين ذكر الســلاحف وهو الرق والغيلم ...

ثم تكلم على هذا الحيوان كلاما طويلا فيـه كثير من الفوائد العلمية وقال : فالمراد بالابس ومثله الحمس (وهذه لغة في الاولى او ان الاولى لغـة في الثانية) ضرب مـن الزحافات مـن رتبـة السلاحف ... .

ثم قال : وطعام الحمسة الحيوِنات الحيـة كصغار الضفادع والاسماك ...

اقول : لا شيء على هذه المادة الثرية بفوائدها الا لفظ « الحيوِنات » . فالذي اعرفه وثقفتـه في كتب الصرف أن الواو تعل فتقلب ياء وذلـك اذا اجتمع ياء وواو وكان الاول منهما ساكنـا قلب الواو ياء وادغم في الياء نحو سيد واصلهـا سيْود . ولولا ان الكلام على معجم مهم لعـالم جليل لضربت عـن هذه الدقائق صفحا . وعلى هذا فالصواب الحيينات .

٢٦ ـ الآبش

الآبش مادة طويلة كثيرة الفوائد ، وهي احدى المواد الكثيرة التى جعلت من « المساعد » كتابـا نفيسا . ولكنى اتساءل كيف جاء ترتيبها بعـد المتلوة بباء اي بعد « الابستا » وكان حقها ان تكون مع الكلمات المبدوءة بمد اي انه همزة تليها همـزة ومكانها بعد « آب » . غير ان المصنف الفاضل لـم يراع الضبط التام في الترتيب فقد خرج علـى النظام مرات .

٢٧ ـ ابليس

تكلم المصنف على هذه المادة كثيرا ورد علـى المستشرقين قولهم : انه معرب ديابلس Diablos مـن اليونانية وقال : ان الفرق بيـن ديابلـس وابليس ظاهر لا يخفى على بصير .

اقول : يذهب المصنف العلامة الى هذا الانكار مع انه قال في اشياء مثل هذا مع وجود الفـرق الظاهر والا كيف تكون « ادب » وهي كلمة شهيرة ثرية المعاني من اليونانية edupé وتعني الطيب او العذب او اللذيذ !

٢٨ ـ ابو

قال المصنف : قد تحذف منها الواو لضرورة الشعر كقوله :

بابه اقتـدى عـدى في الـكرم
ومن يشـابه ابه فما ظلـــم

اقول : ليس حذف الواو من « ابو » لضرورة الشعر فهو لغة وهذه اللغة تعنى حـذف الـواو والالف والياء والاعراب بالحركات الطاهرة علـى الباء وكذا على الخاء من « اخ » والميم من « حم » والى هذه اشار ابن مالك في الفيته :

وفي اب وتاليـــه ينـــدر
وقصرها من نقصهن اشـــهر

اي ان هذه اللغة التي اشرنا اليها قليلـــة. والشاهد على هذه اللغة البيت المتقدم وهـــو لرؤبة بن العجاج .

٢٩ ـ ابو العبر[٨] .

اقول : هو شاعر مـن اهل المجون والتحامق

---

(٨) انظر « ابو العبر » مقالة للدكتور رزوق فـرج رزوق في مجلة الجامعة المستنصرية العدد الثاني ١٩٧١ .

والفكاهة وهو ابو العباس محمد بن احمد المعروف بحمدون الخامس عاصر من الخلفاء الرشيد والامين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل وادرك ايام المستعين .

الا ان المصنف ذكر في هذه المادة مقالة موجزة لاحمد زكي باشا نشرت في المقتطف (٤١/٤٣٨) تكلم فيها صاحبها على ابى العبر هذا . ثم ختمها المصنف بقوله : « وقد علمنا من صاحب تاج العروس ان اسمه أحمد بن محمد بن عبدالله بن عباس الهاشمي » ثم احال على مجلة لغة العرب ٦ (١٩٢٨) ٢٢٩ .

اقول : لا ادري لم اقتصر المصنف على التعريف باسم الشاعر على « تاج العروس » فكان المترجم مجهول الترجمة ، وهذا ما يوحيه الى القارىء . ان الشاعر مترجم وله اخبار في :

عيون الاخبار ٣/٢٤٩ ، اشعار اولاد الخلفاء ٣٢٤ ، الاغاني ٢٠/٢٢٥ ، جمع الجواهر ٦٧ ، غرر الخصائص الواضحة ٣١ ، فوات الوفيات ٢/٣٥٥ ، الوافي بالوفيات ٢/٤٢ ، الغيث المسجم ٢/٢٧١ .

ثم ان الاب الكرملي قد ذكر في مجلة لغة العرب التي اشرنا اليها رأيا غريبا وهو ان كلمة opéra, الافرنجية تقابل عبرة العربية وقد دخلت هذه الكلمة العربية في اللغات الاوربية عن طريق الايطاليين لان العرب كانوا قد احتلوا جنوب ايطاليا وتكلموا لغتهم فدخلت هذه الكلمة مع كثير من الكلمات العربية في اللغة الايطالية .

٣٠ ـ تأتى منه او عنه بمعنى اتى او حدث او حصل منه او صدر او نبع او نشأ او تولد منه غير عربية اذ لم يذكرها اصحاب « المعاجم » . (كذا) .

اقول : قد تكون الكلمة غير موجودة في « المعجمات » ولكن ذلك لا يقدح في عروبتها ؛ فقد عرفنا ان استقراء اصحاب المعجمات للعربية ليس بالشافي ولا الوافي ؛ ذلك ان كثيرا من المادة اللغوية لا نجدها في المعجم ولكننا نجدها في النصوص الموثوقة كما اثبت المصنف في « المساعد » وكما اثبت غيره من اصحاب المعجمات الحديثة . ان الذهاب الى ان هذه الكلمة او تلك غير عربية ينبغي ان يحصل بعد استقراء واف للنصوص ، وهذا شيء يقترب من المستحيل . وخير دليل على ما اقول ما ذهب اليه المصنف الجليل من ان هذه الكلمة نفسها غير عربية لان اصحاب « المعاجم » لم يذكروها في حين انها وردت في لامية الاعشى المشهورة وهو قوله :

صفر الوشاحين ملء الدرع بهكنة
اذا تأتى يكاد الخصر ينخزل

٣١ ـ مؤثفة

امراة مؤثفة اي لزوجها امراتان سواها وهي ثالثتها شبهت باثافي القدر ...

اقول : كان ينبغي ان يشار الى « مثفاة » وهي في المعنى نفسه : ومثفاة من « اثفية » .

٣٢ ـ الاجاص

قال المصنف : يسمي عوام بغداد الاجاص prune عنجاصا ... ثم قال : ويقلب البغداديون عنجاصا .... ثم قال : ويقلب البغداديون الهمزة عينا فيقولون عجاصة ثم اقحموا بين العين والجيم نونا فقالوا عنجاصة .

اقول : وليست النون مقحمة بين العين والجيم بل ان النون تتولد من فك ادغام الجيم وابدال النون بالجيم الاولى . وهذه مسالة صوتية نعرفها في باب الادغام . والابدال عادة يكون بالنون او يكون بابدال الباء باحد حرفي الادغام مثل اما وتكون ايما ، قال الشاعر :

ايما الى جنة ايما الى نار
وكذلك الفنان والفينان .

٣٣ ـ الاجل

مما قال المصنف في هذه المادة : « وفي تاج العروس (مادة قرر) « والشمس تجرى لمستقر لها .....

اي لمكان لا تجاوزه وقتا ومحلا . قيل لاجل قدر لها » .

اقول : كان الاولى ان ينص على ان ما جاء في تاج العروس آية من سورة يس وقد فات المحققين استدراك ذلك .

٣٤ ـ اجم

جاء المصنف في هذه المادة بشيء من « لسان العرب » وزاد عليها ما توهمه من اليونانية وهو Agnos على ابدال الميم بالنون . ثم افرد مادة للاجامي وهو الطائر الذي لا يفارق الآجام كالطيطوى ، ثم عاد فجاء بمادة جديدة هي الاجمة التي قال عنها انها الغابة من القصب تغيب فيها السباع ونحوها ...

اقول : كان الاولى ان تكون « اجم » و«اجمة» « آجامي » مادة واحدة .

٣٥ ـ الاخت

وهي حبة بغداد او دملة الجزيرة او حبة السنة عند بعض اهل سورية .

وذكر المصنف رايا لمصطفى جواد كان قد كتب به اليه : « اعتبر العوام هذه القرحة في اولادهم (شقيقة) لهم لكثرة فشوها فيهم ، كما انهم يزعمون ان للمراة قرينة من الجن بيدها نفعها ومضرتها . وعلى هذا التأويل فسر الحديث (اكرموا عماتكم النخل) لان النخلة لقدمها مع الانسان وتقدم زمانها على غيره جعلت كالعمة للانسان فكأنها اخت آدم عليه السلام » . انتهى كلام الدكتور مصطفى جواد ـ رحمه الله ـ

اقول : في هذا الراي غرابة وطرافة وفيه شيء يتصل بتأويل الحديث الشريف لم اجده في كتب الحديث .

ثم قال المصنف : والاخت ؛ عندي ؛ تصحيف الاخذ بمعنى التأثير . يقال اخذ الخمر فيه « اي اثر » .

اقول : ان هذا التصحيف غريب ؛ وانا اميل الى ان العامة استعارت لفظ الاخت لهذا لملازمة هذه الدملة لصاحبها . ولابد من القول : ان المصنف استعمل « بعض » للدلالة على اكثر من واحد خلافا للمشهور فقال : « عند بعض اهل سورية » مع انه استعملها مرارا عدة بمعنى الواحد .

٣٦ ـ الاخت

قال : يقولون : الياء اخت الواو اي تجاورها (عن معجم ما استعجم ص ٦٤٤) .

اقول : وفي كتب الصرف ان الياء اخت الواو ايضا . واضيف على ذلك ان في كتب النحو مبحث « كان واخواتها » .

٣٧ ـ اخذ

يقال . اخذ الشيء ومعه اذا جعله معه . انتهى كلام المصنف

اقول : هذا معنى جديد مولد لا وجود له في دواوين اللغة فكان يحسن بالمصنف ان يذكر ابن وجده وفي اي نص ورد على عادته حين يذكر المعاني المولدة . ومن احسن الامثلة على ذلك ما جاء في المادة التى جاءت بعد « اخذ » هذه وهي استعمال جديد لـ « اخذ » وكان حق المادتين وثالثة ورابعة وكلها « اخذ » ان تصبح مادة واحدة .

اقول في « اخذ » الثانية ذكر الاب العلامة : يقال هذا الاناء يأخذ رطلا من كذا اي يسع . وورد في « لسان العرب » (مادة : صوع) الصاع مكيال لاهل المدينة يأخذ اربعة امداد » . انتهى . وهذا عمل معجمي ذو فائدة عظيمة فهو استدراك على المعجم القديم ، اذ لم يرد هذا المعنى فيه في مادة (اخذ) الاولى .

٣٨ ـ اخذ

اخذ عليه في شيء وبخه عليه . قال صاحب الإغاني (١٨/٢) : وقد اخذوا عليه (اي عدي بن زيد) في اشياء عيب فيها » .

اقول : ان النص المأخوذ من « الاغاني » لا يؤيد المعنى « وبخ » اي انهم لاموه وانتقدوه في اشياء عيب عليها . وارى ان الفعل هو المجهول من « عاب » لا « عَيَّب » المجهول من المضعف . وفي هذه المادة اثبت المصنف استعمالا عاميا لدى العراقيين قال : ويقول العراقيون : هذا الحبل مثلا يأخذ ويعطي اي يزيد وينقص وبالفرنسية élastique

اقول : كان الاولى ان ينص على ان هذا الاستعمال عامي دارج ، اما قوله : « ويقول العراقيون » لا يعني ان الاستعمال عامي دارج .

ثم زاد المصنف هذه المادة باستعمال اخر هو :

وفلان يأخذ ولا يعطي اي يزيد ما عنده ولا يعطي شيئا . قال الجاحظ في كتاب الحيوان: «واذا كانت الكنوز جامدة ينقصها ما اخذ منها » وفي ص١١٩ : « فان الخصاء يأخذ منهم ولا يعطيهم وينقصهم ولا يزيدهم » .

اقول : ان هذا الاستعمال في « اخذ » هو المعنى الحقيقي او المعنى الاول المعروف لدى الخاص والعام الذى نستعمله كل يوم ، وليس هو استعمالا خاصا يحتاج الى نص نترصده في نص قديم .

اما الاستعمال الاخير لهذه الكلمة الذي اثبته في هذه المادة فهو : « وهذا الرجل لا يأخذ ولا يعطي اي لا يسمع كلاما ولا يجيب عن شيء» .

اقول : هذا استعمال لابد من الاشارة اليه ولكنه من اللغة الحديثة التى تقرب من العامي الدارج فكان على المصنف ان يشير الى هذا اللون الشعبي من الاستعمالات .

٣٩ ـ اخَذ

قال المصنف : اخذه بطنه شعر بان يحدث (راجع المثل : بقطيه بطبك) (مجمع الامثال ١٩/١) اقول : لو جمع المصنف هذه المادة (٣٩) مع الاستعمالات السابقة في مادة واحدة لكان خيرا من تشتيت هذه المسالة الواحدة .

٤٠ ـ اخَذ

قال المصنف : اخذه من فوق : علاه وغلبه (عن التاج في مستدرك : دمغ) .

اقول : وهذا شيء يجب ان يضاف الى المادة في مجموعها ولا يوءلف مادة قائمة بذاتها .

استدراك : ويحسن بي ان اضيف الى هذه الاستعمالات الـ « أخذ » ما وجدته في المعجم العربي الفرنسي صنعة المستشرق الفرنسي Blachère مما لم يرد في المعجمات العربية القديمة وهي :

(١) اخذته الخمر (٢) ولا تأخذكم بهما رافة (٣) امراة تاخذها العين اي تعجب (٤) اخذته الالسنة اي لاكته الالسنة بغير الحق (٥) اخذته الاكف اي كثرت عليه الايدي (٦) فلان يؤخذ بالجزية (٧) اخذهم بالعذاب (٨) اخذتهم الصيحة (استعمال قرآني) (٩) خذوا حذركم (استعمال قرآني) .

ثم يختم المصنف « اخذ » فيتناول « اتخذ » ويثبت لها معنى واحدا هو اتخذ ارضا اي اخذها اخاذة له . ولا يوضحها او يؤيدها بنص . ثم يعود الى « اخَذ » ليقول اخذ اللبن حمض . ولا ادري لم لم تضم هذه الاخيرة الى تلك المعاني التي اوردها في « اخذ » .

٤١ ـ الاخاذة

قال المصنف : وجمع الاخاذات وهي الاراضي الخربة التي يدفعها مالكها الى من يعمرها ويستخرجها (عن المغرب) .

اقول : هذا معنى جديد للكلمة وقد جاء في نص قديم وهو قد ينأى عن الاستعمال القديم . جاء في « لسان العرب » : ان الاخاذة الارض يأخذها الرجل فيحوزها لنفسه ويتخذها ويحييها .

٤٢ ـ الادب

قال المصنف : الادب مشتق من الاديب لا من ادب (الفعل المضموم العين في الماضي والمضارع) كما اشتقوا الفلسفة من فيلسوف . والأديب معرب edupé اي الحسن الصوت الطيب الذي يؤنس السامعين بسحر مقاله .....

اقول : ليس من دليل لغوي تاريخي على ان الادب مشتق من الاديب لا من الفعل ، كما انه ليس من دليل لغوي تاريخي انهم اشتقوا الفلسفة من فيلسوف . والذى اراه انهم عربوا Philosophie فقالوا فلسفة كماعربوا جغرافيا ، وكما عربوا في عصرناهذا Physiologie فقالوا فسلجة ثم ترجموا المصلح الى علم وظائف الاعضاء .

ثم ان مادة ادب الثرية في العربية ذات المعاني الكثيرة التى لم يستوفها المصنف في المساعد بعيدةعن الكلمة اليونانية وليس من هذه الصفة « اديب » اشتقت مادة ادب ثم اخذ منها الفعل على حد قول المصنف العلامة .

٤٣ ـ اذا

قال المصنف : بعد اذا لا تاتي الا الجملة الاسمية من غير ان تسبق بالباء . تقول : خرجت اذا الاسد بالباب لا : اذا بالاسد في الباب . وتعتبر الباء زائدة بعدها .

اقول : ان قوله : « بعد اذا لا تاتي الا الجملة الاسمية » يشعر ان هذا هو الوجه الوحيد في استعمال « اذا » . والصحيح أن يميز بين « اذا » هذه واسمها الفجائية وبين « اذا » الشرطية التي تدخل على الفعل وتكون للشرط ..

وفي اثناء كلامه الطويل على « اذا » الشرطية قال : « واما قول البعض « اذا لا سمح الله حدث كذا » او « ان لا سمح الله حدث كذا » فهو خطا ......

اقول : لما كان الكلام على الاستعمال الفصيح في كتاب لغوي ذي قيمة تاريخية كبيرة ؛ وجب علينا أن ننقر عن الفصيح والا نتجاوز ذلك الى المرجوح والمولد والمستحدث . وينبني على هذا ان على المصنف العلامة الا يسوغ لنفسه فيستعمل « البعض » وقد قال اللغويون أنثقات ان « ال » لا تدخل على « بعض » كما لا تدخل على « غير » فلا يقال « البعض » كما لا يقال «الغير» وقد استعمل المصنف « البعض » في مادة « الاسر » ص ٢٠٩ .

٤٤ ـ الاكِلة

قال المصنف : قال ابن منظور في « لسان العرب » : « الاكلة ، مقصور ، داء يقع في العضو ، فيتاكل منه » .

اقول : والذي في « اللسان » : « داء يقع في العضد فيتاكل منه » .

٤٥ ــ الاكمة

قال المصنف : التل مــن القف ونحوه . انتهى كلام المصنف .

اقول : وهذا اقل ما نجده في اي معجــــم قديم ، فايــن الفائدة الجديدة ؟

٤٦ ــ اكو

يستعملها اهل العراق بمعنى (يوجــد) . ويقولون (ما اكو) او (ماكو) اي ما يوجد . والفعل (اكو) معرب من اليونانية Ekho بمعنى يوجد وقد نقله اليهم الصائبة وهــــــذا النقل قديم مــن ايام العباسيين ...

اقول : كان الواجب ان ينص على انه مــن اللغة الدارجة العراقية في عصرنا . ثم ان قولـــه معرب مــن اليونانية يحتاج الى دليل لغوي تاريخي غير تشابه الكلمة . اما عندنا فهي عربية اصيلة حذف منها النون تخفيفا ، ومازال اهل الجزائــر يقولون « كاين » بمعنى موجود فاين التعريب مــن اليونانية ؟

ثم ان « كان » التامة في فصيــح العربيــة تفيد الوجود والحصول ومنه قوله تعالى :

« انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كــن فيكون » . وكقوله تعالى : « وان كان ذو عــسـرة فنظرة » وكقول الشاعر :

فدى لبني ذهل بن شيبان ناقتي
اذا كان يوم ذو كواكب اشـهـب

٤٧ ــ الا

وقد تكلم فيها المصنف فاتى باشـياء كثيرة مفيدة استقراها في كتب اللغة والادب والتاريخ ، وهذا عمل معجمي ذو فائدة كبيرة يضيف الــى المعجمات مما لم يستقره اصحابها .

وقد جاء في هذه المادة : وقال ابن قتيبة في « الامامة والسياسة » (٢/١٣٣) : « ولم يختلف منهــم احد الا وحضر » .

اقول : كان على المصنف الجليل ان يلتفـت الى النص فيعلق على قوله : « .... الا وحضــر » فمجيء الواو بعد الا مما لا نعرفــه في الاســـاليب الفصيحة والفصيح : الا حضر وكذا في لغة القرآن الكريم ؛ ولعلها من زيادات النســاخ تأثرا بالوجــه غير الفصيح .

٤٨ ــ الاله

قال : معرب عن العبرية ، واصله (إل يهوه) ....

اقول : لا وجه للتعريب في هذه الكلمة ذلك انها سامية الاصل فهي من الكلمات المشتركة التى ترد في كل اللغات ومنها العربية .

وبعد فهذه مسائل يسيرة ليست هنــوات في هذا السفر العظيم ذي الفوائد الجسيمة التــي جاء بها هذا العالم الضليع من العربية ومن غيرهــا مــن اللغات . وهو يبسط امام القاريء صفحات مشرقة تهديه الى نظرات جديدة في اللغة واصولها وكيف تتطور فيها المعاني(*) .

ثم ان هذا المعجم ليضيف الى العربية حــين تكمل اجزاؤه فوائد جليلة . ومــن الحق ان اشير في ختام هذا البحث الى جهد المحققين الفاضليــن فلا يقدره حق قدره الا من عرف المعجم في صورته الحقيقية .

(*) وبهذه الملاحظ النفيسة الذكية الهادفة اسبغ استاذنا الفاضل الدكتور ابراهيم السامرائي على « المساعد » ما يستقيم كلمة صالحــة في معرض التقويم الموضوعي .. وهو بذلــك يستاهل اصدق الثناء .

[رئيس تحرير المورد]

ملاحظات واستدراكات على كتاب «تاريخ التراث العربي» لفؤاد سزكين

بقلم

اكرم العمري

جامعة بغداد ـ كلية الآداب ـ قسم التاريخ

في سنة ١٩٦٧ م صدر عن مطبعة بريل بليدن كتاب [تاريخ التراث العربي] لفؤاد سزكين باللغة الالمانية ، ومنذ ايام صدرت الترجمة العربية للجزء الاول من هذا الكتاب حيث نقله الى العربية الدكتور فهمي ابو الفضل(*). والكتاب يمثل محاولة جديدة اعقبت محاولة بروكلمان ومحاولات اخرى اسبق للتعريف بكتب التراث العربي مافقد منها وما بقي مع رسم اطار للحركة الفكرية وتطورها عبر القرون الاولى من تاريخ الاسلام . وقد ضمن سزكين كتابه معظم مادة كتاب (تاريخ الادب العربي) لبروكلمان وقد اعاد فحصها وتدقيق مصادرها ، كما استدرك على بروكلمان واضاف وعدل في طريقة تناوله الموضوعات لذلك فهو ليس مجرد استدراك على بروكلمان بل هو كتاب قائم بنفسه وان كان سزكين يحيل على بروكلمان في بعض المواضع التي لم يجد لديه فيها اضافات وتعديلات اساسية. والحق ان الكتاب ثمرة جهود مضنية وصبر طويل وتمرس كبير فحق على الناطقين بالضاد والمعنيين بالتراث الفكري ان يرحبوا بمؤلفه ويقوموا جهده بما هو اهله ، ويتناولوه بامعان النظر فيه وتدقيق مادته ، فهو يحتاج الى القراءة المتفحصة الناقدة لسعة نطاقه ووفرة مادته وكثرة احكامه ، وقد اعتصر فيه مؤلفه جهده وجهود من عني بكتب التراث قبله من العرب والمسلمين والمستشرقين . وقد رايت ان اسجل بعض ملاحظاتي المتواضعة والتي بدت لي خلال قراءة الجزء الاول منه وهو الذي يتناول علم التفسير وعلوم الحديث .

١ ـ يهتم سزكين بتتبع الاسانيد للتعرف على الموارد التي يستقي منها مؤلفو الكتب ، ولا شك انه يمتلك خبرة وممارسة في ذلك حيث سبق ان اصدر دراسة عن موارد البخاري(١) .

وفيما يلي هذه الملاحظة حول منهجه : عندما يكون في سلسلة الاسناد اثنان او اكثر من المصنفين في نفس الموضوع ويكون المؤلف اللاحق قد اقتبس من المؤلف السابق عليه ، كان يقتبس الطبري في تفسيره من تفسير مجاهد باسانيد مختلفة بعض رجالها صنفوا كتبا في التفسير ايضا واقتبسوا فيها من مجاهد كذلك ، فان سزكين يقرر ان الطبري اقتبس روايات مجاهد من كتبهم التي بدورها اقتبست من تفسير مجاهد . اما اقتباس الطبري مباشرة من تفسير مجاهد فانه يقره عندما لا يكون ثمة مصنف في سلسلة سند الطبري الى مجاهد ، ويعتمد سزكين في ذلك على التطابق بين نصوص تفسير الطبري ونصوص المصنفات الاسبق التي اعتمدت على تفسير مجاهد(٢) .

(*) احتازت « المورد » ملاحظات الاستاذ اكرم العمري واستدراكاته على الكتاب المذكور في شهر آب ١٩٧٢ وقد تأخر نشرها تجاوباً مع الأجل الفصلي الذي عاهدت المجلة قراءها عليه . [رئيس تحرير المورد]

(١) بعنوان :
Buharinin Kaynaklari, Istanbul — 1956.
(بالتركية) .

(٢) انظر سزكين : تاريخ التراث العربي ١٧٤/١ ومثل ذلك في ١٨٥/١ فيما يتعلق بتفسير ابن عباس حيث من المحتمل =

ويبدو لي ان ماتوصل اليه سزكين مجرد احتمال وثمة احتمال آخر معتبر هو ان المؤلفين الذين وقعوا في اسانيد الطبري عن مجاهد يمكن ان يكونوا ايضا رواة لنسخة من تفسير مجاهدكما انهم مقتبسون منه، وعندئذ يكون نقل الطبري مباشرة عن تفسير مجاهد وليس بواسطة الكتب التي اقتبست من تفسير مجاهد ، ولن يغير التطابق بين اقتباسات الطبري وتلك الكتب من قيام هذا الاحتمال.

٢ ـ يرى سزكين ان بالامكان الحصول على التفاسير القديمة المفقودة في صورتها الاولى « عن طريق جمع اسانيدها من تفسير الطبري وغيره وترتيب الاقتباسات حسب آيات القرآن(٣).
واقول اليس ثمة احتمال ان الطبري وغيره قد اهملوا بعض روايات التفاسير القديمة ولم يقتبسوها في مؤلفاتهم لذلك فانه يتعذر القطع بكمال الكتاب المجموع بواسطة المقتطفات المقتبسة منه والحصول عليه بصورته الاولى.

٣ ـ يذكر سزكين ان الخطيب البغدادي حصل على حق رواية بعض الكتب من اساتذته في دمشق مثل تفسير ابن عباس ، وكتاب الناسخ والمنسوخ في كتاب الله لقتادة السدوسي والناسخ والمنسوخ لعطاء الخراساني وتفسير ابي داؤد شبل المكي وتفسير مقاتل وغيرها(٤) ، والصواب ان هذه المؤلفات ادخلها الخطيب معه الى دمشق عند رحلته اليها من بغداد وكان قد حصل على حق روايتها من شيوخه ببغداد وغيرها(٥) .

٤ ـ قال سزكين بان « ابا صالح الهذيل بن حبيب الدنداني ـ راوية تفسير مقاتل بن سليمان ـ اضاف الى تفسير مقاتل في بعض المواضع من اسانيد من الآخرين » واحال سزكين على تاريخ بغداد الخطيب البغدادي ١٤/٧٨ـ٧٩.

ولكن ما ذكره الخطيب في هذا الموضع هو «حدث ـ يعني اباصالح الهذيل بن حبيب الدنداني ـ عن حمزة بن حبيب الزيات ، روى عن مقاتل بن سليمان كتاب التفسير » وهذا لا يقطع باضافة الدنداني الى تفسير مقاتل من طريق حمزة الزيات ولا غيره حتى لو حدسنا ان مارواه عن حمزة هو في التفسير ايضا . وقد ذكر سزكين النسخ الخطية التي وصلت الينا من تفسير مقاتل بن سليمان ، فكان من الضروري له فحصها ـ اذا اراد تثبيت هذه الملاحظة ـ للتاكد من وقوع الاضافة .

٥ ـ يرى سزكين (ص ٢٣٣) ان التحمل بطريقة المكاتبة (اجازة) « لم ينتشر الا في عصر الزهري ؛ وعندما شغل امراء الامويين بهذه الطريقة بعينها ، وعلى نطاق واسع وجد الزهري نفسه ـ فيما يروى ـ مضطرا الى اقرار جوازها » ويحيل سزكين الى كتاب الكفاية للخطيب البغدادي ص ٣١٨ .

ولكن الخطيب يذكر في هذا الموضع قبول الزهري ومعاصريه الحسن البصري وهشام بن عروة التحمل بطريقة الاجازة ولا يشير الى تاثير الامراء الامويين في ذلك . ويبدو ان سزكين يستند الى قول الزهري «كنا نكره كتاب العلم حتى اكرهنا عليه هؤلاء الامراء . فراينا ان لا نمنعه احدا من المسلمين حيث استفاد منه سزكين ص ٢٤٥ واحال فيها الى طبقات ابن سعد وحلية الاولياء ، فيجب ان يحيل في ص ٢٣٣ حاشية (٢) الى هذين المصدر واضيف اليها تاريخ يعقوب الفسوي ق ٢١٣ و٢ حيث نقل عبارة الزهري ايضا .

٦ ـ يختصر سزكين احيانا بعض الاسماء فيقتصر على الاسم الاول فقط مثلا « ابان يروي عن انس »(٦) والمقصود ابان بن ابي عياش(٧) لكن ابانا بن صالح يروي عن انس ايضا(٨) فأيهما قصد سزكين ؟ أن الواجب في مثل هذه الحالات ذكر الاسم كاملا .

٧ ـ يقول سزكين(٩) بان طريقتي السماع والقراءة سميتا « الرواية على الوجه » ويستشهد

= ان ابن اسحق رواه كما اقتبس منه في المغازي ايضا ، وكذلك انظر ١/١٨٧ منه .

(٣) تاريخ التراث العربي ص ١٧٤ .

(٤) المصدر السابق ص ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ١٩٦ ، ١٩٨ على التوالي .

(٥) انظر المالكي : تسمية ما ورد به الخطيب البغدادي دمشق الارقام ١٠ ، ٥٠ ، ٤٩ ، ٨ ، ١٢ ووقع فيه الاسم « مقاتل بن حبان » والصواب « مقاتل بن حيان » وقد نشر العش كتاب المالكي ورتبه ضمن مؤلفه « الخطيب البغدادي مؤرخ بغداد ومحدثها » ص ٩٢ ـ ١١٢ .

(٦) تاريخ التراث العربي ص ٢٢٧ .

(٧) ابن حجر : تهذيب التهذيب ١/٩٧ .

(٨) المصدر السابق ١/٩٤ .

(٩) تاريخ التراث ص ٢٤٠ .

لذلك في الحاشية رقم (٢) بمثالين احدهما في ابن سعد وفيه ان عبيدالله(١٠) بن عبدالرحمن روى كتب الثوري على وجهها وروى الجامع.. اما المثال الآخر فمن تاريخ بغداد للخطيب (١٦٣/٤) وفيه «استعار ابو العباس ـ يعني محمد بن اسحق السراج ـ من ابي بكر بن ابي خيثمة شيئا من التاريخ فقال : يا ابا العباس عليَّ يمين ان لا احدث بهذا الكتاب الا على الوجه ، فقال ابو العباس : وعليَّ عزيمة ان لا اكتب الا ما أستفيد ، فرده عليه ولم يحدث في تاريخه عنه بحرف » . والذي يبدو لي من هذا الخبر الاخير ان ابي خيثمة كان لا يقبل الانتخاب من تاريخه بل يحدث به على الوجه ـ اي كاملا دون انتخاب ـ وانه أعطاه الى السراج واوضح له شرطه ، لكن السراج رفض لانه يريد ان ينتخب منه ما يفيده فيسمعه ولا يتعلق الامر برفض ابن ابي خيثمة اعطاء حق رواية تاريخه بالاجازة لانه اجاز للبعض ذلك ، وكتب الاجازة بخطه(١١) . ومع ذلك فلا يسعني القطع بمعنى « الرواية على الوجه » لكنه احتمال سجلته ، وعسى ان يبادر من له علم بذلك الى توضيح وتحديد المعنى .

٨ ـ يقول سزكين (ص ٢٤٩) « ويعتبر البخاري في تاريخ الرواية الاسلامية اول من ذكر معظم الروايات دون اسناد » ثم ذكر كثرة التعليق والفقرات اللغوية والتاريخية التي ترد فيه مصدرة بـ « قال » و « ذكر » و « روى » دون اسناد ، ثم قال « ان الاسناد لم يعرف شكله الاكمل عند البخاري فالواقع انه بدا من البخاري يفقد مكانته » .

واقول كان ينبغي عليه هنا التنبيه الى ان هذه التعليقات التي اوردها البخاري دون اسناد ليست من « الجامع المسند الصحيح المختصر في امور رسول الله صلى عليه وسلم وسننه وايامه » وهو العنوان الذي ربما اختاره البخاري لكتابه ليكون اول تنبيه على عدم اعتبار التعليقات منه حتى لو صحت اسانيدها من طرق اخرى غير البخاري . وان الاحاديث التي اوردها البخاري

(١٠) ورد في تاريخ التراث باسم «عبدالله» والصواب ماذكرته كما في ابن سعد ج ٧ قسم ٧٢/٢ وابن حجر : تهذيب التهذيب ٣٤/٤ .

(١١) انظر : عياض : الالماع ص ١٠٤ حاشية (١) . والقاسمي: قواعد التحديث ص ٢٠٦ .

مسندة موصولة وعددها بلا تكرار ٢٦٠٢ حديثا هي التي تكون «الجامع المسند الصحيح» الذي يتمثل فيه منهج البخاري وتنطبق عليه شروطه المعروفة ، وفيها تظهر الاسانيد باكمل صورها واعلى طرقها وادقها ، فلا يصح القول بأن الاسناد « بدا من البخاري يفقد مكانته » خاصة وان من صنف بعد البخاري ـ وخاصة اصحاب بقية الكتب الستة ـ التزم الاسناد المتصل ايضا .

ان الحكم الذي سجله سزكين حول تاريخ الاسناد يبدو غريبا غرابة نقيضه الذي كان قد سجل كل من كايتاني وشاخت وهو ان الاسانيد المتصلة متاخرة(١٢) .

وقد عاد سزكين (ص ٣٠٧) الى تأكيد ملاحظته هذه وتسجيل احكام جديدة حدية وغريبة على صحيح البخاري ، مثل قوله «بأن الصفات المنسوبة الى الكتاب غير صحيحة » وانه « مصادفة حسنة » و « ان البخاري قد استخدم كتب الحديث وكثيرا من الكتب اللغوية والتاريخية والفقهية كذلك دون انتقاء ودون توفيق » «وانه يفقد كثيرا من سمته مصنفا جامعا شاملا » بسبب التعليق .

وقول بان صحيح البخاري تعرض لاستدراكات وشروح عديدة وان مادار حوله من دراسات عميقة ووافية هي التي اكسبته الثقة المطلقة التي دعمت مكانته التي نالها منذ تأليفه حين شهد له بالصحة ائمة النقاد مثل علي بن المديني ويحيى بن معين واحمد بن حنبل حيث عرضه البخاري عليهم(١٣) .

ومن الغريب ايضا قول سزكين « ان البخاري استخدم كتب الحديث وغيرها دون انتقاء ودون توفيق » ، وسزكين ـ وقد درس موارد البخاري اقدر من سواه على تصور العدد الكبير من الاجزاء والصحف والمسانيد التي كانت في متناول البخاري وفيها القوي والضعيف والصحيح والسقيم ، فهل استوعب البخاري ذلك ام انتقى الصحيح منها مما سمعه من ثقات الشيوخ ؟

لقد صرح البخاري بانه انتقى احاديث

(١٢) انظر اكرم العمري : بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص ٣٩ .

(١٣) انظر (محمد ابو زهو : الحديث والمحدثون ص ٢٧٨) .

صحيحه من ستمائة الف حديث (١٤) ثم كيف لم يوفق البخاري في اختيار مصادره ؛ وقد نال اعجاب ورضا النقاد المعاصرين والمتأخرين ممن افرغوا جهودهم وامضوا اعمارهم في خدمة الحديث ؟ . واي توفيق يناله كتاب اعظم مما نال صحيح البخاري حين عده النقاد اصبح كتاب بعد كتاب الله تعالى ؟ولماذا يفقد صحيح البخاري كثيرا من سمعته مصنفا جامعا شاملا بسبب التعاليق وهي منذ البدء لم تعد من الجامع المسند الصحيح ؟

٩ — ذكر سزكين (ص ٣٥٢) ان ابا اسحق ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني « الف عددا من الكتب يبدو ان الطبري افاد منها في التاريخ والتفسير وتهذيب الآثار » وعند مراجعة فهارس تاريخ الطبري يتبين انه لم يرو فيه عن الجوزجاني مطلقا .

١٠ — وصف سزكين (ص ٣٦٩) كتاب الطبقات لمسلم بن الحجاج بانه يقتصر على الصحابة معتمدا على نسخة الكتاب الخطية الموجودة في مكتبة احمد الثالث باستانبول . واخيف: ان السخاوي (١٥) ذكر انه يتناول التابعين ايضا . مما يدل على وجود نقص في النسخة التي وصلت الينا منه .

١١ — ذكر سزكين (٤١٦) ان الخطيب البغدادي اقتبس من كتاب المبتدا لابي محمد الحسن بن علي القطان — ابن علويه ، والصواب ان الخطيب ذكر هذا الكتاب ولم يقتبس منه (١٦).

١٢ — قال سزكين (ص ٤٢٣) عن كتاب السنن للنسائي « كان يضم في شكله الاول عددا من الاحاديث الضعيفة التي قام المؤلف بحذفها بعد ذلك » ، وتجدر الاشارة هنا الى راي السيد احمد صقر وهو ان ابن السني تلميذ النسائي هو الذي اختصر السنن وسمى المختصر ب « المجتبى » وفند احمد صقر رواية ابن الاثير في (جامع الاصول ١/١١٦) التي تقول بان النسائي حذف الاحاديث الضعيفة من كتابه السنن (١٧) والتي يبدو ان سزكين اعتمد عليها في رايه الذي سجله .

١٣ — ينبغي استبدال كلمة « المخطوطات » في ص ٢١٥ حاشية (١) ب « المقتطفات » لان سزكين ذكر مقتطفات ولم يذكر اية مخطوطة .

١٤ — لم يعثر سزكين (ص ٤٤٤) على ترجمة محمد بن العباس بن نجيح البزاز واقول ان ترجمته في تاريخ ٣/١١٨ وقد توفى سنة ٣٤٥ هـ .

١٥ — اشار سزكين (ص ٤٧٠) الى نقص نسخة الظاهرية من كتاب معجم الصحابة لابن قانع ولم يشر الى نقص نسخة كوبريلي منه ايضا ، وقد طالعتها بها فاذا بها تنقص الجزءان الاول والثاني واول الجزء الثالث .

١٦— **مخطوطات فاته ذكرها ولم يذكرها بروكلمان :**

لقد استوعب سزكين عددا كبيرا من المخطوطات ولكن يبدو ان حصرها لا زال متعذرا رغم ظهور العدد الكبير من فهارس المخطوطات العربية الموجودة في مكتبات العالم ، وفيما يلي بعض المخطوطات القليلة التي فاته ذكرها كما فات بروكلمان من قبله

١ — صحيفة جابر بن عبدالله (١٨) (ت٧٨هـ) وهي مخطوطة في مكتبة شهيد علي بتركيا (١٩) .

٢ — الامالي (٢٠) للحسين بن اسماعيل المحاملي منها الجزء الخامس في تشستربتي ، ذكره آربري .

٣ — الفوائد المشهورة بالغيلانيات (٢١) لابي بكر محمد بن عبدالله الشافعي منها الجزء الاول في مكتبة الحرم المكي ، وبه تكمل نسخة الظاهرية (٢٢) .

١٧— **مخطوطات ذكرها بروكلمان ولم يذكرها سزكين ولم يحل عليه :** لقد ذكر سزكين المخطوطات التي اوردها بروكلمان في العادة او احال عليه حين لا يجد اضافة اساسية على مادة بروكلمان ، لكنه في بعض المواضع اهمل مخطوطات ذكرها بروكلمان ولم يبين سبب ذلك ، ومن طريقته ان يبين ان كان بروكلمان قد وهم في ذكره لها . من ذلك .

---

(١٤) الخطيب : تاريخ بغداد ٢/٨ وابن حجر : هدي الساري مقدمة فتح الباري ص ٥ .
(١٥) السخاوي : الاعلان بالتوبيخ ص ٦٢٨ .
(١٦) تاريخ بغداد ٧/٣٧٥ .
(١٧) انظر مقدمة المجلد الاول من فتح الباري لابن حجر الذي اعادت طبعه (بالاوفست) لجنة احياء التراث الاسلامي بالقاهرة ص ٢٣ .

(١٨) انظر سزكين : تاريخ التراث العربي ص ٢٥٥ .
(١٩) ذكر ذلك صبحي السامرائي (انظر مقدمته لكتاب الخلاصة في اصول الحديث للطيبي ص ١٠) .
(٢٠) انظر سزكين : تاريخ التراث العربي ص ٤٥٢ .
(٢١) انظر سزكين : تاريخ التراث العربي ص ٤٧٦ .
(٢٢) ذكر ذلك الالباني : فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ص ١٣٨ .

كتاب الضعفاء الكبير للبخاري ذكر بروكلمان (٢٣) انه مخطوط في باتنه ١ : ٥٥٧ رقم ٢٩٣٢ — ٢٩٣٧ ولم يذكر سزكين (٢٤) حتى اسمه مع استيعابه لما ذكر بروكلمان من مؤلفات البخاري واستدراكه عليه . وكذلك كتاب الكنى والأسماء لمسلم بن الحجاج ذكر سزكين (٢٥) نسخة الخطيه واغفل نسخةباتنه ٢ : ٥٣٨ التي ذكرها بروكلمان (٢٦) .

١٨— **مؤلفات لمن ترجم لهم لم يذكرها هــو ولا بروكلمان(٢٧)** : لم يقتصرسزكين على ذكر المؤلفات الخطية والمطبوعة التي وصلت الينا بل تعداها الى ذكر المؤلفات المفقودة وهو امر ضروري في تسجيل تاريخ الحركة الفكرية ، وقد فاته ذكر بعض مؤلفات من ترجم لهــم ومنهـــا :

١ — مسند نعيم بن حماد الخزاعي(٢٨) (سزكين ص ٢٨٨)

٢ — مؤلفات لابي محمد عبدالرحمن بن ابي حاتم الرازي (سزكين ص ٤٤٨) وهي المسند(٢٩) وكتاب الفوائد الكبير(٣٠) وكتاب فوائدالرازيين(٣١)وكتاب فضائل الامام احمد (٣٢) .

٣ — كتب لمحمد بن مخلد الدوري العطار (سزكين ص ٤٥٤) وهي كتاب معجم شيوخه (٣٣) وكتاب المسند الكبير(٣٤)

٤ — كتاب التاريخ الكبير(٣٥) لابي العباس احمد بن محمد بن سعيد بن عقدة الكوفي (سزكين ص ٤٥٥ — ٤٥٦ وذكر ان النجاشي ذكر له ١٦ كتابا ولم يسمها سزكين) .

٥ — معجم شيوخ ابن عدي (٣٦) الجرجاني صاحب الكامل (سزكين ٤٩٢) .

٦ — كتاب كبير في الضعفاء (٣٧) لابي الفتح الازدي (سزكين ص ٤٩٤)

٧ — مؤلفات لابي بكر احمد بن ابراهيم الاسماعيلي (سزكين ٩٩-٤) وهي المستخرج على صحيح البخاري(٣٨) ، والمسند الكبير (٣٩) وكتاب احاديث الاعمش(٤٠) ، ومسند عمر (رض) في مجلدين (٤١) ومعجم شيوخه (٤٢) .

٨ — كتاب العلل(٤٣) لابي احمد النيسابوري الحاكم الكبير (سزكين ص ٥٠٢)

٩ — كتاب التاريخ لابيحفصابن شاهين(٤٤) (سزكين ص ٥١٦) .

١٩— **كتب مطبوعة حديثا ذكر سزكين نسخها الخطية فقط ولم يستدرك المترجم ذلك :** من ذلك .

١ — كتاب الزهد والرقائق (٤٥) لعبدالله بن المبارك (سزكين ص ٢٧٠)

٢ — كتاب الجهاد (٤٦) لعبدالله بن المبارك (سزكين ٢٧١) .

٣ — كتاب التاريخ (٤٧) لخليفة بن خياط (سزكين ص ٢٩٨ — ٢٩٩)

٤ — كتاب الطبقات (٤٨) لخليفة بن خياط (سزكين ص ٢٩٩)

---

(٢٣) تاريخ الادب العربي ص ١٧٩/٣ .
(٢٤) تاريخ التراث العربي ٣٤٧/١ .
(٢٥) المصدر السابق ٣٦٩ .
(٢٦) تاريخ الادب العربي ١٨٥/٣ .
(٢٧) اقتصرت فقط على المؤلفات المتعلقة بالحديث فان كان لهم مؤلفات في مواضيع اخرى اهملتها .
(٢٨) ذكره الكتاني في الرسالة المستطرفة ص ١٥٦ .
(٢٩) ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ ٨٣٠ والسبكي في طبقات الشافعية ٢٢٥/٣ والكتاني : الرسالة المستطرفة ٧٢ .
(٣٠) و (٣١) ذكرهما السبكي في طبقات الشافعية ٢٢٥/٣ .
(٣٢) ذكره ابو يعلى في طبقات الحنابلة ص ٥٥ .
(٣٣) ذكره الخطيب في تاريخ بغداد ٢٤٢/١ .
(٣٤) ذكره ابن النديم في الفهرست ص ٢٣٣ .
(٣٥) ذكره الخطيب في تاريخ بغداد ٢٠٨/٣ والمالكي : تسمية ما ورد به الخطيب دمشق رقم ٢٣٢ .
(٣٦) ذكره السخاوي في الاعلان بالتوبيخ ص ٩٤٢ .
(٣٧) ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ ص ٩٦٧ والسخاوي : الاعلان ص ٥٨٧ ويبدو من ملاحظة روز نشال ان ابن عبدالبر اقتبس منه في جامع بيان العلم وفضله واضيف ان الخطيب البغدادي وابن حجر العسقلاني اكثرا الاقتباس منه الاول في تاريخ بغداد والثاني في الاصابة .
(٣٨) ذكره الذهبي في تذكره الحفاظ ٩٤٨ والسبكي في طبقات الشافعية ٨/٣ والكتاني في الرسالة المستطرفة ص ٤٦ .
(٣٩) المصادر السابقة لكنه في الرسالة المستطرفة ص ٦٥ .
(٤٠) الكتاني : الرسالة المستطرفة ص ١١٠ .
(٤١) الذهبي : تذكرة الحفاظ ٩٤٨ .
(٤٢) الذهبي : تذكرة الحفاظ ٩٤٨ والسمعاني : انساب ١٨٠/٥ والسبكي : طبقات الشافعية ٨/٣ .
(٤٣) الذهبي : تذكره الحفاظ ٩٧٦ .
(٤٤) المصدر السابق ٩٨٨ .
(٤٥) طبع بيروت بعناية الشيخ حبيب الرحمن الاعظمي .
(٤٦) طبع في الشام بعناية نزيه .
(٤٧) طبع في الشام بعناية سهيل زكار وفي العراق بعناية اكرم العمري سنة ١٩٦٧ م .
(٤٨) طبع في الشام بعناية سهيل زكار وفي العراق بعناية اكرم العمري سنة ١٩٦٧ م .

٥ ـ تسمية فقهاء الامصار (٤٩) للنسائي (سزكين ٤٢٥ ـ ٤٢٦) .

٦ ـ كتاب الثقات (٥٠) لمحمد بن حبان السبتي (سزكين ٤٧٣)

٧ ـ معرفة المجروحين والضعفاء من المحدثين (٥١) لمحمد بن حيان السبتي ايضا (سزكين ص ٤٧٤) .

٨ ـ كتاب امثال الحديث (٥٢) للرامهرمزي (سزكين ص ٤٨٠)

٩ ـ المعجم الصغير (٥٣) لابي القاسم الطبراني (سزكين ص ٤٨٦)

١٠ ـ السياق (٥٤) لعبد الغافر بن اسماعيل الفارسي (سزكين ٥٤٥)

١١ ـ مسند ابي عوانة (٥٥) يعقوب بن اسحق الاسفرايني (سزكين ٤٣٧) .

(٤٩) نشره صبحي السامرائي ضمن « مجموعة رسائل في علوم الحديث » مطابع المجد ـ القاهرة ـ ١٣٦٩ هـ .

(٥٠) طبع المجلد الاول منه في حيدر آباد الدكن .

(٥١) طبع منه المجلد الاول في مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن سنة ١٩٧٠م بتحقيق عزيزبك القادري النقشبندي .

(٥٢) طبع بتحقيق امة الكريم القرشية في حيدر آباد الدكن سنة ١٩٦٨ م .

(٥٢) نشرته المكتبة السلفية في المدينة المنورة سنة ١٩٦٨ م بتحقيق عبدالرحمن محمد عثمان .

(٥٤) طبع بعناية ريتشارد نيلسون فراي ، لندن ، موبون ـ ١٩٦٥ م .

(٥٥) طبع منه المجلدات الاول والثاني والرابع والخامس في =

٢٠ ـ اسقط سزكين ص ٢٩٤ عبارة « من روي عنه » من عنوان كتاب « تسمية من روي عنه من اولاد العترة وغيرهم من اصحاب رسول الله » لعلي بن المديني ، وهو اختصار مخل فان شرط ابن المديني أن يكونوا ممن روي عنهم الحديث.

٢١ ـ نسب سزكين (ص ٣٩١ حاشية) كتاب الزينة لابي حاتم عبدالرحمن بن حماد الرازي (ت ٣٢٢ هـ) ، وانما هو لابي حاتم احمد بن حمدان الرازي (ت ٣٢٢ هـ) وقد طبع بتحقيق حسين بن فيض الله الهمداني (القاهرة ـ ١٩٥٧) .

٢٢ ـ لم يترجم ليعقوب بن سفيان الفسوي (ت ٢٧٧ هـ) في المحدثين رغم انه من الحفاظ وبالتالي لم يذكر كتابه (كتاب المعرفة والتاريخ) بل ذكره في علم التاريخ من الطبعة (الليدنية) ولم يترجم هذا القسم الى العربية بعد ، ونظرا لكون معظم هذا الكتاب يتناول رجال الحديث ومروياتهم من الاحاديث فان الاولى ذكره ضمن علم الحديث .

٢٣ ـ وقعت اخطاء وتصحيفات في مواضع عديدة من الكتاب واحسب ان معظمها مطبعية وقد رايت تسجيل ما انتبهت اليه في الجدول التالي :

= حيدر آباد الدكن ١٩٦٢ ـ ١٩٦٦ م ولم يكمل بعد ، اما المجلد الثالث منه فمفقود .

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٤٦	١١	عبدالله بن زياد	عبيدالله بن زياد (والي العراق المشهور)
١٤٨	٢	٣٠ هـ	١٣٠ هـ
١٤٩	١٨	ابي عمر بن العلاء	أبي عمرو بن العلاء
١٥٣	٥	١٨٩٠	١٨٩ هـ
١٦٣	١٥	السمستاني	السجستاني
١٧٨	٦	الفريبة	الفريبة
١٧٨	حاشية (٢)	سقط رقم الصفحة	ـــــ
١٧٩	حاشية ٣س٣	الجبر	الحبر
١٨٠	٢١	العباسي	العباس
١٨٢	حاشية ٢	٣٤٠/٨	٣٤٠/٧
١٨٥	١٤	المشبَهة	المشبِّهة
١٨٨	١٤	وجريج	وابن جريج
٢٠٢	١٠	براهيم	ابراهيم

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٠٤	١٥	مالك الاوزاعي	مالك والاوزاعي
٢٠٥	٨	زادان	زاذان[٥٦]
٢١٧	١٤	يصلنا	يصل الينا[٥٧]
٢٣١	١١	يجوز	يحـوز
٢٣٦	١٤	الزهري عن صالح	صالح عن الزهري
٢٣٦	٢١	ان الحكم قال	ان قال الحكم
٢٣٦	حاشية ١٠	سقط رقم المجلدة	وهي المجلدة الثانية
٢٣٧	٣	نـورد	نـود
٢٣٧	حاشية ٧	سقط رقم الصفحة وهو ١٠١ لكن النص الذي استعمله سزكين انما هو فى ٢٨٦/١١	
٢٣٨	٢	مُعمر	مَعمر
٢٣٨	١٣	الى مائة	يحتاج تدقيق
٢٤٠	حاشية ٢	عبدالله	عبيدالله[٥٨]
٢٤٢	١٠	الطياليسي	الطيالسي[٥٩] .
٢٤٤	٣	الصاحبي	الصحابي
٢٤٤	١٦ – ١٧	في كتب هذه اصول الحديث	فى كتب اصول الحديث هذه
٢٤٨	١٦	حدثت	حدثت
٢٤٩	٢١	الشعر	الشعراء
٢٥٥	١	جابر عبدالله	جابر بن عبدالله
٢٥٦	٢٠	وقرا عليه قسم آخر	وقرأ عليه قسما آخراً
٢٧٣	٢٥	فايد	فيد
٢٩٢	٢	العلم	العلل
٣٠٠	١٠	بقّي	بَقِي
٣١٠	٢١	الجملة تحتاج الى اعادة صياغتها لتفهم	
٣٥٩	١٠	المقصح	المفصح
٣٧٩	١١	٨١١ هـ	٩١١ هـ
٤١٩	٤	ولناهم	وكناهم
٤٢١	١٠	الاسماع	الاسماء
٤٢٨	٥	رحيم	دحيم
٤٤٤	١٤	نحيح	نجيح[٦٠] .

(٥٦) انظر الاكمال لابن ماكولا ١٦٢/٤ .
(٥٧) وكذلك حيثما تكررت هذه الكلمة .
(٥٨) انظر تهذيب التهذيب ٢٤/٤ وابن سعد ج ٧ قسم ٢ ٧٢/٢ .
(٥٩) وكذلك ص ٢٧٥ س ١٢ .
(٦٠) تاريخ بغداد للخطيب ١١٨/٣ .

الصفحة	السطر	الخطا	الصواب
٤٤٦	٧	الحسن	الحسين
٤٤٦	١١	للجوزي	لابن الجوزي
٤٥٥	١٣	نصر	نضر
٤٥٥	٢٢	٦٨ – ٥٩	٦٨ – ٦٩
٤٥٨	١٣	الـز	البزاز
٤٧١	الاخير	راوية	رواية
٤٨٠	٨	بج	بــن
٤٩٣	٣	اساس	اسامي
٤٩٤	٩	الأزردي	الازدي
٤٩٩	٧	اسماعيل العباس	اسماعيل بن العباس
٥٢٢	٢	بكر	ابي بكر
٥٣٠	الاخير	عبدالرحمن بن اسحق بن سندة	عبدالرحمن بن محمد بن اسحق بن منده
٥٢٨	٢	ابو عبدان بن محمد	ابو عبدالله محمد
٥٦٠	١٩	ابي البرقان	ابي بكر البرقاني

الكرملي وقاموسه المساعد

بقلم الاستاذ

مير بصري

رئيس الطائفة الموسوية (اليهودية) ـ بغداد

لو هيء للاب انستاس ماري الكرملي ان يعود الى الحياة بعد ربع قرن ، لسره ، وايم الحق ، ان يرى قاموسه (المساعد) الذي أفنى معظم سني عمره الطويل في تحبيره والذي احبه محبة الاب لولده ، وقد صدر الجزء الاول منه في طبعة متقنة انيقة برعاية من وزارة الاعلام وعناية المحققين العالمين الاستاذين كوركيس عواد وعبد الحميد العلوجي . ان هذه المأثرة التي أسدتها وزارة الاعلام قد حققت، ولا ريب ، حلماً من احلام العلامة الراحل الذى لم يكن ليظن ان (مساعده) الاثير سوف يخرج في يوم من الايام الى عالم النور بهذه الحلة القشيبة .

ان (المساعد) في الحقيقة قاموس القاموسيين فليس هو بالمعجم الاعتيادي الذى يفيد منه القارىء والمتعلم والأديب ، بل هو ثبت للكلمات الغريبة والاصول اللغوية وقياس اللغات واللهجات مع جولات في الجغرافية والتاريخ واساطير الامم وتتبعات في الكتب القديمة والحديثة ومناقشات للاراء والاسماء والاقوال والافعال ، واستطرادات ادبية وعلمية وفكرية وشعبية عامية . . .

ولقد شبهت (مساعد) الاب الكرملي فيما مضى بقاموس اميل ليترة الفرنسي (١٨٠١ــ١٨٨١) الذي جد في تحقيق عروق الكلمات وتطور معانيها وسرد ما تنظر اليه في اللغات الاجنبية . والحقيقة ان منهج الكرملي في (مساعده) يختلف اختلافا واضحا عن منهج اللغوى الفرنسي : فهذا قد اهتم كثيرا في تتبع استعمال كلمات اللغة وتطور معانيها على مر الاجيال . واللغة كائن حي تنمو الفاظه وتتغير وقد تندثر وتموت وتتجدد . واذا قرانا كتابا فرنسيا مثلا من كتب القرون الوسطى ، وحتى من تاليف القرنين السادس عشر والسابع عشر ، وجدنا فيه صيغا وكلمات وامالي ومعاني تختلف اختلافا بينا عما هو مالوف في عهدنا الحاضر . وكان اهتمام ليترة منصبا على تتبع معاني الالفاظ والتغييرات الطارئة عليها من خلال كتب اللغة والادب . وكذلك فعل مؤلفو (قاموس اكسفورد الانكليزي) فقد راعوا المراحل التاريخية في نمو اللغة واشاروا الى تواريخ استعمال كل كلمة بالمعنى الذى تؤديه على قدر الامكان ، وذكروا الكلمات القديمة والمتوسطة والحديثة والنادرة والمندثرة والمحدثة . اما الاب انستاس فقلما عني بهذه الناحية الا استطرادا وفي احوال معينة ، كما فعل في مادة (الادب) . فقال ان لفظتي (الادب) و (والأديب) ليستا من كلام العرب بل هما من الدخيل ، وان لهما معاني قديمة غير المعاني التي صارت اليها مع تتابع القرون : فمعنى الاديب في عصر الجاهلية وصدر الاسلام الطيب الحديث ، الحسن الصوت ، المؤنس ، الرقيق . ومن الاديب اشتقوا الادب ... ثم تتبع الكرملي تطور معنى الاديب منذ اقدم العهود واستشهد على ذلك بالشعر والنثر . ولم يفعل مثل ذلك في سائر الكلمات التي وردت في معجمه الا قليلا .

وفي مادة (الاستاذ) المع الكرملي الى شيوع استعمال هذه الكلمة في العصر الحاضر الى حد الابتذال ، ومع ذلك لا اثر لها في المعاجم العربية المعتمدة كالقاموس وتاج العروس ولسان العرب والجمهرة وغيرها . وليس في لساننا كلمة تقوم مقام هذا الحرف الفارسي الذى شاع في عهد العباسيين وأمويي الاندلس والفاطميين . وعرف ابن العميد المتوفي سنة ٩٧٠ م بالاستاذ الرئيس ، وكذلك عرف ابو نصر الحسين بن الحسن بالاستاذ الفاضل . . . اما اليوم فكل من سطر حرفا او نظم بيتا او تقلد عملا نعت بالاستاذ اذا لم ينعت بالعلامة الفهامة .

فلابد اذن من الاعتراف بأن معاني الكلمات تتطور وتتحور وجوه استعمالها بمرور الازمان : مثال ذلك ان (القهوة) في اللغة العربية كانت تطلق على اللبن المحض والخمر ثم اتخذها المولدون علما للبن . و (القرن) يعني حقبة من الزمن ثم اختص بمائة سنة فقيل : القرن التاسع والعاشر بمعنى المائة التاسعة والعاشرة . و (الوجدان) مصدر للوجود ثم أطلق خصيصا على الضمير والنفس . و (المقارنة) في الاصل المصاحبة والاقتران والجمع ثم أخرجت الى معنى المقايسة والمفاضلة . . . و (الثقافة) اتت بمعنى التقويم والحذق فصرفت الى معناها الحاضر وهو الحضارة الفكرية وتهذيب العقول والاخلاق ، لتنظر الى معنى كلمة (كولتور) الالمانية والفرنسية و (كلشر) الانكليزية . وهذه الكلمة الغربية نفسها (كولتور) كانت تعني في بادىء الامر الزراعة والعبادة والتحسين ولم تطلق على مفهوم الثقافة الحاضر الا في اوائل القرن التاسع عشر .

ولا يزال الكتاب والمتكلمون يخرجون للكلمة معنى جديدا على صواب او على خطأ فيشيع ويعم استعماله ويعسر على الفصحاء استئصاله . وليس ذلك بدعا في العربية : فقد نبه الدكتور مصطفى جواد على كلمة (الصمود) وقال ان العرب لم تعرف الصمود مصدرا وانما المصدر (الصمد) كالقصد وزنا ومعنى . فاذا كان العرب قد استعملوا الصمد في حروبهم للقصد والسير الى العدو ، فكيف يستعمل للثبات والقرار وهو عكس معناه ؟

ونبه الدكتور جواد ايضا على كلمة (الاستهتار) فقال ان معناها الغرام والولوع بالشيء واخطأ المحدثون في استعمالها بمعنى التهاون بالشيء والاستهانة به كأن يقال : (فلان مستهتر بالقانون) . وقالوا (الهاوي) وجمعها (الهواة) بمعنى المحب وغير المحترف كالموسيقي الهاوي والمصارع الهاوي وهواة الطوابع وفصيحها (الهوي) بلا الف ، اذ معنى الهاوي لغة : الساقط والجراد الخ . وكرر الدكتور تنبيهه وبح صوته في (قل ولا تقل) ، لكن جمهور الكتاب والقراء لم يبالوا بذلك التنبيه واستمروا على اخطائهم لا يرضون عنها بديلا .

قال الدكتور جواد في كتابه « المباحث اللغوية في العراق » وهي المحاضرات التي القاها في قسم الدراسات الادبية واللغوية بمعهد الدراسات العربية العالية في القاهرة سنة ١٩٥٤ : « ومشكلة التعبير بالعربية في هذا العصر مشكلة عويصة : فان كتاب العرب في القرن العشرين الميلادي واواخر القرن التاسع عشر يختلفون اختلافا غير قليل عن القدماء في التعبير بالعربية لان التعابير المترجمة من اللغات الاعجمية قد تسربت في العربية بوساطة الصحافة ، فهي التي طرت اللغة العربية ، ولان العربية قد تضاءلت بكثرة اللهجات العامية وتطاول الازمان عليها واستفحالها . . . فكلما امتد الزمان بالعرب زاد كون العربية صناعة وتقليدا . ولكن الذي يبعث على السرور والابتهاج هو الاجتهاد في نشر اللغة الفصيحة ، وازالة الامية ، والتربية النسوية . فالعامة في الاقطار التي استروحت رائحة العروبة يميلون كل الميل الى تقليد الكتاب والخطباء في عباراتهم ومفرداتهم حتى ارتقت لغتهم . والتعليم النسوي لم يبلغ في عصر من عصور الاسلام ما هو عليه اليوم ، مع انه في اول النهوض . . . »

ولا مندوحة اليوم عن قبول الكلمات والصيغ التي شاعت على الالسن في البلاد العربية على أن تكون مطابقة لروح اللغة وأن تقرها المجامع اللغوية فتدخلها في معجماتها وتنص على معانيها الحديثة . على ان هناك اغلاطا فاشية لا سبيل الى قبولها ، كأن يقال : (كم هو جميل هذا الصباح) وهو ترجمة حرفية لصيغة التفضيل الانكليزية والفرنسية ، بينما قالت العرب منذ القديم : (ما أجمل هذا الصباح) ، وهلم جرا .

ولكن لنعد الى معجم المساعد الذي صدر الجزء الاول منه مقتصرا على حرف الهمزة (حتى الألف واللام) وقد وطأ له المحققان بمقدمات وافية تناولت سيرة المؤلف وآثاره ومركزه اللغوي وماكتب عنه وقاموسه المساعد ومنهج الناشرين في التحقيق . وذيل الكتاب بفهارس مفصلة يسرت مراجعته والافادة منه .

ان من أهم مزايا الكرملي اطلاعه الواسع على المراجع العربية والافرنجية على السواء ، وهي مزية قلما اجتمعت لمحقق بحاثة لغوي وتأريخي . فنراه في مساعده - كما في سائر تصانيفه - يرتفد من ينابيع الثقافات العربية القديمة واللاتينية واليونانية والفرنسية ويرجع بيسر وسهولة الى امهات الكتب والمعجمات في اللغات التي يحسنها . فحينما يعرض لكلمة (ابراكادبرا) وهي من الفاظ الطلاسم والسحريات يستقي معلوماته من كتاب المحاسن والمساوىء للبيهقي ومعجم لاروس والمعجم المدرسي الانكليزي . وهكذا في سائر مواد قاموسه .

وفي المساعد خلاصة كثير من التصانيف التي وضعها او نشرها الكرملي : فمن ناحية اللغة وفقهها وقياسها ومعارضتها بالالسنة الاعجمية نجد مواد وردت موسعة في كتابه (اغلاط اللغويين الاقدمين)

و (نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها) . ومن ناحية المفردات ونظائرهـــا في اللغات الحيــة نجد المساعد يلخص كثيرا من مواضيع (النتود العربيــة وعلم النميات) و (نخب الذخائر في احوال الجواهر) ومقالاته العديدة في الصحف والمجـلات خلال زهاء نصف قرن .

وعنى الاب العلامة بالاوابد والاساطير العربية والاعجمية ، فمن ذلك ما ذكره عـن (الازدهاق) ويسميه العرب (الضحاك) ، فقال ان اهـل اليمن يدعون ان الضحاك منهم وانه اول الفراعنة وكان ملك مصر لما قدمها ابراهيم الخليل . والفرس تذكر انــه منهم وتنسبه اليهم ولهم فيه قصص ذكرهـا ابن الاثير في الكامل ، ولم يشر الى قصص الـــكرد عن الضحاك او زهاك الملك الطاغية الذي سام آباءهــم ذلا حتى قتله كاوا الحداد . ولعل اول مصدر عربي لهذه القصة كتاب (فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء) للاديب المؤرخ الرحالة ابن عربشاه المتوفي ســنة ١٤٥٠م ، ولو انه رواها مبتورة ناقصة . (وتفصيل ذلك في مقال لي عن الملك الضحاك في المراجع العربية القديمة) نشرته جريدة (التآخي) في عددها المؤرخ في ٢٤ حزيران ١٩٧٠ .

وعني الكرمـــلي في معجمه بوجــه خاص بالميثولوجية اليونانية القديمة التي تزخر بالخرافات والحكايات عن الالهة والابطال . والمعلوم ان العرب ، حينما عمدوا الى الترجمة في صدر الدولة العباسية، اهتموا بكتب العلوم من طب وفلك وهندسة وفلسفة وما الـــى ذلك واغفلوا الشــعر والادب كالالياذة والاوذيسة لما حفلت به من خرافات وثنية مغايرة لروح الاسلام . ومرت اجيال طويلة حتى اقــدم سليمان البستاني على نقل الياذة هوميروس شــعرا الى العربية انفق في ذلك اعواما طويلة ومهد لهـــا بمقدمة ضافية عن الادب والاساطير الاغريقية القديمة مما لم يكن معروفا مثيله في لغة الضاد . وكان العمل الذي نهض به البستاني عملا يرهق كاهل الفرد لولا نبوغ الرجل وعلمه الوافر وجلده الطويل . ومــع ذلك انبرى عباس محمود العقاد ، وهو آنذاك فـــي مطلع شبابه الفوار ، يلوم المترجم ويقول في (خلاصة اليومية) ان البســتاني اضــاع اعواما في تعريب الالياذة لو قضاها او بعضا منها في نخبة من اسفار الحكمة الغربية لكان ذلك خيرا للعربية وقرائها مـن نقل كل ملاحم الاقدمين . ثم قال العقاد :

« نقل الينا تلك الملحمة الضخمة التي تشتم عنجهيات البدو وخلافات القبائل في كل قصيدة من قصائدها ، على حين بدا الاوربيون انفسهم يمجونها ويزهدون فيها ... »

ولا يمكن أن نقر العقاد على هذا الراي فالالياذة من عيون الادب العالمي التي نقلت الى اغلب اللغات فكانت العربية فقيرة اليها حتى سد البستاني الخلة وراب الصدع . وقدكنا، نحن العرب ، نزهد في كتاب (الف ليلة وليلة) ونعده من الحكايات الباطلة البعيدة عن الادب حتى اقدم المستشرقون الغربيون علـى نقله الى لغاتهم والعناية باصـــل قصصه وتحقيق مصادرها وتعيين ازمان تدوينها وبيان ما انطوت عليه من محاسن ادبية ، فاذا بنا نعود الى كنزنا المهمل فننفض عنه الغبار ونوسعه درسا وتمحيصا ، كما فعل أحمد حسن الزيات وانداده .

ذلك ما عن لي كتابته لدى صدور الجزء الاول من (المساعد) . واختم كلمتي مكررا ازجاء الشكر الى وزارة الاعلام واضفاء آيات التقدير على الصديقين المحققين الفاضلـين كوركيس عـواد وعبـد الحميد العلوجي آملا ان تظهر بقية اجزاء المعجم في غــد قريب .

ديوان مالك بن الريب وكتاب الخيل للأصمعي

عرض

طراد الكبيسي

الاعدادية العربية ـ بغداد

في حقل المعرفة والادب ، ينبغي في راينا ، توفر عنصرين اساسيين لا غنى عنهما ، او عن احدهما دون الاخر . هما : الوعي الحضاري ، والحاجة الانسانية . ذلك ان اي عمل في هذا الميدان لا يصدر عن وعي حضاري معاصر ، هو عمل خارج حدود المعرفة التاريخية الحقة . واي عمل لايسد او يمس حاجة انسانية : اجتماعية او قومية ، هو عمل خارج دائرة الجدوى . عمل مجاني . ولا يشترط في العمل هنا ، ان يكون دراسة فقط . بل يشمل حتى الاختيارات والتقديم . ما دام الاختيار والتقديم ، يصدر عن موقف في جوهره .

وفي حركة احياء التراث العربي ، انما تتوخى اولا ، تغذية الوجدان العربي القومي والانساني ، جماليا وفكريا .

ان ابراز القيم الجمالية والثورية لهذا التراث، هدف يقصد به الى تكوين الشخصية القومية ، ورفدها بالينابيع الاصيلة ، وترسيخ الارض التي يقف عليها المواطن اليوم .

على ان الذي نلاحظه في جهود بعض التراثيين ـ ان جاز التعبير ـ انهم ابعد ما يكونون عن وعي التراث وعيا حضاريا معاصرا ، باعتباره عامل اساسي في تكوين الفرد ، وبنية المجتمع الثقافية . ذلك ان في التراث من سقط المتاع اوفاسده، الكثير. بحيث تكون عملية احيائه عملية مجانية ، بل في احيان ، تكون تخريبا للوجدان القومي المعاصر ، وترسيخا لقيم متخلفة بات من البداهة ، محقها . . هذا بينما هناك ، في التراث جانب اخر اكثراشراقا واكثر جمالية وانسانية . هذا الجانب هو في راينا، ما ينبغي أن تنصب الجهود لا حيائه ، وتقديمه للقاريء ، اليوم .

ولكن الذي نلاحظه ، كما قلنا ، ان البعض من العاملين في هذا الحقل لا يميزون بين ما ينبغي ان يقدم وما لا يمكن ان يقدم (يمكن ان يترك للباحثين والمتخصصين) واذا ما قدم فينبغي ان يقوم تقويما علميا يكشف ما فيه من مواطن الخلل .

وفي هذا العدد من « المورد » نعرف بعملين قيمين للدكتور نوري القيسي : ديوان مالك بن الريب . وكتاب الخيل للاصمعي. في الاول، مواقف انسانية لا يمكن انكارها ، بالرغم مما احيطت به شخصية مالك من ملابسات. وفي الثاني: مادة لغوية لا يستغني عنها كاتب ، او قاريء جديد للتراث .ـ

١ ـ ديوان مالك بن الريب :

تاتي شهرة مالك ، كشاعر وانسان ، من مصدرين : أولهما ، قصيدته البائية الشهيرة التي رثىء بها نفسه ، لما تعبر عنه من مواقف انسانية . مواقف انسان مشرف على الموت ، بعد حياة شاقة غنية بالتجارب ، فقد « رسم مالك من خلال هذه القصيدة ، الحقيقة التي يحس بها المرء وهو يقابل المأساة . ويشعر بالنهاية ، ويتلمس ابعاد الحياة التي لابد لها من النهاية المحتومة . وهي حقيقة في الغالب يشوبها الخوف ، ويتناثر في طواياها التفكير المؤلم ، ويتراءى من بين زواياها اليأس المحض » ص ٦٤ .

والمصدر الثاني لشهرة مالك ، هو انه كان خارجا على نظام الدولة ، عابثا بامنها وسلامتها ، متمردا على ولاتها وعمالها . اي انه بلغة المصادر القديمة (كان فاتكا لصا) او صعلوكا من سلالة اولئك الصعاليك الذين نعرفهم في الجاهلية : الشنفرى ، عروة بن الورد ، والسليك بن السلكة .

وبعبارة اكثر حداثه ، كان مالك ، انسانا مغتربا عن مجتمعه « تنامت في نفسه ، روح التمرد والخروج » على المجتمع « حتى اصبحت قيادته امرا شاقا » . انه واحد من اولئك الصعاليك الذين دفع بهم المجتمع بنظمه وتقاليده الضاغطة ، لان يخرجوا عليه ، وهم يحملون في جنبهم ، اكثر مافي تلك النظم والتقاليد ، من جمال : الكرم ، العفة ، الشهامة ، الشجاعة ، الوفاء ، حب الوطن ، والود الصادق له . واهم من كل ذلك : التوق الحار الى الحرية والتشبث بها ، والموت دونها :

خذاني فجـــراني بثـوبي اليـكما

فقد كنت قبيل اليوم صعبا قياديا

والذي يبدو لي ان سبب خروج مالك على آل مروان لا يعود الى « الحاجة التي اقعدته عن مكافأة الاخوان ، والعجز عن المعالي ، ومساواة ذوى المروات .. » ص ٦١ كما راى ذلك الدكتور القيسي اعتمادا على رواية الاغاني . وان كانت الحاجة المادية سببا ، دون شك ، أساسيا من اسباب الصعلكة في الجاهلية او في الاسلام . مع ملاحظة تأثير الاسلام في الصعاليك للاسلاميين ان للصعلكه اسبابا كثيرة ، لعل اقواها : الحاجة المادية والنظم القبلية ، لامجال للتوسع بها هنا (يمكن ملاحظة كتاب الدكتور يوسف خليف القيم (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي) .

وانا ارى ، بالاضافة الى الحاجة المادية والنظم القبلية ، ان حيفا لحق بمالك بن الريب ، من آل مروان ، اعتمادا على بعض الاشارات التي جاءت في شعره ، او الشعر المنسوب له . كما قال من ذلك في هجاء آل مروان (لا الحجاج باعتبار انـه لم يدرك الحجاج) قال :

فان تنصـفونا آل مـروان نقترب

اليـكم والا فاذنـوا بتعـــادي

فان لنا عنكم قراحـا ومزحـلا

بعيس الى ريح الفـلاة صـوادي

وفي الارض عـن دار المذلة مذهب

وكل بـــلاد اوطنت كبـــلادي

وقوله ايضا يهجو مروان :

لعمـرك مـا مـروان يقضي امورنا

ولـكن مـا تقضي لنـا بنت جعفـر

فياليتهـا كانت علينـا اميـرة

وليتك يا مـروان امسيـت ذاحر

وقوله ايضا :

احقا على السلطان : اما الذي له

فيعطى ، وامـا مـا يـراد فيمنـع

. . . .

ولولا رسـول الله ان كان منـكم

تبين مـن بالنصـف يرضى ويقنـع

ان كل هذه الاشارات تؤكد ، ان ثمة ظلماً لحق بمالك وقومه من قبل بني امية او آل مروان .. لم يصبر عليه ، ولم يطق المقام « بدار المذلة » يدفـع ما عليه للسلطان ، بينما لا يدفع السلطان له حقه . هذا فضلا عن الغدر الذي لم يحتمله . ذلك ان آل مروان قد اتخذوا من مالك وقومه ، درعا لهم فـي الملمات ، لكنهم اذا ما انفرجت الازمة ، غدروا بهم وتنكروا لهم :

نحـن الذيـن اذا خفتـم مجـللة

قلتم لنا اننـا منـكم لتعتصـموا

حتى اذا انفرجت عنـكم دجنتهـا

صـرتم كجرم فـلا آل ولا رحـم

ان سياسة بني امية كانت سببا أساسيا فـي خروج مالك على الدولة :

لا كنت احدث سوءا في امارتكم ..... الخ

(مقطوعة ٢١)

واذا اضفنا الى هذه السياسية المخاتلة: فساد الحالة الاقتصادية وغياب العدالة الاجتماعية ، وتشبع مالك بالقيم البدوية التي ابرزها ، التمسك الشديد بالحرية وعدم الرضـوخ للظلم والحكومة المركزية ، تبين لنا لماذا سلك مالك هذا المسلك ! ومن يدرينا لولم يكن (رسول الله من آل مروان — كما قال مالك) ولو لم يكن مالك مسلما ، ماذا كان فعل بهم ؟ !

وعلى اية حال ، فقد بذل الدكتور القيسي ، جهودا جديرة بالثناء والتقدير ، في جمع ما تفرق من اشعار مالك بن الريب ، هذا الشاعر الذي يضرب مثلا في الاباء ، والشجاعة ، والاغتراب ازاء الموت والقيم الاضطهادية .

٢ ــ كتاب الخيل للاصمعي .

« احب العرب الخيل منذ اقدم العصور ، لما ادته لهم من نفـع كثير ، لذلك كانت عنايتهم بها ، واهتمامهم بتربيتها ، عناية تفوق كل شيء . وقـد أشتهر الجاهليون بالمحافظة على انسابها ، وعـدم

الخلط بين سلالاتها ، فنراهم يخلدون ذكرها وصفاتها في قصائدهم ، ومقطعاتهم وقد عكف فريق من العلماء ، كالاصمعي وأبي عبيدة وغيرهما على تدوينها تدوينا منظما ، ووضعوا في ذلك رسائلهم التي لم يصل الينا منها الا النزر اليسير » .

ومن هذا النزر اليسير الذي وصل ، كتاب الخيل للاصمعي الذي حققه مجدداً الدكتور القيسي معتمدا على النسخة الوحيدة الموجودة في مكتبة كوبرللي زاده في استانبول ، ومستعينا بنسخة الاستاذ هافنر المطبوعة سنة ١٨٩٥ للمخطوطة نفسها ، مصححا ما وقع في نسخة هافنر من تحريف وتغيير .« موضحا الفروق والاوهام التي تجلت له من خلال العمل . »

وكتاب الخيل ، هو في الحقيقة ، مادة لغوية قيمة لا يستغني عنها كاتب أو قاريء للتراث ـ كما قلنا سابقا ، فهو يعرض لاسمائها ، وصفاتها ، واحوالها ، والقصص المشهور عنها .. مما لا يمكن التعرض له هنا ، لاننا لو فعلنا ذلك ، لنقلنا الكتاب كاملا .

ان كتاب الخيل اذا دل على شيء ، فانما يدل على العناية البالغة التي أولاها العرب للخيل، بحيث انه يمكن القول « ليس في مملكة الحيوان نوع يتداخل تاريخه مع تاريخ الانسان كالخيل .. » على انه « بلغ من تعظيمهم للخيل ، انهم كانوا لا يهنئون الا بغلام يولد . أو شاعر ينبغ أو فرس تنتج . »

أما السر في هذا الاهتمام بالخيل ، فلابد انه راجع الى الفة هذا الحيوان ورشاقته وجماله ، وسرعته في العدو هذه السرعة التي بها يتنافسون ، « ويطاردون من انهزم من خصومهم ، ويفرون بها من المعركة اذا شعروا بأن بقاءهم في المعركة لايجدى، ويقيدون بها الاوابد ، ويصطادون مايعن لهم في هذه المفاوز المقفرة ليتخذوه طعاما يسدون به غائلة الجوع ... » كما ذكر ذلك الدكتور نوري القيسي في المقدمة التي خص بها فاتحة الكتاب .

ان جهودا تبذل لبعث ونشر تراث كهذا ، لهي حقا جهود ذات نفع علمي وعملي . ولكن مع هذا تظل الملاحظة التي ذكرناها في البدء واردة . اقصد أن أعمال اخواننا « التراثيين » ومقدماتهم تظل في حدود الكتابة الوصفية ، أما التدقيق ، والتحليل ، الكشف على ضوء منهج علمي ، تاريخي، فلم نجد له لحد الان أثرا .

ديوان ابن وكيع التنّيسي

بقلم
هلال ناجي
بغداد ـ الاعظمية ـ شارع الشهيد وجدي ناجي

هو ابو محمد الحسن بن علي بن احمد بن محمد بن خلف الضبي ، شاعر مجيد بارع من شعراء القرن الرابع الهجري بمصر العربية ، كان شاعراً وصافاً واكثر شعره في الزهريات والخمر والغزل . توفي ودفن في (تنيس) سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة . وكان له ديوان شعر جيد فقد فيما فقد من تراث السلف . وله كتاب سماه ـ المنصف ـ صنفه في سرقات المتنبي وصلنا جزء منه . نقضه ابن جنّي في كتاب سماه « النقض على ابن وكيع في شعر المتنبي وتخطئته » .

وابن وكيع من شعراء مصر البارزين في عصورها الاسلامية ولذلك كان موضع اهتمام اخواننا الباحثين من ابناء النيل . كتب عنه الاستاذ محمود الحنفي ذهني (رسالة ماجستير) .

كما افرد له صديقنا الباحث الكبير الدكتور حسين نصار كتابا بعنوان ـ ابن وكيع التنيسي شاعر الزهر والخمر ـ ترجم له فيه كما عرف بفنونه الشعرية واردفها بمجموع ما وقع عليه من شعره وهو مجهود علمي قيم ، جدير بالتنويه والتقدير وحري بالاكبار والتجلة وهو ايضا مجهود رائد لم يسبق اليه .

ولقد ظفرت بمجموعة طيبة من شعر ابن وكيع لم يضمها المجموع الذي طبعه الدكتور (حسين نصار) فرايت ان استدركها عليه آملا ان ينتفع منها الباحثون وسدنة التراث ، وان تكون ذيلا للديوان وصلة .

استدراكات

(١) فمما يستدرك قول ابن وكيع من قصيدة :

ولاح لي هلالها
كقوس رام إذ يغط
أو حاجب ذي شمط
ظل من التيه يمط
وللسماء وشح
من النجوم وسمط
تحكي بساطا ازرقا
فيه من التبر نقط
حتى اذا الليل بدا
فيه من الصبح وخط
وخلت ذا في جسم ذا
حين تعرى وانكشط
غلالة فضية
عن جسم زنجي تعط
وقد حكى غديره
في زهرد حين اغتمط
مرآة جال ماهر
موضوعة فوق نمط

(٢) ومما يستدرك قوله :

طاف بها يجلو ظلام الغيهب
كالبدر يمشي في الدجى بكوكب
وقد بدا ضوء هلال أحدب
يلوح في الجو كقرني عقرب
كمنسر من طائر أو مخلب

(٣) ومما يستدرك قوله :

وليلة احييتها
ما بين عجب وعجب
طار بنا في جنحها
جناح نهو وطرب

(١) غرائب التنبيهات ص ١٤ و ٤٤ و ٥٦ و ٦٧ .

(٢) التنبيهات ص ١٧ .
(٣) التنبيهات ص ٢٥ .

والبدر قد أهدى لنا
في ظلمة الليل شهب
وقد دنت جوزاؤه
اليه تسعى من كثب
كأنها رومية
في اذنها شنف ذهب

(٤) وقوله :

قم ياغلام ادر علي بسحرة
كاسا كطعم العيش بل هي اطيب
لاسيما والنيل يلمع فوقه
بدر لوقت مغيبه متصوب
وكان صفح الماء درج ابيض
فيه لضوء البدر سطر مذهب

(٥) وقوله :

ومشمولة من بنات الكروم
تميت الهموم وتحيي الجذل
تناولتها وشباب الظلام
قد شاب من فجره واكتهل
وقد شاكلت في اديم السماء
نجوم الثريا للحظ المقل
دنانير اعطتكها راحة
سواد الخضاب بها قد نصل

(٦) وقوله :

اقول لبدري والخمار يكدني
ولي طرق مجنون واطراق مرعش
الا سقنيها والثريا كانما
كواكبها في جوها غصن مشمش

(٧) وقوله :

مازلت اشربها واسقي صاحبي
والصبح في سربال تبر مشرق
حتى بدت زهر النجوم كأنها
درر نثرن على بساط ازرق

(٨) وقوله :

والفجر قد خالط بالنور الغسق
فجاء في هيئة طرف ذي بلق
تبسم الزنجي عن ثغر يقق

(٩) وقوله :

سقاني كاس الراح شاطيء جدول
تداريجه يحكين بطنا معكنا
اذا صافحته راحة الريح خلتها
بتكسيرها اياه ثوبا مغبنا

(١٠) وقوله :

خذها بكفي فاتر الجفون
على خليج املس المتون
امواجه كعكن البطون
ذي زرد كالزرد الموضون
كسلخ أيم أو كسلخ نون

(١١) وقوله :

قم فاسقني قهوة اذا انبعثت
في باخل جاد بالذي ملكه
لو خامرت صخرة بسورتها
لاحدثت في سكونها حركه
على غدير اذا الصبا درجت
في متنه اظهرت لنا حبكه
كأن ايدي الرياح قد بسطت
لنا على وجه مائه شبكه

(١٢) وقوله في النرجس :

اشرب فلست على صحو بمعذور
واطرب على صوت نايات وطنبور
اما ترى النرجس الريان يلحظنا
كأن اجفانه اجفان مخمور
كأن أصفره في وسط ابيضه
قراضة اودعت احشاء بلور
اما تراه ومر الريح يعطفه
كأنه زعفران وسط كافور
اذا بدا في اختلاق من تلونه
اراك كيف امتزاج النار بالنور

(١٣) وقوله في زهر الشقائق :

شقيقة جاءتك من روضة
يقصر عنها كل مشموم
سوادها في صبغ محمرها
كشامة في خد ملطوم

---

(٤) التنبيهات ص ٢٨ .
(٥) التنبيهات ص ٣٦ .
(٦) التنبيهات ص ٣٩ .
(٧) التنبيهات ص ٤٤ .
(٨) التنبيهات ص ٥٧ .
(٩) التنبيهات ص ٦١ .
(١٠) التنبيهات ص ٦١ والرسالة المصرية لابن ابي الصلت .
(١١) التنبيهات ص ٦٢ .
(١٢) التنبيهات ص ٧٧ .
(١٣) التنبيهات ص ٩٤ .

(١٤) وقولـه :

قم فاسـقني يـا رفيقـي
مـن السـلاف الرحيـق
اما تـرى الطـل يحـكي
علـى احمـرار الشـقيق
لآلئـا ضمنتهـا
مداهـن مـن عقيـق

(١٥) وقولـه :

طرف الباقـلاء فيـه بسـورد
ناظر اللحظ من عيـون الحـور
ببياض سـواده فيـه يحـكي
سـبجا نابتـا على بـلور

(١٦) وقولـه :

نور الباقـلاء نـورا طريفـا
جل في حسـنه عـن الاشـكال
قد حكى ورده لنـا اذ تبـدى
سرر الروم ضمخت بالغـوالي

(١٧) وقولـه :

لي نحـو ورد البـاقـلا
ء ادمـان لحـظ ولهـج
كانمـا مبيضـه
يـلوح في ذاك الدعـج
خواتـم مـن فضـة
فيهـا فصـوص مـن سـبج

(١٨) وقولـه :

الا سقنيها برغـم العـذول
تحاكي لنـا الذهـب الاحمـرا
فقد نـور الـروض منشـوره
واحسـن بجوهـره جوهـرا
ونور ورد مـن الباقـلاء
يحاكي لنـا الناظـر الأحـورا
اشبـه اسـوده في البيـاض
دراهـم قـد ضمخت عنبـرا

(١٩) وقوله في النارنج :

الا سقني الـراح في جنـة
طرائف اثمارهـا تزهـر
كان تمائـل نارنجهـا
اذا مـا تأمـله المبصـر
دبابيس مـن ذهـب زانهـا
مقابض كيمختهـا اخضـر

(٢٠) وقال :

وطلع هتكنا عنـه جيب قميصـه
فيا حسـنه من منظر حـين هتـكا
حكى صدر خود من بني الروم هزها
سـماع فشقت عنه ثوبـا ممسـكا

(٢١) وقال :

اما تـرى النخـل حامـلات
بسـرا حـكى لونـه الشـقيقا
كانمـا خوصـه عليـه
زبرجـد مثمـر عقيقـا

(٢٢) وقال :

اما تـرى البسـر الـذي
قد حـاز كـل العجـب
كيف غـدا فنـي لونـه
كعاشـق مكتئـب
مكاحـل مـن فضـة
قـد طليـت بالذهـب

(٢٣) وقال :

اشرب فقـد زالـت المعـاذير
وسامحت بالمنـى المقـادير
وجاء فصل الربيـع ملتمسـا
ان ينطـق البـم فيـه والزير
وهز كتانـه ذوائبـه
ففيه جهـد الصفـات تقصير
كأنه بسـط سـندس بهـج
قد نثـرت فوقـه الدنانـير

(٢٤) وقال :

وافت بكأس الراح تحمـل نارهـا
تحت الظـلام براحـة مـن مـاء
راح حكت بحبابها شـمس الضحى
قد قلدت بكواكـب الجـوزاء

---

(١٤) التشبيهات ص ٩٦ .
(١٥) التشبيهات ص ٩٨ .
(١٦) التشبيهات ص ٩٩ .
(١٧) التشبيهات ص ٩٩ ونهاية الأرب ١١/٢٢ .
(١٨) التشبيهات ص ١٠٠ .
(١٩) التشبيهات ص ١٠٢ .
(٢٠) التشبيهات ص ١١١ .
(٢١) التشبيهات ص ١١٢ .
(٢٢) التشبيهات ص ١١٢ — ١١٣
(٢٣) التشبيهات ص ١٢٧ .
(٢٤) التشبيهات ص ١٣٣ .

(٢٥) وقال :

بدا لنا الراي(*) الذي
تلذ عيني منظره
في قميص فضيه
اذيالها معصفره
عوضه القالي بها
غلائلا مزعفره
وافى به فمها راته
العين حتى لم تره

(٢٦) وقال :

خروفا لو اشار اليه وهم
تقطر جلده بالشحم يجري
لباطنه قميص من لجين
تسربل فوقه بقميص تبر

(٢٧) ومما يستدرك على شعر ابن وكيع قوله :

بينا انزل امرى ان يجي فرج
مقدما فيه بين السوف والليت
اذا بصرت بباب الدار مستلما
فملت مستمعا اصغي الى الصوت
فقلت من جا بباب الدار يقرعه
نادى : انا فرج ، زن لي كرى بيتي

(٢٨) وقال :

اعف قلبي من العتاب وسمعي من العذل
فبه عن جميع من لام في لذة ثقل
واسقني اوترى خضاب دجى الليل قد نصل
من سلاف كانها هي في كأسها زحل
ليس الا بها يتم السرور منها لمن عقل
دولة للسرور ناهيك عن سائر الدول
فاجلها في موردات وصفر من الحلل
انما العيش فرصة فانتهز فرصة الأمل

(٢٩) وقال :

اسقني الراح برغم العاذل
قهوة تفسد عقل العاقل
اسقني حتى تراني جاهلا
ان احلى العيش عيش الجاهل
مسلك الحق شديد فازوني
عنه واسلك بي طريق الباطل

(٢٥) التنبيهات ١٥٢ – ١٥٣ .
(*) نوع من السمك .
(٢٦) التنبيهات ص ١٥٦ .
(٢٧) جمع الجواهر في الملح والنوادر ص ٢٣٧ .
(٢٨) قطب السرور ص ٦٦٤ .
(٢٩) قطب السرور ص ٦٦٥ .

(٣٠) وقال :

هتك الفجر عن سنا الصبح سجفا
يانديمي فسقني الراح صرفا
في رياض ان هب منها نسيم
رشفته القلوب بالسم رشفا
تستفيد القلوب ان هب يوما
قوة منه كلما ازداد ضعفا

(٣١) وقال :

وشمس سلاف كان العبير من ريـ
ـح فائحها استنشقا
تناولها من يدي صاحبي
وثوب دجا الليل قد اخلقا
فكان له فمها مغربا
وكان لها خده مشرقا

(٣٢) وقال :

سكران ما انا منهما بمفيق
ما عشت ، سكر هوى وسكر رحيق
قم يا غلام ادر مدامك بيننا
بالجام والطاسات والابريق
لا سيما والريح تحمل نحونا
انفاس مسك في الرياض فتيق
والطل من فوق الشقيق كانه
درر نثرن على بساط عقيق

(٣٣) وقال :

نادم مدامك دون الناس كلهم
فردا وحيدا ففيها عنهم شغل
مات الذين اذا حدثتهم فرحوا
بما تقول وان خاطبتهم عقلوا
لم يبق الا اناس فاض عيبهم
فجملة الامر فيهم انهم سفل
ان حدثوا كذبوا او حدثوا غرضوا
او موزحوا سخفوا او جولسوا ثقلوا

(٣٤) وقال :

اسقني من قهوة مشمولة
تخلص النفس بها من همها
لا تذقها الماء في كاساتها
حسبها ما شربت في كرمها

(٣٠) قطب السرور ص ٦٤٥ .
(٣١) قطب السرور ص ٦٥٣ .
(٣٢) قطب السرور ص ٦٥٤ .
(٣٣) قطب السرور ص ٦٧١ .
(٣٤) قطب السرور ص ٦٧٦ – ٦٧٧ .

(٣٥) وقال :

خليا عنكما عتاب الزمان
وذراني من لومه واعفياني
ان لوم الزمان فيما جناه
هو عندي ضرب من الهذيان
هو سلطاننا المحكم فينا
اي معد يعدى على السلطان
ما ارى لي عونا عليه سوى الر
اح فحثا كئوسها واسقياني

(٣٦) وقال :

قم فاسقني الصفو من رحيق
مشعشع اللون كسروي

(٣٧) وقال :

قم فاجعل اليوم حسنا
ولذة مثل امس
مسرة المرء سعد
والهم طالع نحس
فقم ادرها علينا
صفراء في ثوب ورس
يحكي الحباب عليها
غمامة مثل شمس

(٣٨) وقال :

وحديث كانه
اوبة من مسافر
كان اشهى من الرقا
د الى طرف ساهر
بت الهو بطيبه
في رياض زواهر
بين ساق وسامر
ومغن وزامر
ليلة غاب شخصها
عن عيون الدوائر
كان ذهن الزمان
(عندها) غير حاضر

(٣٩) وقال :

وليلة ساهرتها
الى طلوع السحر
سهرتها من طرب
ياطيب طعم السهر
رايت فيها منظرا
يجلو القذى عن بصري
شمسا بكفي قمر
يديرها في قمر

(٤٠) وقال :

رايت الدهر حالا بعد حال
كأن صروفه فينا قمار
فلا تسخط على ذنب اتاه
فليس له من الذنب اعتذار
وخذ كاس العقار فرب جرم
له عقب مفاتحه العقار
اذا ضاع السرور سلكت منها
اليه مسلكا فيه اختصار

(٤١) وقال :

وليلة بت في ظلمائها طربا
يسعى الي بشمس القهوة القمر
سهرتها سهرا من طيب لذته
وددت لو ان عمري كله سهر

(٤٢) وقال :

ليهنك نيروزا اتاك كانه
رسول حبيب بالامان من الهجر
فبادر الى اللذات يتوم كانه
من الحسن قرط لاح في افق الدهر
وخذها على رغم الحسود مدامة
ارق من الشكوى واحلى من النصر
لها صورة في الكاس عند اجتلائها
حكت صورة الاقبال في فسحة العمر

(٤٣) وقال :

وحانة خمار انخت مطيتي
اليه وقد ارخى الظلام له سترا
وقد زهرت وسط السماء نجومها
كديباجة زرقاء قد نقطت تبرا
فابرز لي صهباء يهدى نسيمها
الي اذا ما فاح فائحها عطرا
ودارت لنا كاساتها بمدامة
ترى دهم خيل صرن من نورها غرا

---

(٣٥) قطب السرور ص ٧١١ .
(٣٦) قطب السرور ص ٧٢٣ .
(٣٧) قطب السرور ص ٦٣٠ .
(٣٨) قطب السرور ص ٥٨٦ .
(٣٩) قطب السرور ص ٥٨٦ .
(٤٠) قطب السرور ص ٥٨٧ .
(٤١) قطب السرور ص ٥٨٧ .
(٤٢) قطب السرور ص ٥٨٧ .
(٤٣) قطب السرور ص ٥٨٨ .

تشتت شمل الهم حتى كأنها
اذا نزلت بالهم ، طالبة وترا

اذا التقيا في القلب ولت جيوشه
بخذلان مهزوم واعطيت النصرا

اذا ضاق صدر المرء بالهم وانثنى
الى كأسها الفيته يحمد الدهرا

فما زال يسقيني ويشرب مسعدا
عليها غزال طرفه ينفث السحرا

الى ان رأيت الشمس قد خلعت لنا
على الافق من أنوارها خلعا خضرا

(٤٤) وقال :

يالائما يعذلني في طربي
حسبك قد أكثرت من هذا الهذر

اعرف فضل العقل الا انه
بدل طعم العيش صفوا بالكدر

الجهل ينبوع مسرات الفتى
والعقل ينبوع الهموم والفكر

فاجسر على ما تشتهي جهالة
ما فاز باللذة الا من جسر

واشرب عقارا لو اصابت حجرا
لطار من خفته ذاك الحجر

عدوة الحزن الذي ما ظفرت
قط به الا أساءت في الظفر

لو رام ان يجيره من كيدها
صرف القضاء الحتم يوما ما قدر

ارقها الدهر الى ان شاكلت
من رقة شعر جميل وعمر

خفية الحيلة في جسم الفتى
تحدث في الجسم دبيبا وخدر

كانما الاوطار فيها جمعت
فليس في العيش لجافيها وطر

لا سيما من كف ظبي لم يشن
بفرط طول لا ولا فرط قصر

له سهام من لحاظ صيب
كانما يرمين عن قوس القدر

لو لم يكن زناره في وسطه
يمسك ضعف الخصر منه لانبتر

وبان منه نصفه عن نصفه
لكنه جاء له على قدر

(٤٤) قطب السرور ص ٥٨٩ – ٥٩٠ .

يالك منه منظرا اشهى الى
قلبي من جنة عدن واسر

يا طيب ذى الدنيا لنا منزلة
لو لم نكن نزعج منها بسفر

(٤٥) وقال :

اقول والكاس على خده
تلمع مثل الكوكب الواقد

اكاسه من خده صبغها
ام صبغها من عصفر واحد

(٤٦) وقال :

قم فادرها علي راحا
يطرد طيف الهموم طردا

تثني رجاء القنوط بسطا
فيما تمنى وكان حقدا

كان اقداحها بهار
يعود فوق الخدود وردا

(٤٧) وقال :

وكأس كنجح الوعد ممن احبه
تناولتها منه على غير موعد

(٤٨) وقال :

قد عزل الليل على رغمه
وقد أتتنا دولة الصبح

فانهض الى الراح فقفل الاسى
مالم تدرها عسر الفتح

واربع على دهرك في شربها
فلذة العاقل في الربح

راح اذا دارت على قاطب،
عاد بها ذا خلق سمح

اذا الفتى اغضبه دهره
فانها واسطة الصلح

(٤٩) وقال :

رفعت كفه الى شفتيه
كاسه والظلام وحف الجناح

فكان العقار فوق ثنايـ
ـاه بهاز مقبل للاقاح

(٤٥) قطب السرور ص ٥٦٧ .
(٤٦) قطب السرور ص ٥٦٧ .
(٤٧) قطب السرور ص ٥٦٧ .
(٤٨) قطب السرور ص ٥٦٧ .
(٤٩) قطب السرور ص ٥٥٢ .

(٥٠) وقال :

وبغيض كتب البغض اليه من (كلامه)
لست استطيع من المقت له رد سلامه
ماله عاجله الله سريعا بحمامه

(٥١) وقال :

هيفاء تبدي طرة في غرة
كسواد غدر في بياض وفاء
بذؤابتين على الغلالة حاكتا
الفين وسط صحيفة بيضاء
وافت بكأس الراح تحمل نارها
تحت الظلام براحة من ماء
راح حكت بحبابها شمس الضحى
قد قلدت بكواكب الجوزاء

(٥٢) وقال :

قم هاتها مشمولة
تسرع في ثلم الحجا
تحكم في الهم كما
يحكم في الصب الهوى
كانها اهدت لها
خلعتها شمس الضحى
كانها في كاسها
ذوب عقيق قد جرى
الذ من عافية
وافت على طول الضنى
وموعد طال على
وعد حبيب فوفى
تسعى بها وافرة الأر
داف هيفاء الحشا
كانما قرونها
تعشق ما تحوي البرى

(٥٣) وقال :

ماذا انتظارك باللذات والطرب
قل للسقاة صلوا الاقتداح بالنجب
وافرغوا الماء في راح معتقة
ما احسن الفضة البيضاء في الذهب

(٥٤) وقال :

اما ترى الليل كيف قد خرفا
وستر نور الصباح قد كشفا
واقبل الفجر في عساكره
وظل والي الظلام قد صرفا
فقم بنا نصطبح مشعشعة
تشرد الهم اينما ثقفا
اذا علت في اللبيب سورتها
انكر من حكمه الذي عرفا
كانها في الكئوس اذ جليت
من عسجد رق لونه وصفا
اغضبها الماء حين خالطها
فازبدت في كئوسها انفا
در حباب يسود مبصره
لو كان يوما لاذنه شنفا
وان سرت والظلام معتكر
كان من الشمس نورها خلفا
مع رشاء تم في ملاحته
تخاله من رشاقة الفا
يهز قلبي اهتزازه حذرا
اخاف ينقد قده قصفا
يزينه في قوامه هيف
خادع قلبي على النهى نهفا
خاف احتراقا بنار وجنته
عذاره حين ظل منعطفا
لا أشرب الراح حين تحضرني
حسبي خمر بطرفه وكفى

(٥٥) وقال :

مازج بروحك روح الراح تحييها
فالراح كالروح تجري في مجاريها
واشرب عقارا تسر النفس طلعتها
كانما جمعت فيها امانيها
كاس اذا ما دنيء القوم عل بها
راى الخليفة من اتباعه فيها
اذا تسمجت الدنيا دعوت بها
فحسنتها وكفت عن مساويها

---

(٥٠) قطب السرور ص ٣٦٦ .
(٥١) قطب السرور ص ٥١٣ .
(٥٢) قطب السرور ص ٥١٣ .
(٥٣) قطب السرور ص ٥٢١ .
(٥٤) قطب السرور ص ٦٤٠ والبيتان الخامس والسادس موجودان في مجموعة الدكتور حسين نصار ص ٨١ .
(٥٥) قطب السرور ص ٧١٦ — ٧١٧ .

وان شكوت من الايـــام مظلمـــة
اعدت عليها وكفت مـن تعديهـــا
وان تقلدت الاحـــزان قلب فتـــى
اتاه توقيعهـا في عــزل واليهـا
ما زال ياكلهــا طـورا وتاكـــله
عمر الزمـان ، وتبليـه ويبليهـــا
قد ملّ منها وملت طــول صحبتـه
حتى اتتك وقد رقت حواشـــيها
فصار موجودهــا من رقـة عدمـا
فالحس يثبتها والطرف ينفيهـــا
تسعى عليك بها خــود منعمــــة
انفاس خمرتها يصـدرن من فيهـا
مرت بحسن الورى عيني فما نظـرت
من منظر حسن في الناس يرضيهـا
حتى اذا بلغتها دونهـــم وقفـــت
فاقسمت بالهـوى الا تعديهـــا

كأن قامتها ، والريـــح تعطفهـــا
تثني القلوب اليهـا في تثنيهــــا
عجبت من خمرة في صحن وجنتهـا
يشكو فؤادي احتراقـا من تلظيهـا
لما تناهت رآها الحســن كامـــلة
فيه فخاف عليها من تناهيهـــا
واحدث العجب فيها كي يكون لهـا
عيبا ، فيصرف عنها عين رائيهـا

***

وبعد : فهذه مجموعة الاســـتدراكات التي وقعت عليها ، وهي لا تقدح بحال من الاحـوال في عمل المحقق الجليل الدكتور حسين نصار ذلك انها جميعا مما نشر في كتب صدرت بعد صدور الديوان المذكور ، لكنها ذات نفع في طبعة قابلة .

قراءة ثانية لمقال صاحب الزنج الثائر الشاعر ...

بقلم الدكتور

نوري حمودي القيسي

تابعت حركة الزنج منذ فترة طويلة ، وعلى وجه التحديد منذ فترة الدراسة ، وقرات بعض ما كتب عنها ، موزعا بين كتب مخصصة وفصول من كتب ومقالات وابحاث ، وكنت اجد فيها من التشويق ما يدفع لقراءة الكثير عنها ، ومن الاندفاع ما يحمل على المتابعة . وكل هذه الكتب الحديثة تشير الى قائدها وتضفي عليه من الصفات ما يجعله في مصاف القادة . ومعظم الكتب القديمة تضفي عليه من النعوت ما يجعله في مصاف الفسدة المارقين الخبيثين . كنت اقرا هذا واقف بين ما يقال حائرا لا اعرف الدوافع التي تدفع اولئك على الهجوم ، وتحمل هوءلاء على الدفاع والتعظيم . ورجعت الى الشعر استنطقه، والمقطعات استبطنها ، لعلها تسعف ، ولعلها تنقذني من الحيرة التي يقع فيها المرء في مثل هذه الاحوال فوجدتها مليئة بما يؤيد وجهة نظر القدامى ، زاخرة بالخراب الذي عم البصرة بعد دخول اصحاب قائد الزنج ، فقد نهبت البيوت وقتل الناس في المساجد ؛ واستبيحت الاعراض وهتكت الحرم ، وسالت الدماء كالانهار ... ومن يرجع الى قصيدة ابن الرومي يجد فيها من الصور ما يؤلم ، ومن الفضائح ما تدمى له القلوب .. وعادت الحيرة تتملكني وعدت الى نفسي اسالها لانني اجد البون واسعا بين الكتابتين .. والتقويم لشخصية صاحب الزنج غير عادل . فمن السبب في هذا؟؟ واين اجد الحقيقة التاريخية ؟؟ وفي رايي مرجع تلوح بوارق المعالجة العلمية ؟؟..

كنت اتحدث مع نفسي هذا الحديث ..

ويلوح لي اكثر من وجه للمقارنة وانا اقرا مقال الدكتور عبد الجبار ناجي في مجلة المورد : العدد (٣ ، ٤) ، ١٣٩٢/١٩٧٢ . وكنت اظن ان فيه شيئا جديدا . ولكنني وجدت ما كنت اعتقده واضحا بشكل لا يقبل الشك ، ومتميزا بصورة لا تدعو الى الحيرة .. وربما وجدت فيه الحقيقة التي اعتقدها اكثر تجسيدا والوقائع اقرب تناولا .. فقد قدم الدكتور لمقاله بمقدمة مسهبة اضاف فيها الى صاحب الزنج ما يضيفه اليه المحدثون من المؤرخين فهو يفتتح مقالته بعبارة « منذ اواخر الاربعينيات والعالم العربي يشهد تطورا متميزا طرا على دراسة موضوع ثورة الزنج وقائدها علي بن محمد متمثلا بالتركيز على فحواها وابعادها الاجتماعية والاقتصادية ، وبالبحث في دلالاتها ومغازيها التاريخية على اعتبار ان هذه الثورة ومثيلاتها من الثورات والانتفاضات التي شهدها تاريخنا العربي تحمل مبادىء وشعارات اصلاحية واجتماعية واقتصادية ، وهي في ذاتها نماذج عاكسة لطبيعة المجتمع العربي الاسلامي آنذاك » (المورد ص ١١) . ثم يقول : « فمن المؤسف الا نجد له (التطور) صدى وتاثيرا في المجالات والجوانب الادبية والفنية مع شدة اتصال هذه الجوانب وارتباطها بالتطورات الثقافية عموما .. » (المورد ص ١١) . ثم يقول : «ليس المقصود من كتابة هذه الصفحات اعادة ما كتبه الباحثون في طبيعة ثورة الزنج وبرنامجها السياسي او مبادئها الاجتماعية ، ولا التعرض الى التوسعات العسكرية الناجحة التى خطط لها قائد الثورة» (المورد ص ١٢) . ثم يقول «والحديث عن شاعرية هذا الثائر يفرض سؤالا متصلا بمستواه الثقافي، ومدى معرفته . والمامه بالتيارات والاتجاهات المختلفة من دينية وثقافية وادبية السائدة (كذا) في عصره ، وذلك لما له من صلة وثيقة بشخصيته كثائر وبالنجاحات الواسعة التي امتازت بها ثورته (المورد ص ١٣) . وينقل الدكتور عبدالجبار عن الاستاذ احمد علبي رايه في هذا الموضوع فيقول : « وقد ادلى الاستاذ احمد علبي برايه في كتابه

ثورة الزنج ، ومقالته ثورة العبيد في البصرة ونصه « انه ليس بالرجل المفكر والحاكم المثقف بل هو داهية طموح ذو شخصية جذابة »(المورد ص١٣). ثم يستشهد بقول الدكتور الفاضل فيصل السامر ونصه « كان علي بن محمد رجلا مثقفا بمفهوم عصره ، وانه كان ذكيا قوي الارادة ، طموحا ذا نفس وثابة نازعة نحو الامال الكبار » ، ويعلق عليها الدكتور عبدالجبار .. « وهذه الصفات اراها فعلا متوفرة في قائد الزنج مع العلم بان هناك امرا مهما له علاقة بالموضوع ؛ وهو ان المعلومات التي خلفها المؤرخون عن ثورة الزنج لا تسمح بابداء راي قاطع عن مقدرة صاحب الزنج في الحكم وقابلياته السياسية وبرنامجه الاجتماعي والاقتصادي . غير انه من الراجح الاستنتاج بان قيادته كانت سليمة ، ثم حنكته سواء اكانت في تخطيطاته العسكرية واختياره القواد الاكفاء ، واتخاذه الحصون والقلاع نقاطا عسكرية » (المورد ص ١٣) .

وفي مجال الحديث عن شخصيته الادبية يقول الدكتور عبدالجبار ... « فالنماذج المدونة أدناه وبعضها اجزاء من قصائد هي اشعار تمتاز بالمتانة والقوة وهي ايضا تعبيرات صريحة عن ثورته وعقيدته الدينية واتجاهه السياسي» (المورد ص ١٤) .

وعدت الى نص الصفدي استوضحه واستعيده . ولم اجد نفسي بحاجة الى مشقة فهو واضح العبارة ، بيّن الفكرة واظن ان المحقق الفاضل طابق بينه وبين ما كان يجد له مثيلا عند الطبري والمسعودي وابن ابي الحديد (وكان يشير الى ذلك في الهوامش) وكان الصفدي بعيد الحقيقة التي ابتها القدامى من المؤرخين ، الحقيقة التي تحمل الغصص والالم ، وتجرى بين سطورها روافد الدم والعبرات ، وتفوح من كلماتها روائح الغدر وحب القتل واستباحة المحرمات .

ويمكن ان تتمثل الجوانب الانسانية والاقتصادية والروحية التي سلكها صاحب الزنج والمتمثلة في نص الصفدي في ثلاثة اتجاهات يمكن استخلاصها من خلال النص الذي نشره الدكتور جبار ناجي وسوف احاول اثبات تلك النصوص بحرفيتها والتي نشرت في مجلة المورد .

١ ــ الجانب الانساني واعني به الاعمال المتعلقة بمعاملة الناس .. قال الصفدي :

أ ــ .. وقال « صاحب الزنج « اني كنت رايت في المنام اني بلت بولة احرقت نصف الدنيا (ص ١٧)

ب ــ وقال علي صاحب الزنج : « اعتللت علة غليظة وانا صغير فجاء ابي يعودني فوجد امي قاعدة عند راسي فقالت له . انه يموت ، فقال : اذا مات هذا من يخرب البصرة . قال : فما زال في قلبي ذلك الى ان خرجت بها (ص ١٨) .

جـ ــ اغار (صاحب الزنج) بمن تابعه على فرضة (تعني محط السفن) من فرض البحرين فنهبها واخذ اموالها وخربها (ص ١٨) .

د ــ رجع (صاحب الزنج) الى البصرة واستولى على غلمان الناس من الزنوج يبذل لهم الاموال ويطعمهم في النهب (ص ١٩) .

هـ ــ ثم انه (صاحب الزنج) قود قوادا ورتب اصحابه ولم يزل ينهب ويقتل (ص ١٩).

و ــ وجمع له اهل البصرة ووقع القتال بينهم فهزمهم وقتل خلقا كثيرا فوقع له الرعب في القلوب : ولم يزل في العبث والفساد الى ان استولى على الابلة ، واضرموا فيها النار فاحترقت باجمعها . وقتل خلقا كثيرا وغرق خلق كثير وحوى الاسلاب ... هذا وسراياه في القرى تعبث وتفسد فترك اهل البصرة المقام بها وهربوا الى سائر النواحي . ثم انه دخل البصرة سنة سبع وخمسين ومائتين وقت صلاة الجمعة فقتل واحرق الى يوم السبت ثم عاد يوم الاثنين فتفرق الجند ونادى اهل البصرة بامان فآمنهم ولما ظهر الناس قتلهم فلم يسلم الا الشاذ ، واحرق الجامع ومن كان فيه فعم الحريق الناس والدواب والمتاع وغير ذلك ، واستخرج الاموال من اربابها وقتل الفقراء (ص ١٩ــ٢٠) .

ز ــ وكانت سرايا (الخبيث) تصل الى واسط ودخلوها سنة اربع وستين ومائتين ، وقتلوا من بها ، واحرقوها ؛ واستولى على نواحيها ولم تزل عساكر الزنج تعبث وتفسد ، وتغير في اعمال الاهواز ، وعسكر مكرم وتستر وما صاقب هذه النواحي . يقتلون الرجال ، ويسبون النساء والاولاد وينهبون الاموال (ص ٢٠).

٢ ــ الجانب الاقتصادي واعني به الامور المتعلقة بالاوضاع الاقتصادية :

أ ــ فحصل الخبيث على اموال وجواهر استأثروها واعطاها نساءه واولاده فانكر ذلك عليه جماعة منهم فقال نسائي ليس كنسائكم (ص ٢٠) .

ب ـ فلما كثرت حاشيته (صاحب الزنج) كف ايدى الزنج عن النخل والمزارع ، وجبى الخراج منهم ، والصدقة ، وصرفه الى اصحابه، فتغلثت قلوب الزنج ، فساءت احوالهم وهموا بالوثوب عليه (ص ٣١) .

٣ ـ الجانب الديني ..

أ ـ حدث في نفسه الكفر والخبث ودعوى الامامة وعلم الغيب والخروج على الائمة (المورد ص ١٨) .

ب ـ كانوا (اهل الاحساء) لا يدعون شيئا من فضلاته يسقط الى الارض ، ويأخذونه تبركا به (المورد ص ١٨) .

ج ـ وجال في البادية واستغرى من لقيه من الاعراب ، واوهمهم انه يعلم منطق الطير (المورد ص ١٨)

د ـ ادعى ان قوله تعالى « انه استمع نفر من الجن » قد انزلت فيه وانا عبدالله الذي قام بدعوة (المورد ص ٢١).

هـ ـ وادعى انه الرجل الذي جاء من اقصى المدينة يسعى (المورد ص ٢١) .

و ـ وقال انزل في سورة من القرآن مجردة ليس فيها ذكر غيري وهي (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) (المورد ص ٢١) .

ز ـ وادعى انه تكلم فى المهد صبيا . وانه صيح به : يا علي فقال : لبيك (المورد ص ٢١) .

إنني لا ازال حائرا بين المؤرخين القدامى والمحدثين ، لكنني اعود لاشكر الدكتور عبدالجبار لانه هيأ لنا اجتماع الظاهرتين في مقاله ونصه المحقق . ظاهرة المؤرخين المحدثين الذين يضعون صاحب الزنج في المكان الذي يؤهله للقيادة ويمنحه صفات المصلح الاجتماعي ، والثائر المخلص لاتباعه . (مقدمة الدكتور) . وطريقة القدامى من المؤرخين الذين يضعون صاحب الزنج في مقام آخر يخالف هذا المقام من حيث التأهيل والقيادة والاصلاح (نص الصفدي) .

ومع عودتي للشكر اعود مرة ثالثة لاجد نفسي في الحيرة الكبيرة التي تلف المتابع لاحداث التاريخ ليرى التاريخ كيف يكتب ؟؟ والاحداث كيف تؤرخ ؟؟ والرجال كيف يعاملون ؟؟ ولكن الأمانة العلمية وحدها هي التي تطوق اعناق المخلصين لكتابة التاريخ ليضعوا ايديهم على افئدتهم وهم يكتبون لان امانة الاجيال ثقيلة ، والف شكر .